رسائل
مولانا جلال الدّين الرّوميّ

تحقيق توفيق هـ. سبحاني

ترجمها إلى العربية وقدّم لها
أ.د. عيسى علي العاكوب

دار الفكر
آفاق معرفة متجددة
www.fikr.com

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل

مولانا جلال الدين الرومي

رسائل مولانا جلال الدين الرومي / ترجمها إلى العربية وقدم لها عيسى علي العاكوب؛ تحقيق توفيق هـ . سبحاني .- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨ .- ٥٦٨ ص ؛ ٢٤ سم.
١- ٢١٨,٩ ر و م ر ٢- العنوان ٣- الرومي
٤- العاكوب ٥- سبحاني
مكتبة الأسد

ألفه بالفارسية

جلال الدين الرومي

رسائل

مولانا جلال الدين الرومي

تحقيق

توفيق هـ . سبحاني

ترجمه وقدم له

الدكتور عيسى علي العاكوب

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم إلى العربية

الحمدُ لله الذي حَمْدُه صَيدٌ للنِّعَم، والصّلاةُ والسّلام على مَن اصطفاه مولاه ليبلِّغ عنه مرادَه من أفراد الخَلْق والأُمَم، وعلى إخوانه في سلسلة النبوّات والرّسالات ممّن حملوا عنوانَ الفضل والكرَم، ورضي ربّي تعالى عن آله الطيّبين المباركين وعن صحابته الغرّ الميامين الذين نصروه وأيّدوا دعوته بالعزمَات والهِمَم.

أمّا بعد، فهذا هو الكتابُ الثالثُ من مجموعة أعمال مولانا جلال الدّين النثرية التي كُتبت باللّغة الفارسيّة أصلًا، ثم هيّأ لنا المولى سبحانه أن نُترجمها إلى العربيّة. إذ ترجمنا قَبْلَ هذه الرّسائل عملَي مولانا جلال الدّين: فيه ما فيه، والمجالس السّبعة، وصدرا عن دار الفكر في دمشق. وإنّه بنَشْر هذه الترجمة لرسائل مولانا جلال الدّين تكون أعمالُه النّثرية كلّها قد وجدت سبيلَها إلى مائدة الثقافة العربيّة.

والصّحيح أنّنا قد تحدّثنا عن سيرة حياة شاعر الصوفيّة الأكبر مولانا جلال الدّين في مقدّماتٍ أعددناها لترجمات كُتب أُخَر له، كما أنّنا ترجمنا ـ والحمدُ لله ـ كتابًا كاملًا

حول سيرة هذه الشخصية الفذّة؛ إذ صدرت ترجمتُنا العربيّة لسيرة حياة مولانا جلال الدّين التي ألّفها بالفارسية الأستاذ الإيرانيّ القدير بديعُ الزمان فروزانفر، عن دار الفكر في دمشق عام ٢٠٠٦م، بعنوان: «من بَلْخ إلى قُونِية». ومن هنا لا نرانا في حاجة إلى إعادة الحديث عن شخصيته وسيرة حياته، خاصّة أنّه حدث احتفاء كبير بهذه الشخصية في عام ٢٠٠٧م، بعد أن أعلنت منظمة الأمم المتحدة للتّربية والعلوم والثقافة Unesco ذلك العامَ مناسبةً للاحتفاء بهذه الشّخصية والتعريف بإنجازها الثقافيّ والفكريّ والرّوحيّ المتميّز.

أمّا هذا الكتابُ فهو مجموعٌ من خمسين ومئة رسالة من رسائل مولانا الرّوميّ أنشأها مولانا أو حُرِّرت بتكليف منه باللّغة الفارسيّة، وهي اللّغة الدّارجة في أوساط المثقفين في قُونِية، عاصمة سلاجقة الرّوم في عصر مولانا جلال الدّين (٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ). وقد نُشرت هذه الرّسائل في تركية وفي إيران، قبْلَ النّشرة التي اعتمدناها في الترجمة، وهي بتحقيق الأستاذ توفيق سبحاني، وقد صدرت عن مركز نشر دانشگاهی، في طهران عام١٩٩٢ م.

وهذه الرّسائلُ عبارةٌ عن «مكاتيب» خاطب فيها مولانا رجالَ دولةٍ من سلاطين ووزراء وولاة وقضاة وعمّال، أو رجالَ عِلْم معروفين جيّدًا في تاريخ سلاجقة الرّوم.

ويجد القارئ في هذه الترجمة ما يأتي:

١ـ ثلاث مقدّمات أعدّها أساتذةٌ أجلّاء من تركية وإيران: مقدّمة الأستاذ عبد الباقي گلبينارلي، وهو أستاذٌ تركيّ معروف باهتمامه بمولانا جلال الدّين وإبراز آثاره، وهذه المقدّمة في غاية الأهميّة، وكان قد أعدّها بالتركيّة وجعَلَها مقدّمةً لترجمته التركيّة

لرسائل مولانا ثمّ ترجمها الأستاذ توفيق سبحاني إلى الفارسيّة؛ ومقدّمة الدكتور فريدون نافذ أوزلوق، وكان قد صدّر بها رسائلَ مولانا التي نشَرَها في تركية، وهي أيضًا مهمّة، وقد ترجمها الأستاذ توفيق سبحاني من التركيّة إلى الفارسيّة؛ ومقدّمة المحقّق لرسائل مولانا الأستاذ توفيق سبحاني، وهي باللّغة الفارسيّة.

والصّحيحُ أنّ هذه المقدّمات الثلاث أضاءت كثيرًا من القضايا المتّصلة بمولانا وبرسائله؛ وما تنطوي عليه من معلومات وتبصّرات يدفعني إلى تقليل المادّة التي سأقدّمها في هذا التقديم.

٢ـ خمسين ومئة رسالة من رسائل مولانا. وسنتحدث فيما بعد عن شيء من موضوعاتها وأساليب تأليفها وطرائق التعبير المعتمدة فيها.

٣ـ تعريفات للأشخاص الذي جاء ذكرهم في تضاعيف الرّسائل، وقد أعدّها المحقّق الإيرانيّ للرسائل، الأستاذ توفيق سبحاني؛ وينطوي هذا القسمُ على سبع وأربعين ترجمة.

٤ـ توضيحات وتعليقات على الرّسائل، أعدّها المحقّق الإيرانيّ. وهي على قدر كبير من الأهمية في كشف بعض غوامض الرّسائل.

وقد حقّق المرحوم الأستاذ عبد الباقي گلبينارلي في نسبة هذه الرّسائل إلى مولانا، وانتهى إلى القول إنّه باستثناء الرّسائل (٨، ٥٤، ٦٦) يمكن القطعُ بأنّ هذا المجموع من الرّسائل كتَبَه مولانا نفسُه أو كلّف أحدًا بكتابته؛ أي إنّها صحيحة النسبة إليه.

ومعظم الرّسائل أرسله مولانا إلى أشخاص من ذوي الشأن يوصي فيها بشخص أو يطلب إنجاز أمر، أو يدلّ على شيء مرغوب. وفي مقدور المرء أن يستخلص هنا

جملة استنتاجات تلقي ضوءًا كبيرًا على شخصيّة مولانا ذات الأبعاد المتباينة:

آ ـ تُظهِر الرّسائل البُعْد الأخلاقيّ لشخصية مولانا جلال الدّين؛ حتّى إنّ المرء يستطيع أن يقول هنا وفقًا للتعبير القرآنيّ: إنّ مولانا مصنوعٌ على عَيْنِ ربّه سبحانه، أو اصطنعه المولى لنفسه. فجمهرة رسائل مولانا يَبذل فيها الشيخ العظيمُ ماءَ وجهه ويستعمل كلَّ ما أوتي من أدوات التأثير؛ لكي يحلّ مشاكل الناس البسطاء الذين قضى ربّنا سبحانه أن يقعوا في ورطة أو يعضّهم الدّهر بنابه. فنحن هنا أمام شخصية ممثّلة تمامًا لأخلاق النبوّة التي لخّصها البيانُ الإلهي في قول ربّنا عن رسولنا الكريم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. بدا مولانا جلالُ الدّين في الرّسائل يُنصف العاجزين من القادرين، ويقدّم للتصوّف الإسلاميّ مثالًا حيًّا للصّوفيّ الذي ينزل إلى دنيا الناس المساكين الذين لا حَوْلَ لهم ولا قوّة، فيتعرّف حاجاتهم ومطالبهم، ثمّ يقدّمها لمن بأيدهم الحلّ والعقد. ومن العسير تصوّرُ الجهد الذي يبذله مولانا في حلّ مشكلات الناس من دون تصفّح عدد من الرّسائل.

ب ـ تُظهِر الرّسائلُ مبلغَ الاحترام الذي يجلّيه مولانا في الرّسائل لكُبَراء عصره ومِصْره، أو لمن يمكن تسميتُهم السّلطة الدّنيوية. لكنّه في الوقت نفسه يبدو عزيزَ النّفس رفيعَ القَدْر، على قدر كبير من العفاف والعَدْل. وههنا، على الحقيقة، شيء لافت للنظر تمامًا، وهو أنّ مولانا كما يبدو من الرّسائل لا يذهب إلى أحدٍ من المسؤولين، بل يبعث رسائله إليهم بطريق أحد الأشخاص. وبرغم إظهار اشتياقه إلى لقاء من يبعث إليه الرّسالة وتوقه إلى رؤيته، تراه يتفادى في الأعمّ الأغلب الذهاب إليه.

جـ ـ تُطلعنا رسائلُ مولانا على البعد الرّوحيّ الإيمانيّ الذي تتحلّى به شخصيتُه،

فالتذكير بعبوديّةِ الإنسان لربّه، وحتميةِ رجوعه إليه، وضرورة محاسبته نفسَه لا تغيب عن عين المتأمّل في رسائل هذا المبدع. وفي مقدور المرء أن يقول هنا بأسلوب مولانا نفسه: إنّ عَيْنَ روح مولانا صار قرآنا. فقد تخلّلت مطالبُ القرآن الكريم والحديث الشّريف وأقوالُ الصّالحين وأشعارُ الحكماء نسِيجَ رسائله. وفي المستطاع القولُ إنّ رسائل مولانا، على غرار أشعاره وآثاره النثرية، تقدّم لنا نموذجًا للأدب الإسلاميّ الرّفيع، الذي يغذو الأرواحَ حكمةً متعاليةً وحِسًّا دينيًّا رفيعًا يعزّز إنسانيّةَ الإنسان، ويفجّر فيه ينابيعَ الفَهْم المتألّق الذي يدرك به فِعْلَ الدَّيان في الأكوان، فيتعرّف بذلك خالقَه العظيم بآياته الماثلة في الأنفس والآفاق.

د ـ تُبرِز الرّسائل مولانا المربّيَ لأجيال السّلاطين والحاكمين والقُضاة وقادة الجيش المجاهدين والتّجّار والصُّنّاع والوعّاظ والمدرِّسين والسّيدات والدّراويش. وكان ينمّي في كلّ من يخاطبه الأخلاقَ العالية والمعاني السَّنيّة وأعمال الخير والصّلاح. ويحرص في الثّناء والتبجيل على أن تأتي الصّفاتُ مناسبةً تمامًا لطبيعة المخاطَب، وكأنّه يدعو المخاطب إلى أن يتخلّق بما ينبغي أن يكون عليه من الأخلاق الرفيعة والسّجايا الحميدة. وعلى هذا النحو تكون الرّسائل ضَرْبًا موفّقًا ممّا سمّيناه في مناسبات أُخَر: الأدبَ المؤدّب. هذا الأدبُ الذي كان للنساء نصيبٌ طيّب منه؛ فهناك عدد من الرّسائل الموجّهة إلى سيّدات فُضْلَيات في شؤون مختلفة. وهو أمر يبرز المنزلةَ العلية التي تمثّلها المرأة في جملة اهتمامات مولانا.

هـ ـ يبدو مولانا في الرّسائل، كما هي حالُه في آثاره الأُخَر، قارئًا ممتازًا لآداب الفُرس والعرب. فقد أظهرته الرّسائل شديد الوَلوع بآثار عدد من شعراء التصوّف

الفارسيّ الكبار من مثل سَنائي (تـ ٥٣٥هـ)، وفريد الدّين العطّار (تـ ٦٢٧هـ). وقد نهج مولانا نهجَ هذين الشاعرين، واستعمل مضموناتهم وأوزانهم وقوافيهم وأنواع رَديفهم. وفي الرّسائل خاصّة أكثر من الاستشهاد بأشعار سَنائي، كما تطالعك في الرّسائل آثارُ إفادته من شاهنامة الفردوسي وأشعار السُّهْرَوَرْدِيّ ومقالات شيخه شمس الدّين التبريزي. ولم تكن هذه الثقافةُ الفارسية لتحجبه عن الثقافة العربيّة، فقد انطوت الرّسائل على شواهد شعرية مستقاة من دواوين المتنبّي والمعَرّيّ والصّاحب بن عبّاد، بل نجده يستشهد حتّى بأبياتٍ لامرئ القَيْس وطرَفة.

و ـ تُظهِر الرّسائل العالَمَ النفسيَّ لمولانا جلال الدّين، وهو عالَمٌ أظهرُ خاصّياته أنّ الفؤادَ فيه هو العِيارُ والحاكِمُ للعقل، وفقَ عبارةٍ للعلّامة إقبال. وقد سجّل الأستاذُ گلبينارلي هذا الملحظَ حين قال: «يجسَّد في رسائل مولانا الإخلاصُ المفرط، والهيجانُ العميق، والتحرّقُ الدّاخليّ، والبيانُ المقنع، والإيمانُ الرّاسخ، والقدرةُ المنطقية الخارقة» (الأصل، ص ٢٣).

لا بدّ ابتداءً من الإشارة إلى أنّ الرّسائل جميعًا ترمي إلى تحقيق قَصْدٍ عَمَليّ هو إنجازُ المطلوب فيها مع تقديم الدّرس التربويّ الخُلُقيّ الذي يهدف إلى تنمية الخلائق الجميلة في نفوس من تُوجَّه إليهم . ويلفتُ انتباهَ المرءِ هنا كثيرًا أنّ مولانا جلالَ الدّين يسلّط على المخاطب كلّ أدوات التأثير النفسيّ الوجدانيّ والعقليّ، فيثني على المخاطب منذ البدء بفيض من الألقاب التي أحسب أنّها تضع المخاطَبَ في شبكةٍ نفسيّة روحية عقلية تستنهض فيه كلَّ عوامل الارتقاء الرّوحيّ والعقليّ الذي يجعله يَلَذّ طعْمَ العطاء، وفق عبارة الشّاعر العبّاسيّ بشّار بن بُرْد. فحتّى انتماءُ المخاطب إلى سُلالة أو عِرْق أو

أسرة يستعمله مولانا لاستحياء النّفوس التي مالت إلى مَنْع الخير وحَبْس الفضل ولم يبق للنفع موضعٌ لديها، وفق مقولة أبي فراس الحمْدانيّ. ويعمد هنا كما يقول الأستاذ گلبينارلي «إلى جَعْلِ موضوعٍ عنوانًا، ثمّ يأتي بالأمثلة لذلك، ويردف ذلك بالآيات والأحاديث المناسبة والعبارات المطابقة للموضوع، ويَدخل إلى الحكايات ويستعيد ذكريات الماضين» (الأصل، ٢٣). وكثيرًا ما يستعمل الحِجاجَ والنّقاش لتأييد الفكرة التي يشاء إقناعَ المخاطب بها.

ويخالُ المتأمّلُ أنّ القَصْد العمَليّ الذي استهدفت الرّسائل تحقيقَه جعَلَ مولانا يبعث الكلام في رسائله هكذا عفوًا من دون قصْدٍ إلى محاكاة أساليب الرّسائل في عصره، وهو عصرٌ يبدو أنّ الترسّلَ الدّيوانيّ فيه التزم قوالبَ محدّدة ومسارات لا يُحاد عنها. وقد لاحظ المرحومُ عبد الباقي گلبينارلي هذا الأمرَ فقال في مقدّمته للتّرجمة التّركية لرسائل مولانا: «مثلما كان مولانا متحرّرًا في فكره وحياته وحتّى في شعره، كان في رسائله متحرّرًا أيضًا. فهو لا يُلزم مخاطَبَه، اتّباعًا لأسلوب زمانه، بالقواعد الجامدة للترسّل في موضوع الخطاب، ويحدّث المخاطَبَ بالطريقة نفسها التي تظهر فيها المعاني من قلبه. وفي الرّسائل، حتّى في العناوين أيضًا، لا يتّبع أعرافَ العصر» (الأصل، ص ٢٣).

لكنّ الرّسائل أيضًا تُظهِر مولانا قارئًا ممتازًا للترسّل العربيّ، مستفيدًا مما فيه من طاقات أدائيّة تخاطِب الحسَّ الجماليّ عند المخاطب من تقسيم وازدواج ومراعاة للفواصل. ولا غرابة في ذلك حين نتذكّر أنّ الشيخ العظيم ـ كما يسمّي العلّامةُ إقبال مولانا جلالَ الدّين ـ ابنٌ برّ للثقافة العربيّة الإسلامية يسمع شيوخها ويقرأ متونَها ويستظهر أساليبَ البيان في لغتها العربية. ومن الرّسائل ما هو بلسانٍ عربيّ مبين، كما

أنّ لمولانا أشعارًا بالعربيّة كثيرة، ومقدِّماتُ ثلاثة أجزاء من المثنوي بالعربية أيضًا. وقد يُفيد هنا أن نجتزئ شيئًا مما جاء في مطلع الرّسالة الثالثة عشرة ليكون هاديًا إلى بعض ما قلنا: «سراجُ الذّاكرين، تاجُ الشاكرين، رائضُ مطيّةِ النفس، فاسخُ صَفْقةِ البَخْس، وارثُ الفَلاح، سالِكُ نهج الصّلاح، المنيبُ إلى الله، المتوكّلُ على الله، خالعُ ثياب الدّنس، عامِرُ أركان خير الكنس...».

ويبقى أن يتساءل المرءُ هنا: هل هذه الرّسائل هي كلُّ ما أنشأه مولانا جلالُ الدّين وحرّره، أو حُرِّر له، من رسائل؟ لا يبدو أنّ الأمر كذلك. وقد انتبه الأستاذ گلبينارلي إلى هذه المسألة فقال: «هناك يقينًا رسائلُ أخَر أيضًا تدور حول أصحاب مولانا وأوضاعهم، وكذلك في إجابة أسئلة وجّهت إليه» (الأصل، ٢٧). ويبدو أنّ رسائل كثيرة لمولانا قد وجدت سبيلها إلى الضّياع، وأنّ ما لم تستطع عادياتُ الزمان أن تصل إليه هو ذلك المتّصل بأهل السّلطان وعمّال الدّيوان، كما لاحظ گلبينارلي في مقدّمته للترجمة التركية المثبتة ترجمتها العربيّة في مطلع هذا الكتاب.

أمّا ترجمتُنا العربيّة هذه للرسائل فأقولُ إنّ التوفيق، والحمدُ لله، قد ساير رَكْبَها منذ الحصول على هذه النّشرة المحقّقة؛ إذ تفضّلت الأختُ الفاضلة الدّكتورة ندى حسّون، مدرّسة الأدب الفارسيّ في جامعة دمشق، بأن سألت أحد أبنائنا الدّارسين للّغة الفارسية في طهران أن يوافيني بنسخة من هذه النّشرة. وفعلًا أهداني الابنُ النجيب الأستاذ محمّد عبد المجيد هذه النّسخةَ التي هي عمدتي في الترجمة؛ فأحسنَ المولى إلى هذين الصّديقين.

تجلّى التوفيق أيضًا فيما حباني ربّي سبحانه من صَبْر وتحمّل في مداورة هذا المَتْن من

متون القرن السابع الهجريّ. ولستُ أدري إن كان من المفيد أن أذكر في هذا الشأن أنّ محبّة مولانا الحبيبِ وآثارِه كانت دائمًا مددًا يرفدني بمزيد من الثبات والعزيمة والدّأب. وأسأل المولى سبحانه أن تشملَ هذه المحبّةَ والموالاةَ منّي لمولانا جلال الدّين مقالتُه في الرّسالة الأولى عندما أعلن سرورَه بأخبار إحسانِ السّلطان عزّ الدّين كيكاوس السّلجوقيّ إلى أحد محبّيه فقال: « والجهةُ الثانيةُ الموجِبةُ لسُروري بأخبار إحسان هذا الملِك، أعلى الله دولته، أنّني كنتُ أقول: الحمدُ لله الذي جعَلَ لمحبّتي ومُوالاتي هذا الإقبالَ المتزايد وأوقعها في الموقع اللّائق؛ لأنه من صفاء جوهر المحِبّ أن تقع محبّتُه على جوهرٍ لطيف؛ لأنّ كلّ ما هو موجودٌ في الثمانية عشر عالَـمًا محِبٌّ وعاشقٌ لشيء، وشرَفُ كلّ عاشقٍ بقَدْر شرَفِ معشوقه. وكلّما كان المعشوقُ لطيفًا وظريفًا وشريفَ الجوهر كان عاشقُه عزيزًا:

ضروبُ النّـاسِ عـشاقٌ ضروبًـا فـأكرمُهم أشـفُّهمُ حبيبـا(*)

وقد آذنت هذه المعاناةُ والمشقّةُ الآن بوداع، بعد أن اكتملت الترجمةُ، وها أنذا أسطِّر الكلمات الأخيرة من هذا التقديم. وسيبقى لديّ هاجسٌ يقظ دائمًا، هو أنّ خدمة أهل الصّلاح الدّالّين على ربّهم بأقوالهم وأعمالهم دَيْنٌ في أعناق الأحرار من أهل كلّ زمان، هؤلاء الذين يدركون أنّ إصلاح الأرواح مقدّمةٌ لإصلاح الأشباح. وإنّني أستيقن تمامًا أنّ نَشْرَ آثار هذا المبدِع العظيم في صورة جيدة وإشاعتها بين أفراد النّاس إحدى السُّبل للارتقاء بالأمّة ونهوض الجيل الذي يؤمنُ بعبودية الإنسان لمولاه،

* بيت للمتنبّي استشهد به مولانا جلالُ الدّين.

ويستشعرُ ضرورةَ أن يُحْسِن في كلّ ما يأتي، ويستنفرَ كلَّ ما أودع من طاقات الخَلْق والإبداع. وإذ ذاك يكون مجتمعُنا المجتمعَ المَرْضيَّ في السّماء والأرض. وأختمُ بما ختَمَ به حضرةُ مولانا الرّسالةَ الأولى من رسائله: «إنّ كلّ سَطرٍ من هذه الرّسالة [وهنا، الرّسائل] نُكتةٌ تستدعي الشرْحَ لكي لا يؤوّلها من لا يرى إلّا الظّاهرَ بفهمه السّقيم ... وأسأل الله أن يُنزلَها على خاطرٍ عاطرٍ، وضمير منير واضحٍ ومكشوفٍ. إنّه وليُّ الإجابة ودعوةُ المخلِصين مستجابة».

حسْنِ يوسف عالمی را فایده گرچه براخوان عبث بُد، زایده

أي:

كان حُسْنُ يوسُفَ مفيدًا للعالَمِ كلّه

برغم أنّه كان لدى إخوته عبثًا لا طائلَ من ورائه

وقبل أن أودّع القارئ الكريم أجد حقًّا معلومًا عليّ أن أشكر للصّديقين الكريمين محمد رشيد ومنتصر معمار جهودَهما في تنضيد الكتاب وإعداده للنّشر النهائي. وقد تجشّما في ذلك معاناة كبيرة أسأل المولى سبحانه أن يجزل لهما ثوابَ تحمّلها ومكابدتها.

«ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ».

حلب المحفوظة إن شاء الله، مساء الأربعاء ١٤ محرّم الحرام / ١٤٢٩هـ

٢٣ كانون الثاني / ٢٠٠٨م

«وإنّي عبدُ الله»

عيسى بن علي بن عيسى العاكوب

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تقديم المحقّق الإيراني الفاضل الأستاذ توفيق سبحاني

طُبعت رسائل مولانا جلال الدّين الرّوميّ (مع طبعة سنة ١٣١٥ حسب قول المرحوم مُشار في فهرس الكتب المطبوعة) حتّى الآن أربعَ مرّات في إيران وتركية، كما طُبعت ترجمتُها التركية مرّةً واحدة في تركية. وما خلا الترجمةَ التركية لهذه الرّسائل، يمكن عَدُّ الطبعاتِ الأُخر على الحقيقة طبعةً واحدة؛ ذلك لأنّ طبعةَ سنة ١٣٣٥، بعناية السيّد يوسف جمشيدي پور والسيد غلامحسين أمين في طهران، مأخوذةٌ عن طبعة المرحوم الدكتور فريدون نافذ أوزلوق؛ وطبعةَ ١٣٦٣ في طهران، برغم أنّ تعريف الكتاب يذهب إلى القول إنّها الطبعة الأولى، هي تمامًا طَبْعٌ بطريقة الأُفسيت عن الطبعة التركية.

ومن يكونون قد اطّلعوا على رسائل مولانا في كلّ من هذه الطبعات يعرفون التصحيفات في هذه الطبعات، ويعلمون أنّه، بالإضافة إلى جدول التصحيفات ذي السبع عشرة صفحة الذي أثبته المرحومُ نافذ أوزلوق في الصفحات ١٥١ـ ١٦٧ من الكتاب، وقعت في متْن الكتاب أيضًا تصحيفاتٌ أخرى كثيرة جدًّا ندّ بعضُها عن عين مصحِّحه ونشأ بعضُها عن سُوء القراءة، وقد جعلت هذه التصحيفاتُ إدراكَ المعنى أمرًا متعذّرًا في أكثر المواضع. ولا شكّ في أنّ بعض التصحيفات المبرَزة في جدول تصحيفات طبعة السّيدين جمشيدي پور ـ أمين قد أُصلح، لكنّه من المؤسف أنّ تصحيفات أُخَر قد حلّت محلّها.

فمثلًا في الرّسالة الأولى في الصفحة ٤ السطر الثالث من الآخِر (في طبعة تركية والعلمية) نقرأ العبارةَ الآتية:

«صاح حضرةُ الحقّ بمُلْك الدّنيا [قائلًا]: تعرَّ أمام الملِك لكي يرى نقائصَ عدم وفائك واغسِلْ عنك جيفةَ ورقتِكَ بماء المكروهات ...»

التي أصلُها استنادًا إلى النسخة ٧٩ في قُونية هكذا:

«صاح حضرةُ الحقّ بمُلْك الدّنيا [قائلًا]: تعرَّ أمامَ الملِك لكي يرى نقائصَ عدمِ وفائكَ واغسِلْ عنكَ حَفَّكَ ورفَّك بماء المكروهات..(*)».

أو: نقرأ في الرّسالة الثانية في الصفحة ٥، السّطر ٢١ ـ ٢٢، قولَه:

«عجّلوا بالصّلاةِ قبْلَ الموت» [٢]

التي هي في الأصل هكذا:

«عجّلوا بالصّلاة قبْلَ الفوت».

أو: أنّ الرّسالةَ الثانية والأربعين، التي جاءت في الصفحتين ٤٢ ـ ٤٣ وتنتهي في السّطر الثالث من الصفحة ٤٣، والرّسالةَ الثالثة والأربعين، التي كُتبت لمعين الدّين پروانه والتُمس فيها مسامحةُ نظام الدّين، قد أُدمجتا في الطبعات الموجودة.

وأحيانًا جُعلت مصاريعُ وأبياتٌ موجودةٌ في داخل المتن عباراتٍ منثورة.

ويمكن أن يُرى نموذجٌ لسوء القراءة مثلًا في الجملة الأخيرة من الرّسالة السّابعة

---

* جاء في المثَل: «مَنْ حَفَّنا أو رَفَّنا فليقتصِدْ»، أي: مَنْ طاف بنا، واعتنى بأمرنا، وخدَمَنا، ومَدحَنا، فلا يَغْلُوَنَّ. فالحَفُّ الإحاطةُ بالعناية، والرَّفُّ الإحسانُ والإكرامُ [المترجم العربي].

والستّين في النسخة«ق» :

«كتبه والده يعرف بلَحْن قوله» التي قرئت على هذا النحو: «كتبه والده يعرف بلخي قوله». ولم تأت هذه العبارة في طبعة الأفسيت التركية، لكنها موجودةٌ في «الرّسائل» طبعة ١٣٣٥ في طهران.

وإنّ هذا الضّربَ من الإشكالات حمل كاتبَ هذه الأسطر على إعداد نسخة سليمة. ولهذا السّبب فتّش عن مخطوطات الكتاب وظفر بالنسخ الآتية:

١ـ المخطوطة رقم ١٠٥٥ في مكتبة نافذ باشا، الموجودة في سليمانية إستانبول. وقد عبّرنا عن هذه المخطوطة بالعلامة «ن» ؛ ١٩٠× ٢٥٠ / ١٢٠× ١٩٠ ملم، ٨٣ ورقة، في كلّ صفحة ٢٧ سطرًا، ويبدو أنها من القرن الثامن الهجريّ.

٢ـ المخطوطة رقم ٤٢ في مكتبة جامعة إستانبول (علامتها الاختصارية «سا») ؛ ١٧٠× ٢٤٢ / ١٢٠× ١٨٣ ملم، ٥١ ورقة، في كلّ صفحة ٢٧ سطرًا، ورق ملوّن مُنشّى، الجلدُ مقوّى، والطرف والحاشية من جلد الغنم القهويّ اللون، مجدول بالذّهب والمسك، العناوين باللون الأحمر، ويبدو لنا أنها من القرن العاشر الهجريّ. لهذه المخطوطة مقدّمةٌ قصيرة أثبتها المرحومُ عبد الباقي گلبينارلي في مقدّمته لترجمة الرّسائل.

٣ـ المخطوطة رقم ١٢٨٦ في المكتبة نفسها بعنوان «كتاب الترسّل للتوسّل إلى التفضّل» (العلامة الاختصارية لها «سج»)؛ ١٤٠X٢١٠ / ٨٠ X ١٤٥ملم، بخط النّسْخ، ٧٣ ورقة، في كلّ صفحة ٢١ سطرًا، ورق أصفر مُنشّى، الجلد من جِلد الماعز المدبوغ القهوي، العناوين وعلامات الوقف بالأحمر، يبدو لنا أنّها من القرن الثاني عشر الهجري، وقد عدّها بعضهم ممّا ينتمي إلى القرن الحادي عشر. وتتضمّن المخطوطةُ «سج»

أيضًا في البدء ثلاثة أسطر على سبيل المقدّمة، ويحسن أن نذكر تلك المقدّمة فيما يأتي:

«كتابُ الترسّلِ للتوسُّلِ إلى التفضّل من إنشاء مولانا سلطان الأولياء، قطب الواصلين، مرشد الكاملين، حجة الله على العالمين، كامل الحال والقال إلى يوم الدّين، سيّاح مالك الجبروت وسبّاح بحار الملك والملكوت، فاتح مغاليق السّلوك شارح حضـ[ ]ات الملوك، جلال الحقّ والدّين، قُدِّس سرُّه».[٣]

٤ـ المخطوطة رقم ٧٠٣ في المكتبة نفسها (علامتها الاختصارية «سب»). بخطّ نستعليق لعبد الله البخاريّ، تاريخ التحرير ١٢٨٤هـ، ١٦٠ × ٢٤١ / ١٠٠ × ١٧٠ ملم، ١٤٧ ورقة، في كلّ صفحة ٢١ سطرًا، ورق أصفر منشّى، الجلد من جلد الماعز المدبوغ الأزرق المتأخّر، العناوين بالأحمر.

٥ـ المخطوطة رقم ٢٨ في المكتبة نفسها؛ بخطّ نستعليق جميل كتابة يوسف عزّت آقشهري، تاريخ التحرير ١٢٧٥هـ، ٢٠٠ X ٣٠٢ / ١٢٥ X ٢٠٥ ملم، ٩٩ ورقة، في كلّ صفحة ٢٧ سطرًا، ورق أصفر منشّى برّاق، الجلد من جلد الماعز المدبوغ الأخضر، رأسُ اللّوحة مذهّب، العناوين وخطوط التذهيب بالأحمر.

٦ـ المخطوطة رقم ٢١١٢ في مكتبة متحف قُونِية؛ ١٣ X ٢٣ / ٨ X ١٥.٣ سم، ١١٥ ورقة، في كلّ صفحة ٢١ سطرًا، مخطّط بالذهب، الجلد مقوّى بحاشية من جلد الغنم المدبوغ، ليس هناك تاريخ للكتابة، من القرن الثالث عشر الهجريّ. وهذه المخطوطة وقف لهمدم چلبي.

٧ـ المخطوطة رقم ٧٩ في قُونية (علامتها الاختصارية «ق»)؛ وهذه المخطوطةُ هي الأساسُ لتحقيقنا. وننقلُ المشخّصاتِ الكاملة لهذه المخطوطة من المجلد الرّابع

لفهرس مخطوطات مكتبة متحف مولانا في قُونية، الذي كتبه المرحوم عبد الباقي گلبينارلي ولم يطبع للأسف حتى الآن:

١٨ × ٢٥.٥ / ١٤ × ٢٢ سم، الجلدُ مقوّى بحاشية من جلد الغنم المدبوغ، ومحتاجٌ إلى إصلاح، ١٧٧ ورقة. وهي مجموعةٌ رسائلُها كلّها بخطّ كاتب واحد، بأسلوب العصر السّلجوقيّ، ورق كبير مُنَشّى قليلًا بالأصفر، أكثر الصفحات فيها ٣٢ سطرًا، وبعضُها فيه ٣٣ سطرًا وأحيانًا أكثر. العناوينُ ورؤوسُ الفصول والآيات والأحاديث والموضوعات المهمّة باللّون الأحمر. وقد دُوِّن في الورقة الأولى تملُّكُ محمّد سعيد همدم چلبي. وفي الورقة نفسها أُثبتت أيضًا ملكيةُ چلبي زاده إسماعيل عاصم (١١٧٣ هـ / ١٧٦٠م) التي تشتمل على تاريخ ١١٥٢هـ. وتحت خطّه أيضًا ختمٌ بخطّ جميل جدًّا من نوع النستعليق يدلّ على العبارة الآتية: «هذه النّسخةُ موقوفةٌ للعبد الآثم چلبي زاده إسماعيل عاصم».

وتوجد في المجموعة الرّسائل الآتية:

١ـ جزءٌ من معارف سلطان العلماء:

الابتداء: بسم الله الرّحمن الرّحيم. يقيني بالله يقيني. في تفسير سرّ بسم الله الرّحمن الرّحيم. بسم الله دليل على أن المكوِّن هو الله ...(ب ١)

الانتهاء: متى وجدتَ لذّتَك لم تُذهب النارُ والماءُ لذّتك مثل إبراهيم وموسى عليهم السلام، والله أعلم.

[٤] تشير كلمةُ «صح» في هامش الأوراق آ ٢، آ ٣، ب ٤، آ ٦، وصفحات كثيرة أُخَر إلى أنّ هذه النسخة قوبلت بنسخة أخرى.

٢ـ فيه ما فيه، جلال الدّين محمّد (مولانا):

من ب ١٨ إلى آ ٦٢ :

الابتداء: بسم الله. يقيني باللهِ يقيني. قال النبيُّ عليه السلامُ: شرُّ العلماء من زار الأمراء...

الانتهاء: بين هذه الجهادات من أجل مصلحة. واللهُ أعلمُ.

وفي أكثر الصفحات تشير كلمةُ «صح» وتصحيحات إلى أنّها قد قوبلت بنسخة قديمة أو صحيحة أخرى. وفي الورقة ب ٦٠، وفي هامش «فَصْل» ليس له رقم، كُتب: «وُجد بخطّه الشريف»، وفي حاشية «فصل» آ ٦١، كُتب: «وُجد بخطّ خليفته». ومن هذا يُعْلَم أنّ هذه الفصول نُسخت عن خطّ شخص مولانا وحسام الدّين چلبي. وبين ب ٢٢ و آ ٢٣ أضيفت إلى المجموعة أوراقٌ ورقُها وكتابتُها قديمةٌ جدًّا وتنطوي على خاصّيات آثار العصر السلجوقيّ.

٣ـ رسائل، جلال الدّين محمّد (مولانا):

من ب٦٢ إلى آ ٨٩:

الابتداء: بسم الله. البارئ تعالى عندما يشاء إحاطة العبد بالعناية واللّطف والنصرة والسّرور والسعادة...

الانتهاء: زاد اللهُ دائمًا أمداد التوفيق لكم ولمحبيكم، آمين يا ربَّ العالمين.

ويرى المرءُ في حواشي أوراق الرّسائل أيضًا كلمة «صح».

٤ ـ المجالس السّبعة، جلال الدّين محمّد (مولانا):

من ب ٨٩ إلى آ ١٠٧:

الابتداء: بسم الله، الحمدُ لله صانعِ العالَم بغير آلة، العالِمِ بكلّ خَطْرة...

الانتهاء: هي روحُ المؤمن التي تنطلق مثل السَّيْل نحو بحر الوحدة [قائلًا] إنّي ذاهبٌ إلى ربّي، عليه توكّلي، وهو حسبي، والله أعلمُ.

تمّت المجالس... إنّه كريمٌ منّان.

(وقد جعلْنا هذه النسخةَ أساسَ تحقيقنا للمجالس السّبعة التي نُشِرت أخيرًا). [٥]

٥ـ بعض كلمات مولانا جلال الدّين محمّد:

من ب ١٠٧ إلى ب ١١٠:

الابتداء: من يكونُ في داخله نورُ العناية كيف يسوؤه الشّتمُ وسوءُ المقالة؟

الانتهاء: ذلَّ مَنْ ليس ظالمٌ [كذا] يعضده، وضلّ مَنْ ليس عالمٌ يرشده.

في الورقة ب ١٠٧، بعد عبارة «والله أعلم»، في مكان خالٍ تُرِك لكتابة كلمة واحدة، كُتب قولُه: «فصْلٌ في العَدْل». وفي الورقة آ ١٠٨ تُرك أيضًا مكانُ كلمة واحدة خاليًا، ويُشرع بعد ذلك بهذه العبارة: «تفكّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستّين سنة». وفي الحاشية نجد هذه العبارة: «نُقِل من خطّه الشّريف قدّسَ اللهُ سرَّه اللطيف، وكُتب من ههنا إلى خمس صفحات»،ومن هنا وبعد ـ كما أُوضِح ـ نُسِخ خمسُ صفحات من خطّ مولانا. وفي حاشية السطر التاسع أيضًا كُتب: «من خطّه». ومن هذه الكتابات يُعلم أنّ هذه الأجزاء أيضًا نُقلت من خطّ مولانا.

٦ـ معارف السيّد برهان الدّين محقّق الترمذيّ:

من ب ١١٠ إلى ب ١٥٤.

الابتداء : بسم الله ـ من مقالات مفخر السّادات ومنبع الكرامات، سيّد المحقّقين برهان الحقّ والدّين، قدّسنا اللهُ بسِرّه المتين، قال الكفّار كلّهم إنّ لنا مالًا وحسَبًا ونسَبًا وجمالًا وقدًّا وقامةً جميلة...

الانتهاء: وجِدَ فثمِل فقصر الكلام، والله أعلم.

وفي هذه الصفحات، نُقلت مطالب من كتب أخَر أيضًا، غير المعارف. فمثلًا في آ ١٣، في الجزء الأسفل من الحاشية كُتب: «هذا مجلسٌ من معارف سلطان العلماء».

٧ـ من مقالات شمس الدّين التبريزيّ:

من ب ١٥٥ إلى آ ١٧٧:

الابتداء: بسم الله ـ من بعض أسرار حضرة مولانا سلطان الفقراء...

قلتُ لا بدَّ من أن يزلّ الإنسانُ في حياته زلّةً واحدة يكون في باقي عمره كلّه مستغفرًا منها...

الانتهاء: لأنّ في صدري مئة مثقال.

فيُعْلَم أن المجموعة، التي تنتهي بالجملة السابقة، قد انتهت، ولم يُكتب اسمُ كاتبها أيضًا، لكنّه يظهر من ختام المجالس السبعة أنّها قد انتهت في سنة ٧٥٣ هجرية[١]. [٦]

١ـ بالإضافة إلى بيان مؤلّفات مولانا من تأليف السيّد محمّد أوندر

Mevlâna Bibliyogrofysi, Mehmet Onder, III, 1974

استُفيد في هذا القسم من فهارس المخطوطات الفارسية في المكتبات التركية، التي جمعها كاتبُ السّطور على امتداد سنين [المحقّق الإيراني].

ولأنّ إعداد الصّوَر و «الميكروفيلمات» وإحضارها من البلدان الخارجية هذه الأيامَ غيرُ ممكنٍ بسهولة، بالإضافة إلى أنّ المحقّق في إطار المقابلة الشاملة، التي انتهت بامتلاك نسخة نافذ أوزلوق مع النسخ المختلفة، استنتج أنّه لا يوجد اختلاف كبير بين نُسخ الرّسائل، كان لا بدّ من الظفر بأهمّ المخطوطات. وبعد الحصول على المخطوطات مباشرةً وُضع ميكروفيلم المخطوطة رقم ٧٩ في متحف مولانا في قُونِية، الذي كان قد أُعِدّ قبْلُ ابتغاء تحقيق المجالس السّبعة، في المصوِّرة وأُخِذت صورةٌ واستُعِدّ لنسخها. وفي إحدى الرّحلات أُعِدّ ميكروفيلم لمخطوطة نافذ باشا وترجمة المرحوم عبد الباقي گلبينارلي أيضًا. وبمقابلة ما نسختُه بيدي عن المخطوطة ٧٩ في قُونِية، مع المخطوطة رقم ١٠٥٥ في نافذ باشا، تبيّن أنّ اختلاف المخطوطتين ضئيل جدًّا، لكنّ أخطاء القراءة والتداخلات كثيرة. وقد نُسخت المخطوطةُ رقم ٢٨ في مكتبة جامعة إستانبول تمامًا عن مخطوطة نافذ باشا. حتى إنّ الناسخ نقلَ حواشي تلك المخطوطة نفسَها أيضًا. وكذلك فإنّ المخطوطة رقم ٧٠٣ في المكتبة نفسها نُسخت عن المخطوطة الأخيرة. ومن هنا كان الرأيُ أن تُقابَل المخطوطة رقم ٧٩ في قُونِية بالمخطوطة رقم ١٠٥٥ في نافذ باشا؛ أمّا الاختلافُ بين المخطوطتين فقد كان ضئيلًا إلى حدّ أنّه يمكن القولُ إنّه لا يحلّ معضلةً ولا يُوضِح نكتةً البتّة ويحمل المحقّقَ أحيانًا على أن يفي بمطالب عمَل معلّم الإملاء.

ومن هنا سجّل المحقّقُ في بدء التحقيق، خلافًا لمراده، اختلافَ المخطوطات في آخر الورقة وليس منفصلًا؛ لكي يجعل من يشاؤون قراءة كتابه المحقّق يشاركونه الرأيَ في أنّ أصحّ مخطوطة معروفة حتّى الآن للرسائل هي يقينًا مخطوطةُ قُونِية.

لم يُعد المحقّقُ مخطوطةَ نافذ باشا عن نظره، لكنّه امتنع عن إيراد الحواشي التي يُسلِّم بأنها زائدة. ومن المؤسف أنّه نظرًا إلى ضياع المادّة من وسط الرّسالة العشرين إلى أواسط الرّسالة الثالثة والخمسين من نسخة قُونية، كان لا بدّ من نَقْل هذا الضائع من مخطوطات نافذ باشا «ن» و «سا» و «سب» و «سج». وفي هذا العمل كانت ترجمةُ المرحوم عبد الباقي گلبينارلي، التي هي حقًّا ترجمةٌ صادقة ودقيقة، محلَّ نظر على الدّوام. وقد أمدّني العالِمُ الجليل السيّد سعيدي سيرجاني بصُوَرٍ للمخطوطات سا وسب و سج، بتفضّل تامّ. وأشكر له من صميم قلبي نفاذَ بصره. [٧]

وفي تدوين الرّسائل، ثبّتَ المحقّقُ بجانب رقم كلِّ رسالةٍ عنوانًا استُخلص من متن الرّسالة، وعلى هذا النحو عُرِف اسمُ متسلِّم كلّ رسالة. وقد حدّد أرقامَ السُّوَر القرآنية الشريفة(*) وأرقامَ الآيات الواردة في المتْن داخل قوسين. العددُ الترتيبيّ الأيمن هو رقمُ السّورة، والرّقمُ الأيسر هو رقمُ الآية الشريفة. وفي خاتمة الكتاب أضاف فصلًا بعنوان «توضيحات» حدّد فيه ناظمي الأشعار قدر الإمكان، وبيّن الأحاديثَ التي استُشهد بها وأبرز الأمثالَ. وفي الحالات التي لم يَعرف فيها ناظمَ الشعر أو لم يتبيّن مصدرَ المثَل والحديث، عَزف عن ذكرها في التوضيحات. ولا شكّ أنّه تخلّص من هذه النقيصة بتدوين فهرس كامل وأضاف معجمًا للّغات(**). وبالإضافة إلى ذلك أعدّ تعريفًا للشخصيات المذكورة في الرّسائل بالاعتماد على الكتب التاريخية وكتب المناقب،

---

* استبدلنا نحن أسماءَ السّور بأرقامها التي كان المحقّق الإيراني قد أثبتها [المترجم العربيّ].

** آثرنا عدمَ إثبات هذا المعجم في ترجمتنا؛ لاعتقادنا عدمَ فائدته للقارئ العربي [المترجم العربيّ].

مثل مناقب العارفين لأحمد الأفلاكي، ورسالة فريدون بن أحمد سپهسالار، ومسامرة الأخبار للآق سرايي، ومولانا جلال الدّين لعبد الباقي گلبينارلي (الترجمة الفارسية لكاتب السطور)، وقاموس الأعلام لشمس الدّين سامي، وفهرس مخطوطات متحف مولانا في قُونية، والصوفية الأوائل في الأدب التركيّ (بالتركية)، وبيان مؤلّفات مولانا للسيّد محمّد أوندر (مجلّدان بالتركية)، ودائرة المعارف الإسلامية (بالتركية) خاصّة المقدّمة، والحواشي التي أعدّها المرحوم عبد الباقي للرسائل. وبسبب إدراك أنّ مقدّمتَي المرحوم الدكتور فريدون نافذ أوزلوق والمرحوم عبد الباقي گلبينارلي تنطويان على معلومات مفيدة في شأن مولانا جلال الدّين والمولوية، أضاف المحقّقُ ترجمتيهما إلى الكتاب. وفي تضاعيف العمل استفاد من ترجمته لكتاب «المولوية بعد مولانا»، وهكذا اجتمعت الرّسائل.

وعلى هذا النحو، يمكن تلخيصُ مزايا هذه الطبعة على النحو الآتي:

١ـ أنها جُمعت على أساسٍ أصحّ مخطوطة معروفة للرسائل.

٢ـ أنها تشتمل على ترجمة لكلّ من المقدّمتين التركية والفارسية للرسائل المطبوعة في تركية؛

٣ـ أصبح المخاطبون بالرّسائل في هذه الطبعة معروفين من خلال الاستفادة من تعليقات المرحوم عبد الباقي گلبينارلي؛

٤ـ عُرِّفت الشخصيات التاريخية المتضمَّنة في الرّسائل في هذه الطبعة، اعتمادًا على مصادر المرحوم عبد الباقي وتعليقاته؛

٥ـ حُدِّد ناظمو الأشعار العربية والفارسية المستشهَد بها في الرّسائل على نحو أكمل كثيرًا ممّا جاء في التعليقات التركية؛ وفي هذا الصّدد أمدّ الصديقُ العالِمُ العزيز السيّد الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني المحقّقَ بتوضيحات دقيقة في شأن ناظمي الأشعار العربيّة، وأشار بحذف جزء من النّسخ البديلة الزائدة، ولذلك أعدُّ شُكرَه فرضًا عليّ.

٦ـ أُعِدّ لها معجمٌ للمفردات الغريبة، [٨]

٧ـ تنطوي على توضيحات تغني طلّاب العلم عن الرّجوع إلى المصادر المختلفة أو تُطلعهم على مصادرَ مختلفة؛

٨ ـ ابتغاءَ سهولة المراجعة، أضيف إلى هذه الطبعة فهرسٌ للأشعار والآيات والأحاديث والأعلام.

في بعض المواضع من المقدّمة والمتن والتوضيحات، استُخدمت مختصرات نشرحها كما يأتي مرتّبةً ألفبائيًّا:

آنند: معجم آنندراج، لمحمد پادشاه المتخلّص(*) بـ «شاد»، كتابفروشى خيام، طهران، ١٣٣٥.

اصطلاحات ديواني: الاصطلاحات الديوانية في المرحلة الغزنوية والسّلجوقية، حسن انوري، طهران، طهورى، ١٣٥٥.

امثال وحكم: الأمثال والحِكَم، للعلّامة علي أكبر دهخدا، طهران، اميركبير.

---

* يعني التخلّص عند الفرس أن يعتمد الشاعرُ اسمًا شعريًّا له، مثل رودكي ومُعزّي وسعدي وحافظ...[المترجم العربي].

الرّائد، معجم لغوي عصري، جبران مسعود، جزآن، بيروت، ١٩٧٨م.

فرائد اللآل: فرائد اللآل في مجمع الأمثال، الشيخ إبراهيم الأحدب الطرابلسي الحنفي، جزآن، من دون تاريخ.

فرهنگ نوادر لغات: كلّيات شمس، الجزء ٧، تحقيق المرحوم بديع الزمان فروزانفر، طبعة جامعة طهران، ١٣٤٤، ص ١٨١ ـ ٤٦٨.

قاموس تركي: قاموس تركي، شمس الدّين سامي، مطبعة إقدام، إستانبول ١٣١٧.

ل: لغت نامه للمرحوم العلّامة علي أكبر دهخدا.

لسان: لسان العرب، ابن منظور، ١٣٦٣هـ. ش / ١٤٠٥هـ. ق.

م: فرهنگ مرحوم محمّد معين.

مختار: مختار الصّحاح، الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، إعداد محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

مقدّمة الأدب: مقدّمة الأدب، الزمخشري، بعناية سيّد محمد كاظم إمام، نشر جامعة طهران، ثلاثة أجزاء، ١٣٤٣.

منتهى: منتهى الأرب في لغة العرب، عبد الرّحيم بن عبد الكريم صفي پوري، جزآن، طهران، سنائي.

منجد: المنجد في اللّغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٦م.

كان الدافعُ إلى مجيء هذا الكتاب إضاءةَ زوايا حياة العالم الكبير، مولانا جلال الدّين الروميّ. ويؤمّل المحقّقُ أن ينال إعجابَ الأشخاص الذين [٩] سيقرؤونه،

ويرجو أنّه إذا وجد المدركون للرموز قائلًا للشعر أو رأوا خطأً فيه أن يُعلموا المحقّقَ بكلّ صورة يرونها صالحة.

وفي الختام يجد المحقّقُ لزامًا عليه أن يشكر من أعماق قلبه الصديقَ العزيز جدًّا الفاضل الدّقيق النظر جناب أحمد سميعي الذي تحمّل عبء قراءة هذا الكتاب قبل تنضيده، وكذلك السيّدة آزرميدخت جليل نيا التي جمعت أعلامَ الكتاب بدقّة جديرة بالتقدير.

هو الأوّلُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ

توفيق هـ. سُبحاني

مقدّمة المرحوم عبد الباقي گلبينارلي لترجمة الرّسائل الطبعة التركية

[١٠] إنّنا بالطبعة الجديدة لرسائل مولانا نضيفُ حلقةً أخرى إلى سلسلة آثار مولانا. وأوّلُ سؤال يمكن أن يتبادر إلى أذهان القرّاء هو: هل هذه الرّسائل هي حقّا رسائلُ مولانا جلال الدّين؟

وابتغاء الإجابة عن هذا السّؤال صِرْنا أثناء التحقيق أكثر تدقيقًا في مَتْن الرّسائل. ومن جملة الرّسائل، هناك ثلاثُ رسائل ليست لمولانا. وإحدى هذه الثلاث هي الرّسالة الثامنة التي كُتبت إجابةً لرسالة مجد الدّين أتابك، حيث يكتب الكاتبُ إلى مخاطَبه قائلًا: «عندما أوصلتُ سلامَ ذلك المخدوم ـ لا زال مخدومًا ـ إلى حضرة مولانا ـ أدام اللهُ ظلّهُ ـ استبشر استبشارًا عظيمًا، وهو يسلّم عليكم ويدعو لكم... وينتظر اللقاء والزيارة». وجاء في هذه الرّسالة ثلاثةُ أبيات من غزليات مولانا، وقد أضيفت عبارةُ : «كما يقول». ويبدو واضحًا أنّ هذه الرّسالة ليست لمولانا، ويبدو أنّها كُتبت بتكليف منه من جانب شخص آخر. كذلك لا تشبه طريقةُ كتابة هذه الرّسالة أسلوبَ مولانا. وأوّلُ احتمالٍ يتبادر إلى الذهن أنّ كاتبها هو سلطان ولَد. وبرغم أنّه لم يكتب: أوصلتُ سلامَكم إلى والدي، لا يمكن أن تكون هذه القضيةُ مدعاةً للتشكيك في هذا الشأن. وإنّ الاحترام العميق والإجلال اللذين يظهرهما سلطانُ ولَد لأبيه يمنعانه من إظهار مثل هذه الجملة. ويستفاد من هذه الرّسالة أنّ لقب «خداوندگار» [أي مولانا] كان يُستخدَم في حياة مولانا أيضًا.

الرّسالةُ الأخرى هي الرّسالة ذاتُ الرقم ٥٤ التي كُتبت في إجابة مجد الدّين.

ويتجلّى من عبارات الرّسالة أنها كُتبت بأمرِ مولانا. والظاهر أنّ الرّسالة المذكورة كتبها سلطانُ ولَد أيضًا.

الرّسالة السّادسة والستّونَ [1] أيضًا، التي كُتبت في التوصية بشخص اسمُه بهاء الدّين، لا يمكن [١١] أن تكون لمولانا؛ لأنّه جاء في الرّسالة عبارةُ: «بهاء الدّين من أقرباء بيت مولانا». ولا يمكن أن يكون المقصودُ ببهاء الدّين سلطانَ ولَد فإنّه لا يُقال في شأنه «من أقرباء». وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن افتراضُ أنّ مجد الدّين لم يكن يعرف سلطانَ ولَد؛ ومن هنا لا داعي إلى أن يُضاف توصيفٌ في شأن سلطان ولَد.

وباستثناء هذه الرّسائل الثلاث، لا يمكن أن نلقى مثلَ هذه القيود في الرّسائل الأخر [2]. ولذلك يمكن الحكمُ بأنّ بقيّة الرّسائل كتبها مولانا نفسُه أو كُتبت بأمرٍ منه.

ويمكن أن نبيّن رأينا في شأن انتساب الرّسائل إلى مولانا على النحو الآتي:

١ـ هناك اختلافٌ في عدد الرّسائل بين المخطوطات الموجودة للرسائل، أمّا متون الرّسائل الموجودة فليس بينها اختلاف.

٢ـ إحدى المخطوطات الموجودة تعود إلى مرحلة بين القرنين السابع والثامن الهجريّين. الورقُ والخطّ وأسلوبُ الكتابة تنتمي إلى ذلك الوقت. وهذه المخطوطة لا يفصلها عن زمان حياة مولانا إلّا فاصلٌ ضئيلٌ جدّا، أو أنّها كُتبت في حياة مولانا.

١ـ هذه الرّسالة باللغة العربية، وفي رسائل مولانا، الطبعة التركية، جاءت بالرقم ٦٤ وفي ص ٧١.

٢ـ في الرّسالة الأولى يمكن العبارةَ الآتية أيضًا أن تُتخذ دليلًا على أنّ مولانا كان يملي بعض الرسائل: «لا أستطيع المغالاة في هذا لأنّ تدفّق هذا البحث يخطفني ويخطف الرّسالة والكاتب أيضًا.»

ونظرًا إلى أنّ بعض الرّسائل فيها مفقودٌ، يرجِّح الاحتمالُ الثانيَ. وهذه المخطوطةُ، لأنّها موقوفة لمولويخانةِ ينى قاپو، نظنّ أنّها أُخرجت من عتبة مولانا بعد نفي أبي بكر چلبي الأوّل إلى إستنابول (نفيه ووفاته ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٦م) ثمّ جيء بها إلى إستانبول بهدف بيعها، ثمّ وقعت في صورة من الصّور بيد أحد المولويّة فجاء بها إلى مولويخانة ينى قاپو.

٣ـ المخطوطة رقم ٧٩ في متحف قُونِية، كاتبُها أثبت مخطوطات سيّد برهان الدّين محقّق الترمذي ومولانا وحسام الدّين چلبي، وحتى «مقالات» شمس التي رُئيت مكتوبةً في حياة شمس الدّين التبريزي أدخل قسمًا منها في مجموعته التي جُمعت بين سنتي ٧٥٢ ـ ٧٥٥هـ/ ٥١ ـ ١٣٥٤م. ولأنّه في هذه المخطوطة أُهمل ترقيمُ الرّسائل وأضيفت في الحاشية المطالبُ المنسية، يبدو أنّ الرّسائل نُسخت عن أصل الرّسائل أو عن نسخة مأخوذة عن الأصل.

وهذه الأمورُ دلائلُ على أنّ الرّسائل المذكورة هي لمولانا جلال الدّين. وأهمُّ دليل على انتساب الرّسائل إلى مولانا هي الرّسائلُ نفسُها ومحتوى هذه الرّسائل .

إنّ آثار مولانا بنيةٌ واحدة ومنظومةٌ واحدة. لم يُظهِر مولانا في أيٍّ من آثاره رأيًا [١٢] ينقضه في أثر آخر من آثاره. ويشير هذا إلى أنّ مولانا أخرج آثاره إلى الوجود ليس في مرحلة التكامل بل في دورة كمال حياته. ولعلّ بعض أشعاره في الدّيوان الكبير لا ينطبق على هذه القاعدة، لكنّ هذا الاستثناء لا يمكن أن يكسر القاعدةَ السابقة. ويمكن أن يظفر المرءُ بعُصارة كلام مولانا في كتابه «فيه ما فيه»، ويرى صورةً مفصّلة لذلك في «المثنوي»؛ ويمكن البحثُ عن خلاصة حكاية من حكايات المثنوي في هذا القول أو ذاك القول من أقواله، كما يمكن التفتيشُ عن أبيات ديوانه أو رُباعياته

وتلميحاته وفِكَره في مثنويّه وكلماته. حتّى الأبياتُ والحكاياتُ المرويّة في «معارف» والده أو في آثار شيخه سيّد برهان الدّين موجودةٌ بكثرة في آثاره. وتُرى في آثاره أيضًا الأشعارُ والفِكَرُ المنسوبة إلى سنائي والعطّار، اللذين كان لمولانا ارتباطٌ كبير بهما. وقد انعكست في تصانيفه أيضًا الحكاياتُ التي تضمّنتها «مقالاتُ» شمس وأشعارُ الشعراء العرب التي كانت محلّ اهتمام مولانا. وتقع «الرّسائل» في هذا الإطار نفسه أيضًا. ونوضح هذا الزعم بعددٍ من الأمثلة:

يقول في الرّسالة الثالثة: «لا يمكن تقديمُ النموذج بأكثر من حفنة من المخزن وباقةٍ من الحديقة، إذ لا يمكن الإتيانُ بالمخزن والحديقة إلى السوق». وقد جاءت هذه الفكرةُ نفسُها في «فيه ما فيه» في الفصل السابع أيضًا.

في الرّسالة العاشرة يأتي حديثٌ عن نجم الدّين بن خُرَّم چاوش؛ وهذا الشخصُ يُذكر في «فيه ما فيه» أيضًا (الفصل السابع والعشرون، ص٨١). وفي الرّسالة نفسها يشير إلى احتراق المدينة في عهد الخليفة الثاني ويقول إنّ الخليفة قال: أطفئوا هذه النار بالصّدَقة. وقد جاء ذِكْرُ هذه الحادثة أيضًا في الجزء الأوّل من المثنوي (مثنوي، ميرخاني، ص٩٧). كذلك في الرّسالة التاسعة عشرة يتكلّم على صورة الصّلاة ويشير إلى ابتدائها وانتهائها، وقد جاءت هذه القضيةُ أيضًا في الفصل الثالث من «فيه ما فيه» (ص ٩ ـ ١٠) وفي الفصل الثامن منه (ص٢٦ ـ ٢٨) أيضًا.

كذلك، يمكن العثورُ على ذكر كثير من الحوادث المروية في «مناقب العارفين» للأفلاكي في الرّسائل. من ذلك مثلًا أنّ الرّسالة السادسة، التي كُتبت إلى سلطان ولَدفي شأن الاعتناء بزوجته فاطمة خاتون ابنة صلاح الدّين، باستثناء جزء ضئيل من

بدايتها، وردت تمامًا في مناقب العارفين (ج ٢، ص ٧٣٢ ـ ٧٣٤). كذلك فإنّ الرّسالة السادسة والخمسين التي كُتبت لإصلاح ذات البين [بين سلطان ولَد وزوجه] نُقلت في مناقب العارفين، وأضيف إليها أنّ جمال الدّين قمري حملَ الرّسالة (نفسه ص ٧٣٤ ـ ٧٣٦).

ويبدو من الرّسالة التاسعة والعشرين أنّ نظام الدّين، صهر صلاح الدّين، اختير لنيابة الطغراء. وقد وُصف في « مناقب العارفين» بأوصاف من قبيل «سلطان الكاتبين، أستاذ السّلاطين، ابن البوّاب الثاني، مُقلة بن مُقلة» (نفسه، ٧٢٦). [١٣]

الرّسالة الرابعة والأربعون[1] كُتبت إلى علاء الدّين چلبي وسلطان ولَد في التوصية بالاحترام لشرف الدّين [لالاي السّمرقندي].

الرّسالة الثامنة والسّتون[2] كُتبت في شأن تفويض خانقاه نصرة الدّين إلى شخص اسمُه حميد الدّين؛ ونقرأ في «مناقب العارفين» أنّ بناءَ هذا الخانقاه اكتمل في حياة شمس (ص ٦٤٨ ـ ٤٩).

الرّسالة الخامسة والسّبعون[3] كُتبت في شأن تفويض مشيخة خانقاه ضياء الدّين الوزير وخانقاه آخر إلى حسام الدّين چلبي. ويظهر من « مناقب العارفين» أنّ خانقاه

---

١ ـ الرّسالة الثانية والأربعون في الطبعة التركية (أرقام الرسائل مرجعُها إلى طبعات تركية وإيران ـ طبعة جمشيدي پور وأمين، والأفسيت ١٣٦٣).

٢ ـ الرّسالة ٦٦.

٣ ـ الرّسالة ٧٣.

ضياء الدّين الوزير، بعد وفاة شيخ هذا الخانقاه، أُسلِم إلى حسام الدّين چلبي، وقد كان اسمُ ذلك الشيخ نفيسَ الدّين السّيواسي، حتى إنّ جماعة من ملازمي الخانقاه لم توافق على مشيخة حسام الدّين (١، ص ٥٥٨؛ ٢، ٧٥٤ـ٧٥٨).

الرّسالة السادسة والعشرون والمئة[١] كُتبت في رعاية حال حسام الدّين چلبي، الذي أصبح شيخَ خانقاه ضياء الدّين الوزير، ويؤيّد هذا المعنى أيضًا «مناقبُ العارفين».

الرّسالة السادسة والسّبعون[٢] يطلب فيها [مولانا] من شيخ اسمُه صدر الدّين مشيخةَ خانقاه خُلّت لأجل حسام الدّين.

والمخاطَبون بالرسائل رجالُ دولة مثل عزّ الدّين كيكاوس الثاني، وعلَم الدّين قيصر، وملك السواحل بهاء الدّين مستوفي، وأكمل الدّين الطبيب، والنائب أمين الدّين ميكائيل، وفخر الدّين علي صاحب العطاء وبدر الدّين گهرتاش، والقاضي عزّ الدّين، والقاضي أكمل الدّين، ومجد الدّين الأتابك، ومُعِين الدّين سليمان پروانه، ومهذّب الدّين الأمير، ونور الدّين جاجا[٣]، وتاج الدّين معتزّ ... أو رجالُ عِلْم يمكن تعرّفُ أحوالهم في تواريخ السلاجقة وكذلك في رسالة سپهسالار ومناقب العارفين للأفلاكيّ. وحتّى في ديوان سلطان ولَد توجد مدائحُ لبعضهم(ديوان سلطان

---

١ ـ الرّسالة ١٢٤.

٢ ـ الرّسالة ٧٤.

٣ ـ جاء اسمُ هذا الشخص في «فيه ما فيه»، بتحقيق المرحوم فروزانفر، في صورة «جيجه».

ولَد، طبعة تركية، ص ٩٥ ـ ٩٩)، وكذلك في «فيه ما فيه» يمكن العثورُ على أسمائهم (انظر في هذا الشأن: أعلام فيه ما فيه، ورسالة سپهسالار، ومناقب العارفين).

[١٤] وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ الرّسائل مرتبطةٌ ارتباطًا تامًّا بحياة مولانا وعصره. وتُقدّم لنا معلومات لم نكن نعلمها. من ذلك مثلًا أنّه في الرّسالة السابعة يلقِّب مولانا ابنَه علاء الدّين بلقب «افتخار المدرّسين»، ويستدعيه إلى المدينة، ويطلب منه أن يعود ويرعى شؤون أهله وعياله وطلّابه، ويخبره بأنّ الكدورة التي كانت بينهما قد زالت. وبذلك ندرك أنّه كان لعلاء الدّين أيضًا منصبُ تدريس، وفي الوقت نفسه تصحّ الروايةُ المتعلّقة بمخالفة علاء الدّين لشمس.

في الرّسالة الثامنة بارك مولانا وهنّأ بعودة كُبراء الدولة وعظمائها من السّفر وأمّل أن يكون هذا السّفرُ باعثًا لأمن المسلمين وأمانهم. وقد كان باعثُ هذا الكلام أنّ الكبراء أقدموا على هذا السّفر الشاقّ من أجل الحفاظ على أرواح المؤمنين كافّةً وراحة الدراويش، وتحمّلوا مشاقّ منازل الطريق المتعبة ووطّنوا أنفسَهم على تحمّل شدّة الغُرَباء وخشونتهم. وفي الوقت نفسه دعا بأن يكون هذا السّفرُ سببًا لإظهار محبّة المسلمين في قلوب الغرباء. وقد كُتب في هذه الرّسالة ـ التي قلنا من قبْلُ إنّها ليست لمولانا ـ أنّ سلامَ المخاطب بالرسالة، الذي هو مجدُ الدّين، أُبلغ إلى مولانا، وأنّه هو أيضًا يسلّم ويدعو. ومعلومٌ أنّ مجد الدّين هو رفيقٌ لجماعةٍ ذهبت لاستقبال واحدٍ من ملوك المغول أو من أجل عمَلٍ آخر إلى المعسكر، أي مركز حكومة المغول. والمرادُ من «الغرباء» في هذه الرّسالة المغول.

الرّسالة الرّابعة والعشرون كُتبت إلى شخص عصفت ريحُ الغرور برأسه، وبيّنت

كم تحمّل كاتبُ الرّسالة بسببه من العناء والمشقّة. وقد نُصِح فيها المخاطبُ ضمنًا.

في الرّسالة السّابعة والسّتّين[١] خُوطب علاءُ الدّين مرّةً أخرى بلقب «محبوب الأوّابين»، وقُدِّمت له النصائح.

الرّسالة الثالثة والعشرون كُتبت إلى القاضي بعد وفاة علاء الدّين في شأن تَرِكته (انظر أيضًا: مناقب العارفين، ج ١ ص ٥٢٣؛ ج٢، ص ٦٨٦ و ٧٦٦).

الرّسالة الحادية والثلاثون في شأن عمل ابن مولانا (أمير العالَم) في أعمال الدولة.

الرّسالة السّابعة والتسعون[٢] في شأن فاقة أمير العالَم وكثرة عياله وطلب العون الماليّ له (مناقب العارفين، ١ ص ١٩٩، ٢٥٤ ـ ٢٥٥، ٤٨١ ـ ٤٨٢، ٤٨٨ ـ ٤٨٩، ج ٢، ٧٥٢، ٧٨٩، ٨٢١).

[١٥] الرّسالة الثامنة عشرة والمئة[٣] تبيّن أنّ أمير العالَم چلبي قد اختلف مع حسام الدّين، وأوصي على نحو جدّي بالاستحواذ على قلبه.

الرّسالة الرابعة والخمسون[٤]، برغم أنّها ليست لمولانا، تُطلعنا على أنّ أمير العالَم، خلافًا لظنّنا، لم يبق في خدمة الدولة إلى آخر حياته، بل إنّه في الآخر ترك عَملَ الدّيوان وسلك طريق والده، فصار درويشًا وارتدى خِرْقة الصّوفية.

---

١ ـ الرّسالة ٦٥.

٢ ـ الرّسالة ٩٥

٣ ـ الرّسالة ١١٦.

٤ ـ الرّسالة ٥٢.

الرّسالة الخامسة عشرة موضوعُها طلَبُ العون الماليّ لحسام الدّين چلبي في بناء حائط البستان الذي أنفق حسامُ الدّين في ترميمه كلَّ أملاكه.

الرّسالة السادسة والثمانون[١] في طلب أداء دَين [ورثة صلاح الدّين] الذين كانوا اشتروا بستانًا ولم يفِ الأشخاصُ الذين وعدوه بالمساعدة بوعدهم. وبين الرّسائل رسائلُ طُلبت فيها المساعدةُ لصهر حسام الدّين چلبي وصهر صلاح الدّين زركوب. ويظهرُ من الرّسالة الخامسة والخمسين[٢] أنّه كان في عصر مولانا أناسٌ كانوا ينوحون في مراسم التعزية بالمتوفَّين وكانوا يجعلون هذا الأمر شغلَهم الشاغل. وفي الرّسالة السّادسة والثلاثين يكتب [قائلًا] «إنّ جماعة أصحابنا، باستثناء نفر محدود قد وقعوا تحت المطالبة بالخراج، وطُلب العفوُ المالي عنهم.

الرّسالة الثانية والخمسون[٣] شكا فيها مولانا من أناسٍ يؤذون الدراويش. وفي هذه الرّسالة استخدم مولانا لغةً قاسيةً جدّا، حتى إنّه كتب يقول: «إذا ما رحَلْنا عن المدينة وتحملنا العناء لا تتركوننا، وإذا ما أقمنا فإنّ هذا النفر القليل من الدراويش لا ينقطعون عنّا...»

ويظهر من الرّسالة الثانية والثلاثين والمئة[٤] أنّ مولانا عُيّن في مشيخة الخانقاه،

---

١ ـ الرّسالة ٨٣.

٢ـ الرّسالة ٥٣.

٣ـ الرّسالة ٥٠

٤ ـ الرّسالة ١٣٠.

وأنّ جماعة كتبت قائلةً إنّ مولانا لا يحضر في ذلك المكان. ويكتب مولانا [قائلًا] إنّني من الصباح إلى المساء أجلس في ذلك المكان، ويضيف إنّني لا أهتمّ بالمال وبمنال الدنيا مثل الشيوخ الآخرين، ولا أعمل من أجل الشؤون الدّنيوية. وفي هذه الرّسالة أيضًا استخدم لغةً قاسية.

الرّسالة السابعةُ والثمانون[١] كُتبت في شأن إعفاء عدد من الدراويش من الضّرائب، وطُلب صدورُ أمر ملكيّ من أجل النظر عند اللزوم.

الرّسالة التاسعة والثلاثون والمئة[٢] كُتبت إلى سيّدة ذات ألقاب «فاطمة العصر، خديجة الدّوَرَان، مريم الزمان». ونظنّ أنّ هذه هي السيدةُ نفسُها التي تُحدِّث في الرّسالة الثانية والثمانين[٣] عن زاويتها، [١٦] إذ ذهبت جماعةٌ إليها وأزعجت الدراويش ويطلب مولانا أن يُزال هذا الإزعاج. وهذه القضية مهمّةٌ على الحقيقة، إذ تُدير سيّدةٌ زاويةً وتكون متولّيةَ أمْرَ المشيخة فيها[٤]. الرّسالة السادسة والسّتّون[٥] كُتبت أيضًا إلى سيّدة «انحدرت من سلالة رئيس الرّؤساء ولها طبعُ الملوك». الرّسالة

---

١ ـ الرّسالة ٨٥.

٢ ـ الرّسالة ١٣٧.

٣ ـ الرّسالة ٨٠.

٤ ـ انظر: مولانا جلال الدين، مبحث «المرأة ومولانا» ص ٣٣٧ ـ ٣٤١، الترجمة الفارسية لكاتب هذه السطور، و «المولوية بعد مولانا» فصل «منزلة المرأة في عقيدة مولانا»، ص ٢٧٨ ـ ٢٨١.

٥ ـ الرّسالة ٦٤.

الثامنة والعشرون بعد المئة[1] كُتبت أيضًا للسؤال عن حال سيّدة مريضة.

يفهم من الرّسالة الثمانين[2] أنّ الوالي قد أزعج أتباعَ حسام الدّين چلبي. وقد همّ حسام الدّين مرّات كثيرة بأن يترك قُونية. ويُحتمل أنّ هذه الواقعة قد نشأت بسبب زاوية ضياء الدّين الوزير.

الرّسالة الخامسة والتسعون[3] في شأن واحدٍ من أتباع مولانا اسمُه شمسُ الدّين التاجر الذي طالبه أميرُ أكدشان سيواس بالضرائب وسلك في هذا الشأن طريقَ الإفراط. وفي هذه الرّسالة أُوصي بأن يُقلِع الأخيرُ عن ذلك.

الرّسالة السابعة عشرة في شأن أن لا تُؤخذ الضرائب من شخص اسمُه كمال الدّين، وكان قد أفلس.

في الرّسالة الثانية والأربعين يكتب مولانا [قائلًا] إنّ المغولَ يطلبون بغلًا وهو يريد أن يمنعهم من هذا العمل.

في الرّسالة السادسة والعشرين يطلب إعفاء صهره شهاب الدّين من الضرائب.

الرّسائل التاسعة والسّبعون[4] والثلاثون والمئة[5] والحادية والثلاثون والمئة[6]

١ـ الرّسالة ١٢٦.

٢ ـ الرّسالة ٧٨.

٣ـ الرّسالة ٩٢.

٤ـ الرّسالة ٧٧.

٥ـ الرّسالة ١٢٨.

٦ـ الرّسالة ١٢٩.

كُتبت إلى حسام الدّين چلبي. وفي الرّسالة الحادية والثلاثين والمئة خاصةً تحدَّث عن مرضه وعجزه. وهذه الرّسالة من جهة الإخلاص والبلاغة والأسلوب البيانيّ والنصاعة عديمةُ النظير.

في الرّسالة الثامنة والخمسين[1] التي كُتبت في التوصية بفرد من آل بيت الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وسلّم)، يطالعنا الاحترامُ العميق الذي كان مولانا يُكنّه للسّادة. وفي حكاية من حكايات المثنوي أيضًا يلاحَظُ هذا الاحترامُ القلبيّ (الجزء الثاني، ص ١٥٢).

وفي الرّسائل يمكن أن نرى ذلك الاحترام العمليّ الذي يُبرزه مولانا للكبراء، وكذلك [١٧] عزّةَ نفسه ورفعته وفي الوقت نفسه حياءه وتواضعه الجمّ. ومعلوم أنّه لا يستطيع أن يصدّ أحدًا، ومن ثمّ كان لديه إحساسٌ عميق بالمحبة والشفقة إزاء البشر والبائسين وكان يسامح المقصّرين وذوي الزلّات، ويمكن القولُ باختصار إنّنا في الرّسائل يمكن أن نرى مولانا بأتمّ خاصّياته وصفاته. ومن ذلك مثلًا أنّه في رسالةٍ يكتبها إلى عزّ الدّين كيكاوس الثاني يدعو نفسَه أبًا والمِلِكَ ابنَه، ابنٌ محتاجٌ إلى النّصح والإرشاد. ينصحه ويطيّب نفسه على نحو أبويّ. وعند مولانا أنّ السّلطنة الحقيقية هي السّلطنةُ على القلوب. في الرّسالة السادسة، التي كُتبت إلى سلطان ولَد في التوصية بزوجه، يكون المِلكُ صلاحَ الدّين زركوب، الذي هو سلطانُ القلوب. ونخال أنّ المقارنةَ بين هاتين الرّسالتين ومطالعةَ الرّسائل التي كُتبت إلى حسام الدّين، توضحان

١ـ الرّسالة ٥٦.

وجهة نظرنا تمامًا. ونتبيّن من الرّسالة الرابعة والعشرين أنّ لقاء الأمراء، في أي شأن من الشؤون، أمرٌ مزعجٌ لمولانا، كما يظهر من الرّسالة الستّين[1] أنّه لا يذكر رغباته الداخلية أيًّا كانت.

نحن نعلم أنّ مولانا كان يقرأ آثارَ سنائي (تـ ٥٢٥ هـ/ ١١٣٠ ـ ٣١م) والعطّار (تـ ٦١٨ هـ/ ١٢٢٠ ـ ٢١م[*]) باستمرار وكان يتحدّث عنهما، وكان أصدقاءُ مولانا، قبل نَظْمه المثنويّ، يقرؤون آثار سَنائي (راجع: مناقب العارفين، قسم الأعلام، تحت اسمَي سَنائي والعطّار).

يوردُ مولانا البيتَ الآتي لسَنائي مع ذكر اسم سنائي في الجزء الأوّل من المثنوي (ص ١٠٨):

إنّ كلَّ قولٍ عاقك عن التقدّم في الطّريق يستوي فيه الكفرُ والإيمان،

وكلَّ صورة أوقعتك بعيدًا عن الحبيب يستوي فيها الحسْنُ والقبح

(الديوان، ص ٤٨)

كذلك أورد البيتين الآتيين في الجزء نفسه من المثنوي (ص ١١٦، البيتان ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧):

لا بدّ للدّلال من وجهٍ كالوَرْد

فإذا لم يكن لديك مثلُ هذا الوجه فلا تلزمْ سوءَ الطبع

١ ـ الرّسالة ٥٨.

* هكذا جاء تاريخُ وفاتهما في الأصل؛ وهناك اختلاف كبير في هذا الشأن [المترجم العربي].

فقبيحٌ أن يتدلّلَ وجهٌ قبيحٌ

وصعبٌ أن تتألّمَ عينٌ عمياء

(الديوان، ٦٢٢)

وقد ذُكِر البيتان الآتيان للسّنائي مع التصريح بأنّهما للحكيم سَنائي في الجزء الأوّل من المثنوي (ص ١٢٤):

[١٨] إنّ في عالَمِ الرّوح سماوات متحكّمة بسماء الدّنيا

وفي طريق الرّوح منخفضاتٍ ومرتفعاتٍ وجبالًا عالية ومحيطات

وبرغم أنّ هذين البتين على وزن «حديقة الحقيقة» لسَنائي، لم يأتيا في طبعة السيّد مدرّس رضوي. والبيتُ الأوّل من هذين البيتين ذُكر في «فيه ما فيه» أيضًا (ص ٢٢٣).

وقد جاء البيتُ الآتي لسَنائي في الجزء الخامس من المثنوي (ص ١٦٠):

ليس بيتُنا بيتًا بل هو إقليم،

وليس هَزْلُنا هَزْلًا بل هو تعليم.

وفي المثنوي بيتان آخران ليسا على وزن المثنوي ولهما وزن «حديقة الحقيقة» لسَنائي، لكننا لا نجدهما في حديقة الحقيقة (المثنوي، طبعة علاء الدولة، الجزء الخامس، ص ٥٤٣، والجزء السادس، ص ٥٧٦).

وقد أخذ مولانا بيتَ سَنائي الآتي من حديقته وجعله مطلعًا لغَزَلٍ (كلّيات شمس، ج ٢، ص ٢٤٧):

يصنعُ الصوفيّةُ في لحظةٍ عِيدَين،

وتصنع العناكبُ من الذبابة قديدًا

(الحديقة، ٣٦٩)

والغزَلُ الآتي في المطلع

صار المعشوقُ جميلًا جعله اللهُ كذلك إلى الأبد

وصار كفرُه كلّه إيمانًا جَعَله اللهُ كذلك إلى الأبد

(كليّات شمس ١، ٥٥)

نظيرٌ لغزَل سَنائي:

صار المعشوقُ جميلًا جعله الله كذلك إلى الأبد

وصار كفرُه كلّه إيمانًا جعَلَه الله كذلك إلى الأبد

(الديوان، ٨٣٨)

والتغييرُ الذي أدخله مولانا فيه هو فقط زيادةُ حرف واحد في آخر قافية الغزَل. ونضيفُ أنّ هذا البيت جاء في المجالس السبعة أيضًا وكذلك في «سندباد نامه» لمحمّد ابن علي ظهيري السمرقندي الذي أُلّف في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلاديّ (سندباد نامه، ص ١٩٧؛ مولانا جلال الدّين، ص ٤٠٣).

[١٩] والغزَل الآتي لمولانا:

تقدَّمْ تقدَّمْ، كمْ مِنْ قطْعِ الطريق هذا؟

عندما تكون أنتَ أنا وأنا أنتَ، فلِمَ أنت وأنا؟

(٦، ٢٤٣)

على وزن الغزَل الآتي لسَنائي:

وفي النهاية اخجَلْ، كمْ مِنْ سوء الطبع هذا؟

عندما تكون أنتَ أنا وأنا أنتَ، لِمَ أنا وأنت؟

(الديوان، ١٠٢٠)

غزَلُ مولانا الذي مطلعُه:

مجلسُ طربٍ وشرابٌ ياقوتيّ وحانٌ وفجور

الملِكُ قَلَنْدَرٌ، والقَلَنْدَرُ بريءٌ منه

(٦، ٢٣٤)

نظيرٌ للغزَل الآتي لسَنائي:

عشقٌ وشرابٌ ودَلالٌ وحانٌ وفجور،

وكلُّ مَنْ نال نصيبًا من ذلك غدا خِلْوًا من الهموم.

وغزَلُ مولانا ذو المطلع الآتي:

أيا مَنْ وِصالُك ماءُ الحياة

أنتَ تعلمُ تدبيرَ خلاصنا

(٦، ٧٤)

ناظرٌ إلى الغزَل الآتي للسّنائي:

يا مَنْ أنتَ العينُ والمصباحُ لذلك العالَم،

ويا مَنْ أنتَ الحسناءُ والشمْعُ للسماء

(الديوان، ١٠٣٧)

وغزَلُ مولانا ذو المطلع:

قلتُ للقلب: لماذا أنت هكذا؟

إلى متى تظلّ جليسًا للعِشْق؟

يذكّرُ بالغزَل الآتي لسَنائي:

[٢٠] أنتَ آفةٌ للعقل والنفسِ والدّين،

أنتَ محسودُ الجِنّ والحُور العِين.

(الديوان ١٠٣٩)

ويقول مولانا في غزَل جميل:

قال أحدُهم: ماتَ السيّدُ سَنائي

وموتُ سيِّد كهذا ليس أمرًا هيّنًا

ليس هو قشّةً طارت بالرّياح

وليس هو ماءً جمّده الصّقيع

ليس هو مِشْطًا كسرتْه شعرةٌ

وليس هو حبّةً خبّأها التّراب

(٢، ٢٥٨)

وهذا الغزَلُ متأثّرٌ بالقطعة الآتية لسَنائي:

ماتَ سَنائي وكأنّه لم يمتْ

إنّ موتَ ذلك السيّد ليس أمرًا يسيرًا

عاد الرّوحُ العزيزُ إلى أبيه

وأُسْلِم القالَبُ التّرابيُّ [الجسد] إلى أمّه

رجَع من مُلْكٍ إلى مُلْك

فعاشَ الآنَ مَنْ قلتَ إنّه مات

(الديوان، ١٠٥٩)

البيتُ الآتي للعطّار مُثبتٌ في الجزء الأوّل من المثنوي (ص ٩٩):

أيّها الغافلُ، إنّك صاحبُ نَفْسٍ حِسّية فاشربِ الدّماء وأنتَ تتمرّغ في التراب،

أمّا صاحبُ القلْب فلو شربَ السّمَّ لصار هذا ترياقًا

(الدّيوان، ٢٢٤)

والبيتُ الآتي للعطّار:

إنّ الخمرة التي تشربُها حَرامٌ

ونحن لا نشربُ إلّا خمرةَ الحلال

(الدّيوان، ٥١٨)

جاء في الجزء السادس من المثنوي (ص ٣٠٩).

غزَلُ مولانا الذي مطلعُه:

[٢١] ما العشقُ إلّا السّعادةُ والعناية

إلّا سرورُ القَلْب والهداية

(١، ٢٨٩)

نظيرٌ لغزَل العطّار:

ليس كلامُ العِشق سوى إشارة

العِشْقُ لا تقيّده الاستعارة

(الديوان، ١٥٢)

وقد أثبت مولانا البيتَ الآتي نفسَه:

لم يدرسْ أبو حنيفةَ العِشْقَ،

وليس للشّافعيّ روايةٌ فيه(١)

وفي مقدرونا أن نزيد في عدد هذه النماذج، لكنّنا نريد أن نبيّن أنّ مولانا سار في الطّريق الذي سار فيه سَنائي والعطّار، واستخدم مضموناتهم وأوزانهم وقوافيهم وأنواعَ رَدِيفهم(*). ونضيف أنّنا لم نُغفل القولَ إنّ مولانا لم يكتف بالإتيان بالنظائر والأشباه. فليس هناك شاعرٌ فيلسوفٌ مفكِّر لا يستفيد من كلام الشعراء والفلاسفة والمفكّرين الذين سبقوه وآرائهم وأشعارهم. والقدرةُ المبدِعةُ والدافعُ المنظِّم وقابليةُ التلفيق لديه تمزج ذلك الكلامَ وتلك الآراءَ والفِكَرَ بالخاصّية المضافة من عنده، وتصنع ذلك من جديد وترتّبه ترتيبًا جديدًا وتمزجه بصفاته المميزة. ومن خلال الإلهام الذي يستمدّه من معطيات عصره يضيف إلى ذلك قدرتَه المبدِعة، فيعطي الفِكَرَ وجهةً جديدة، ويستبدل بذلك كلامًا جديدًا، ويتقدّم ويضيف إلى المجالات التي تأتي بعده مجالاتٍ أُخَر، ويبادر إلى إظهارها... وأظنّ أنّ النّبوغ هو هذا. حتّى الأديانُ، التي تستمدّ القوّة من مصادر فوق الطبيعة، تستفيد من الأديان التي سبقتها ومن الأعراف المنظِّمة الأقدم عهدًا، وتهتمّ بتوعية الناس بمحيطهم وعصرهم وتربيتهم، وتضيف إلى

---

١ ـ عدّ المرحوم فروزانفر هذا البيتَ لسَنائي؛ ولاحظْ أنّ هذا المضمون عينه جاء في ديوان العطّار.

* مصطلح فارسيّ يُراد به كلمةٌ تتكرّر في أواخر الأبيات [المترجم العربيّ].

ذلك أشياء أُخَر. مثلما في العهد الجديد جاء قولُ عيسى (عليه السلام): «ما جئتُ لإبطال الشرائع السابقة، بل جئتُ لأتمّها» (متّى، الباب الخامس، ١٧ ـ ١٨). وذُكِر هذا الحديثُ على لسان الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وسلّم) «إنما جئتُ لأتمّم مكارمَ الأخلاق» (الجامع الصغير، ١، ٨٦).

[٢٢] قرأ مولانا كلَّ أشعار الشعراء الذين سبقوه وأنعم النظرَ في آثار المفكّرين. وأذاب براعتَهم في البلاغة في بُوتقة براعته وجعلَ فِكَرَهم أساسًا لفِكَره الخلّاقة. وكان له نصيبٌ من الصّوفية الذين سبقوه ممن أدرك أنّ لهم مَشْرَبه، وأذاب مدركاتهم في مدركاته. وليس في وسعنا أن نجد لدى أيّ شاعر وأيّ صوفيّ المهارةَ التي يعبِّر بها مولانا عن نفسه لغويًّا، والقابليةَ التي يمتلكها في إنشاء الموضوعات بصور مختلفة من البيان، والبصيرةَ التي لديه، والقدرةَ على الإبداع والتفكير الإنسانيّ. التنظيمُ الذي أعطاه للتصوّف لا يمكن أن يُلمَس عند أيّ صوفيّ آخر (انظر: مولانا جلال الدّين، مبحث «التصوّف في نظر مولانا»، ص ٢٧٣ والفصل الرابع، ص ٣٩٩ وما بعد).

ونذكّر هنا بأنّ البيت الآتي، برغم أنه حديثُ كلّ مجلس ومحفل، ليس لمولانا:

كان العطّارُ الرّوحَ والسّنائي عينيه

وجئنا نحن على أثر السّنائي والعطّار

هذا البيتُ في ديوان سلطان ولَد على النحو الآتي:

كان العطّارُ الرّوحَ والسّنائي عيني القلب،

وأتينا قِبْلةً للسّنائي والعطار

(طبعةٌ تركية، ص ٢٧٧، ب ٥٧٠٠)

وبرغم الاحترام الذي يكنّه مولانا لسَنائي والعطّار، كان يقول: «إنّ السيّد سَنائي وحضرةَ فريد الدّين العطّار كانا من كبراء الدّين البارزين، لكنّهما تكلّما في الأعمّ الأغلب على الفراق، أمّا نحن فكان كلامُنا كلّه على الوِصال» (مناقب العارفين، ١، ٢٢٠) وعلى هذا النحو قاس نفسَه بهما وأوضحَ قيمةَ نوعَي الكلام.

كان مرادنا من مقارنة أشعار مولانا بأشعار سَنائي والعطّار أن نبيّن أنّ مولانا في رسائله أيضًا، على غرار مثنويّه وديوانه، استعملَ أشعارَ سَنائي والعطّار وفقًا لتناسب المقال واقتضاء الحال استعمالًا وافرًا، وكان علينا أن نُعِدّ مجالًا لهذا الكلام.

وقد أُدخلت أبياتٌ من «حديقة الحقيقة» للسّنائي في الرّسائل: الثانية، والثالثة، والخامسة، والتاسعة عشرة، والحادية والعشرين، والرّابعة والعشرين (في موضعين)، والثلاثين، والثالثة والخمسين، والحادية والسّبعين، والسادسة والثمانين، والثالثة بعد المئة، والثانية والثلاثين بعد المئة.

وفي الرّسائل: الثلاثين، والثامنة والثلاثين، والثانية والأربعين (في موضعين)، والتاسعة والثمانين، والحادية والتسعين، والثالثة بعد المئة، والثامنة عشرة بعد المئة، والرابعة والعشرين بعد المئة، والسادسة والثلاثين بعد المئة، والسابعة والثلاثين بعد المئة، يمكن أن نجد أبياتًا [٢٣] من ديوان سَنائي. وفي الرّسالة السابعة والثلاثين أيضًا بيتٌ أُخِذ من العطّار. ونرى أنّ نسيج الرّسائل أيضًا، مثل فيه ما فيه الذي جاء تدوينًا لخُطَبه والمثنويّ الذي هو أثرٌ تعليميٌّ، متّفق مع نسيج ديوان [شمس تبريز] الذي أُلِّف أكثرُه من غزَليّات مرتجلة وأشعارٍ نُظمت حسب المناسبات.

ولم يستفد مولانا في الرّسائل من أشعار سَنائي والعطّار فقط، بل اختزنت حافظةُ

هذا العالِمِ الكبير أشعارًا كثيرة من الأدب العربيّ والأدب الفارسيّ مع كلّ جمالياتها. وهو عند اللزوم يستدعيها في خاطره، فيكتبها ويمليها. ويقول الأفلاكيّ خاصّةً إنّ مولانا كان متعلّقًا بالمتنبّي (تـ ٣٥٤هـ/ ٩٦٩م) (٢/ ٦٢٣). وقد أُثبت في الرّسائل: الأولى، والسادسة (في موضعين)، والثانية عشرة، والسابعة والأربعين، أبياتٌ لهذا الشاعر العربيّ. وذُكِر في الرّسالة الثانية عشرة بيتٌ للشيخ شهاب الدّين السُّهْرَوَرْديّ المقتول (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) الذي كان محلّ محبّةٍ وثناء لدى شمس (انظر: مولانا جلال الدّين،ص ١٠١). وذُكِر في الرّسالة الأربعين بيتٌ لأبي العلاء المعرّيّ (تـ ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)، وفي الرّسالة الخامسة بيتٌ لطَرَفة (تـ ٥٥٠م)، وفي الرّسالة الخامسة والخمسين بيتٌ للصاحب بن عبّاد (تـ ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م). وفي الرّسالة الحادية والعشرين بعد المئة نُقلت كلمةٌ من بيت لامرئ القيس (تـ ٥٦٦م)؛ وفي الرّسالة الواحدة بعد المئة بيتٌ ذُكر في مقالات شمس؛ وفي الرّسالة الثانية والعشرين بعد المئة أُخِذ بيتان من الشاهنامة.

وعلاوةً على هذه الأمور جميعًا، فإن طريقة التعبير في الرّسائل شبيهةٌ تمامًا بطريقة التعبير في «فيه ما فيه». وما خلا بدايات الرّسائل، فإنّ لغة الرّسائل هي تمامًا لغةُ التخاطب والفارسية الدّارجة بين الناس. ويعمد مولانا في الرّسائل، مثلما هي الحال في مقالاته، إلى جَعْل موضوعٍ عنوانًا أيضًا ثمّ يأتي بالأمثلة لذلك ويردف ذلك بالآيات والأحاديث المناسبة والكلمات المطابقة للموضوع، ويدخل إلى الحكايات ويستعيد ذكريات الماضين. وعلى غرار خُطَبه يُجسَّد في رسائله أيضًا الإخلاصُ المفرطُ والهيجانُ العميقُ والتحرّقُ الدّاخليّ والبيانُ المقنع والإيمانُ الرّاسخ والقدرةُ المنطقية الخارقة.

ومثلما كان مولانا متحرّرًا في فكره وحياته وحتّى في شعره، كان في رسائله متحرّرًا أيضًا. لا يلزِم مخاطَبَه، اتّباعًا لأسلوب زمانه، بالقواعد الجامدة للترسّل في موضوع الخطاب. يحدّث المخاطَبَ بالطريقة نفسها التي تظهر فيها المعاني من قلبه. وفي الرّسائل، حتّى في العناوين أيضًا، لا يتّبع أعراف العصر.

[٢٤] كيف وصلنا إلى هذه النتيجة؟

لدينا عددٌ من كتُب الترسّل في ذلك العصر. أحدُها كتابُ «غُنيةُ الكاتب ومُنيةُ الطالب» لحسن بن عبد المؤمن الخوئي[1]. ولأنّ هذا الكتاب قد كُتب في الشهر الثاني [كذا] الهجريّ من القرن الثامن (١٣٠٩م) يُعدّ من كتب القرن الثالث عشر الميلاديّ. ويكتب المؤلّف [قائلًا] إنّ الرّسائل في خطاب الملوك لا بدّ أن يُكتب فيها: «فلان الدّنيا والدّين»، وفي خطاب الوزراء والكبراء: «فلان الدولة والدّين»، وفي خطاب رؤساء الدّين: «فلان الملّة والدّين» وفي خطاب المشايخ: «فلان الحقّ والدّين» (B ٧٣). وجاءت في هذا الكتاب عناوين أُخَر أيضًا (B ٧٣).

---

١ ـ في مكتبة فاتح، المضمومة إلى المكتبة السليمانية في إستانبول، برقم ٥٤٠٦. ضمن مجموعة أبعادها ١٢x١٦، جلد غنم. بخط النّسْخ في العصر السلجوقي، بأبعاد داخلية ٩x١٢.٥. تعداد سطورها مختلف. ضمن المجموعة: نصيحة الملوك للغزالي من (b١ إلى ٥٨ a، وقواعدُ الرسائل وفرائدُ الفضائل لحسن عبد المؤمن، ٥٩ a ـ ٧١ b، ورسالة غنية الكاتب ومنية الطالب للمؤلّف نفسه ٧٢ a ٩٨b . وبرغم أنّه ذُكر في آخر نصيحة الملوك تاريخُ الفراغ من الكتابة، إذ دوّن الكتابُ في أوائل صفر من سنة ٧٠٩هـ لم يُذكر اسمُ الكاتب. وأضيف في نهاية كتاب الغُنية أيضًا أنّه استُنسخ في أواخر ربيع الأوّل من سنة ٧٠٩ هـ في قلعة زلفرا. وقد طُبع هذا الكتابُ بعناية السيد الدكتور صادق عدنان ارزي في جمعية تاريخ التّرك.

ورسالةُ «قواعد الرّسائل وفرائد الفضائل» لحسن بن عبد المؤمن ناقصة. ولم يبق من القسم الثاني الذي عنوانهُ «المقاطع» سوى ورقة أو ورقتين، وتستمرّ الرّسالة من ٥٩ a إلى b٧١ (حُذف في الترجمة عدد من الأسطر).

لطريقة الكتابة في هذه الرّسائل أسلوبٌ آخر. ولا تشبه رسائلُ مولانا النماذجَ الموجودة في هذه الرّسائل. كذلك لم يكن مولانا متّبعًا لأيّ قيد في الأسماء المختومة بـ «الدّين» التي راجت في مرحلة السلاجقة. كان يكتب «مجد الدّولة والدّين» و «أكمل الحقّ والدّين» و «معين الدولة والدّين» و «علَم الدولة والدّين» و «جلال الدولة والدّين» و «معين الحقّ والدّين» ... وليس لديه أيّ تفكير بهذه القيود.

وفي شأن الملِك كان يستعمل ألقابَ «ناصر الخيرات، فريد العالَم، نادرة الزمان ... السلطان سليل السّلاطين، الأمن والرّحمة للبلاد والعباد، المتوكِّل على الله، المخصوص بفضل الله، قِبْلة الإقبال، كعبة الآمال، خلاصة الوجود، فخر آل داود» (الرّسالة الثامنة والثلاثون)، وهناك نماذج أُخَر لم تترجَم.

وجريًا على العادة استُعملت كلماتٌ تركيّة كانت مستعملة في رسائل ذلك الزمان في رسائل مولانا من مِثْل «اغرلو الغ قتلغ بلكا دلكا اينانج = اوغورلو اولوغ قوتلو بلنه ديلنه اينانج (سعيد عظيم مقدّس، صاحب لسانٍ [٢٥] ونَفْسٍ خاصّ به) (الرّسالة العشرون)، الغ قتلغ (الرّسالة السادسة والعشرون)، بلكا دلكا اينانج (الرّسالة الحادية والثلاثون)، قتلغ الغ (الرّسالة السادسة والستّون)، الغ قتلغ الپ (الرّسالة السادسة والتسعون)، الغ قتلغ دلكا بلكا الپ (الرّسالة الحادية بعد المئة)، الغ ال (الرّسالة الخامسة والعشرون بعد المئة)، وكلمات من هذا القبيل.

وبصرف النظر عن الكتب التي أثبتناها من الناحية التاريخية، لدينا كتابٌ آخر أُلّف في سنة ٧٦٧ هجرية / ١٣٦٦م في مدينة تبريز شُرحت فيه أساليبُ الترسّل الشرقيّ. واسمُ هذا الكتاب «دستورُ الكاتب في تعيين المراتب» وقد ألّفه محمّد بن هندوشاه المشهور بشمس المنشئ النخجواني من أجل الشيخ أويس بهادر خان (٧٥٦ ـ ٧٧٦هـ / ١٣٥٦ ـ ١٣٧٤م). وقد أثبت في هذا الكتاب قواعدُ أحدثُ في موضوع ترسّل تلك المرحلة والمراحل التي سبقتها، برغم ارتباط هذه القواعد على الأكثر بالبلاد التي كُتِب فيها الكتاب. ويُحتفَظ في مكتبة كوپريلي في إستانبول تحت الرّقم ١٢٤١ بنسخةٍ من هذا الكتاب كُتبت في سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥ ـ ٩٦م. وقد جاء في هذا الكتاب الألقابُ التي ينبغي أن تُستخدَم في الرّسائل التي تُكتب إلى سيّدات السلطنة (a٢٢)، والوزراء (a٨١ ـ b٨٢)، وقاضي القضاة (a ٨٤ ـ b٨٥)، والقضاة (a ٨٥ ـ b)، وإلى نوّاب السلطنة (a ٨٦). كذلك شُرِحت طريقةُ الدّعاء في الرّسائل. أمّا في رسائل مولانا فلا نصادف شيئًا من أمثال هذه الألقاب.

ونرى أنّ مولانا في الرّسائل وفي عناوين الرّسائل لا يراعي قواعدَ تشريفات الترسّل وضرورات كتابة الرّسائل. وفي الرّسائل خاصّةً لا توجَد كلماتٌ من مثل «بنده زمين عبوديت مى بوسد واز فضل ... = يقبّل المولى أرضَ العبوديّة ومن الفضل...» (قواعد الرّسائل، ص ٧٩).

وإذ يهتمّ مولانا بأخلاقِ مخاطَبه واعتقادِه وعلاقاتِه الإنسانية الأساسية وعملِ الخير الذي يصدر عنه وحالاته النفسيّة، يقدِّم له في مطالع الرّسائل، عدا أسماء المقامات والدرجات، كلَّ كلمةٍ تناسب تشخيص هذه الأمور، يختارها ويكتب

الوصفَ الحقيقيّ لمخاطبه.

بعضٌ من الرّسائل إجاباتٌ لرسائل أُرسلت إليه. ومن بينها واحدةٌ ليست رسالةً تقريبًا. بل هي في جملتها عباراتٌ ممتزجة بالتوصيف. وليس في هذه الرّسالة مخاطَبٌ أيضًا. والظاهر أنّها مسوّدةٌ كُتبت على الصّورة نفسها (الثالثة عشرة). وواحدةٌ أخرى في إجابة واحدٍ من العظماء كان قد طلبَ بيانَ أركان السّلوك وشروطه في سطرين أو ثلاثة. ويكتب مولانا [قائلًا]: إنّ أحوال الظاهر كُتبت في ثلاثة أسطر ليس لأيّ سطر منها نهايةٌ [٢٦] واضحة، سطرٌ لأحوال الماضي، وسطرٌ لأحوال الحاضر، وسطر لأحوال المستقبل، هذا برغم أنّك تقرأ كلّ سطرٍ فلا تصل إلى نهاية، فكيف تطلب جَمْعَ أحوال الباطن في ثلاثة أسطر؟ (الرّسالة الخمسون)[1].

ويوجد بين رسائل مولانا، الذي يقول الشّعرَ بلُغة الخطابة ويكتب بلُغة الشّعْر، رسالةٌ واحدة فقط كُتبت إلى عارفٍ اسمُه خواجه جهان [سيّد العالَم]، وهو رجلٌ صاحبُ اقتدار، بنثرٍ مُسَجَّع. وفي الوقت الذي تنطوي فيه هذه الرّسالةُ على جُمل قِصار كُتبت باستخدام السَّجْع، واعتمادُ السَّجْع في كتابة هذه الرّسالة وسط جُملة رسائل مولانا يجعل المرءَ يتصوّر أنّ هذا الشخص المسمّى خواجه جهان كان شخصًا متعلّقًا بالتّسجيع وبكتابة السّجع، وقد شاء مولانا أن يخاطب هذا الشّخص الذي يحبّه بلُغته هو.

ويمكن القولُ على جهة التقريب إنّ رسائل مولانا الأُخَر جميعًا، كُتبت إمّا في الإيصاء بشخصٍ، وإمّا في طلب إنجاز أمر، وإمّا من أجل الدلالة على أمر مرغوب،

---

١ ـ الرّسالة ٤٨.

وقد أُرسل معظمُها أيضًا من خلال أشخاص.

ويذكر الأفلاكيُّ أنّ مولانا في الأمور الضرورية كان يكتب الرّسالة ويرسلها:

- يكتب رسالةً إلى پروانه يشفع فيها لشخصٍ قتل شخصًا. فيكتب پروانه في الإجابة قائلًا إنّ هذه القضية لا تماثل القضايا الأخَر، إنّ هذه الحكاية حكايةُ دَم. فيقول مولانا في إجابة الشخص الذي أتى برسالة پروانه: مهما يكن، فإنّه يُقال عن الدّم إنّه ابنُ عزرائيل. فيُعجب پروانه بهذه العبارة ويقنع الخصومَ بالدِّية ويُطلق سراح الجاني (١، ١٥٥).

ـ يحكي شمسُ الدّين ولَد مدرّس أنّه تحدث في قُونِيَةَ واقعةٌ عظيمة فيأتي أهلُ قُونِيَةَ إلى سلطان ولَد ويستغيثون طالبين أن يكتب مولانا رسالةً إلى پروانه ويتوسّط لهم عنده، فيحدِّث سلطانُ ولَد مولانا بما جرى، فيرسلُ مولانا رسالةً إلى پروانه، فيمسك پروانه بالرّسالة ويقبِّلها ويقرؤها، وينفّذ مُرادَ أهل قُونِية (١، ٢١٧).

ـ يأتي أحدُ المدينين إلى مولانا ويطلب منه أن يكتب رسالةً إلى پروانه ويسأله إمّا أن لا يأخذ منه جزءًا من دَيْنه، وإمّا أن يعطيه مهلةً. فيكتب مولانا [٢٧] رسالةً ويُسلمها إلى ذلك الشخص. يقرأ پروانه الرّسالة فيقول: هذا العملُ من اختصاص الدّيوان. فيرجعُ ذلك المدينُ إلى مولانا ويحكي له مقولةَ پروانه. فيكتب مولانا: إنّ الدّيوان في قبضة سليمان، وليس سليمانُ في قبضة الدّيوان، ويرسل تلك الرّسالة إلى پروانه. وعندما يقرأ پروانه (سليمان پروانه) الرّسالة يشطب ديونَ الحكومة لدى المدين (١، ٢١٧ ـ ٢١٨).

ـ يقول صلاحُ الدّين مَلَطي إنّه عندما صرتُ مريدًا لمولانا رأيتُ أنّه كان في كلّ

يوم يكتب ما مقدارُه عشرُ رسائل إلى اثنتي عشرة رسالة إلى السيّد پروانه وآخرين ويعالج ألمَ المساكين وأرباب الحاجات، ولم تخطئ أيّةُ رسالةٍ منها (١، ٣٥٥).

ـ يروي جلالُ الدّين بن سپهسالار عن ابن أحد الأمراء قولَه إنّه في يوم من الأيّام أرسلني مولانا بصحبة عدد من الأشخاص إلى قيصريّة لمقابلة پروانه. قلتُ: إذا سألني عن شيء فبماذا أجيبه؟ ـ فقال: أنتَ هناك الزمِ الصّمت، فما يمكن قولُه نقوله نحنُ. وبالفعل حصل ذلك، كلُّ ما طُلب من پروانه نُفِّذ (١، ٤٠٣ ـ ٤٠٤).

ـ الرّسالة التي كُتبت إلى سلطان ولَد لتطييب خاطر زوجته (الرّسالة السّادسة)، والرّسالةُ الأخرى التي حملها جمالُ الدّين قمري في شأن الصُّلح بين هذين الزّوجين (السّادسة والخمسون)، والرّسالة التي كُتبت في شأن مَرض صلاح الدّين، كما قلنا قبْل أيضًا، مذكورةٌ في كتاب مناقب العارفين (٢، ٧٢٩ ـ ٧٣٠).

ـ وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الأفلاكيّ انتزع الرّسائل الأربعَ المنظومةَ التي كتبها مولانا إلى شمس وذُكرت في الدّيوان الكبير [ديوان شمس تبريز لمولانا جلال الدّين] أيضًا من «كتابات الأصحاب» ونقلَها إلى كتابه (٢، ٧٠١ ـ ٧٠٣)؛ كذلك ذُكرت الرّسالة الرّابعة في رسالة سپهسالار (ص ١٧٤).

ويذهب ظنّنا إلى أنّ رسائل مولانا غيرُ محصورة بهذه الرّسائل؛ ذلك لأنّ هذه الرّسائل جميعًا تقريبًا حُرّرت من أجل تنفيذ أمر أو تحقيق رغبة. ويتبيّن فيها جميعًا عقائدُ التصوّف والفكر الصّوفيّ ونظرةُ مولانا إلى العالم، على نحو جليّ. لكنّه هناك يقينًا رسائلُ أخَر أيضًا تدور حول أحوال أصحاب مولانا وأوضاعهم وكذلك في إجابة أسئلة وُجّهت إليه. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ قسمًا من الرّسائل الموجودة هو في إجابة

الرّسائل التي أُرسلت إلى مولانا ؛ وهناك رسائلُ أُخَر أيضًا لا بدّ من أن يكون مولانا قد أرسلها. لكنّه للأسف ليست هذه الرّسائل بين أيدينا ولا تلك الرّسائل الأخرى. وقد بقيت الرّسائل الموجودة أيضًا لأنّها ضمن الأمور المرتبطة في جزء منها بالدّيوان أو البلاط. ثمّ جاء محبّو مولانا، وعلى نحو مؤكّد حسامُ الدّين چلبي وسلطان ولَد، فاستنسخوها من المسوّدات [٢٨] وأعطوها شكْلَ كتاب، بل وضعوا لها اسمًا.

اثنتان من الرّسائل فيهما إمضاءٌ وقد أشرنا إليهما في الحاشية. وليس لأيّ من الرّسائل تاريخ. ومن هنا لا نرى إمكانيةً لأن تُرتَّب هذه الرّسائل ترتيبًا تاريخيًا. ربما يكون ممكنًا ترتيبُ الرّسائل التي تنطوي على أحداث تاريخيّة؛ أمّا ترتيبُ الرّسائل الأخرى التي كُتبت في أمور متفرّقة، فغيرُ ممكن. ونزيد على ذلك أنّه لا يوجد في الرّسائل ترتيبٌ قائمٌ على التقارب. وقد سعى من جمعوا هذه الرّسائلَ إلى أن يضعوا الرّسائلَ التي تنطوي على تناسب في الموضوع أو يكمل بعضُها بعضًا، بعضَها إلى جانب بعض. فمثلًا في الرّسالة الأولى حديثٌ عن نجم الدّين بن خرّم؛ وفي الرّسالة العاشرة أيضًا جاء حديثٌ عن أحوال نجم الدّين بن خُرَّم چاوش. وفي الرّسالة الثامنة حديثٌ عن سفر الأعزّة والعِلْية وعودتهم؛ وفي الرّسالة الحادية عشرة أيضًا حديثٌ عن الأمر نفسه. وفي الرّسالة السادسة عشرة جاء العنوانُ في شكر أبناء سيف الدّين. الرسالتان الثلاثون والمئة والحادية والثلاثون والمئة اللتان كُتبتا إلى حسام الدّين جاءتا متعاقبتين. الرّسالَة الحادية والسّبعون في شأن وراثة أخت شخص اسمُه فخر الدّين؛ والرّسالةُ الثالثة والسّبعون أيضًا كُتبت في إرجاع حقّ فخر الدّين. الرّسائل المرسَلةُ إلى پروانه والرّسائلُ التي حُرّرت في شأن نجم الدّين تتمتّع بنوع من الترتيب والنظام.

طُبع متْنُ رسائل مولانا في مطبعة الثبات[1] بعناية الدكتور فريدون نافذ أوزلوق، في سنة ١٩٣٧م / ١٣٥٦هـ. ومن المؤسف أنّ هذه الطبعة حافلة بالتصحيف. وقد ظُنّ أنّ الرّسالة التي تبدأ بعد الرّسالة الثانية والأربعين هي عينُ الرّسالة التي سبقتها (ص ٤٧ إذ بُدئت من السطر الثالث رسالةٌ أخرى). وقد تكرّر الخطأُ نفسُه في الرّسالة الثامنة والأربعين. جاءت نهايةُ الرّسالة المشار إليها بالرّسالة [٢٩] العاشرة بعد المئة في مكان واحد مع بداية الرّسالة التي أعقبتها (ص١١٦). الرّسالةُ التي عُرضت برقم ١٤٤ هي من كتاب الأفلاكي؛ لكنّ هذه الرّسالة، التي لم يأتِ مطلعُها في كتاب الأفلاكي، هي الرّسالةُ السّادسة (ص ١١ ـ١٢). وهكذا، فإنّه في هذه الطبعة يكون عددُ الرّسائل الموجودة المنسوبة إلى مولانا خمسًا وأربعين ومئة رسالة، بالإضافة إلى

---

١ ـ في هذا الكتاب من اليسار إلى اليمين جاءت مقدّمةٌ من أربع صفحات لولد چلبي إيزبوداق، وهناك مقدّمة من سبع وعشرين صفحة عنوانها « رسائلُ مولانا وقيمتُها فيما يتصل بتاريخ سلاجقة الروم». ومن اليمين إلى اليسار هناك مقدّمة من ثلاث صفحات ونصف لولد چلبي، ومقدّمة من نصف صفحة للمرحوم أحمد رمزي الذي تولّى أمر تحقيق الرّسائل، بالفارسية، وتقريظٌ من صفحتين للمرحوم حسين دانش، وتقديم النسخة رقم ٤٢ في مكتبة جامعة إستانبول (ص ١)، والرّسائل (ص ٣ـ١٤٨)، وملحق (رسالة ضمن مناقب العارفين، ص ١٤٩)، ورسالة لسلطان العلماء (من مناقب العارفين للأفلاكي، ص ١٥٠)، وكتاب الإجازة الذي أرسله برهان الدّين چلبي بن الأمير العادل أكبر چلبي بن أولو عارف چلبي بن سلطان ولَد من إدرنه إلى حاجي إبراهيم بن أخي أحمد بن أخي محمود في بلدة نكيده (ص ١٥٠). وكتابُ الإجازة هذا مأخوذٌ من النسخة رقم ١٢٢ من كتب نوريانو الموجودة في مكتبة سليم آغا وقد كُتبت بخطّ پير محمّد بن حاجي يعقوب بن موسى النكيدي في سنة ٨٧٩ هجرية وتُسمّى «الرسوم الرّسائل». ثمّ هناك جدول للخطأ والصّواب (ص ١٥١ ـ ١٦٧)، وفهرس للأعلام (ص ١٦٧ ـ ١٧٣)، وملحق (١٧٣ ـ ١٧٤).

الرّسالة المنسوبة إلى سلطان العلماء وكتاب الإجازة الذي أعطي لبرهان الدّين چلبي، باحتساب رسالة لاحقة.

وقد درس المرحومُ شرفُ الدّين يالت قايا، في مقال بعنوان «تحليل ونقد»، هذا الكتابَ ولخّص محتوى الرّسائل بإيجاز شديد. لكنّ شرف الدّين قَبِل تعداد الرّسائل الذي تضمّنه الكتاب. وبتعبير أدقّ، لم يقابل الرّسائلَ على نسخة خطّيّة. ومن هذه الناحية لا تتضمّن المعلوماتُ المتوافرة أيّة فائدة. ونضيف أنّ شرف الدّين يالت قايا قد أضاف إلى هذا الكتاب جدولًا للخطأ والصواب في خمس صفحات حيث لم ترد تلك الأخطاءُ في الجدول المؤلّف من سبع عشرة صفحة الذي تضمّنه الكتاب (مجموعة تركيات، ج ٦، إستانبول، ١٩٣٦ ـ ٣٩م، ص ٣٢٣ ـ ٣٤٥).

وقد طُبعت رسائلُ مولانا في إيران عن نشرة فريدون نافذ أوزلوق[١].

في مقدّمة الكتاب حديثٌ عن حياة مولانا، لكنّ هذه المادّة ليست بذات قيمة علميّة. حتّى إنّه في هذه المقدّمة ظُنّ أنّ الشّعر الذي يبدأ بالمطلع:

جلسْنا اليومَ مثْلَ مُجّانِ الحانات،

ليس لدينا اليومَ سِرُّ الزّهد والمناجاة

ويتخلّص ناظمُه بـ «ولَد»، هو لمولانا[٢].

١ ـ مكتوبات مولانا جلال الدّين رومى، عن طبعة إستانبول مع مقدّمة وحواشٍ وتعليقات، بعناية يوسف جمشيدي پور ـ غلامحسين أمين، بنگاه مطبوعاتى عطايى، طهران ١٣٣٥هـ/ ١٩٦٥م، في ٣٠٤ ص.

٢ ـ جاء هذا الغزَل في ديوان سلطان ولَد (ص ٣٠١).

وقد قيل في المقدّمة إنّه بسبب عدم ظهور نسخة صحيحة أخرى في أوروبّة وتركية، اعتُمدت نسخةُ أوزلوق أساسًا، ولذلك فإنّ الأخطاء الموجودة في نشرة أوزلوق تكرّرت مرّة أخرى. والشيءُ الجديدُ في هذا الكتاب أنه أُعِدّ تحقيقٌ في شأن الأشخاص الذين كُتبت إليهم الرّسائل، لكنّ المحقّقَيْن لم يحالفهما التوفيقُ أيضًا في هذا العمل[1].

[٣٣] وسأتحدّث[*] قليلًا عن الكيفية التي هيّـأتُ فيها الرّسائلَ وطريقة عملي أيضًا:

إذا كان هناك اختلافٌ في النسخ الموجودة أشرنا إلى ذلك في الحاشية. شرحنا الرّسائل العربية. عندما لم نكن قد استفدنا من النسخ الموجودة جميعًا لم نر حاجة إلى العلامات الاختصارية؛ رمزنا إلى نسخة نافذ باشا بحرف «ن»؛ واخترنا لنسخة مكتبة إستانبول العلامة «استا. ن»؛ ولأنّه كان في المكتبة المذكورة عددٌ من النّسخ، أضفنا رقمَ الكتاب من أجل التمييز بينها. وترجمنا المتن إلى التركيّة محافظين على المحتوى الدقيق للأصل. على أنّ الشيء الذي صعّب علينا العملَ وأتعبنا أكثر إنما هو معرفةُ المخاطَبين بالرّسائل. ومثلما قلنا قَبْلُ أيضًا، هذا العملُ تواصلَ في الرّسائل طبعة طهران، ولكن لم

---

١ ـ صُوّرت رسائلُ مولانا في سنة ١٣٦٣ في طهران بالأفسيت عن نسخة أوزلوق مرّة أخرى، ونشرتها مؤسسة انتشارات علمى. واللّافت للنظر أنّه في التعريف بالكتاب قيل إنّها الطبعة الأولى [توفيق سبحاني].

* نلفت انتباه القارئ الكريم إلى أننا أغفلنا قبل هذا الموضع ترجمةَ ثلاث صفحات ونصف من مقدّمة المرحوم عبد الباقي گلبينارلي يتحدّث فيها عن مخطوطات رسائل مولانا، ولم نر حاجة إلى ترجمتها إلى العربية [المترجم العربيّ].

بحالفه التوفيق. ونحن أكثر من أيّ شيء آخر قمنا به، واصلنا هذا العمل. وفي هذا المجال خاصّة، وصل إلينا متْنُ «مناقب العارفين» الذي أعدّه السيّد تحسين يازجي بانتباه عميق. وقد واصلنا هذا العملَ ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا ووجدنا في جسمنا القدرة على ذلك. وقد زدنا ذلك على الكتاب في باب آخر وفق الترتيب الألفبائي. ووضعنا رقمَ الرّسالة إلى جانب اسم الشخص المسمّى المحدّد. ولا بدّ من أن نضيف ما يأتي:

في رسائل مولانا أسماءُ المخاطبين بالرّسائل معلومةٌ، ما خلا بعضًا منها. والاختلافُ القائم في شأن المخاطَب بالرّسالة محصورٌ بعدد من الرّسائل. وفي رسالة واحدة أو اثنتين ذُكر اسمُ المخاطَب هكذا «فلان الدّين»، ولم يُثبت له اسمٌ صريح. ومهما يكن الأمر، فربّما لم يُذكر اسمُ المخاطَب في المسوَّدة، فكتب الناسخُ «فلان الدّين» ومضى. لكنّنا نظنّ أنّه في الرّسالة السّبعين أُبقي المخاطَبُ مخفيًّا عن قصْدٍ؛ ذلك لأنّ المخاطَب بها يقرّعه مولانا تقريعًا شديدًا وتُفضَح أعمالهُ. [٣٤] وهكذا عُدّ ذكرُ اسمه مخالفًا للأدب.

على أنّ الشيء الذي عزّ علينا أكثرَ من معرفة الأشخاص والوصول إلى سِيَر حيواتهم، كان معرفةَ قائل الأشعار العربيّة والفارسيّة الموجودة في الرّسائل. وابتغاء إظهار الأبيات التي جاءت في قالب المثنوي وعلى وزْن حديقة الحقيقة [لسَنائي]، فتّشنا الحديقة كرّات كثيرة من أوّلها إلى آخرها. وقد تصفّحنا الدّيوان الكبير [لمولانا جلال الدّين] ودواوين سَنائي والعطّار مرّات عديدة. وفي تحديد ناظمي الأشعار العربيّة ساعدَنا أيضًا الأستاذ أحمد آتش. ومن أجل ذلك أشكره وأشكر أيضًا تحسين يازجي

الذي أعدَّ متْن مناقب العارفين.

إنّ العونَ الأعظم لنا هو عِشقُ مولانا. فأظنّ آنّنا، والحمدُ لله، بدَفْع هذا العشق رتّبنا هذا الأثرَ الموفّق. وقد أثبتنا الأبياتَ التي لم نهتد إلى قائليها في قسم مستقل. فإذا ما عرف القُرّاءُ اسمَ القائل أثبتوه بجانب البيت؛ وإذا ما أعلمونا بذلك أيضًا، فلهم مزيدُ الامتنان. وإذا ما تهيّأت الفرصةُ سدّدنا خلَلَنا في الطبعة الثانية بذكر أسمائهم. ولدينا الرّغبة في أن نضع متونَ آثار مولانا جميعًا على نحو علميّ بين أيدي الجميع، وليس الرّسائل فقط. ولكن ليس هناك ناشرٌ يضحّي من أجل هذا العمل. ونرجو من أعماق القلب من وزارة المعارف أو من أيّة مؤسسة أخرى أن تتعهّد هذا العمل القوميّ والإنسانيّ بعناية الرّوح والقلب.

والآن بعِشْق مولانا تُقدّم رسائلُ مولانا أيضًا إلى أحبّاءِ مولانا، وأحبّاء العِلْم، وأربابِ العرفان والمؤرّخين. وإذا ما قُلنا إنّ العمل أُنجز بيد مولانا، فهذا القولُ ليس دليلًا على وجودنا، بل يبيّن فَناءنا وتلاشينا في حضرة مولانا، فلينظر القرّاء بعين الإغضاء.

خادِمُ خُدّام مولانا

عبد الباقي گلبينارلي

إستانبول، ٩ صفر ١٣٨٢هـ

١١/ ٧/ ١٩٦٢م

ترجمة مقدّمة المرحوم الدكتور فريدون نافذ أوزلوق للرسائل

مولانا ورسائلُه وأهميتها من وجهة نظر تاريخ السلاجقة[1]

[٣٥] نريد أن تكون رسائلُ مولانا غيرُ المعروفة هي هديّةَ العام الجديد لعالَمِ العرفان. ويقول البروفسور محمّد فؤاد، أستاذ تاريخ الأدب التركي، في عام ١٩١٨ ـ ١٩١٩م، في الصفحة ٢٥٨ من الكتاب الذي نُشِر على نفقة الحكومة بعنوان: «أوائل الصوفيّة في الأدب التركي» : «إنّه إذا كان لمولانا كتابٌ اسمُه «فيه ما فيه» كان قد أهداه إلى مُعِين الدّين پروانه وله أيضًا أقوالٌ وكلماتٌ أُخَر، فإنّنا لم نكن مستعدّين لأن نبحث عن ذلك».

ويتّضح جليًّا من كلام الأستاذ فؤاد، الذي هو من الأساتذة ذوي الاقتدار في مسائل تاريخ الآداب الشرقية، أنّه في سنة ١٩١٩م لم يكن عالِمًا بأثَري مولانا المهمّين (المجالس السّبعة والرّسائل).

ويبدأ المستشرقون أيضًا بدراسة المصادر الشرقية دارسة دقيقة على نطاق واسع. وفي دائرة المعارف الإسلامية، التي ألّفتها جماعة من المستشرقين الكبار، مقالةٌ عن مولانا سطحيّة تمامًا.

كان أحفادُ مولانا ومُحبّوه منذ القديم يعرفون هذه الكتب. وإذا لم نجانب

١ـ لم نترجم جزءًا من هذه المقدّمة رأينا أنّه مكرَّر وزائد فيما يتصل بالقُرّاء المتحدّثين بالفارسيّة [توفيق سبحاني].

الصّواب فإنّني قد تحدّثت عن هذا الأثر لأوّل مرّة في صحيفة «إقدام»، تحت عنوان «الأطبّاء المولويّة = Mevlevi tabibleri ».

إنّ التدقيق في تاريخ السلاجقة مهمٌّ، والوثائق المتعلّقة بهذه السلسلة قليلة. وفضلًا عن الكتب التاريخيّة المعروفة المتصلة بالسلاجقة، هناك إمكانية للحصول على معلومات قيّمة في شأن هذه السلسلة في مؤلّفات المولويّة.

طُبع كتابُ «المناقب» لسپهسالار في كانبور في الهند عام ١٩٠١م / ١٣١٩هـ بعناية أسعد دده، مُنْشِد المثنوي، من أهل سولانيك، ولقيت ترجمتُه التركية في بلادنا وفي أوروبّة [٣٦] استقبالًا حسنًا.

لكنّ سپهسالار يتحدّث عن مناقب مولانا، والميلُ إلى التصوف غالبٌ عليه. وإنّه من المسلَّم به أنّ الكلام المتداول في عصر مولانا والجاري على لسانه شخصيًا لا بدّ أنّه قيّمٌ جدًّا وذو أهميّة فائقة طبعًا.

وبرغم أنّ هذه الخاصّية تُرى أيضًا في آثار مولانا المطبوعة كالمثنوي والدّيوان والرّباعيات، لا يمكن من وجهة تاريخيّة لأيّ منها أن يعادل الكتابَ الذي نقدّمه لكم. ففي كتب مولانا المطبوعة والمتوافرة يمكن أن نجد إمّا الحكايات والعقائد الخُلُقية وإمّا الأشعار الجليلة القدر التي أُنشدت تحت وطأة المحبّة الإلهيّة.

أمّا الرّسائلُ فليست كذلك. فإنّ فيها مطالب انبعثت من ضرورة حاجات الناس المختلفة.

هذه الرّسائلُ المئة والأربع والأربعون، والثلاث الملحقة بها، مفعمةٌ بالمعلومات التي يمكن أن توضح كثيرًا من الاحتمالات. لغتُها الأدبيّة جميلةٌ، وهي تمامًا اللغةُ التي

كانت متداولةً بين الطبقات المثقّفة في الأناضول.

تقدّم لنا هذه الرّسائلُ الكثير من ألقاب الكُبراء. وههنا قضيّة نريد لفْتَ انتباه القرّاء إليها: عندما يشاء مولانا أن يخاطب سلاطين السّلاجقة كان يسمّيهم دائمًا «فخر آل داود»، ولا يقول «آل سلجوق»؛ ينسبهم إلى الجدّ المؤسّس للسلاجقة. وفي عصر مولانا كانت عبارةُ «آل داود» علَمًا على السلاجقة، مثل آل عثمان، وآل قرامان، وآل رمضان، وآل قرميان. حتّى إنّ مولانا في إحدى رسائله يكتب الآيةَ ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، ويستعمل ههنا توريةً ظريفة.

وإذا ما درسْنا الرّسائل دراسة دقيقة، ظفرنا ببعض الحقائق المهمّة والمعلومات الجديدة. ففي الرّسالة التاسعة والعشرين مثلًا وفي شأن الشيخ صلاح الدّين زَرْكُوب القُونويّ نجد هذه العبارة: «سيّد المشايخ، أبو يزيد الوقت، جُنَيد الزّمان، خضر القدم، مسيح الأنفاس، نور يمشي به في الناس، صلاح الحقّ والدّين، الابن الحبيب للسيّد برهان الدّين المحقّق وخليفته المستقلّ»؛ في حين أنّ سپهسالار يسكت في هذا الباب، والأفلاكيُّ برغم ذكْره أنّ سيّد برهان الدّين كان يقول: «أعطيتُ قالي لحضرة مولانا جلال الدّين لأنّ له أحوالًا وافرة، وأعطيتُ حالي لحضرة الشيخ صلاح الدّين لأنّه لا قال له»، ينصرف عن القضية.

هذه المعلوماتُ على قدر كبير من القيمة في إيضاح تاريخ المولويّة وانتشار الطُّرق في آسية الصّغرى [٣٧].

كذلك فإنّ من بين هذه الرّسائل تُعدّ الرّسالة الحادية والتسعون (الثالثة والتسعون في هذه النشرة) ذاتَ أهمّية خاصّة.

في هذه الرّسالة يكتب خطابًا إلى أكمل الدّين الطبيب، من أطباء دولة السلاجقة، يقول له فيه: «تُفتح سريعًا مدرسةُ الأمير الأجلّ فخر الدّين أرسلاندغمش ... ويُنقل إليها الصّدرُ الكبير شمسُ الدّين الماردينيّ...؛ لأنّ جماعةً من أبنائنا، الذين يحصلون على رواتب في مدرسة قرطاي..، يخافون من أن يأتي مدرّس غريبٌ ويتعرّض لهم... بعد صدر الدّين تتحوّل مدرسةُ قرطاي إلى ... أفصح الدّين».

وقد أشرنا في المناقب الموجود في مقدّمة «المجالس السّبعة» إلى أنّ مولانا أقام في مدرسة قرطاي الصغرى. وهذه الرّسالة وثيقة تؤيّد رأينا.

كذلك فإنّ الرّسالة الرابعة والعشرين بعد المئة (وهي السّادسة والعشرون بعد المئة في هذه النشرة) ذاتُ أهمّية خاصّة. في ذلك العصر، كان في قُونِية خانقاه معروف بـ «خانقاه ضياء الدّين» لا أعرف أنا مكانه، ولعلّ أحدًا لا يعرف مكانه؛ ووفقًا للأفلاكيّ فإنّ شيخ ذلك الخانقاه كان من خصوم المولويّة. فيُتوفّى الشيخُ، ويُعيَّن حسامُ الدّين چلبي شيخًا لذلك الخانقاه. وفي مناقب العارفين للأفلاكيّ، رُويت حكايةٌ في شأن خانقاه ضياء الدّين أُثبتها هنا كما هي لأهمّيتها:

كذلك روى الصديقُ العزيز مقبولُ الأولياء السيّد نفيسُ الدّين السّيواسيّ رحمه الله أنّه في عصر مولانا كان هناك شيخ، كان شيخًا كبيرًا ومتولّيًا لخانقاهَيْن؛ وقضى القضاءُ أن مات ذلك الدّرويشُ فرأى حضرةُ الأمير الكبير تاجُ الدّين معتزّ أنّ المصلحة تقتضي أن يُكتب خانقاهُ ضياء الدّين الوزير باسْمِ چلبي حسام الدّين وأن يؤخَذ الأمرُ من السّلطان؛ وبعد أن صدر الأمرُ السلطانيّ عقد الأميرُ تاج الدّين اجتماعًا عظيمًا وحدثت جلسةٌ لا نظير لها، وأُعلن في حضور مولانا أنّ خانقاه ضياء الدّين الوزير

أُسند إلى حضرة چلبي [حسام الدّين]؛ فنهض حضرةُ مولانا والأحبّةُ جميعًا وانطلقوا؛ فقال نفيسُ الدّين: حملتُ سجّادةَ چلبي على كتفي، وإنّ حضرة مولانا أخذها منّي ووضعها على كتفه المبارك. وعندما دخلوا الخانقاه أمر بأن تُبسط السجّادةُ على صدْر صُفّة. كان أخي(*) أحمد، الذي هو من جملة جبابرة ذلك الزمان وعنوان مُجّان السّجْن، حاضرًا في هذا الاجتماع. ومن فَرْط حقده وتعصّبه وحسَده الجِبِلّيّ لم يشأ أن يغدو چلبي شيخًا في ذلك الخانقاه، فنهض سريعًا وطوى السجّادة وأوعز لأحدهم أن يقول إنّنا في هذا الوقت لا نقبله شيخًا. فاهتاج النّاسُ سريعًا، وأمسكَ الأخيّون المهمّون، المنتسبون إلى أُسر آباء وأجداد أخي تُرك وأخي بشارة وأجدادِهم مثل أخي قيصر وأخي چوبان وأخي محمّد سيدواري وغيرهم، بالسيوف والسّكاكين، وأراد الأمراءُ المريدون [لمولانا] قَتْلَ المُجّان الشياطين [٣٨]. فهاجت الفِتَنُ، وكثير من الدّراويش المتألمين بتأثير الموقف ردّدوا الأثَر: «الفتنة نائمةٌ لعَنَ اللهُ من أيقظها»، وبحُكم «الفتنةُ أشدُّ من القَتْل» قامت قيامتُهم، ولم ينبس مولانا ببنت شفة. وبعدئذ قال: لماذا يكفر هؤلاء المقبوحون بنعمة الحقّ ويغفلون عن شكر النعمة التي لا نقمة فيها ويبغون ويطغون جهلًا وتهوّرًا وغرورًا وتكبّرًا ويخرّبون بيوتَ أرواحهم بأيديهم فوق رؤوسهم مصداقًا لقول الحقّ: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحشر: ٢] ويظهرون الوقاحة. واليقينُ أنّ هذا التعصّب لن يتقدّم وسيتخلّف أمرُهم ويدوسهم الزمان،

---

* كان تعبير أخي فلان شائعًا في ذلك العصر والمِصْر دالًّا على الواحد من الفِتْيان في جماعات الفتوّة المعروفة آنئذ [المترجم العربي].

وستكون طريقتُنا الإمامَ للطّرق جميعًا. مثلما قال القائل:

إذا جاء عشقُك آخِرًا فقد سبق الأوّلين

وكتب الحقُّ التوقيعَ لك: «الآخِرون السّابقون»

كما قال صلّى اللهُ عليه وسلّم «نحن الآخِرون السّابقون والسّابقونَ أولئك المقرّبون».
وبعد ذلك قال: خطرت لي حكاية: رحل الفقيهُ أبو اللّيث السّمرقندي، رحمةُ الله عليه، عن سمرقند مدّةً، وانشغل بتحصيل علوم الدّين لقريبٍ من عشرين سنة، ثم جاور في بيت الله الحرام لعدّة سنوات، وكان له محبّون كثيرون، وبتأثير نَفَسه المبارك انتشر تلاميذُه النّجباء في أطراف الدينا. وفي نهاية المطاف قصَدَ بصحبة جماعة المريدين والتلاميذ البارعين مدينةَ سَمَرْقَنْد لكي يزور مقابر آبائه وأجداده ويزور أصحابه وأقاربه ويظفر بأجر صِلة الرّحم؛ وعندما وصلوا إلى أطراف مدينة سَمَرْقَنْد أمر بأن ينزلوا ساعةً ويجدّدوا الوضوء. قام الفقيهُ ومضى إلى شاطئ نهر ليتوضّأ فرأى جماعةً من النسوة يغسلن الثياب. وعلى نحو مفاجئ رأت عجوزٌ الفقيهَ فعرفته فصاحت: ها قد عاد أبو لُوَيثا [تصغير ليثا] فأسرِعْنَ وأخبِرْنَ القومَ بالأمر. فانطلق الفقيهُ إلى الأصحاب سريعًا وقال: ضعوا أحمالكم على أرحلكم سريعًا لكي نعود إلى دمشق، فليست سمرقندُ دارَ إقامة. فتحيّر الجميعُ وأخذوا بالسّؤال عن سبب تعجيل الارتحال، فقال: هؤلاء القومُ ينظرون إلينا إلى الآن بعين أبي لُوَيْث ويزدروننا، ويستخفّوننا فيأثمون بسبب هذا النظر الجاهل؛ ذلك أنّ تعظيم العلماء والعارفين والشيوخ من جُملة الواجبات، وعزّتُهم عزّةُ رسولِ الله، وعزةُ رسول الله هي عزّةُ الحق تعالى، كما قال:

يا مَنْ كان وجودُكَ من قطرةٍ من مَنيّ حذارِ أن تتكبّر وتتعالى على العلماء

[٣٩] لأنّه هكذا قال الرسولُ المدني: «مَنْ أكرمَ عالِمًا فقد أكرمني»

ربّما كان والدُ الفقيه ووالدته يدعوانه في أيّام الصّغر: بوليثك [بالفارسية بمعنى «أبو لُوَيث» تصغير ليث، تحبّبًا] ويدلّلانه، ولم يكن لدى الغرباء الجهلة عِلْمٌ بسِرّ كاف الرّحمة هذه [كاف التصغير بالفارسية] فتصوّروا لفظَ التّصغير المعبَّر عنه بالكاف دلالةً على التحقير. ومثلُ هذا النظر الإبليسيّ له ضررٌ عظيم، وإيذاءُ الأحبّة والأصحاب بعيدٌ عن المروءة وغيرُ جائز في أيّ دين وملّة. وهكذا صاح حضرةُ مولانا بسبب التأثّر وخرج من الخانقاه حافيَ القدَمَيْن، إلى حدّ أنّ الأكابر والشيوخ جروا وراءه فلم يلحقوا به، وطَرَدَ «أخي أحمد» الحقير ولم يقبل فيه شفاعةَ الأكابر والأمراء، وردّ عليهم بالقول: إنّه ليس من جنسنا. ولم يقترب من هذا المسكين، فهلك ذلك السيّئ الحظّ بهذا الخذلان، وصار أغلبُ شُبّانه وصِبيانه مطيعين ومريدين. فما كان إلّا أن أخبر مُحبّو أسرة مولانا سلطانَ الإسلام بتواقُحه فأراد أن يقتله، فلم يقبل حضرةُ مولانا بذلك، ولم يُسمح له بحضور مجامع الأكابر ومحافلهم الأخرى وردّد الجميعُ أمامَ سلوكه الشبيه بسلوك السّامريّ: ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾[طه: ٩٧]، وقالوا:

مادمتَ ترى الأنبياء الأعزّاء بشَرًا فاعلَمْ أنّ هذا النّظرَ هو ميراثُ إبليس

فإذا لم تكن ابنًا لإبليس، أيّها العنيد فكيف وصل إليكَ ميراثُ هذا الكلْب؟

كذلك فإنّ أبناء أخي أحمد وأخي علي، الذين كانوا من الماكرين في قُونِية، صاروا مريدين مخلصين تمامًا لحضرة سلطان ولَد ومن جملة المقبولين. وفي نهاية المطاف صار حضرةُ چلبي حسام الدّين شيخَ الكرام في خانقاه ضياء وفي خانقاه لا لا باستقلال تامّ،

وبلغ من الكمال والمكانة درجةً يغبطه عليها المَلَكُ المقرّب والرّسولُ المكرّم ويتمنّيان صُحبتة ولقاءه، كما قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ لله عِبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النّبيّون والشهداء بقُربهم ومقعدهم من الله تعالى، وكما وردَ في المثنويّ المعنويّ في تقرير هذا:

أصبح مفعمَ القلب بإجلال الحقّ

إلى حدّ أنّ أهلَ الحقّ لا يجدون طريقًا إلى قلبه

لا يَسَعْ فينا نبيٌّ مرسَلُ والملَكُ والرّوحُ أيضًا فاعقلوا

[٤٠] ومن بين الرّسائل، تُعدّ الرّسالة الثانية والثلاثون على قدر كبير من الأهمية لأنها تعرض حقيقةً مهمة، إذ كتبها مولانا إلى سراج الدّين الأُرْمَويّ قاضي القضاة في قُونِية بعد وفاة ابنه الأوسط علاء الدّين محمّد چلبي، في شأن تقسيم تَرِكته على الأيتام.

نعلم أنّ مولانا تزوّج في قرَمان (لارنده) من جوهر خاتون، ابنة شرف الدّين لالاي السّمرقنديّ. فوُلد له منها أوّلًا سُلْطان ولَد ثمّ، بعد سنتين، علاءُ الدّين چلبي. وبعد مدّة انتقلت هذه السيّدة إلى الرفيق الأعلى.

وعندما كان علاءُ الدّين رضيعًا وافتقد أمّه تولّت جَدّته كِرّاي بزرگ رعايتَه. ويبدو من محتوى كتب المناقب أنّ هذا الصغير شبّ في تلك الدّيار.

ألزم مولانا أبناءه بتحصيل العِلم، وابتغاء إكمال التحصيل أوفدَهم برُفقة جدّهم شرف الدّين إلى دمشق. وقد كُتبت الرّسالة الثانيةُ والسّتّون (الرابعة والستون في هذا الكتاب) في أمر إطاعة أبناء مولانا لكلام جدّهم.

جاء الشّابّان بعد الفراغ من التحصيل إلى قُونية. وبقي سلطان ولَد عند والده، أمّا

علاءُ الدّين فعاد إلى بيت جَدّته وجَدّه. وتؤيّد الوقائعُ التي سنبيّنها بعد قليل رأينا هذا.

جاء شمسُ الدّين التّبريزيّ إلى قُونِية أوّل مرّة في ٢٦ جمادى الآخرة عام ٦٤٢هـ الموافق لـ ٢٩ تشرين الثاني عام ١٢٤٤م، ثمّ ذهب إلى الشّام في ٢١ شوّال عام ٦٤٣هـ الموافق لـ ١٤ آذار عام ١٢٤٦م.

ثم بعد إرسال الرّسائل الملحّة في طلب عودته وتضرّع مولانا، جاء شمس مرّةً أخرى إلى قُونِية في غرّة محرّم عام ٦٤٤هـ / ١٩ أيار عام ١٢٤٦م، وتزوّج من فتاةٍ صغيرة اسمُها «كيميا»، شبّت في منزل مولانا، في غرّة ربيع الأوّل ٦٤٤هـ / ١٩ تموز ١٢٤٦م.

يكتب سپهسالار قائلًا: «إنّ حضرة مولانا شمس الدّين ـ رضي الله عنه ـ بعد مدّة طويلة، طلب يدَ فتاةٍ اسمُها «كيميا»، كانت قد ربّتها حرَمُ حضرة مولانا، لتكون زوجًا له. فلبّى له مولانا جلالُ الدّين مُلتمسَه بسعادة بالغة وقرَنَ خطابَه بالخِطبة. ولأنّ الوقت كان شتاءً وقد رتّب مولانا جلالُ الدّين في المنزل الشتويّ في صُفّةٍ خيمةً لكي يُزفّ إليها حضرةُ مولانا شمس الدّين، بنى في ذلك المنزل الشتوي حجرةً من أجل چلبي علاء الدّين، الذي كان الأبنَ الأوسط لمولانا جلال الدّين، وكان في الحسن واللّطف والعلم والفضل محبوبَ العالم. وكلّما كان علاءُ الدّين يأتي لتقبيل يدَي والده ووالدته ويمرّ من صحن الصُّفة ويذهب إلى المنزل الشتويّ تثير غيرةُ الحِمى مولانا شمسَ الدّين. حتى إنّه قال له عدّة مرات [٤١] على سبيل الشفقة والنصيحة: أي نورَ العين، برغم أنّك متحلٍّ بآداب الظاهر والباطن فلا بدّ بعد الآن من أن تحسب حسابًا عند الدّخول إلى هذا المنزل» (طبعة طهران، ص ١٣٣).

ويحكي الأفلاكي أيضًا أنّه يُقال إنّ زوجة مولانا شمس الدّين كيميا خاتون كانت امرأة جميلةً وعفيفةً؛ إلّا أنه في يوم من الأيام أخذتها النّسوةُ من دون إذنه وبصحبة جدّة سلطان ولَد إلى حديقة للفُرجة والنزهة. وعلى نحو مفاجئ جاء مولانا شمسُ الدّين إلى المنزل فطلَبَ زوجته فقيل له إنّ جَدّة سلطان ولَد مع السّيّدات أخَذْنها إلى النزهة. فاضطرب اضطرابًا عظيمًا وتألّم ألمًا شديدًا. وعندما جاءت كيميا خاتون إلى المنزل أصابها في الحال ألَمٌ في الرّقبة وصارت كقطعة الخشب الجافّة لاتستطيع الحركة وكانت تصرخ ألمًا، ثمّ بعد ثلاثة أيام انتقلت إلى رحمته تعالى. وهكذا بعد انقضاء أسبوعها الأوّل مضى مولانا شمسُ الدّين من جديد إلى دمشق في شهر شعبان سنة أربعٍ وأربعين وستّ مئة «كانون الأوّل ١٢٤٦م» (مناقب العارفين، ج ٢، ٦٤١ ـ ٦٤٢).

وتتفق حكايتا الأفلاكيّ وبيانُ سپهسالار فيما بينها.

وقد ترجم كلمان هوار، الذي نقلَ «مناقب العارفين» إلى الفرنسية، كلمةَ دردگردن [فارسية بمعنى ألَم الرقبة] بـ torticollis [باللّاتينية، وتعني بالعربية داءَ الصَّعَر، وهو داءٌ في الرّقبة يتعذّر معه الالتفات]. وهذا خطأ من دون شكّ. فإنّ عبارة «وصارت كقطعة الخشب الجافة لا تستطيع الحركة» التي أُضيفت بعدَ «ألَم الرقبة» وأشارت إلى موسم الشتاء تشير إشارةً واضحة إلى أنّ هذا المرض كان مننژيت [بالفارسيّة أخذًا عن الفرنسيّة بمعنى التهاب الغشاء النُّخاعي]. ولذلك فإنّ الألمان، باعتبار علامات المرض، سمّوه Genickstarre أي تيبُّس الظَّهر. وهذا المرض يتّخذ أحيانًا حالةً شبيهة بالبرق تكون قاتلة في أغلب الأحيان.

وإثر ذهاب شمس، للمرّة الثانية، تأثّر مولانا تأثّرًا شديدًا وافتقد الراحة بسبب فراقه ونظم أشعارًا حزينة. وفي آخر الأمر أرسلَ ابنَه الأكبر سلطان ولَد بصحبة عدد من الأصحاب إلى الشّام حاملين معهم مقدارًا من النقود. وهكذا فإنّ سلطان ولَد الذي ذهب إلى دمشق في شهر شوّال، عاد إلى قُونية في غرّة محرّم سنة ٦٤٥ هجرية الموافق للثامن من شهر أيّار سنة ١٢٤٧م برفقة شمس، وقد استُقبل شمسٌ في مجيئه الأخير هذا إلى قُونية استقبالًا حارًّا.

كانت هذه المرّةَ الثالثة والأخيرة التي نزل فيها شمسٌ إلى قُونية. بقي شمسٌ هذه المرّة في قُونية حتّى شهر رجب سنة ٦٤٥هـ / تشرين الثاني ١٢٤٧م أي لمدّة سبعة أشهر. فاجتمع أولئك الذين لا يحبّون شمسًا، ولا يقدرون على تحمّله، لدى علاء الدّين چلبي وتآمروا على هذا العارف الكبير. وغيرُ معلوم ما إذا كانوا قد قتلوه أو هدّدوه بالموت فسلك الطريقَ إلى مدينة أخرى. ولم تُوضَح هذه القضيةُ إلى الآن[1].
[٤٢] والخلاصة أنّ موت شمس أيضًا مثل حياته محاطٌ بغلالة من المجهولات.

ويقيّم سپهسالار كتاباته ونظراته بالبيت الآتي:

يتحدّثُ الدرويشُ عمّا رآه

ويتحدّثُ العاميُّ عما سَمِعَه.

وحتّى سلطانُ ولَد، الذي كان شاهدًا لهذه الحوادث عن كثب، سكتَ عن هذه

١ـ أكثر معلومات هذه المقدّمة يحتمل النقاش، ولا بدّ لمحبّي التحقيق والواقعية من الرجوع إلى الكتب والمقالات التي أُنشئت حول مولانا جلال الدين.[المحقّق الفارسيّ].

الواقعة المهمّة والقابلة للتدقيق. ونصيبُنا أيضًا السكوت.

أمّا علاءُ الدّين چلبي، الذي كان يدرس مع أخيه في دمشق، فبأيّ عمل كان منشغلًا؟ ـ يقول ولَد چلبي إيزبوداق في كتابٍ له مطبوع، عنوانُه «مناقب مولانا مختصرةً»، إنّه كان حاجبًا في البلاط. لكنّه لم يذكر مصدرًا لما كتبه.

وفي حال كون الرّسالة السّابعة من رسائل مولانا خطابًا إلى علاء الدّين چلبي في غالب الظنّ، تتبيّن بعضُ الأمور:

١ـ في السّطور الأولى من الرّسالة، يُتحدّث عن العفو. والوالدُ، الذي تأذّى قلبُه من ولَده لأنّه تدخّل في ضياع شمس، يعفو عنه.

٢ـ يطلب منه أن يترك البستانَ ويأتي إلى المدينة. وقد أخبرنا قبلُ، اعتمادًا على كلام الأفلاكيّ، أنّ علاء الدّين چلبي أقام في بستان.

٣ـ في السطر الأوّل من الرّسالة يكتب قائلًا: «ابني العزيز قُرّة العيون، افتخار المدرّسين»، ويضيف إنّ التلاميذ وطلّاب العلم في انتظاره. وإذا كان الرّباعيُّ الذي نظّمه سلطانُ ولَد في وفاة علاء الدّين ـ الذي سننقله في السطور التالية كما هو ـ وعنوانُ «هذه تُرْبةُ الصّدْر المرحوم» مكتوبَيْن على حجر مزاره على نحو واضح، يغدو معلومًا أنّ علاء الدّين كان مدرّسًا، شأنُه في ذلك شأنُ جَدّه ووالده وأخيه.

يسمّي الأفلاكيُّ في كتابه «مناقب العارفين» علاءَ الدّين چلبي بـ «علاء الدّين قير شهريّ»؛ ولم نعرف سبب ذلك. ولعلّ ذلك راجعٌ إلى أنّ علاء الدّين أقام مدّة في مدينة «قير شَهر»، أو أنّ زوجه كانت من تلك المدينة، أو أنّ أولاده سكنوا تلك المدينة.

حكايةٌ رواها الأفلاكيّ: في أحد الأيام فقَدَ سلطانُ ولَد بضعة دنانير. فتّش في

كلّ مكان، فلم يجدها. وفي النهاية وجدَ الدنانير بين كتب أخيه علاء الدّين القيرشهري. فأخذ سلطانُ ولَد يوبّخه. فقال مولانا: يا بهاءَ الدّين، أليس «على» حرفَ جرّ؟ ـ فإذا لم يجرّ فماذا يفعل؟ (١، ص ٤٤٨). فأصلح مولانا بين الأخوين بهذه الطريقة ببيان علميّ.

[٤٣] كان علاءُ الدّين عندما نهض لمخاصمة شمس صغيرًا. ولعلّه كان في سنّ العشرين. وقد عاش بعد غياب شمس أيضًا خمس عشرة سنة. وفي الآخِر أصيب بمرض. وإذا ما صحّت أعراضُ مرضه فإنّه يمكن تشخيصُ مرضه. حدَثَ له «حُمّى مُحرقة وعلّةٌ عجيبة» وتُوفّي بهذه العلّة. ويذكر الأفلاكيُّ أنّ مولانا بسبب تأثّره لم يحضر مراسمَ دفنه، ومضى إلى ناحية البساتين (٢، ٦٨٦).

ولعلّ مرضه كان الحُمّى السّوداء أو التيفوئيد أو الملاريا.

وقد دُفن علاءُ الدّين چلبي بقرب ضريح جَدّه. و كُتب على قبره المطليّ بالجصّ هذه الكتابة (التي ندوّنها هنا كما هي محافظين على ترتيب الأسطر):

اللهُ الباقي ـ هذه تربةُ
الصّدر المرحوم علاء الدّين محمّد بن شيخ المشايخ
سلطان العلماء والعارفين جلال الحقّ والدّين محمّد
ابن محمّد بن الحسن البلخي أفاضَ اللهُ بركاته
على المسلمين وخصّص ولَدَه بمزيد كلّ عناية
أواخر شوّال سنة ستّين وستّ مئة ٦٦٠ = تشرين أوّل ١٢٦١م

وقد نظَمَ سلطانُ ولَد في شأن أخيه هاتين الرّباعيتين ورثاه:

في مصيبة عَلاء ضرب القمرُ خيمةً سوداء،

ونثرت الشمسُ والفَلَكُ الترابَ على رأسيهما،

وقد سمعتُ دائمًا بأنّ «على» كانت تجرّ،

فانظر إلى هذه الدنيا الدّنيّة التي جرّت «علاء»!

وله قدّس الله سرّهم:

كان علاءُ الدّين فريدًا في الفضل والعِلْم،

كان قلْبُه بصيرًا بعالم الأرواح،

فاختطف موجُ الأجَلِ ترابه من السّاحل

لأنّه منذُ الأزَل كان جوهرًا من ذلك البحر!

في ذلك العهد، كان المدرّسون يسمَّون «الصُّدور الكبار». وتشيرُ كلمةُ «الصّدْر» في كتابة مزاره وكذلك فرادتُه في الفضل والعِلْم إلى أنّ علاء الدّين كانت له منزلةٌ من الوجهة العلمية.

وإلى جانب قبر علاء الدّين چلبي قبرٌ مطليٌّ بالجصّ هكذا كتابتُه[1]:

[٤٤] تربةُ الأمير شمس الدّين يحيى بن

محمّد شاه برادر مادرى با اولا

مولانا قدّس اللهُ سرّه العزيز

١ ـ حصلت أخطاء في قراءة هذه الكتابة على القبر، ونُثبت هنا الصورةَ الصحيحة والنهائية التي قرأها المرحوم عبد الباقي گلبينارلي [المحقّق الفارسي].

في تاريخ السابع من ربيع الآخِر سنة اثنتين وتسعين وستّ مئة.

والأميرُ شمس الدّين هذا هو زوجُ الشريفة عابدة خاتون، ابنة سلطان ولَد. وكان في حياته معارضًا لحضرة مولانا شمس الدّين. الاسمُ المؤنسُ الأبديّ له هو «شمس» وهذه مصادفةٌ عجيبة. ويوجد إلى جانب قبر چلبي الأنيس قبرٌ أكبر، كتابتُه مفقودة. وقد سُجِّل هذا المزارُ في كتاب الأفلاكيّ أيضًا باسم «مقام شمس»[1].

وقد استعمل مولانا جلالُ الدّين في رسالةٍ كتبها إلى سراج الدّين في شأن ابنه الشابّ لغةً ممزوجة بالتودّد والتحبّب. ولنُلْقِ من جديد نظرة إلى حكاية الأفلاكيّ:

روى فخرُ الدّين المعلّم أنّه في أحد الأيام جاء حضرةُ مولانا لزيارة تربة والده، مولانا الكبير بهاء ولَد. وبعد أن صلّى وناجاه وأمضى ساعةً جميلة في النظر إلى تربته، طلب منّي دواةً وقلمًا، وعندما أتيتُه بهما نهض وجاء إلى قبر ولَده چلبي علاء الدّين وكتب بيتًا على ذلك القبر المطليّ بالجصّ، وذلك البيتُ هو:

إن كـــانَ لا يرجـــوكَ إلّا محـــسِنٌ   فـــبِمنْ يلـــوذُ ويـــستجير المجـــرِمُ

وفي الحال رقّ وقال: رأيتُ في عالَمِ الغيب أنّ مولايَ شمسَ الدّين التبريزي صالحَ علاء الدّين وعفا عنه وتشفّع له حتى غدا من المرحومين (١، ٥٢٣).

[٤٥] في آخر رحلةٍ لي إلى قُونِية دقّقتُ النّظرَ في قبر علاء الدّين چلبي. ومن المؤسف أنّ مرور ٧٠٠ سنة قد محا هذا البيتَ من قبره. وقد كان من عادة مولانا أن

---

١ ـ يُرجع إلى كتاب مولانا جلال الدّين ص ١٤٥ ـ ١٤٨ وإلى حواشي هذه الصفحات. وفي هذا الكتاب عالج المرحوم عبد الباقي هذه المسائل على نحو دقيق[المحقّق الفارسي].

يكتب بقلم عريض على الباب والجدران بعضَ الأمور. ويُستفاد من ذلك أنّه كان صاحب خطّ جميل.

ونجد مولانا في الرّسالة التي يكتبها إلى سراج الدّين يطلب منه أن يقسم إرثَ علاء الدّين چلبي بين ورّاثه، وهذه إشارةٌ إلى أنّه كان لدى چلبي عددٌ من الأولاد. والحقّ أنّ الأفلاكي يصرِّح بأنّه في زمان اولو عارف چلبي كان واحدٌ من أبناء علاء الدّين على قيد الحياة.

ومن المؤسف اليوم أنّ معرفة أبناء علاء الدّين چلبي في الأناضول أمرٌ غير ممكن. فيما مضى كان أستاذُنا أحمد توفيق بيگ يقول لنا شفاهًا إنّه في مدرسة الصّاحبية الواقعة في آق شهر قُونية اشتغل أبناؤه بالتدريس، لكنني لم أستطع أنّ أحقّق في هذا الأمر. وقد فتّشتُ في قسم من مقبرة قير شهر لكنني لم أعثر على شيء. ويحترق قلبي من أجل المسكين علاء الدّين. غفر الله له.

الرّسائل ذواتُ الأرقام ١٤، ٩١، ١٢٠ (١٤، ٩٣، ١٢٢ في المتن الحالي) خطابٌ موجَّهٌ إلى رئيس أطبّاء الدولة السلجوقية. ويمكن أن يُعرف من هذه الرّسائل الألقابُ التي استُخدمت في خطاب الأطبّاء.

يوجد في قُونية مسجدٌ باسم الحكيم أكمل الدّين يحمل عنوان «حكيم بيگ»، ويوجد في داخله قبرُ الحكيم، وعندما كنّا صغارًا كان محرابُ ذلك المسجد وسجافُ بابه مزيَّنين بفسيفساء العصر السلجوقي. أمّا في الوقت الحاضر فقد خُرّب ذلك كلّه.

وقد أعددتُ رسالةً في شأن الحكيم أكمل الدّين، اعتمادًا على مصادر المولويين ومصادر أخر، وسأنشرها.

جاء إمضاءُ مولانا في الرّسالة ذات الرّقم ٦٥ على هذا النحو: «كتبه والده يعرف بلخي لولده»[1] وفي الرّسالة ٧٨ على هذا النحو: «المفتخر بدعائه محمّد بن محمّد الحسين البلخيّ».

ومن بين الرّسائل، لم يُذكر اسمُ الأمير المخاطَب بالرّسالة ذات الرقم ٩٢ (٩٤ في المتن الحاضر). [٤٦] لم يذكر سوى «أمير أكدشان». كلمةُ «إكْدِش» تُقال اسمًا للجواد المخصيّ. ويعبَّر عن هذا العمل بـ «الإخصاء». وفي الزمان القديم كان يُقال للغلمان السّود الذين كانوا في دُور الحريم وكانوا مخصيّين: «آغا».

وتبعًا لذلك كان يُقال للواحد من هؤلاء الأفراد في زمان السّلاجقة: «إكْدِش»، وكأنّ «أمير الإكْدِشان» [والإكْدِشان جمع إكْدِش] أيضًا كان مقامًا ومنصبًا، مثلما كان أميرُ الإصطبل وأميرُ الآخور وقاپوچي باشي مقاماتٍ ومناصبَ أيضًا.

عنوانُ الأصل الأوّل من القسم الأوّل من كتاب «رسوم الرّسائل، نجوم الفضائل» هكذا: «في معرفة ترتيب ألقاب المناصب»، ثم بعد عشرين خطابًا، في خطاب مخدّرات السلاطين، خطاب الملوك، خطاب السلاطين، يأتي إلى الطبقة الثانية: خطاب أمير الإكْدِشان، خطاب الناظر، خطاب المشرف، خطاب الوالي، خطاب النائب.

أمّا الألقابُ التي تُستعمل في شأن «أميرالإكْدِشان» فهي على هذا النحو: «المجلسُ الشريف للأمير الموقَّر الممكَّن المختار المجتبى، مجد الأعيان والمشاهير، زين الأمراء والأماجد، جامع المحامد، فلان الدّين، شمس الإسلام، صفيّ الحضرة، عزيز الملوك

١ـ أساء المحقّق المحترم قراءة هذا الإمضاء. وقد أثبتنا في متن الكتاب الصورةَ الصحيحة له [المحقّق الفارسيّ].

والسلاطين، أُلُغْ اينام (عظيم الأنام) الخاصّ، أمير الأكادشة، أدام اللهُ شرفَه».

وفي ترجمة معجم «برهان قاطع» يكتب قائلًا: «الإكْدِش» تُقال للنّطفتين من الحيوان والإنسان مطلقًا، وتُقال للإنسان الذي وُلِد من امتزاج نُطفتين. مِثْل الطفل الذي يأتي إلى الوجود من نطفة هندية ونطفة تركية. وتُقال للجواد الذي أبوه من جنسٍ وأمُّه من جنس آخر، وهو ما يقال له بالعربية «المجنَّس».

(حاشية أحمد رمزي آق يورك)

في «مناقب العارفين» للأفلاكيّ جاء حديثٌ حول «أمير اِكْدِشان» في مدينة سيواس:

«حكى سلطان ولَد قائلًا إنّه في يوم من الأيّام كنّا جالسين عند باب مدرسة الأصحاب الكرام، فرأينا عارفًا [اسم شخص] يسحب عظامَ رأس بقرة بخيط. فسألتُ: يا أمير عارف، ما هذا الذي تفعله؟ فقال: هذا رأسُ أمير اركردي، الذي كان من نُوّاب السّلطان وبنى مدرسةً في سيواس، وكان رجلًا ذا مالٍ وفضوليًّا وغير مطيع بطبعه، وكان مُنكِرًا لأسرتنا، وبعد ثلاثة أيام قُتِل ... (ج ٢، ص ٨٣٥).

وقد قرأ كلمان هوار [مترجمُ مناقب العارفين إلى الفرنسية] هذه الكلمة [اركردي] هكذا Orcoud، فهل كان هذا بسبب أنها جاءت في المتن في صورة «اِكْدِش»؟ كذلك فإنّ النسخة التي لديّ كتبتْها مشوّشةً. لكنّ محتوى الرّسالة متناسبٌ مع هذا الاسم. [٤٧].

الرّسائل ومناقبُ العارفين للأفلاكيّ:

بالإضافة إلى الرّسالتين ٥٦ و ١١٦، اللّتين طُبعتا، ورد في مناقب العارفين

حديثٌ عن الرّسائل من موضع إلى آخر. والحكاياتُ التي نقلها الأفلاكيّ هذا شرْحُها:

١ـ يُروى أنّه في أحد الأيّام أرسل حضرة مولانا رسالةً إلى جناب پروانه يشفع فيها لشخص كان قد سفكَ دمَ إنسان وكان هذا الشخصُ مختفيًا في منزل صديق له. فكتب پروانه في جواب هذه الرّسالة: إنّ هذه القضية لا تُشبه القضايا الأُخَر، الحكايةُ حكايةُ دَم. فقال حضرةُ مولانا في الجواب: مهما يكن فإنّه يقال للدّم ابنُ عزرائيل. فإذا لم يسفك دَمًا ولم يقتلْ أحدًا، فماذا يفعل؟ فسُرَّ پروانه سرورًا عظيمًا وأمر بتركه وأصلح بين المتخاصمَين، ودفع الدِّيَة (ج١ ، ص ١٥٥).

٢ـ كذلك روى چلبي شمسُ الدّين ولَد مدرّس، رحمه الله، أنّه في أحد الأيّام حدثت في مدينة قُونية واقعةٌ هائلة؛ فجاء أهلُ قُونية جميعًا إلى جناب مولانا لكي يكتب لهم رسالةَ عناية واهتمام إلى جناب مُعِين الدّين پروانه ويشفع لهم لديه، واتّخذوا حضرةَ سلطان ولَد شفيعًا لهم. وعند عَرْض الأمر على حضرة مولانا، أرسل رسالةً في طلب الشفاعة. وعندما قرأ جنابُ پروانه الرّسالة وقبّلها، قال إنّ هذا الأمر مرتبطٌ بـ «ولَد صدرو(*)» ولا بدّ من أنْ يحضر أيضًا. وفي إجابة رسالة پروانه أمر أيضًا بأنْ يُكتب: إنّ مقصود الدراويش هو أن يكون هناك وجهٌ واحد، وهذا المعنى له مئةُ وجهٍ. وعندما وصلت الرّسالة وضعها على عينيه، وعفا عن أهل المدينة، وفي تلك الواقعة رضوا بأنْ يدفعوا عشرةَ آلاف دينار ويتخلّصوا من هذه الغُصّة، وهكذا برسالة فقط خلّص

* كلمة «صدرو» استُعملت هنا بطريق التورية؛ فهي من ناحيةٍ اسمُ علَم لشخص، ومن ناحيةٍ أخرى تعني في الفارسيّة: «مئة وجه» [المترجم العربي].

الخَلْق من البلاء (١، ص ٢١٧).

٣ـ كذلك يُروى أنّ عاملًا من محبّي حضرة مولانا تضرّر كثيرًا في وفاء المال فاستدان ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار ولم يكن لديه القدرة على أدائها. فنهض وجاء إلى حضرة مولانا مع عياله ووقع على قدَمَيه المباركتين سائلًا إيّاه أن يكتب له رسالةَ عناية وشفاعة في هذا الأمر لدى حضرة پروانه وأن يحتسب ذلك عند الله سبحانه، لعلّ پروانه يعفيه من دفع جزء من المال أو يعطيه مهلةً. وفي الحال أرسل مولانا رسالةً يشفع له فيها لدى پروانه. فقال پروانه إنّ هذه القضية مرتبطةٌ بالدّيوان. وفي جوابه أيضًا أمر بأن يُكتب: حاشَ حاشَ، إنّ الدّيوان تحت حُكْم سُليمان وليس سليمان تحت حكم الدّيوان، وكان اسمُ پروانه «سليمان»، فتأثّر پروانه وقبِل الرّسالة وبرّأ ذمّة العامل من ذلك الدّين (ج١ ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨).

٤ـ كذلك قال جنابُ ملِك الأدباء مولانا صلاحُ الدّين الملَطيّ، رحمه الله، إنني عندما أصبحتُ مريدًا لحضرة مولانا كنتُ أرى أنّه في كلّ يوم يرسِلُ إلى جناب پروانه وغيره عشْرَ رسائل إلى اثنتي عشرة رسالة وصار كالدّواء للمساكين وأهل الحاجات ولم تخطئ أيّة واحدة منها» (المصدر نفسه، ص ٣٥٥).

[٤٨] ٥ـ كذلك حكى قدوةُ الأصحاب چلبي جلال الدّين، المعروف بابن اسفهسالار، رحمه الله، وقد كان من العارفين الأصحاب وابنَ أمير المدينة، أنّه في أحد الأيّام أرسلني حضرةُ مولانا مع عدد من الأصحاب إلى قَيْصَريّة لمقابلة پروانه. وأملى مولانا رسالةً كتبها چلبي حسام الدّين وضمّن الرّسالة أقوالًا نُظمت فيها دُرَر المعاني. وعندما ربطتُ الرّسالة المباركة بعمامتي خفضتُ رأسي وقبّلتُ قدَمَي مولانا المباركتين

وقلتُ: إذا ما سُئلتُ عن الرّسالة فماذا أقول؟ ـ فقال: عندما تفتح فاك هناك نقول نحن ما هو جديرٌ بالقول. وعندما وصلتُ إلى جناب السلطان والأمراء وأبلغتُهم سلامَ مولانا، وقف الجميعُ على رؤوس أقدامهم وعظّموا الموقفَ تعظيمًا فائقًا (قبل هذا أيضًا في مجلس مولانا في قُونِية وقف المريدون على أقدامهم عندما سُلّمت رسالةُ چلبي أفندي ثمّ بعد تقبيل الرّسالة جلسوا. وكان هذا الرّسْمُ مستعملًا في بلاد الشرق. والأدَبُ والتربيةُ غير مرتبطين بالزمان والمكان، لكنّه بتغير الأيّام تغيّرت هذه العاداتُ أيضًا. نافذ أوزلوق) ووقف پروانه وقرأ الرّسالة باستحسان شديد وكان يُظهِر آيات الإعجاب عند كلّ مقطع، وأجاب مطلوبَنا وسألَنا عن عظمة مولانا: ماذا يفعل وكيف حالُه، فقلتُ كثيرًا من الحقائق والدّقائق حتى أُغمي عليّ. فأخذ پروانه والأمراءُ يبكون ويتحسّرون لبُعدهم عن هذه الحضرة. وفي الآخِر سألني پروانه قائلًا: إنّك قد شرّفتَنا مرّات عديدة، لكنني لم أرك مثْلَ هذه المرة ممتلئًا بالمعارف والمعاني. فأعدْنا الحكاية من جديد. فخفض الجميعُ رؤوسهم وأظهروا الاستحسان وأرسلوا كثيرًا من الهدايا والإنعامات (ج ١، ٤٠٣ ـ ٤٠٤).

وهكذا فإنكم إذا ما قرأتمُ هذه الرّسائلَ الأربعَ والأربعين والمئة فستدركون مباشرةً العظمةَ التي انطوت عليها الألقابُ، والصّداقةَ في أردية البيان، والقدرةَ على أداء الأفكار. ويبدو مولانا خاصّةً في الرّسائل التي كتبها لأولاده أكثرَ عمقًا وصميمية وذكاءً.

وجليّ أنّ رسائله الخاصّة هي انعكاسٌ لعالَمه الدّاخليّ الذي نعبِّر عنه بـ «الضمير». ويبدو مولانا في رسائله غايةً في التواضع ونُبل الطبع. وغير ممكن أبدًا لشخص رُبِّي في

أسرةٍ من عظماء خراسان أن يكتب إلّا بهذه الطريقة.

وفي داخل الرّسائل ألقابٌ لافتةٌ للنظر من قبيل: اوغورلو، ألوغ، قتلوغ، إلكا، بلكا، دلكا، صاحب. والكلماتُ التي كان مولانا يقرؤها ويكتبها هي الكلماتُ نفسُها (الينه، وبلينه وديلينه = مالكٌ ليده ووسطه ولسانه) التي نستخدمها نحن اليوم أيضًا. والظاهرُ أنّ هذه الكلمات الثلاث تُعدّ منسوبةً إلى البكتاشية. وفي عصر مولانا كان جنابُ حاجي بكتاش شابًّا ومن المسلّم به أنّ مراعاة هذه الكلمات الثلاث من جانب أيّ إنسان أصلٌ لا بدّ منه. ومن دون هذه الأمور الثلاثة لا يكمل الإنسان.

[٤٩] كان آباؤنا في آسية الوسطى يستعملون هذه الكلمات الثلاث. ولدى مولانا والمولوية يمكن أن نجد العُرْفَ الموجود في خراسان وآدابَ آبائنا ورسومهم.

استُعملت في الرّسائل ألقابٌ وأسماء كثيرة، مثل سوباشي، والي بيك ... وفي كثير من رسائل مولانا لم يُصرَّح باسم المخاطب، لكنّه يمكن تخمينُ ذلك من خلال السّياق. لا تنطوي أيّ من الرّسائل على تاريخ محدّد. وهذه الرّسائل طبعًا، كما جرت العادة، تُقرَّر من جانب مولانا ويدوّن على الظّرف عنوانُ المرسَل إليه ثمّ ترسل. ثمّ بعد ذلك استُنسخت هذه الرّسائل من الأصل وجُمعت. بل إنّه في بعض الرّسائل تُرِك مكانُ حامل الرّسالة خاليًا أيضًا واكتُفي بكتابة «حاملُ التحيّة فلان».

أحدُ الأشخاص الذين تُوجد في الرّسائل توصيةٌ باسمهم شهابُ الدّين، صِهْرُ مولانا. نظامُ الدّين خطّاط، زوجُ هديّة خاتون ابنةِ الشيخ صلاح الدّين زركوب، أي عَديلُ سلطان ولَد، ذُكرت في شأن زواجه حكايةٌ في كتاب «مناقب العارفين» للأفلاكيّ مصحوبةٌ بغزَل جميل لمولانا جلال الدّين.

وسنوضح مستعينينَ بمناقب العارفين للأفلاكيّ وكتب التاريخ المتعلّقة بالسّلاجقة والنقوش، بعضَ الأسماء التي تضمنتها الرّسائلُ. وقد رأينا أنّ الأنسب في هذا المجال أن يتعهّد المهمّةَ الأساسية شخصٌ لديه معلومات أكثر جدّيّة عن تاريخ السلاجقة. ونضيف إلى ذلك أمرًا آخر أيضًا وهو أن توضع هذه المعلوماتُ النظرية العامّة في متناول القرّاء.

بين الكتبِ الموقوفة لخانقاه الشيخ صَدْر الدّين القونويّ في قُونِية، الموجودةِ الآن في متحف قُونِية، يُحتفَظ بكتاب «جامع الأصول في أحاديث الرّسول» لأبي السّعادات مبارك بن محمّد بن عبد الكريم، الذي اشتغل الشيخُ صدرُ الدّين بتدريسه. ففي المجلّد الحادي عشر، الجزء ٢ والجزء ٣، وفي الصفحات الأولى من الكتاب، كُتبت الأمورُ الآتية:

١ـ سَمِعَ هذه المجلّدةَ من أوّلها إلى آخرها، على مولانا وسيّدِنا وشيخِنا الإمام العالِمِ الرّاسخ الوارث الكامل

٢ـ إمامِ أئمّة العلماء الرّاسخين وارثِ الأنبياء والمرسلين صَدْرِ الملّة والدّين أبي المعالي محمّد بن إسحاق بن محمّد بن يوسف بن علي أدام الله ظلّه،

٣ـ المولى ملكُ الأمراء مربّي الملوك والوزراء جامعُ فضيلتي العِلْم والعمل، حسيبُ العصر، حَسَنةُ الدّهر، مُعِينُ أهل الدنيا والدّين، وركن الإسلام والمسلمين،

٤ـ سُلَيمان بن علي بن محمّد، زادَ سعادتَه وتوفيقَه، ونصر به حزبَ الحقّ وفريقَه، وسَمِعَ معه أيضًا المولى مِلِكُ الصّدور

[٥٠] ٥ـ والفضلاء مجدُ الدولة والدّين، ذخرُ الإسلام والمسلمين، عضدُ الملوك

والسّلاطين، أبو المحامد محمّد بن الحسن؛ والمولى مِلِك الصّدور

٦ـ والأماثل، محرزُ الفضائل، جلالُ الدولة والدّين، عونُ الإسلام والمسلمين، أبو الثناء محمود بن أمير الحاج؛ والمولى الإمامُ العالِمُ

٧ـ سيّدُ الدّولة، رضيّ المِلّة، يوسفُ بن إسماعيل؛ والشيخُ الكبير الفاضل تاجُ الدّين أبو العبّاس أحمد بن إسكندر الأردبيليّ،

٨ ـ والإمامُ الحافظُ الفاضل كمالُ الدّين أحمد بن يوسف؛ والأميرُ نظامُ الدّين أوحدُ بن الأمير الكبير شرف الدّين مسعود بن الخطير.

٩ـ وسَمِعَ مع الجماعة المذكورة أيضًا سيفُ الدّين عليشيري بن يعقوب أيضًا مع فوات [كذا]، وكان السّماعُ يقرّه المولى الإمامُ

١٠ ـ العالِمُ سيّدُ الفضلاء مِلِكُ الصّدور شرفُ الدّين محمّد بن عليّ الموصليّ ابن أخي الشيخ الإمام العالِم العلّامة قدوةِ

١١ـ المحدّثين مجْدِ الملّة والدّين أبي السّعادات المبارك بن محمّد بن عبد الكريم، رحمةُ الله عليه.

وقد زيد في أواخر الجزء نفسه بالخطّ نفسه القولُ:

١ـ سَمِعَ جميعَ هذه المجلّدة من أوّلها إلى آخرها على مولانا وسيّدنا الشيخ الإمام العالِم العامل الراسخ

٢ـ الكامل قدوةِ أكابر المحقّقين، إمام أئمّة العلماء الرّاسخين، صَدْر الملّة والدّين، أبي المعالي محمّد بن إسحاق

٣ـ بن محمد بن يوسف بن علي، أدام اللهُ ظلّه وأعاد على المسلمين بركتَه، المولى

الشيخُ الإمامُ العالمُ الفاضلُ

٤ـ سيِّدُ العلماء، قدوة الفضلاء، محيي السُّنّة، ناصرُ الشريعة، زَيْنُ الدّين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن

٥ـ عبد القادر الرّازي، مدّ اللهُ حياتَه؛ والمولى الإمام العالمُ العاملُ الفاضلُ تقيّ الدّين أحمد بن الأسعد السّنجاريّ

٦ـ أدام الله بركتَه؛ والمولى الإمامُ العالمُ العاملُ الفاضلُ رضيُّ الدّين يوسف بن إسماعيل بن إبراهيم التَّلَّعْفَرِيّ كانت بركتُه

٧ـ والمولى الإمامُ الفاضلُ نجم الدّين يعقوب بن يوسف القرآغاجي؛ والمولى الإمام الفقيهُ العالمُ

[٥١] ٨ ـ شمسُ الدّين محمّد بن عمر القونويّ؛ والمولى الإمامُ العالمُ الفاضلُ الحافظُ شهابُ الدّين أبو بكر بن محمّد، الهمذانيّ أبوه

٩ـ والمولى الإمامُ العالمُ الفاضلُ جمالُ الدّين محمّد بن علي بن أبي نصر الأصفهانيّ أبوه؛والمولى الإمامُ العالمُ الحافظُ

١٠ـ زينُ الدّين محمّد بن مسعود القونويّ؛ والفقيهُ الفاضلُ العالمُ مُعِين الدّين؛ والمولى الإمامُ العالمُ زين الدّين خالد بن أبي خالد الحمراوي؛ والمولى الإمامُ

١١ـ الحافظُ شرفُ الدّين إسحاق بن عليّ القونويّ؛ والمولى الإمامُ الفاضلُ كمالُ الدّين عليّ بن عبد العزيز بن محمّد القونويّ،

١٢ـ وولدُه أيضًا عبد الغفّار بن عليّ المذكور؛ والمولى الإمامُ الحافظُ الحاجّ محيي الدّين محمّد بن الحاجّ محمود القونويّ،

١٣ـ والمولى الإمامُ الحافظُ أمينُ الدّين عبد الله الصّوفي؛ والمولى الفقيهُ الإمامُ شمس الدّين محمّد بن يعقوب السّيواسيّ؛

١٤ـ والمولى الإمامُ الفاضل ركنُ الدّين مسعود بن محمّد القونويّ؛ والموالي: الفقيهُ زينُ الدّين قلمشاه بن حبشي، والشّيخُ عبدُ الله بن عبد اللطيف،

١٥ـ والمولى الإمامُ الفاضلُ خادمُ الشيخ المسمع أدامَ اللهُ ظلّه نجمُ عمر بن الأسعد بن عمر كانت بركته.

١٦ـ بقراءة كاتبِ الطبقة أضعفِ خَلْق الله آصف بن عبد الله، عفا اللهُ عنه، ووَفَّقه لقرايأتي الكتاب رسول الله(*).

توضيح في شأن الأسماء:

٣و٤ـ مُعِينُ أهل الدّنيا والدّين هو مُعِينُ الدّين سليمان پروانه، الذي كان في زمان غياثِ الدّين كيخسرو الثالثِ من بين الوزراء المتنفّذين والمقبولي القول جدًّا. وكان من الذين يكنّون المودّة والاحترام اللائقين لمولانا.

ويشبّهه الأستاذُ أحمد رمزي بخالد أفندي، وهو من وزراء عهد السّلطان محمود الثاني. وقد جاء شَرْحُ أحوال خالد أفندي، الذي كان من المحبّين جدًّا لمولانا، في تاريخ شاني زاده وتاريخ جودت.

٥ـ مجدُ الدّين هو زوجُ «عَيْن الحياة»، بنت مُعِين الدّين پروانه. كنيتُه أبو المحامد،

---

* في هذين السطرين عدد من الكلمات نحسب أنّه وقع في نقلها تصحيف ولم نهتد نحن لقراءتها الصحيحة، فأثبتناها كما وجدناها في هذه المقدّمة [المترجم العربيّ].

واسمُه محمّد، واسمُ أبيه حسن، ومُشتهِر بـ «أتابك». وقد ذُكر مرارًا في كتاب الأفلاكيّ.

[٥٢] جلالُ الدّين هو محمّد مستوفي. كنيتُه أبو الثناء وكان أبوه أميرَ الحاجّ. فهل توجد علاقةٌ بين أمير الحاجّ الذي ذُكر في الرّسالة الحادية والثمانين وأمير الحاجّ هذا؟

٨ ـ الأميرُ نظامُ الدّين أوحَد هو ابنُ شرف الدّين مسعود بن خطير. ومسعودُ بن خطير له عينُ ماء في مقابل مسجد علاء الدّين في نكيده، حيث نُصِب فوقها نقش. وفي كتاب دليل خليل أدهم طُبع صورةُ المسجد وعين الماء وتصوير للنقش. وأصْلُ النقوش موجود عندنا.

٩ـ سيف الدّين عليشير بن يعقوب هو والدُ الأمير محمّد، أميرِ حكومةِ آل كرميان في كوتاهية. ومُعادِلُ عليشير في الأناضول «أرسلان علي».

١٠ ـ شرفُ الدّين الموصليّ ربّما يكون شرف الدّين الذي هو أحدُ المعارضين لمولانا، و فقَدَ بصَرَه في الشام وتوفّي هناك.

١١ ـ مجدُ الدّين لعلّه حفيدُ مؤلّف «جامع الأصول» (تـ ٦٠٦ هـ).

أسماءُ الصفحة الأخيرة:

٤ـ زَينُ الدّين الرّازي ـ الذي نصادف اسمَه في «مناقب العارفين» أيضًا ـ أحدُ الأشخاص الذي كانوا يحترمون مولانا جلال الدّين.

١٤ـ القاضي زَيْن الدّين قلمشاه بن حبشي (في مناقب العارفين، ج ٢، ص ٩٨٨ نجد اسمَ تاج الدّين قلمشاه).

وفي رحلة ابن بطوطة، في فصل قُونِية، جاء القولُ: «صار القاضي قلمشاه في

زاوية أخي مهمان[١]». وتبعًا لذلك فإنّ أسرة قلمشاه، المشتهرين بابن حبشي، من أسر أرباب العلم في قُونية.

وفي الوقت الحاضر توجد في قُونية محلّةٌ اسمُها «عَلَمْشاه» يبدو أنّ اسمها الصحيح ينبغي أن يكون «قلمشاه».

وكنّا قد ادّعينا ادّعاءً قطعيًا أنّ مولانا جلال الدّين لم يتتلمذ على الشيخ صدر الدّين، وكونُ اسم مولانا لم يُذكر بين الأسماء التي تضمنتها هذه الأجزاءُ والأجزاءُ الأُخرَ يجعل رأينا أكثر ثباتًا ورسوخًا.

[٥٣] إنّ مجموعة الأحد عشر مجلّدًا من الحديث النبويّ، التي كان الشيخ صدرُ الدّين مشغولًا بتدريسها، جديرةٌ بالتحقيق والنشر، نظرًا إلى أسماء الأمراء والعلماء في العصر السلجوقي، التي أُثبتت في أواخر صفحات الجزء الأول منها. ونكتفي في هذه المرّة بهذا لكي نُطلع عليه أهلَ العِلْم.

ونُثبت هنا مرثيةَ أبي بكر الطّبيب القُونويّ لما لها من أهمية. ويَشْرَكُنا أيضًا هذا المنشئُ العظيمُ في مُصابه من خلال رثائه (بضعة أسطر إيضاحية لشعر لا يمكن وصفه).

نُظمت هذه المرثيةُ عمومًا في شأن أمراء الرّوم الذين انقضت أيّامُ دولتهم في أشهر سنة ستّ وسبعين وستّ مئة (٦٧٦هـ):

---

١ ـ في ترجمة السيّد الدكتور موحّد جاء الكلامُ هكذا تمامًا «نزلنا في قُونيّة في خانقاه قاضٍ اسمُه ابن قلمشاه، وهو من جماعة الفتوّة. وهو خانقاه كبير وفيه عدد كبير من المريدين...» (الترجمة الفارسية لرحلة ابن بطوطة، ج١، ص ٣٢٤).

سألتُ عن زمانٍ نقولُ فيه عن أمراء الرّوم هؤلاء

أين صاروا وماذا رأوا من هذه الدنيا؟

تركتُهم السّنةَ الماضية في غاية الشهرة

واليومَ لم يبقَ منهم اسمٌ ولا رسمٌ

تقول أين أصبح پروانه المعظّم

أين تلك العظمةُ كلّها وتلك الأبّهة والقدرة؟

أين تلك الفروسية وركوب الخيل

أين أولئك الأمراءُ يَغدونَ وراءه وأمامَه؟

أين كلُّ تلك الإمارة وذلك الحُكم وذلك الوقار

أين كلُّ تلك الخزائن وتلك الكنوز التي لا تُحدّ؟

أين مهابتُه التي أشاعت الأمنَ في ديار الرّوم

حتّى إنّ الذئب بسببها أغلق فاه عن لحم الحمَل؟

أين عودةُ الجيش والأبّهةُ والعتاد

أين كلُّ تلك الفصاحة وتلك الألفاظ والكلمات؟

الأمراءُ الذين كانوا يصطفّون عند باب عرشه بإخلاصٍ

لم يظهر منهم أحدٌ في هذا الزمان!

وحيثُ وُجِد مفسِدٌ ولصّ وسارق

صاروا عاجزين من رُعب سيفه!

ديارُ الرّوم التي حفلتْ بالخارجين والمارقين وأرباب الفِتَن

صارت من خوف سيفه كرياض الجِنان [٥٤]

واليومَ هذه الحبيبةُ بعد غيابه

صارت مثْلَ جهنّم ملأى بالحيّات والعقارب

وذلك النّائبُ الفريدُ الذي اختير أميرًا

تقول كيف توارى عن الأنظار؟

أين كلُّ تلك الرّزانة وذلك الحكم والثبات

أين كلُّ تلك العظمة وكلّ تلك الثروة؟

أين تلك الأموال التي ظلّ يجمعها لسنوات

أين حَلْقةُ الغِلْمان والأبّهة والأسرة المالكة؟

المسكينُ خواجة يونس، تقول أين أصبح؟

وأين ذلك الرّئيس الفريد وذلك الأميرُ الشابّ؟

أين كلُّ تلك الكبرياءِ والعظمةِ والعزّ والدّلال

وذلك التحكّمُ في السّواحل كالقضاء الجاري؟

والمسكينُ بهاءُ الدّين الذي اختير شابًّا

كيف خرجَ من القضية على حين غِرّة؟

أين كلُّ تلك الفصاحةِ والخطّ والكلام

أين كلُّ تلك الكفايةِ والجاه والمكانة؟

وأين صارت تلك الطبولُ والأبواق والرّايات

أين ذلك التنّين المنقوش على الحرير المشجّر؟

الابنانِ الصّاحبانِ لماذا انصرفا

فلا أثر لأيّ منهما في هذا الدّهر المتنزع للأرواح؟

أين الحربُ واللّهو، أين الغِلْمانُ المشرقو الوجوهِ كالأقمار

أين تلك الألبسةُ الفاخرة، أين الكنز الملكيّ؟

وذلك الآخذُ للتاج غصبًا الذي كان كالأسد المصور

انقطع صوتُه عن مَجْمع الأصحاب

أين عودةُ الجيش وتلك الشوارب

أينَ كلبُ الصّيد والبازيّ والدّبّوس والسّنان؟

أين ابنُ الخطير شرف الدّين الذي

سمتْ رِفْعتُه وعلت منزلتُه الفَرْقَدَين

وقد بلغ منزلةً من غاية علوّها [٥٥]

ظُنّ أنّ السّماوات السّبع تحتها

بگلر بگ [أمير أمراء] الزمان ومِلِك الرّوم

الأمراءُ أمامَ حضرته كالأطفال

أجاب بأنّ الجميع غدوا سُكارى شَرابِ الأجَل

ومن مجلس الحياة انزووا إلى المعتزَل

حينًا كان مُرادُ الدّنيا قريبًا منهم

وحينًا آخر استعدّوا للعويل على المتاع

وعندما وُضِع هذا الأساسُ لأهلِ الدّنيا

لم يظفر أحدٌ بالخلود، طولَ الدّهر

كان قبْلَهم الأمراءُ السّعداءُ

والملوكُ ذوو الكبرياء والجيوش العظيمة

استولوا على الأرض ونفّذوا الأمرَ

على الغنيّ والمفلس وعلى الشيخ والشابّ

لكن عندما فُتح عليهم شَرَكُ الموت

انقلبوا جميعًا عن تلك العروش الملكيّة

فمع سَهْم الموت لا يكون أيّ تُرس حاميًا

ومع سيف الموت يضرّ الجوشَنُ والقفطان(*)

أردنا استنساخَ كتاب هذا الطبيب القونيويّ، وسننشره نشرةً محقّقة.

إنّ مخطوطة الرّسائل التي جعلناها أساسًا في هذه الطّبعة، هي نسخةُ مولويخانة يني قابو المحفوظة في مكتبة عبد الرّحمن نافذ باشا، ناظر المالية. وفي الوقت الحاضر توجد هذه المكتبةُ في السليمانيّة. رقم المخطوطة ١٠٥٥. ليس فيها اسمُ الكاتب وتاريخُ الكتابة، ويبدو من خطّها وورقها أنّها مخطوطةٌ قديمة. فيها ٨٢ ورقة، وفي كلّ صفحة ٢٧ سطرًا. أبعادها ١٧×٢٥ سم. وقد كُتب على ظهرها: «مكتوبات حضرت مولانا قُدّس سِرّه». وتُحفظ تحت الرّقم ٢٠٧٠ في مكتبة دار الفنون في إستانبول أيضًا مخطوطةٌ بخطّ عِزّت، وهو أحدُ تلاميذ شيخ الإسلام حسن فهمي. وكانت هذه المخطوطةُ في

* رداء سابغٌ كان يُلبس عند الحرب [المترجم العربيّ].

وقت من الأوقات في تملّك حسن حقّي باشا اشقودره اى، والي قُونِية، وهي ناقصةٌ وكثيرة الأغلاط. وكانت هناك مخطوطةٌ أخرى في مقام مولانا في قُونِية وهي محفوظة الآن برقم ٥٢ ـ ١١٠٢ في متحف مولانا. [٥٦] فيها ٣٥٢ ورقة وفي كلّ صفحة ٣٢ سطرًا، وكُتبت بخطّ شكسته نستعليق وهي مجموعة ضخمة، محتوياتُها على النحو الآتي:

١ـ معارفُ سُلطان العلماء، بدايتُها في الورقة ١.

٢ـ كتابُ فيه ما فيه لمولانا، بدايته في الورقة ٣٥.

٣ـ رسالةُ السّلطان عزّ الدّين، بدايتُها في الورقة ١٢٣. وهذا اسمُ هذه الرّسالة.تضم ٥٥ ورقة أو ١٠٨ صفحة.

٤ـ المجالس السّبعة لمولانا، بدايتُها في الورقة ١٤٤. وفي نهايتها تاريخ ربيع الآخر ٤٥٣ (والصحيح ٧٥٣).

٥ ـ مقالات السيّد برهان الدّين، بدايتها في الورقة ٢١٩.

٦ـ أسرارُ شمس الدّين التبريزيّ، بدايتُها في الورقة ٣٠٩. تاريخ نهايتها ٧٥٤.

٧ـ قسم من معارف سُلطان العلماء، البداية في الورقة ٣٤٦.

ليس في المخطوطة تذهيب. في سنة ١١٥٥هـ كانت في تملّك چلبي زاده إسماعيل عاصم؛ وقد وقَفَها للچلبيين في قُونِية، وقد نُقش عليها هذا الخَتْمُ بخطّ التعليق: «وقَفَ هذه النسخةَ العبدُ الآثم چلبي زاده إسماعيل عاصم ١١٦٢هـ». واحتوت المخطوطةُ على خطّ محمّد سعيد همدم (١٢٢٢ ـ ١٢٧٥هـ)، وحاشيةِ حفيده

عبد الحليم چلبي (١٢٩١ ـ ١٣٤٣هـ)، وتصحيحات محمّد بهاء الدّين ولد چلبي إيزبوداق.

اسمُ الكاتب مجهول، لكنّه يوجد في نهاية المجالس السّبعة العباراتُ الآتية:

«تمّت المجالسُ بحَمْد الله المحمود بكلّ مكان والمذكور بكلّ لسان يومَ الثلاثاء في أوائل ربيع سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة؛ والصلاةُ على نبيّه محمّد المرسَل من عَدْن عدنان وعلى صحابته الجَوّاد الحسان الطّاهرين من شوائب الحسبان، إنّه كريم منّان».

تاريخٌ ثانٍ في الورقة ٣٠٨ هكذا:

«أُتمّت اختياراتُ هذه اللطائف الغريبة والمعارف العجيبة في أواخر ذي الحجّة سنةَ أربع وخمسين وسبع مئة، من نسخةٍ اختيرت من كتب صاحب الزّمان جلال الدّين يوسف ترحالي أيّده [الله] بنور عنايته، بعونِ الله وحسن معونته. والحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ على نبيّه محمّد وآله أجمعين. كذلك نُقلت من حواشي الكتب التي كانت بخطّ مولانا المبارك قدّس الله سرَّه العزيز على هذا الترتيب: تفسير، حديث، معارف، لطائف وغير ذلك».

وكأنّ هذه المجموعة من المخطوطات النادرة والمعلومات الممتعة قد استُمِدّت في زمان تحريرها، في أواخر ذي الحجة من سنة ٧٥٤هـ من نسخةٍ محفوظة في مكتبة جلال الدّين يوسف ترحالي. أمّا المخطوطةُ التي كانت أساسًا لمخطوطة كتب جلال الدّين يوسف ترحالي فقد كانت طبعًا مخطوطةَ [٥٧] مولانا. وعلى هذا النحو يشاءُ الكاتبُ أن يبيّن أنّ هذه المجموعة قد أُخذت عن أصحّ المصادر وأكثرها قبولًا.

وتتطابق نسختُنا والنسخةُ الموجودة في متحف مولانا من الرّسالة الأولى إلى

الرّسالة العشرين تطابقًا تامًّا. ثم بدءًا من الرّسالة ٢١ إلى الرّسالة ٥٢ تزدادُ نسختُنا وتنقص نسخةُ متحف مولانا.

تنتهي نسختُنا بالرسالة ١٣٧، أمّا في نسخة قُونِية فهناك ستُّ رسائل أخرى أيضًا. وتبعًا لذلك، يكون مجموعُ الرّسائل الموجودة في نسختنا، بإضافة هذه الرّسائل الستّ، ١٤٣ رسالة، ومجموعُ الرّسائل الموجودة في نسخة متحف مولانا ١١٢ رسالة. ومن هذه الوجهة، فإنّ الرّسالة ٥٢ في نسختنا هي الرّسالة ٢١ في نسخة قُونِية. ومن جملة هذه الرّسائل، وردت الرّسالةُ ٥٤ في نسختنا والرّسالة ٢٣ في نسخة قُونِية في كتاب الأفلاكيّ أيضًا. بل إنّه قبْلَ هذه الرّسالة توجد رسالةٌ أخرى هي التي كُتبت إلى سلطان ولَد التي جعلناها نحن الرّسالةَ ١٤٤. الرّسالة التي كتبها مولانا عند مرَض الشيخ صلاح الدّين وكذلك الرّسالة الأخرى التي كتبها سلطانُ العلماء إلى يقان تكين (جَدّ خوارزمشاه)، أوردناهما في الآخِر مجاراةً للمثَل القائل «جرى الرّسمُ بأنْ يأتي الكُبراءُ إلى المجلس متأخّرين».

ثم بعد ذلك، قابلنا النّسخةَ المطبوعة بنسخة قُونِية، وبيّنّا جدولَ الخطأ والصّواب واختلاف النّسخ. وتشير علامةُ «نسخة» إلى نسخة قُونِية.

وقد أكملنا المقابلةَ مع نسخة قُونِيةَ بمساعدة العالِم العامل العزيز جدًّا ولي صبري، مثلما قابلْنا معه مخطوطةَ المجالس السّبعة التي نشرْناها. فَلَهُ امتناني.

وأتقدّم بالشكر إلى مديريّة متحف قُونِية، التي وضعت تحتَ تصرّفنا المجموعةَ لأيّام كثيرة. وقد تولّى صَفَّ أحرف الرّسائل السيّدُ ماماس كولانكاس في مطبعة «الثبات»، التي يمتلكها السيّد باسكال بهاري. وقد أبدى صافُّ الحروف العجوزُ هذا،

الذي كان من تلاميذ السيِّد أحمد مدحت، تمكّنًا رائعًا من ثقافتنا.

أقدِّم شكري غير المحدود إلى جناب السيّد أحمد رمزي آق يورك، أستاذنا في اللغة الفارسية، الذي أبدى دقّةً وهمّةً في تحقيق هذا الكتاب والكتب التي أتت بعده، ويفخر زمانُنا بوجوده. وإنّ عشقه الذي لا يكلّ واهتمامه الذي يشوّق الشبّانَ وسعيه الدّؤوب، تستحقّ كلّ صُوَر التقدير. وأقدّم آيات شكري إلى حضرة ولد چلبي إيزبوداق، عمّي وأستاذي العزيز، الذي تمتّعتُ في كلّ مجالٍ بتشويقه ومساعدته.

وفي نهاية الكلام، أخاطبُ متوجِّهًا إلى الغرب علماءَ اللّغات الشرقيّة في لندن. خاصّةً العلماء [٥٨] الذين يديرون أوقافَ جب Gibb على خير ما يكون من الوجهة العلمية والوقفية بمهارة فائقة:

أرى واجبًا عليَّ خاصّةً أن أشكر جناب رينولد ألين نيكلسون الذي حقّق ستّة أجزاء المثنوي العظِيم لمولانا بناءً على أقدم المخطوطات وطبَعَها وترجَمَها إلى الإنكليزية على نحو لا نظير له، فعرّف الشّرق للغرب.

وعلى هذا النحو يخطو رجالُ العلم أولى الخطوات في طريق تقريب الإنكليز إلى أمّة التّرك. وطباعةُ المثنويّ التي بدأت سنةَ ١٩٢٥م انتهت في سنة ١٩٣٣م، ثم في سنة ١٩٣٦م توصّلت الأمّتان إلى اتّفاق أوسع في المجال السّياسيّ.

ويتأكّد أنّ كتب مولانا هي الوسيلةُ لمثل هذا الأمر المقدّس والمبارك. وإنّ أنغامه الصارخة المتدفّقة المتعالية تجذب القلوبَ إليه.

وإنّ أصغرَ محبِّي مولانا العظيم حين يقدّم هذه الكتبَ المهمّة التي لا يعرفها النّاسُ، حين يرى أمَلَ سِنيه الكثيرة متحقّقًا، يغرق في بحار السّرور والحبور.

أحرّم الحديثَ مع الأنامْ

وعندما يأتي حديثُك أُطيلُ الكلامْ

كانون الثاني ١٩٣٧م

ينى شهر ـ أنقرة

م. ف. نافذ اوزلوق

رسائلُ مولانا

الرّسالة الأولى(*)

[إلى السلطان عزّ الدّين كيكاوس في
شكره لاهتمامه بنجم الدّين بن خُرَّم]

بسم الله الرّحمن الرّحيم وبه نستعين

[٥٩] عندما يشاءُ البارئ تعالى أن يقيمَ ويديمَ العنايةَ واللّطفَ والنصرةَ والحظوة والسّعادة على عبدٍ من عباده، يوفّقه إلى الشكر، إلى حدّ أنّه لو وصَلَ إليه مئةَ مرّة أمرٌ مُرٌّ ومرّةً واحدةً أمرٌ حلوٌ فإنّه يعيد ذِكْرَ ذلك الأمر الحلو الوحيد مئةَ مرّةٍ بمئة عبارةٍ في مئة مقام، ولا يذكرُ تلك الأمورَ المرّة المئة مرّةً واحدةً، ما عدا مرارةَ فِراقِ أصحاب الدّين؛ ذلك لأنّ الحزنَ لِفراق أصحاب الدّين تسبيحٌ وقراءةٌ للقرآن وسُنّةٌ للأنبياء ـ صلواتُ الله عليهم ـ فإنّ أيّوبَ عليه السّلام برغم الآلام الكثيرة التي لا يطيقُ قلبٌ سماعَ عَظَمتها وشدّة الابتلاء بها، لم يتوقّف لسانُه يومًا عن الشّكر في تلك السّنوات الثماني. وعندما حلّ به ألَمُ فراقِ صاحب الدّين، أي زوجه التي كانت شريكتَه في الألَم وصفيّتَه في الدّين صاح: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾[الأنبياء: ٨٣]. وقدْرُ صاحبِ الدّين إنّما يعلمُه رجلُ الدّين؛ ومن شاء أن يتعلّم قدْرَ أصحاب الدّين ومتعةَ صُحْبة أصحاب

* نلفت انتباه القارئ الكريم إلى أنّ هناك توضيحات لكثير من الأحاديث الشّريفة والأقوال المأثورة وأبيات الشعر العربيّة والفارسية التي تأتي في تضاعيف الرّسائل، وهي موضوع القسم الثالث من هذا الكتاب فيما بعد [المترجم].

الدّين فليتعلّمْ ذلك من الابن الأعزّ الأمير قائد الجيش العالِم العادِل المقبِل نجمِ الدّين راعي الدّين المتّقي للهِ الحليم الكريم، روحِ الأمراء، مقرَّبِ الملوك والسّلاطين، المستغني عن الثناء لشهرته في الدّين والصّدق والصفاء واليقين.

ويعلمُ الله ويشهدُ أنّ هذا الابنَ العزيز مثلما كان في هذا السّفَر الطويل غريبًا، هو غريبٌ أيضًا في مدينته وبين أقربائه وخَدَمِه وحشمه. ويعلمُ ربّي أنّني كنتُ مُحِبًّا لدولته من أعماق قلبي وروحي هكذا طبعًا وطوعًا وعشقًا، لله تعالى من دون علّة، منذ بَدْءِ دولة هذا المزيِّن للعالَم الملك الصّادق، النادر بين سَلاطين الأوّلين والآخرين، بحر العَدْل والإحسان، مَهديّ الرّحمة في آخر الزمان، عمّت مناقبُه فاستغنى عن الشرح والبيان، أخاف عليه من غَيرة الرّحمن، و إلّا أثنيتُ عليه ببعض ما يليق بإقباله وأقمتُ البرهان، خلّد اللهُ سلطنتَه وجدّد دولتَه ما تجدّد الجديدان، إنّه المجيبُ المستعان.

وبرغم أنّني لم أكن مُلازمًا للصّورة، كنتُ ملازِمًا للمحبّة طالبًا للدولة في تلك الحضرة، لأنّ الحضرات كلّها محتاجةٌ دائمًا وطالبة للعون ومتكفّفةٌ لدى تلك الحضرة. وقد جاء إعلانُ المحبّة هذا وبيانُ الموالاة مأمورًا به من جناب صَدْر الرّسالة صلّى اللهُ عليه وسلّم؛ فقد كان أحدُ الصحابة جالسًا لدى حضرة الرّسول [٦٠] فمرّ واحدٌ من كُبراء القوم من باب المسجد، فقال الصّحابيّ: يا رسولَ الله، أُحِبُّ من أعماق قلبي هذا العزيز الذي مرّ. فقال الرّسولُ، عليه السّلام، اذهبْ وأعلِمْه بذلك. وإذا ما كُتب عن الحِكْمة والسّرّ في هذه الإشارة طال الأمرُ.

وهناك مرادٌ آخر وهو أنّه كلّما ترامى إلى سَمْعي لطفٌ ورحمةٌ وسلطانٌ من الجناب المستطاب لمِلِك العالَم أعلى اللهُ رايتَه، كنتُ أُسَرّ من جهتين: أولاهما فَرْطُ المحبّة والولاء لأنّ المحبَّ لا يكون أبدًا مرتبطًا ومتعلّقًا بكماله هو وحُسْن سُمعته هو، بل يكون متعلّقًا بكمال محبوبه وحُسْن سُمْعة محبوبه، وبذلك يكون مسرورًا. وهذه مسألةٌ من دَرْس مدرسة العِشْق ولستُ بقادر على المغالاة في هذا لأنّ تدفّق هذا الحديث يختطفُني ويختطف الرّسالة وكذلك الكاتبَ شيخ المشايخ حُسام الدّين، أمين القلوب، أدام الله بركته، الذي لم يتوقّف لحظةً في هذه المدّة عن الدّعاء والثناء.

والجهةُ الثانية الموجِبة لسروري بأخبار إحسان هذا المِلِك، أعلى الله دولتَه، أنّني كنتُ أقول: الحمدُ لله الذي جعل لمحبّتي وموالاتي هذا الإقبالَ المتزايد وأوقعَها في الموقع اللّائق؛ لأنّه من صفاء جوهر المحِبّ أن تقع محبّتُه على جوهرٍ لطيفٍ؛ لأنّ كلَّ ما هو موجودٌ في الثمانية عشر عالَمًا محِبٌّ وعاشقٌ لشيء، وشَرَفُ كلِّ عاشقٍ بقدْر شَرَفِ معشوقه. وكلّما كان المعشوقُ لطيفًا وظريفًا وشريفَ الجوهر كان عاشقُه عزيزًا. بيت:

ضروبُ النّـاس عُـشّاقٌ ضروبًـا فـأكرمُهمْ أشـفُّهمُ حبيبـا

إنّ طائرَ النّهار راجحٌ على طير اللّيلِ، بقَدْر رجحان النّورِ على الظّلمة؛ ذلك لأنّ طائرَ النّهار عاشقٌ لِنُور الشمسِ وطائرَ اللّيل عاشقٌ للظّلمة. وفي شرْح هذه المسألة أيضًا إطنابٌ عظيم، ولها تفاصيلُ كثيرة، شرَحَ اللهُ صُدورَكم وأيّدكم

بروح منه. ومن جُملة ما تفاءلتُ به في ارتفاع نار إقبالِ مِلِك العالَمِ وغَلَبَةِ سيفِ نفاذِ أمره ـ أنفذها اللهُ وأمضاها وأعلاها ما دامت الشمسُ وضُحاها ـ أنّ شمسَ عنايته قد زادت على عَبده، الابنِ العزيز روحِ الأمراء وأفضلهم، نجمِ الدّين، لا زالَ نجمُه مستنيرًا من شمس دولة سلطاننا فضّله اللهُ على السّلاطين بالإقبال والكمال وحصولِ الآمال، وخصَّه في خيمة الحُكْم وأساس العرش وكذا في خيمة الحِلْم ورحمة القلب من جنابه المبارك. وما شأنُ هذه، وجملةُ الإشارات والأفكار لدى مليك العالَم الميمونِ والمبارَكِ والميسَّرِ هي إقبالٌ أيضًا. ولأنّ خاطرَه المبارك ناظرٌ دائمًا إلى الضعفاء والمظلومين، وعينَه مُلتفتة إلى ملتمسي العَدْل والمحتاجين، لا بدّ أن يكون نظرُ عناية ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ناظرًا إلى ناحية جاهه ودولته، وقد كان من الغَيرة الإلهية والعناية أنّ كلّ هذه المزعِجات أصابت دولتَه في هذا الوقت لكي يزداد كلَّ لحظة رجوعُ قلبه المبارك عن جُملة السّلاطين إلى حضرة سُلطان السّلاطين، جلّ وتعالى. [٦١] صاح حضرةُ الحقّ بمُلْك الدّنيا [قائلًا]: تعرَّ أمامَ الملِك لكي يرى عيوبَ عدَم وفائك واغسِلْ عنكَ حَفْكَ ورفَّكَ بماء المكروهات لكي يرى الملوكُ الآخرون لون فَنائك في آخر دولتهم ويخجلوا من تعشّقك والتحبّب إليك. وهذا المِلِكُ يرى السّعادة والدولة في الأوّل ويرتبط قلبُه المباركُ ارتباطًا تامًّا بحضرتنا فيزيد مُلْكاه على الآخرين ويُخلَّدان ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣]. وإنّ كلّ سطرٍ من هذه الرّسالة نكتةٌ تستدعي الشّرْحَ لكي لا يؤوّلها من لا يرى إلّا الظّاهرَ بفهمه السّقيم؛ لكنّني أخشى عَيْب

الإطالة، وأسألُ اللهَ أن يُنزلها على خاطرٍ عاطرٍ وضميرٍ واضحٍ ومكشوف. إنّه وليُّ الإجابة، ودعوةُ المخلصين مُستجابة.

الرّسالة الثّانية

[إلى مُعين الدّين پروانه في شكر إحسانه إلى صَدْر الدّين]

الملِكُ تعالى، جلّ جلالُه، الذي هو مالِكُ المُلْك، يختصُّ أحدَهم بمُلْك الدّنيا، ويضعُ تاجَ العزّة فوق رأسِهِ، ويجلسه على عرش المملكة، ويجعلُ البقاعَ والأصقاعَ مسخّرةً ومطيعةً لأمره ورهنًا لإشارته، ويجعلُ قلوبَ العُصاة، طوعًا وكرْهًا، خاضعةً ومنقادةً له، ويجعلُ الخزائنَ والعساكرَ فداءً لمراداته؛ لكي يكافئ بلُطْفِ الخزائن وقَهْرِ العساكر مُواليَ مُلْكه، ويجعلَ صدْر المنبر ونَقْدَ الفضّة والذّهَب برَسْمِ اسمه وألقابه وخُطَبه وسِكّته. ثم في زمن قليلٍ يمحو في كلّ ليلةٍ هذه الرُّقومَ العجيبةَ التي نَقَشَها المهندسُ القديمُ على لوح التراب: ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ [٦٢] [الإسراء: ١٢]. حتّى على حين غِرّةٍ في ظُلمة اللّيل لا يبقى أميرٌ ولا مأمورٌ، ولا حاكِمٌ ولا محكوم، ولا مَلِكٌ ولا مملوكٌ؛ لكي يُعلَم أنّ هذه الخطوطَ محكومةٌ ليدِ مهندسٍ؛ وعندما لا تكون هناك أيّةُ إشارة، تمحو بلَيْل الموتِ كلَّ شيءٍ، لكي يغدو معلومًا لدى الجميع أنّ غَوّاصَ المُلْك الزائل هذا نموذجٌ وأصطرلابٌ للإعلام بالمُلْك الثابت والتّاج والتّخت والعسكر والمخزن الثابتة. لأنّ كلَّ خَيالٍ هو نموذجٌ لحقيقةٍ،

وكلَّ منام نموذجٌ لتعبير. وإنّ صَرْفَ الهمّة العالية المِلكيّة النّبويّة لمَلِك الأمراء پروانه المعظّم، وشوقَه إلى لقاء حضرة الدّائم، واجتهادَه وطَلَبه الرّضى، وحبّه الفقراء، وتفكّرَه في العاقبة، واعتمادَه على وعود الحقّ تعالى، [هذه جميعًا] مَنامٌ تعبيرُه عُلوُّ المرتبةِ وكمالُ العنايةِ وحسْنُ العاقبة لتلك الحضرة الفريدة، أدامَ اللهُ عُلوَّه. وإنّ طيبَ خِصاله شهادةٌ على كماله؛ وسعادةُ التوفيق هذه، المعطاةُ له، جعَلَها اللهُ بلا نهايةٍ وبلا انقطاع!

والألطافُ التي أمر بها في شأن ابننا الأعزّ صَدْر الدّين عُلِمتْ، وشُكرتْ؛ ويؤمَّل أن لا تقع في التأخير؛ لأنّه «في التأخيرِ آفاتٌ» و «الخيرُ لا يؤخَّر»، «عجّلوا بالصّلاةِ قبلَ الفَوْت». ويقول النُّوّابُ من أين نعطي وكيف نفعل؟ ـ وتقول الحضرةُ:

أستاذُك هو العشقُ، وعندما تصلُ إليه

هو نفسُه سيقولُ لك بلسانِ الحال: هكذا افعَلْ

إنّ حِيَلَ نفسِه وأبنائه، الذين هم أعداؤه وأعداءُ روحه وإيمانه وهم مانعٌ وحجابٌ له، تستطيع أن تعمل بمئة طريقة، وحيلةَ أهلِ الحقّ وعباد الحقّ وأحبّائه الطيّبين، أنّ الحقّ تعالى من أجل الامتحان حوّلهم إلى أُناسٍ كانوا يدّعون محبّةَ الحقّ ويقرؤون القرآن ويتلون الأورادَ حتى قال المنافقون ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾ [يس: ٤٧] هكذا اللهُ، الذي يدّعون الاختصاصَ به، لا يستطيع إنفاذَ حاجاتِ خاصّتِه حتى يحوّلَهم إلى الآخرين؟ فيجيبُ الحقُّ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

لا يعلمون أنّ هذا من أجل الابتلاء؛ فإنّ رضى عبادِنا هؤلاء هو رضانا؛ لأنّنا أخفينا رضانا في رضاهم: لو صعدتَ بالحِيَل إلى سبع سماواتٍ لما أدركتَ رضايَ، بل تكون مِثْلَ إبليس في مقامِ القهر. ولو نزلتَ حتّى إلى ظهر الثور والسّمكة في تواضع هواك وهَوَسك لما أدركتَ رضايَ. «قال: ما وسِعَني أرضي وما وسِعَني سمائي، وإنّما وسِعَني قلْبُ عبدي المؤمن»، وقد وضعتُ رضاي في رضاهم، فانشُدْ رضاهم فإنّ العاقلَ والمقبِلَ هو مَنْ يطلبُ الشيءَ من حيثُ وضعتُه أنا.

اطلُب الدّرَّ من الصّدَف، ونافِجةَ المِسْكِ من الغزال،

واطلُبْ مِنَ الرّجالِ القلبَ، ومن الجهّال النّفجَ والادّعاء.

والباقي مكشوفٌ ومعلومٌ، الله الله، لا يحوِّل في هذا الباب إلى النُّوّاب.[٦٣]

وما غَلُظتْ رِقابُ الأسْدِ حتّى ... بأنفُسِها تولّتْ ما عناها

الرّسالة الثالثة

[في شأن جمال الدّين المعيد

مع إبلاغ تحيات سراج الدّين]

اللهُ الذي أظهرَ لنا طريقَ الهجران

آملُ أن يسهِّلَ لنا طريقَ الوِصال

اللهُ، جلّ جلالُهُ وتوالتْ أفضالُه، شاهدٌ ومطّلِعٌ ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨]، ﴿ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٩] على أنّ صورةَ الابنِ العزيز ـ فَخْرِ الأئمّة والمفيدين، تاجِ الفُضَلاء والمعيدين، ذي الفنون، أنيس الأولياء، الوليّ الخفيّ، جوهرِ المنجم، أنورِ الأهلّة، مفخرِ الأجلّة، جمالِ الدّين ـ بلّغَه اللهُ تعالى أعلى مراتبِ البصيرة واليقين، وفضّله على كثير من عباده المحبّين ـ والخيالَ المفرّح لمن له سيماءُ الصّدّيقِ، المبارَكِ المنظر الميمونِ المخبر المتجرِّد والشّريف السّرّ هما ليلًا ونهارًا أمام نظري. وقد بلغ من حلاوةِ صُحبة هذا العزيز وصِدْقِها أنّ هبوبَ غبارِ النسيان لم يستطعْ مَحْوَ آثار صورته العزيزة من نَظَر العين والقلب مع مرور الزمان وتواتر الهجران؛ ذلك لأنّ الأخلاق الملَكيّة لذلك العزيز ناسخةٌ للمبدأ الذي يقول: «طولُ العهدِ مُنْسٍ». وبرغم ذلك فإنّ استسقاءَ الاشتياق وجوعَ بقرِ الأمَلِ، لا يشبعها أبدًا وفاءُ التصوّرِ والخيالِ وعزاؤهما ولا يرضيها، ولم يُضعفْ أيُّ مجمعٍ للأصحاب ولا مجالس الذّكر والمراقبة تمنّيَ حضور ذلك الابن. ويؤمَّل من جامع الشّتات ومُنزلِ البركات وقاضي الحاجات، جلّ جلالُه، أن يزيلَ عن قريب غيرِ بعيد الصّوارفَ والموانع، ومِثْلَ الإتيان بعَرْشِ بلقيس وجِسْم إدريس ﴿ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠]، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] يجمعَ الأسبابَ اللطيفة الظريفة لكي تُسَرَّ الأعينُ العطشى وتبتهجَ بلقاء ذلك الابن «إنّه على ذلك قديرٌ وبالإجابة جدير». ما هو قليلٌ من النفقات علينا، وما هو لائقٌ بذلك الابن حَوالَينا. والمؤمَّلُ أن لا يتأخّر. [٦٤] قال النبيُّ صلّى اللهُ عليه

وسلّم: «إنّ لله في أيّام دهركم نَفَحاتٍ، ألا فتعرّضوا لها». وعند أهل التحقيق أنّ هذه النفحاتِ هي أنفاسُ إخوانِ الدّين الذين أحرزوا السّبْقَ على الإخوان الآخَرين. فأنفاسُهم وأنظارُهم والمعشرُ الطيّب معهم نفحاتٌ ومواهبُ وعطايا وخِلَعٌ من الحقّ جديرةٌ بالاغتنام؛ والإعراضُ عن غيرها هو عينُ اغتنامها.

لا ترفعْ عن مقامِ السُّكْر قدَمًا

وضَعْ رأسَكَ في المكان الذي شربتَ منه الخمرة

«السُّكارى يَسْلمون»، والسّكارى الذين عددُهم ألفٌ هم شخصٌ واحدٌ. «عليك السلام»معناهُ أن تأتي لا أن تتحدّث وتكتبَ من بعيد؛ إنّه لا ينبغي القناعةُ بذلك الوصالِ الذي نكون فيه [أنتَ وأنا] في منزل واحد؛ بل لا ينبغي القناعةُ بأن نجتمع في قميص واحد، لأن ذلك مخجلٌ. البارئُ جلّ جلالُه الذي هو جامعُ الأحباب ومؤلّف الأصحاب ومزيلُ الأحزان ورافعُ الهجران وصانعُ الأرض والسّماء، عالمٌ وشاهدٌ ـ ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨] ـ أنه لو كان ممكنًا في هذا الوقت وساعدتِ الفرصةُ والموانعُ التي لا يستطيع القلَمُ وصْفَها والقيودُ المحكمة، فإنّ الخاطرَ المنير للأخ الأعزّ، فخْرِ المدرّسين والمعيدين، الأعلمِ الأعدل الأمجد الأسعد الأشرف الأروع الأورع الأفضل الأكمل، مجْدِ الأئمّة، سراجِ الأمّة، الملَكيّ الأخلاق، الصّفيّ الأعراق، النجمِ الزاهر والبدرِ الفاخر، مع بقيّة ألقابه وأوصافه الأصليّة الجِبلّيّة، أدامَ اللهُ علوّه وفضلَه وتوفيقَه وإرشادَه إلى سلوك أحسن السُّنَن، وتقبَّلَ حسناتِه، وتجاوزَ عن سيّئاته،

وأسبغ عليه كراماته ـ والضميرَ[1] المشرِق المفكّر في الخير المحترف للشفقة، الذي السّخاءُ شعارُه، والوفاءُ دثارُه المبارك، يعلمانِ[2] أنّ الحقّ تعالى يضع موانعَ وقيودًا عظيمةً إذا منع شيئًا وربطه بمكانٍ، قيودًا ليست من حديد ولا من خشب ولا من الموكَّل ولا من سُور المدينة، بل هي قيودٌ روحانيّة، ذلك لأنه يوجد تخَلّصٌ من قيود الحديد ويمكن الفرارُ من موكَّلي التُّرك، ولا يمكن الخلاصُ من تلك الروابط الرّوحانية [فقد قال تعالى] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾ [يس: ٨]، وهذه أغلالٌ روحانية اسمُها القضاءُ والتقدير وهي في عنق الخاصّ والعامّ حتى إنّهم لا يستطيعون الخروجَ خطوةً واحدة من المحكوم والمقدور ـ أنّه[3] لو لم تكن هذه الموانعُ موجودةً لسافرتُ إلى هذا الأخ مئةَ مرّة، ولاستعددتُ لِأَنْ أجيء إلى ذلك المقام، بنفسي، من دون رسالة ومن دون كفاية، بسبب عدَم الصّبر وكثرةِ الاشتياق وطولِ الفراق. شعر:

وكِدْتُ أطيرُ من شوقي إليكمْ　　وكيفَ يطيرُ مقصوصُ الجناحِ؟

والمتوقَّعُ من وفاءِ ذلك الأخ وأخوّته وحُسْنِ عهده ومودّته والرّابطةِ التي يعزّ شرحُها كتابةً، ولا يستطيع اللّسانُ بيانَها، وتلك المودّةِ المؤكَّدة بسوابق الألفة والمجانسة

١ ـ معطوفٌ على الخاطر المنير فيما تقدّم.

٢ ـ الجملة هنا في محلّ رفع خبر لـ «فإن الخاطر المنير ... والضمير المشرق ..».

٣ ـ يبدو الكلام هنا تتمةً لما جاء قبْل من قوله: «أنّه لو كان ممكنًا في هذا الوقت وساعدت الفرصة والموانع ..». [المترجم العربيّ].

فإنّ «الأرواحَ جنودٌ مجنّدة»، رُباعيّ: [٦٥]

في الأصْلِ كان واحدًا روحي وروحُكَ،

ظهوري وظهورُك، وخَفائي وخفاؤك،

ومن السّذاجةِ والفظاظةِ أن أقول: أنا وأنتَ

فقد زال «أنا وأنتَ» من بيني وبينك.

برغم أنّ العوامَّ يفهمون هذا بطريق التأويل والتشبيه، بعيدًا عن الرّوح الشريف الفَقْريّ الصّفة الدّرويشيّ العنصر = أن يتأمّلَ(*) في هذه الكلمات بسَمْع التأويل والتحريض، فيسهِّلَ العلائقَ بقدر ما يستطيع، ويتصوّر توقّع النفع من الجهات والأماكن عدَمًا، ويُعرض عن التوقّع والطمع وعن الدّعوة التي جعلها وسيلةً، وينتظر مكافأة ذلك من تلك الطائفة.

يُقرِضُ ذلك التوقّعَ حضرةَ مَنْ قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] وسيؤتيه الحقُّ تعالى أضعافَ ذلك، أحلَّ من ذلك وأزكى من ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].ومعلومٌ أنّ «الجماعةَ رحمةٌ، والفُرقةَ عذاب»، لا سيّما فرقتنا التي لا تُقارَن بفُرقة الآخرين.

هناك فرقٌ بين العشق الذي ينبعث من الرّوح

* أنّ وما بعدها بتأويل مصدر في محلّ رفع خبر لـ «المتوقّع» في أوّل الفقرة [المترجم]

وذلك الذي تربطه بكَ بخيط

الله، الله، الله. لا يحتاج إلى كتابة رسالة مرّةً أخرى بعد هذه الرّسالة لكي يظفر بثواب السّماء والأرض. والإمامُ الفَرْدُ، الأخُ الأعزّ سراجُ الدّين، المجاهِدُ الطالبُ للحقّ ـ أتمّ اللهُ مرادَه ومرادَ أحبّته ـ يتنسّم ليلًا ونهارًا أخبارَ هذا الأخ وآثارَه من الصّادر والوارد، ويوصي كلَّ شخصٍ بأن يحرّض بأبلغ ما يمكن، وشرائطُ النيابة بعيدةٌ عن ذلك، وحتّى الآن لم يقصّر أبدًا ويبلّغ السّلامَ على الدّوام ويقول: استهنْ بالأشياء كلّها وفقًا لعادة علوّ همّته، لأنّ لها كلّها أعواضًا، ولا تستهِنْ بلقاء بقيةِ العمر. شعر:

عندما تظفرُ بلحظةٍ من حبيبٍ عزيز

فإنّك تظفر في تلك اللحظة بنصيبك من العُمر

فحذارِ من أن تُضيع تلك اللحظة؛

لأنّك لن تظفر بمِثل هذه اللحظة مرّةً أخرى

وإنّ بقيّة الأصحاب من الفقهاء والدّراويش جميعًا مشتاقون إليكم ومنتظرون قدومَكم «كانتظار الرُّبا لأمطار السّماء»؛ لأنّه ليس للرُّبا مددٌ من النهر، بل مَدَدُها من السّماء. وإن شاء الله تعالى اللّقاءُ حاصلٌ بأسرع الأزمان وأبرك الأحوال. آمين يا ربَّ العالمين.

هناك غنائمُ وأرزاقٌ في خزينة الكرَم، مهما سعيتَ وجُدتَ لتحصل عليها هناك فلن تحصل عليها، ونحن أيضًا من دونك ههنا مهما جدَدْنا في الطّلب فلن نحصل عليها؛ مثل حديد المِقدحة الذي مهما تحرّك وحْدَه من دون الحجر [٦٦] فلن تظهر شرارةُ النار؛ وكذلك الحالُ مع الحجر من دون حديد، وكذلك الحالُ مع الاثنين من

دون الخِرْقة، وكذلك الحالُ مع الثلاثة من دون يَدِ القادح؛ ذلك لأنّ «الجماعة رحمة». ولا يَعُدّ هذا الكلامَ تمثيلًا بل يعدّه تحقيقًا وواقعًا، ويعمل بذلك متوكّلًا على ربه. إذا رششتَ الماءَ على الرأس فإنّ الرأس لا ينكسر، وإذا نثرت التّرابَ على الرأس فإنّ الرأس لا ينكسر، أمّا إذا ضربتَ الماءَ والتّرابَ أحَدَهما بالآخر ثمّ ضربتَ الرّأسَ فإنّ الرّأس ينكسر: «الرّفيقُ ثمّ الطريق» و «الجارُ ثمّ الدّار»، ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، ملتصقًا كلٌّ منهم بالآخر حتّى صاروا جدارًا مرصوصًا متماسكًا، لا مكانَ بينهم لعدوّ أو مخالف، وحتّى سيخُ الفولاذ لا يدخل بينهم من فرط التصاق كلّ منهم بالآخر؛ ذلك لأنّ النُصْرة متوقّفةٌ على مثل هذا الالتصاق. ولا وجْه لأن يؤمّلوا النّصرةَ وهم متفرقون في الأمصار، بعيدٌ كلٌّ منهم عن الآخر. يقول [تعالى] ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]. وهكذا اجتماعُ الشُّطوءِ شرطٌ للنشوء والنّماء، إذ إنّك تزرع البذرةَ نفسَها في الأرض نفسها وفي الجوّ نفسه فلا يحصل النموّ منها وحْدها. ولو كُتبت نظائرُ ذلك وشواهدُه لاحتيج إلى طوامير. ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا ... الآية﴾ [الكهف: ١٠٩]، «ولو تأمّلتَ فيه قليلًا لتبيّن لك من قليله كثيرًا، إذ قليلُه يدلّ على كثيره»، ومن أجل التمثيل والنموذج لا يُحمَل من مخزن الحَبّ أكثرُ من حَفْنة ولا من بستان الوَرْد أكثرُ من باقة، ولا يؤتى إلى السُّوق بالمخزن والبستان ليكونا نموذجًا، لا يمكن أن يؤتى بالبستان إلى المدينة. «ألهمَه اللهُ وإيّانا ما يحقّق به آمالَنا ويُصلح به أعمالَنا» ـ آمين يارَبَّ العالمين.

الرّسالة الرّابعة

[إلى صلاح الدّين يدعوه إلى اللقاء لأنّه
لم يره منذ سنوات]

« اللهُ يجمع بَيننا، ويرفعُ البُعدَ عن بيننا، فهو مفتِّحُ الأبواب ومسبِّبُ الأسباب».

[٦٧] أمضى اللهُ الأيّامَ والأوقاتَ على الابنِ العزيز المخلص المجلوّ القلب المتفنّن الرّوحانيّ الواسعِ الصّدر الرّفيع القدْر، افتخارِ العلماء والعارفين صلاح الحقّ والدّين، أدام الله عُلُوّه، في خير المكاسب وفي أسنى المطالب، وسيَّر رفيعُ الدّرجات سيرانَ روحِه المطهَّر المقدّس في أعلى المراقي، بمَنّه وجوده. يطالعُ السّلامَ والتحيّة من هذا الوالد المخلص. ومعلومٌ أنّ القسمةَ الرّبانيّة والتقديرَ السّماويّ يجعلان أحوالَ اجتماع الأحبّة والمحبّين كموج البحر في جَزْرٍ ومدٍّ، وفي الحالين كليهما، عندما تنظر على جهة الحقيقة، هم مجتمعون من حيثُ المعنى ويُكمِل كلٌّ منهم حالَ الآخَر، مثلما أنّ جَزْر الأمواج ومدّها واجتماعها وافتراقها في الحالَين مكمّلةٌ لحالِ البحر وأهل البحر، ومثلما أنّ كرَّ المبارِزين وفرَّهم مكمّلان لحالهم في طلب الظفر والنُّصرة، برغم أنّه في الظاهر يكون واحدٌ في حال كَرّ والآخَرُ في حال فَرّ، وليس هذا في معنى المخالفة.

مثل بائعي الحمير يحاربُ أحدُهم الآخَر

لكنّك عندما تتأمّل تجدُهم متّفقين على عمل واحد.

وبرغم ذلك، هو قادرٌ على الإطلاق، فقدرتُه غيرُ مقصورة على صفة واحدة، بل شاملةٌ للصفات كلّها والأحوال كلّها، قادرٌ على أن يجمع ظاهرًا وباطنًا الأحبّةَ، ولا يُتصوَّر هذا العرضُ المعنويّ موقوفًا على اجتماع الظاهر، بل يجمعهم في الصورة

والمعنى، لكي لا يكون ظاهرٌ باكيًا من الفراق ولا باطنٌ باكيًا من الفَوْت. المقصودُ أنها قدرةٌ عظيمةٌ، ومهما ذكرتَ من لطفٍ ورحمةٍ وعفوٍ فهي أكثرُ مما ذكرتَ. «حدِّثْ عن البحر ولا حرَج».

كانت أيّامُ فِراقِ صورةِ هذا الابن كالسِّنين في الشِّدّة والكراهية. ويُلتمس من لُطْف الابن أن يجتهدَ بالمجيء إلينا، لأنّ «سِنَةَ الهَجْرِ سَنةٌ»، ويقدِّمَ لنا عهدَ وِصاله الحلو اللطيف هديةً، ستكون مقبولةً ومبرورةً. وإن شاء اللهُ تعالى لن تظهر موانعُ وعلائق تغطّي فوائدَ المجيء. إنّ أرواح المحِبّين منتظرةٌ، والمؤمَّلُ أن تُسَرَّ من دون توقّف، بلقائه ومكالمته ومحادثته وإفادته وإفاضة لطائفه العزيزة التي لا نظيرَ لها «لا زالت متضاعفةً متصاعدةً»، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢]. دمتَ واسعَ الصدر [٦٨].

الرّسالة الخامسة

[كُتبت بإلحاح من ظهير الدّين على سُلْطان ولَد، في الحثّ على استماع النصائح]

الأميرُ ابنُ الأمير، المحسِنُ المخلِصُ العالي الهمّة، المتوجِّهُ إلى طلب العلوم، الحريصُ على إحراز الفضائل، ظهيرُ الدّين ـ «حقّق الله مرادَه وشرحَ صدرَه وأقرّ عينه وأعيننا برؤيتكم ولقياكم، وعن أعيننا لا أخلاكم» ـ شفَعَ الوالدَ والدّاعيَ بمبالغةٍ وإلحاحٍ، لكنّه لم يُطل خشيةَ ملالة الجسم النحيف الممارس للرياضة الصوفية لدى الابن، أدام اللهُ عُلوّه. المؤمَّلُ أن تكون شفاعةُ هذا الوالد مقبولةً. وهو شائقٌ ومشتاقٌ

جدًّا ومحتاجٌ إلى إرشاد هذا الوالد ومعاونته، ويتعهّد بأن يجعل النفسَ والمالَ فداءً لكم ولا يتأسّف على ذلك، وهذه الدّعوة شأنٌ للوالد نفسه.

وأنا أمُّ موسى فهل أطلبُ من مليكي
ثمنَ اللّبن الذي أرضعتُه إيّاه؟

والسّلام.

الرّسالة السّادسة

[إلى سلطان ولَد في التوصية برعاية فاطمة خاتون زوجه]

عالِمِ السِّرِّ وما في الحجاب

أَلَمْ يحذروا مَسْخَ الذي يمسخُ العِدا ... ويجعلُ أيدي الأُسْدِ أيدي الخرانِقِ
وقد عاينوهُ في سِواهم وربّما ... أرى مارقًا في الحرْب مصرعَ مارقِ
تعوّدَ أن لا تقضمَ الحَبَّ خيلُه ... إذا الهامُ لم تَرْفَعْ جُنوبَ العلائقِ
ولا تَرِدَ الغُدرانَ إلّا وماؤها ... من الدَّمِ كالرّيحانِ فوق الشّقائقِ

[٦٩] يعلمُ الابنُ العزيزُ فخرُ الدّين وروحُ المدرّسين ـ كلأه اللهُ ورعاه ومن الخير والسعادة لا أخلاه ـ أنّ سَلامَ الوالِد ودعاءه لا ينقطعان لا نهارًا ولا ليلًا، لا في الفراق ولا في التّلاقي؛ لكنْ في هذه اللحظة ليس لديّ القدرةُ على التسليم عليك بسبب حَيرة المحيِّر الذي يخاطبه المسلمون بالقول: أنتَ السّلامُ، ومنك السّلامُ، وإليكَ يُرجَع السّلام، يا منتهى الأوهام ـ تبارك وتعالى. وأنا في حالٍ من الانشغال بسبب كمال

الشّفقةِ ووفورها وغليانها وفرْطِ المحبّة إلى درجة أنّه حتى في حال الموتِ وما بعد الموتِ لا تهدأ هذه المحبّةُ ولا يسكنُ هذا الشوقُ ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾[يس: ٢٦ - ٢٧]، «قيلَ: قتلوكَ وقطّعوكَ ولم تقطع النّصحَ عنهم لا حيًّا ولا ميتًا لأنّك ناصحٌ لا متصحٌ»، مطبوعٌ على النصيحة والمحبّة لا متكلّف. ومن فرْطِ هذه الشفقة كُتبتْ هذه الكلماتُ القليلة المشوّشة، التي لا قلْبَ لها ولا يَدَ، وليست صاحِيةً ولا ثَمِلةً، وليست معدومةً ولا موجودةً، في التوصية برعاية أميرتنا وضياء قلبنا وعيننا وكلّ العالَمَ التي هي اليومَ في حمى ذلك الابن ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[آل عمران: ٣٧]، أُودِعتْ على سبيل الامتحان العظيم للأمانة. والمؤمَّلُ أن يُضرِمَ النارَ في أساس الأعذار، ولا يتحرّك لحظةً واحدة ونفَسًا واحدًا، لا قصدًا ولا سهوًا، ولا يغيّر وظيفةَ العناية والرّعاية حتى لا يَدْخل في خاطرها ذرّةٌ واحدةٌ من تشويشِ عدَمِ الوفاء، والملال. وهي نفسُها لم تنبس ببنت شفةٍ لما تتمتّع به من طهارةِ جوهرٍ وعنصرٍ ملكيّ وصبرٍ موروثٍ فِطْريّ:

فرْخُ البطِّ برغم أنّه ابنُ الأمسِ

يكون ماءُ البحر إلى صدره

لكنِ حذارِ من مرصادِ الأرواح الإلهية التي تراقب ذرّياتها الطّيبةَ، وإشهادِها ومشهودِها [إذ يقول تعالى]: ﴿ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ [الطور: ٢١]،الله الله الله الله الله الله الله الله! ومن أجل بياض الوجه الأبديّ لهذا الأبِ ولكَ أنتَ، وللقبيلة كلّها، يُبقي خاطِرَها عزيزًا، ويجعلُ كلّ يومِ وكلّ ليلة مِثْلَ اليوم الأوّل وليلة الزّفاف في

اصطياد محبّة القلب والرّوح بالشّباك؛ ولا يَتصوّر أنّه مَصيدٌ، وهو غيرُ محتاج إلى الصّيد فإنّ ذلك مَذهبُ من لا يريدون سوى الظّاهر ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الروم: ٧]. ذلك لأنّهم ليسوا من ذلك العنصر الذي يَقْدُم ويَبْلى، وإنّ نُصرة العناية الأزلية أكبرُ من أن لا يكون محلُّهم كلُّه منوَّرًا ومعطّرًا، ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾ [التين: ١ - ٢]، الذي هو قَسَمٌ بجمادات، إنّ قَدَمها وصَلَتْ يومًا إلى مرتبة «يا عَلِيُّ، لو رأيتَ كَبِدي ينجرُّ على الأرض، إيش تصنع به؟ - قال: لا أستطيع الجوابَ يا ر سولَ الله، أجعلُ جفنَ عيني مأواه وحشْوَ فؤادي مثواه، وأعُدُّ نفسي فيه من المجرمين المقصّرين». فقال النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم: فاطمةُ بضعةٌ مِنّي»، أولادُنا أكبادُنا تمشي على الأرض.

واللهِ الذي لا إلهَ إلّا هو إنّها لم تشكُ قطّ ولم تُرسِل رسالةً أبدًا، لا إيماءً ولا إشارةً ولا تعريضًا؛ بل لم يكن صَنيعُها إلّا الشّكرَ والدّعاء المتواصل والمتعاقب والثناء على حُسْن المعشر والمروءة [٧٠] والمحبّة ودقائق الرّعاية. إلّا أنّه من دون كلام الخَلْق ومن دون إشارتهم ومنذ عدّة أيّام، يأتي إلى فكري بصوت عالَم الرّوح ووراءَ عالَم الصّورة، صورةٌ من دون صورة وتخزني؛ لا أعلمُ أهي حكايةُ حال أم مآل، امتحانٌ مباشرٌ أم مؤجّل؟ وفي الجُملة حَرَسَها الله ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤] ومن آفات الشّبكات في الحال والمآل، بحقِّ محمّدٍ وصَحْبِه خيرِ صحبٍ وآل - إنّ أذى تلك الأرواح ليس أذًى واحدًا ولا مئةَ أذًى ولا ألفَ أذى.

إنّ الخروجَ من الرّوح والدّنيا ليس أمرًا صعبًا

الصّعبُ هو الخروجُ من المكانِ الذي توجدُ فيه

مـاذا الـوداعُ وداعُ الوامِـقِ الكَمِـدِ   هـذا الـوداعُ وَداعُ الـرّوح للجـسَدِ

أنا نفسي أعلمُ أنّك لا تخطئ

لكنّ قلوبَ العشّاق سيئةُ الظّنّ

ويحفظُ هذه الوصيّةَ ويكتمها ولا يذكر لأحدٍ حديثَ هذه الرّسالة؛ لأنّ فيها سِرًّا وكلماتٍ أُخَر تتمتُّها ومخلَصُها في الخاطر والبال، ولا يمكن كتابتُها. ولكن عندما يحفظ هذا ولا يقول: لديّ، وبعْدُ ماذا أفعل، فإنّه من بَرَكةِ هذا الحِفْظ يعلَمُ الباقي الذي لم يكن يعلمه ويعلَمُ شيئًا آخر أيضًا إضافيًا «مَنْ عمِلَ بما عَلِمَ أورثَه الله عِلْمَ ما لم يَعْلَم».

دمتَ يقظًا ومُنتبهًا في هذا الكمين الحافل بالأخطار، آمين ياربّ العالمين.

إنّ كلّ من يحبُّه حضرةُ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾[المائدة: ٥٤] يجازي أقلّ زلّةٍ له بمئة ألفٍ ولا يأخُذُ الآخرين بأوزانِ الجبال من الزّلّات. كلُّ من أُرسل إلى الصحراء فتلك هي الغربة. وهذه ذكرى من سلطان الفقراء ـ عظّمَ الله قدْرَه.

الرّسالة السّابعة

[إلى عـلاء الـدّين چلبـي في دعوتـه إلى المدينة]

[٧١] كما قال اللهُ تعالى ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وفّقه اللهُ إلى العفو الكريم والخُلُق

العظيم ﴿ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح: ٢٦].إذا كان خاطرُ الابنِ العزيزِ، قُرّةِ العيون، افتخارِ المدرّسينَ، مؤنسِ الفقراء، زاده اللهُ علوًّا، قد تغيّر وتكدّر بسبب تقصير الوالِدِ في السّلام والسّؤالِ، وبسبب استعجال الاجتماع بالمجيء من البستان إلى المدينة، فالمرجوُّ أن يتحمّلَ هذه المنغّصاتِ بخُلُقه الحسَن وخَلْقه المحبوب، ويعفو، ويأتي إلى المدينة سريعًا، وينتقلَ بمباركة وسرور؛ ليستيقن الجميعُ أنّه لم يبق في خاطره العزيز أيُّ تغيُّرٍ وتأذٍ، من مخالفات المخالفين. وهذا الوالدُ مرّةً أخرى ممنونٌ مِنّةً عظيمة، تضاف وتنضمّ إلى صُوَر الإحسان والانقياد الأخرى ـ إن شاء اللهُ تعالى.

مهما كان أصحابُك الجُدُدُ من ذوي الجاه والشأن

لا تنسَ أصحابك الأقدمين

إذا كان صاحِبُكَ الجديدُ فذًّا فريدًا

فإنّ صاحِبَكَ القديمَ من أهل البيت أيضًا

واذكــرْ صَــبابتَنا إليــكَ وشــوقَنا وارحــمْ بناتِــكَ، إنّهــنَّ صِــغارُ

وليس خافيًا على العقل الدّرّاكِ لهذا الابن العزيز أنّ في الانتقالِ السّريع إلى هنا، في هذا الوقت، وإلقاءِ الظلّ على الأبناء الأعزّاء وعلى التلاميذ والمتعلّمين، مصالحَ كثيرة يصعب كتابتُها بالتفصيل، بل إنّ سدَّ أفواهِ قالةِ السّوء وإبطالَ كيدهم والتسليةَ ودفعَ ملامةِ الناس هي أكبرُ من الخلوة والرّاحةِ بالعزلة، بل هي أضعافُ هذه الفوائد؛ وكلُّ ما يضيع من فوائد البستان من الاستئناس والاسترواح بالخلوة يُجْبَر بمراعاة الاجتماع ومعاودته بأضعافٍ مضاعفةٍ: «مَنْ جَعَلَ الهمومَ همًّا واحدًا كفاهُ الله سائر هومه»،﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ

لَكُمْ ﴾[البقرة: ٢١٦]،«حُفّتِ الجنّةُ بالمكاره، وحفّتِ النارُ بالشهوات».

أسيءُ أنا فتجازيني أنتَ بسوء،

قلْ لي إذًا: ما الفرقُ بيني وبينك؟

الله، الله، سريعًا سريعًا، يُجيب هذه الدّعوات، كالباز من محلّ الإقامة في العشّ، وكالسّهم من قبضة القوس، بقلْبٍ منشرحٍ وعارضٍ منفسحٍ «الجماعةُ رحمةٌ». ولو كانت هذه الرّحمةُ غيرَ مخفيّةٍ عن الإنسان، لكان ذكرُها من دون طائل ـ جلَّ المصطفى عن ذلك.

[٧٢] ثمّ إنّ اجتماعَ الأشجار والنّاميات دونَ اجتماعِ الحيوانات، واجتماعَ الحيوانات دونَ اجتماع الأناسيّ في السّرور والأنس، واجتماعَ الأناسيِّ دونَ اجتماع الأصحاب الخلّص. وإذا كان للإنسان أنسٌ بالخلوة، ازدادَ أنسُه بأصفياء الصّحبة «الخلوةُ خيرٌ من جليس السّوء، وجليسُ الخير خيرٌ من الوحدة». وهكذا يخلّص هؤلاء الضعفاءَ من مذلّة الغمّ ووسواس الفُرقة ويحرّرهم ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[المائدة: ٣٢].

أن تستعبدَ حُرًّا واحدًا بإحسانِك

خيرٌ لك من أن تحرّرَ أَلْفَ عَبْدٍ

دُمتَ محسِنًا وصافيًا ومصفّى ـ آمين ياربّ العالمين. وصلّى اللهُ على المصطفى إمامِ الحسَناتِ ونظامِ الكراماتِ، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين.

الرّسالة الثّامنة

[إلى مجد الدّين أتابك في جواب رسالته
وإظهار المسرّة بعودته مع الأصحاب]

وصلَتْ سعادةُ الرّسالة المبشّرة المضاعِفةِ لراحةِ القلب والرّوح، من جناب افتخارِ الأمراء، مختصِّ الملوك والسّلاطين، العالِمِ العادلِ، الملَكيِّ الأخلاق، فخرِ الآفاق، فريدِ العالَم، نادرة الزمان، الحسيبِ النّسيب، وليِّ الأيادي والإحسان، مجْدِ الدّولة والدّين علاءِ الإسلام والمسلمين، ناصرِ الهدى واليقين، مع سائر ألقابه التي في الإضمار ويُجلُّها عن الإفشاء والإظهار، أدام اللهُ علوَّه وكبتَ عدوَّه وأحسنَ عاقبتَه ويسَّره لليسرى وجنّبه العُسرى، [وصلتْ] بسعادةٍ وسرورٍ، فحصَلَ من ذلك ألفُ نوعٍ من نُور العين. وإنّ صُوَرَ المواساة والملاطفة والموالاة والمؤاخاة بالألفاظِ اللطيفة الظريفة المضاعِفةِ للمحبّة المذهِبةِ للغمّ المشعِلة للرّوح، تفتحُ مئةَ باب من أبواب بستان الرّوح، ومَنْطِقَ الطّير السليماني ـ خلّد اللهُ دولتَه وأتمّ بُغيته ونصر أحبّتَه ـ صاغَ للآذان حَلَقًا ذهبيّة وفتحَ للعقول بابَ منظرٍ على امتداد البصر. شعر:

لأدّى كتابًــــا في سُــــطُورٍ كأنّهــــا مَخَــانِقُ دُرٍّ في صــدورِ الكواعِـــبِ
[٧٣] وأعذبُ من مـاء الغمـامِ عـلى الظّما وأطيــبُ ريّــا مــن نـسيم الجنائــبِ

ذُكِر حمْدُ الله الذي لا نهاية له، وشُكرُه الذي كلُّ الوجودِ عاجزٌ عن أدائه، «لا أُحصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك» بقَدْرِ إمكانِ البشَر، فإنّ «القليلَ عند الله كثيرٌ»، وما لا يُدركُ كلّه لا يُتركُ كلُّه».

الحمــــدُ لله عـــلى فـــضلِهِ قـــد وصَـــلَ الحـــقُّ إلى أهْلِـــهِ

شعر:

غدا المعشوقُ مطمئنَّ البال، أبقاه الله كذلك إلى الأبَدْ

وغدا كُفرُه إيمانًا، أبقاه الله كذلك إلى الأبَدْ

الملَكُ الذي غدا سيّءَ الحظّ، من الشّؤم غدا شيطانا

ومن جديدٍ صار مُلْكًا لسليمان، أبقاه اللهُ كذلك إلى الأبد

قُرئتِ الفواتحُ لكي لا تقترن خواتيمُ هذه البشارة إلّا بالزيادة، وتُليت آيةُ الكُرْسيّ لكي يُثبِّت سريرُ الحظّ لمريدي الخير للدّين والدّولة على الدّوام، تقبّل اللهُ تلك الدعواتِ التي يُطلقها محبُّو تلك الدّولة ومؤيّدو تلك السّعادةِ في مشارق الأرضِ ومغاربها، في الخَلاَ والملَأ. وتقبّل الحقُّ المتقبِّلُ إلى ما لا نهاية، مِنّةً وتلبيةً للحاجة، كلَّ دعاءٍ في هذا الباب، لأنّ كلّ من تحلّى بأقلّ انتباهٍ يعرف أنّ دعاءَ هذه السّعادة [هذا الشخص] دعاءٌ له من وجوهٍ كثيرة، لا من وجهٍ واحد. وأحَدُ هذه الوجوه أنّنا جميعًا عند التحقيق نَفْسٌ واحدة ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨]، وكلّما علَتْ منزلةُ العضو كان أكثرَ اطّلاعًا على أنّ هذا الاتّحادَ هو صِدْقٌ لا كَذب، صُلْحٌ لا حَرْب. ويجعل الباريُ تعالى هذه البشارةَ مقدّمةً لبِشارةٍ أكبر؛ ذلك لأنّ كلَّ بِشارات الدّنيا طيّبةٌ بُشعاعِ تلك البشارة؛ ولو لم يكن شعاعُ تلك البشارةِ الكبرى موجودًا لما كان لأيّة بشارةٍ في الدّنيا طعمٌ أبدًا، لكان لها طعمُ التّراب والقشّ. فذلك الذي أعطى شُعاعُ عطائه للقشّ قَمْحًا وللدّخان أنجمًا، وللتّراب جمالَ الإنسان، أعطى شعاعُ شمسٍ بشارةٍ وِصاله طعمًا لبشاراتٍ وصالِ الأرواح الجزئية بآمالها ومراداتها، لكي لا يقنع العقلاءُ بهذا، ويطلبوا أصْلَ هذه المرادات ومَعْدِنَها ومنجمَها

الذي لا نهاية له وحصولَ هذه المقصودات، ولكي يصلوا من هذه الفروع إلى تلك الأصول، ويذهبوا من هذا المجاز إلى حقيقة الحصول. وكلُّ إنسان يُثني على الأكابر ويظهِرُ محبَّتهم بلسانٍ ولغةٍ خاصَّين، فإنّ لكلّ قومٍ لُغتَهم الخاصّة بهم: يَمدَحُ الأرمنيُّ بلُغة الأرمن واصطلاحهم، والتركيُّ بلُغة التُّرك. ووراءَ ظاهر اللّغات المختلفة لغاتٌ أُخَر؛ فإنّ متحدّثًا بالعربية لا يفهم لغةَ متحدّث آخر بالعربيّة [٧٤] بمئة مترجمٍ بسبب اختلاف طريقة كلّ منهما؛ أمّا التّركيُّ فيمكن أن يفهم العربيّةَ بمساعدة المترجِم ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء: ٤٤].

جعَلَ اللهُ على الدّوام ضميرَه المباركَ مستغرقًا بمشاهدة رياضِ الوَرْدِ التي لا نهاية لها، الجاذبةِ للقلوب، المفْرِحة للأرواح، الخفيّةِ الواضحة، البعيدةِ القريبة، العَدَمِ في مظهر الوجود، الغريبة في مظهر القريبة المألوفة، المطرِبةِ المنشّطة للشّباب المشعِلة للحياة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[البقرة: ١٤٤].

وعندما أوصلتُ سلامَ ذلك المخدوم، لا زال مخدومًا، إلى حضرة مولانا، أدامَ الله ظلَّه، استبشر حقًّا. وهو يسلِّم ويدعو كثيرًا، ومشتاقٌ إلى اللّقاء المنيرِ لذلك المخدوم دائمًا، ومنهمِكٌ بالدّعوات الصالحة؛ تقبّلها اللهُ تعالى. والأصحابُ جُملةً، صغيرُهم وكبيرهم، يدعون الدّعواتِ الصّالحة في أعقاب الصّلوات الخمس، ويطلبون الزيادةَ والمضاعفة لتلك السّعادةِ، النّفّاعةِ لجُملة الناس؛ تقبّلها اللهُ تعالى.

جعَلَ اللهُ عودةَ أعزّاء دولتنا وعظمائها مباركةً وسعيدةً ومبعثًا للأمن والأمان لدى أهل الإسلام. جعَلَ اللهُ آلامَ السّفَر التي تحمّلوها والمنازلَ الخشنةَ التي قطعوها وتحمّلوها وصُحْبةَ الغُرباء وخشونتَهم التي احتملوها، راحةً للدّراويش وبقاءً لبقية

الإسلام المستثمِر للكرامات والعطيات، وجعَلَ هذا السفرَ سببًا لتوفيقِ المؤمنين كافةً إلى شُكرِ هذا السّعي، ووقوعِ بذرة محبّة المسلمين في قلوب الغرباء؛ لكي تَسحبَ ثمراتُ هذا السّعْي أولئك الغرباءَ إلى الصّداقة الأبدية، والمؤمنين إلى ضياء الشُّكر، ويكونَ هذا السّعيُ ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ويكونَ الأمرُ على أنّ الأكابرَ يقومون بهذا الذهاب ابتغاء دَفْعِ الفتنة، ويُظهر الباريُ تعالى بهذه الوسيلة في قلوب الغرباء عِشْقَ هذا الدّين والافتتانَ به حقًّا؛ كحال ذلك الأعرابيّ الذي مضى مسرعًا إلى ناحية تلك البئر، ابتغاءَ أن يملأ القِربةَ ويطفئ لظى كبده، ثمّ بالتقدير الإلهيّ يخرجُ من البئر المظلمة رسولُ ابنُ رسولٍ، ويجلسُ على عرش السلطنة. «العبدُ يدبّرُ واللهُ يقدّر»، كما قال:

أوظمآن كالأعرابيّ الذي يُلْقي دلوًا في البئر
فيظفر في الدّلو بمعشوقٍ حُلْوٍ كعِدْلِ السُّكّر
أو كموسى الباحث عن النار، الذي اتّجه إلى شجرةٍ
يأتي ليحمِلَ النارَ، فيظفر بمئة صبحٍ وسَحَر
أو كسليمان الذي يشقّ سمكةً
فيجدُ في بطن تلك السّمكة خاتَمَ ذَهَب

إنّ وراءَ غرَضِ الإنسان في كلّ عملٍ مئةَ ألف فائدةٍ لدى إرادة الحقّ؛ وقد جعَلَ الحقُّ ذلك الغرَضَ مِهارًا يُقاد به الإنسانُ ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾

[الأنفال: ٤٢]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ٥٩].

الرسالة التاسعة

[إلى مجد الدّين أتابك في طلَب مساعدة
مالية لنظام الدّين بسبب أضرار رآها]

[٧٥] جعل الله دائمًا أيّامَ الصّاحبِ الأعظم وأعوامَ الصّاحبِ الأعظم، الدّستورِ المعظّم، آصفِ الزمان، نظام مُلكِ الأوان، الأفضلِ الأعلمِ الأعدلِ، ظهير الملّة المحمّديّة، أليفِ القُربة الأحديّة، المنيرِ العَدْل، العليّ الهمم، المغيثِ الأعم، مجْدِ الدولةِ والدّين، أبي الملوك السلاطين، أدامَ اللهُ علوَّه، مصروفةً ومستغرَقةً في التوفيق إلى أفضل الأعمال وأكرمِ الخصالِ، وفي تحصيل رضى حضرة ذي الجلال ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٩ - ٢١]، وجعل أولياءَ هذه الدولة [يريد المخاطبَ] مسرورين، وأعداءَ هذه الحضرة مقهورين، والباريُ جلّ جلالُه ـ أوّلاً وآخرًا هو الحافظ والحامي والمعين والغفور، بحقّ محمّد وآله.

ويطالعُ [المرسَل إليه] السّلامَ والتحيّةَ والدّعاء والثناء من خلوص العقيدة ووداد الطويّة، ويعلم أنّ الشوق إلى اللّقاء المضاعِفِ للسرور المباركِ الجميل السّيماء ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩]، و «تعظيمَ المعبود وبَذْلَ المجهود» باعِثٌ وغالِبٌ. يسّر الباري ـ جلّ جلالُه ـ وهيّأ اللقاءَ الأبديّ الموصوفَ في

﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]، «إنّه على ما يشاء قدير» وبالإجابة والمرحمة جدير.

ولأنّ الصّادِرَ والوارِدَ قد أطلقوا ألسنَتهم بالشّكْر والثّناء على ذلك العزيز من دون انقطاع، يغدو أكثرَ يقينًا أنّ جِدَّ ذلك العزيز واجتهادَه وتَوَقانَه ورغبته العنصريّة الخِلْقيّة [مُنصرفةٌ] إلى «تعظيم أمْرِ الله وطلَبِ رضاء الله، والشفقةِ على خَلْق الله» ذلك لأنّ الشّفقةَ على خَلْق الله معناها أيضًا تعظيمُ أمْر الله. قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «الخَلْقُ عِيالُ الله؛ فأحبُّ الناسِ إلى الله وأعزُّهم وأكرَمُهم، أنفعُهم لعِياله».

يَعرِضُ [المرسِلُ، مولانا] حالَ الابنِ المخلِصِ المعتقِدِ، نظامِ الدّين، نظّم الله أمورَه، فهو ابنٌ قديم لهذا الدّاعي المخْلِص [أي مولانا]، والأخلاقُ التي لا تتيسّر للطالبِ بالرّياضةِ الكثيرة غرَسَها الحقّ تعالى، الوهّابُ ومعطي النِّعَمِ قبْلَ استحقاقها والقديمُ الإحسانِ، في جِبِلّته؛ [٧٦] وقد كان كسْبُه ومالُهُ دائمًا مصروفًا على الفقراء الرّبّانيّين، ولديه مساعداتٌ لا حدود لها في خدمة الفقراء بروحه وبجسده؛ تقبّل اللهُ منه.

والمرجوّ من رعاية الصّاحب الأعظم للدراويش ومن ملاطفته للمساكين، عظّم اللهُ أجْرَه في الدّارين، أن يبسط ظلَّ اللّطف والرّحمة والسّلطنة على أحواله؛ لأنّه قد مُني بضروب من الخسارة والضّرَر لا أُزعِجُكم بشَرْحها وبيانها، لكي يُدّخر لكم الثوابُ الجزيلُ والثناءُ الجميل. وستكون هذه العنايةُ وتلك الإعانةُ من عظائم الخيرات، ومستثناةً من الخيرات الأُخَر التي لها تعلّق بالفقراء الصّادقين. دُمْتَ محسِنًا، آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة العاشرة

[إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء أو
مجد الدّين أتابك في طلَب إطلاق سراح
نجم الدّين بن خُرّم چاوش]

أيّدَ اللهُ بفيضِ نورٍ ربانيٍّ الرأيَ العالي لملِكِ الوزراء، مُغيثِ الإسلام، ناشِرِ الخيرات والإكرام، أدام اللهُ علوَّه، الذي هو اليومَ ملجأ المسلمين.

يبلّغكم السّلامَ والدّعاءَ وشكْرَ الأيادي؛ وكلُّ فَضْلٍ يقدَّم يكافَأ عند ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] أضعافًا مضاعفةً.

وفي الأخبار أنّ يوسُفَ الصّدّيق، عليه السّلامُ، ظلّ صائمًا اثني عشر عامًا ولم يَضَعْ جنْبه على الأرض. فقيل له إنّه قد سُلِّم لكَ بمُلْكِ الدّين والنُّبوّة وسُلِّم لك بمُلْك الدّنيا، فهذا أوانُ الرّاحة بعد هذه المجاهدات «إنّ لنفسِك عليك حقّا»، فقال: إذا لم أر كلَّ إخوتي قد ارتدوا خِلْعةَ النُّبوّة فلن أرتاح. يجلسُ يوسفُ في الظلّ، وإخوتُه في الشّمس محرومون! حاشَ. قالوا: إنّهم لم يفوا هذا الوفاء الأخويّ الهائل. فقال: أريدُ أنْ أعلّمهم وأعلّم غيرَهم التآخيَ والسّلطنة.

وقد عُرِضَ عليكم حالُ الابنِ العزيز نجم الدّين بن خُرَّم چاوش، عجّلَ الله فَرَجَه وفَرَجَ المسلمين. وقد تفضّلتُم عليه بألطافٍ ووعود، لكنّه لم يحن الوقتُ إلى الآن. ويلتزم الدّاعي بأنّه إذا ما تجاوز عنه مليكُ العالَم، خلّدَ الله مملكتَه، بالسَّعْي المبارك لملِك الوزراء عظّم اللهُ علوَّه، فسيقولُ مرّات عديدة: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا ﴾

[الأعراف: ٢٣]. وإذا لم نلتمس ذلك من حضرتكم فممّن نلتمس؟ فاليومَ، السّاعي إلى الخيرات ودافعُ البليّات عن أعراض المسلمين هو رأيُ الصّاحبِ الأعظم ـ [٧٧] جعَلَه اللهُ مؤيّدًا وموفّقًا. وأنا أعلمُ أنّ هذا وقتُ اضطرابٍ ومشاغل، لكنّ نار الفِتَن لا يُطفئها إلّا ماءُ الخيرات: «داووا مرضاكم بالصّدقة». في زمان عُمَر رضي الله عنه اندلعت نارٌ في المدينة وأخذت تحرق، فاشتغل أهلُ المدينة بجَلْبِ الماء. فقال أميرُ المؤمنين عُمَرُ رضي الله عنه: اشتغلوا بالصّدَقات لأنّ هذه النارَ تُطفئها الصدقات. والأولى في شأن مِلِك الوزراء أن تصطنع رحمتُه الرّحماتِ وتقدّم الإحسانات للخَلْق الذين لمّا يأتوا إلى الوجود. وفّقه الله توفيقًا مضاعفًا.

الرّسالة الحادية عشرة

[إلى أحد الوزراء في التهنئة
برجوعه وأصحابه]

جعَلَ اللهُ فتوحاتِ الغَيْب ومواهبَ السّماء وإقبالَ الدّنيا والآخرة، نِثارًا لدولةِ مِلِك الأمراء والأكابر، مغيثِ المظلومين، مُعينِ الفقراء، المعظِّم لأمرِ الله، المصدِّقِ لوعد الله، الذّاكرِ لآلاء الله، الشّاكر لنعماء الله، كهفِ المستغيثين، ملاذِ الملهوفين، ظلّ الرّحمة الوافية، نظامِ المُلْكِ، صاحبِ الدّولتين، ذخرِ الحضرتين، أدام الله علوّه، أبدًا مخلّدًا. وجعَلَ سفرَ رِكابِه المبارك وحَضَرَه ونهضتَه ومراجعتَه، التي يقوم بها من أجل صَلاحِ الإسلام وأمانِ أهل الإيمان ودَفْع الآفاتِ والفِتَن، مقبولةً ومبرورةً. والشوقُ

إلى لقاءٍ لا يكون معه وَهْمُ فراقٍ وخوفُ مَلالٍ وأذى سأمٍ واختلافُ طباعٍ وخوفُ نعيق غُراب البَيْن وكَيْدُ زمانٍ، وأنْ يُكْتَبَ على سُرادقِ مجلس إخوان الصّفاء وأصحابِ الوفاء هذا بخطّ الخلود والبقاء: «هذا وِصالٌ لا فراقَ بعْدَه، وهذه حياةٌ لا موتَ يعقبُها، ذُبح الموتُ ذبحًا لا رديدَ له». يسَّر اللهُ وهيّأ مثلَ هذا اللقاء بذلك الحسَنِ الخصال الطّاهرِ الجِبِلّة. إن شاء الله تعالى.

لديّ صورةٌ مشوّشةٌ غيرُ مؤدّبة، أُبعِدُ إزعاجَها عن محضر أكابر الدّولة أيّدهم اللهُ ونصَرَهم، ؛ ولديّ ضميرٌ مشتاقٌ مُحِبٌّ مُخلِصٌ، أرسِلُ بالدّعاء لكي لا تكدّر وقاحةُ الصّورة صفاءَ القلبِ المخلِص. جعَلَ اللهُ هذا العذرَ مقبولًا. والسّلام.

الرّسالة الثّانية عشرة

[إلى ملِك الأمراء في التوصية
بيهاء الدّين بحري أو خيّاط]

[٧٨] أتمّ اللهُ، سبحانه وعزّ شأنه وتعالى ـ مملكةَ الدّنيا التي هي وسيلةٌ إلى مملكة العُقْبى على مَلِكِ الأمراء، غوثِ الله في الأرض، ملاذِ الضّعفاء والملهوفين، المؤيِّدِ بالعطيّة الأبدية والدّولة السّرمديّة، كريمِ النِّجار، قليلِ العِثار، جميلِ الخِصال، حميدِ الشِّيَم، مشروحِ الصّدر، رفيعِ القَدْر، مدَّ اللهُ جَلالَه في الدّولة الدّائمة المصونة عن اللائمة. يقرأ السّلامَ والتحيةَ من هذا الدّاعي المخلِص، ويعلَمُ أنّ الشوق إلى اللقاء الميمون والطّلعة المباركة ـ جعلَها الله من قَبيل ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ

مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٣٩] - غالِبٌ وباعِثٌ، وأنّني شاكِرٌ للنّعَم وذاكِرٌ للكرَم والإحسان من دون حدود - تقبّل الله منه وجزاه أحسنَ ما جزى به محسِنًا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠]. ولو أنّ معاناةَ الشّوق والمحبّة وائتلاف القلوب كُتبت في رسائل لوصلت في كلّ يوم رسالةٌ طويلةٌ من هذا الدّاعي إلى وليّ الإنعام هذا، ولكنّ العقلَ لا يسمح أن يظلّ بابُ الإزعاج والإبرام مفتوحًا. «والمودّةُ كنزٌ، والكنزُ بالإخفاء أولى، وإن كانت المحبّةُ لا تختفي»

يــا حَـسْرةً للعاشــقين تحمّلــوا ثِقَــلَ المحبّــة والهــوى فــضّاحُ

كيف يخفى العِشْقُ وضميرُ القلبِ ومِـن العَـيْنِ إلى الخـدّ ألـفُ رقيـب؟

« من القَلْب إلى القلب رَوْزَنةٌ». أدام اللهُ هذه المحبّةَ فإنّ «أحبَّ الأعمالِ عند الله تعالى وأفضلَها الحُبُّ في الله تعالى». ومساعي الخير يقوم بها لكي تكونَ هذا الناحيةُ في أمانٍ ويكونَ أهلُ الخير مشتغلين بمعالي الأمور بفراغٍ وأمانٍ، ويعودُ ثوابُها كلّها إلى فريد العالَم قيّومِ الخيرِ، الذّابِّ عن حريم الدّين والحَرّاس لبيضة الإسلام، أيّده اللهُ ونصَرَه وكلأَه ومن الفضل لا أخلاه. إنّ حاملَ التّحية [الرّسالة] بهاءَ الدّين، زاد الله بهاءه، متوجّهٌ إلى الحضرة. قال النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ جمَعَ شملَ مُتفتّت جمَعَ اللهُ شمْلَه». المؤمّل أن يُنظَر إليه بنظر العناية، وأن يعودَ شاكرًا وذاكرًا، مثل المحتاجين كافّةً؛ لكي يُدّخر ذلك في الثّناء الجميل والثواب الجزيل، إن شاء اللهُ تعالى.

الرّسالة الثالثة عشرة(*)

[رسالةٌ بليغةٌ يبدو أنّه
لم يتوجّه بها إلى أحد]

[٧٩] سِراجُ الذّاكرين، تاجُ الشّاكرين، رائضُ مطيّةِ النفس، فاسخُ صفقةِ البَخْس، وارثُ الفَلَاح، سالكُ نهجِ الصّلاح، المنيبُ إلى الله، المتوكِّلُ على الله، خالعُ ثياب الدَّنَس، عامِرُ أركان خير الكنس، صاحِبُ الوفاءِ والاستقامة قبْلَ يوم الندامة، مَعْدِنُ الحياء، خالعُ الرّياء، طالبُ بشارة المعرفة، المعتصِمُ بحبل الله، المعتمدُ على فضل الله، سالكُ سُنَنِ الأنبياء، ناصرُ زُمرة الأولياء، طالبُ محو الأوزار بحسن الاعتذار، مستقِلُّ الفاسدات، مستكثِرُ الصّالحات، مُرسِلُ النّفس في أحكام الله، مُدّخِرُ الخير لأنام الله، الرّاضي بالقضا، الثابتُ في الرّضا، ساكنُ القلبِ بموعود الله، الواثقُ بجود الله، المستظهِرُ بنعيم المولى والمقدَّمُ على الأفاضل والأولى، الصّافحُ عن عثرات الخُوّان، المنجِحُ لحاجات الإخوان، راجعُ النفس عن الخصال المهان، الصادقُ عند الجفا، الثابتُ عند الوفا، كافُّ الأذى، باذلُ النّدى، تاركُ الشكوى، أليفُ الحقّ، رديفُ الصّدق، المركَّبُ بأحسن التركيب، والمرتَّبُ بأيمن الترتيب، أحسنُ جواهر الحيّات، ترياقُ سُموم البليّات، ثمرةُ شجرةِ العقول، مُحرِقُ ريع الفضول، ذو الخصال الكريمة، حافظُ عهد المودّة القديمة، تاجُ أرباب الدّول، قاطعُ حبائل الأمَل، سائسُ رعيّةِ الحواسّ، باسط طريقة الاستئناس، مطيّةُ الحال، كيِّسُ المآل، المستأنسُ بالذّكر، المصيبُ

---

* هذه الرّسالة بالعربيّة في الأصل [المترجم].

في الفكر، رافعُ هفوات الإنسانية، قامعُ خطوات الشّيطانية، البعيدُ عن الدنيا، القريبُ إلى المولى، المفرّغ نفسَه من أربه، المقبِلُ بوجهه على ربّه، المتبرّئ من قوّته وحَوْله، المتمسّكُ بفَضْل الله وطوْله، محمودُ الخُلُق، مقبولُ الحقّ، المختومُ بخاتم الفَلاح، الفارسُ على مركب النجاح، طالبُ الآخرة والمناسك الفاخرة . والسّلام.

الرّسالة الرابعة عشرة

[إلى أكمل الدّين الطبيب جوابًا لرسالته]

وصَلَتِ التّحيةُ والسّلامُ من الصّدرِ الكبير، ملِكِ الحكماء، أصفى جواهرِ الحيّات، ترياق سُموم البليّات، ثمرةِ شجرة العقول، قامعِ غوائل الفضول، ذي الخصال المحمودة والخطوات المقصودة، رَضِيّ [٨٠] الصّدّيقين، يَنبوعِ اليقين، ذي التّقى والورَع، خير مَنهلٍ ومُكترَع، عالي الأفكار، سَنيّ الأذكار، أكملِ الحقّ والدّين، راحِ الرّوح، مفتاحِ الفتوح ـ أدامَ الله فَضْلَه، وخوّلَه وأولاه ومنَحَه وأعطاه خيرَ ما أعطى مُحْسِنًا، [فجاء] مشابهًا لكرَمه وفضله، مشاكلاً لنُبله وسُؤدَدِه، موازيًا لشَرَفه ومحتده، ووصَلَ إلى المشامّ من ذلك نسيمُ المودّة وخلوصِ المحبّة، وقوبل بالشكر والدّعاء.

فما كلُّ مَنْ قادَ الجِيادَ يسوسُها ولا كلُّ مَنْ أجرى يُقال له مُجري

والحَمْدُ لله الذي خصّه بالفَضل، وأيّده بالسَّبق، وردّاه من المجد، وزادَه برًّا وفضلًا، وقدّمه إلى الخيرات قولًا وفعلًا، فزاد هيجانُ الشوق، وتضاعف:

ووددِتُ أن أُعطى المنى فأطير مِنْ شوقي إليه مع الحَمامِ الطّائرِ

فيطالعُ السّلامَ والتحيةَ من هذه الناحية، ويعلَمُ أنّ الشوق والتعطّش إلى ذلك

اللقاء العزيز، الذي ترتاح له النفسُ ويتكامل به الأنسُ ويبجِّل موقعُه من العقول ويعمّر ما سلفَ مِنْ بِرّه ويحلّ عندي محلَّ النِّعم الجِسام والمواهب العِظام، غالِبٌ وباعث. يسّر اللهُ اللقاءَ وهيّأه في أيمن الأوقات.

الرّسالة الخامسة عشرة

[المخاطَب غير معلوم. وربّما تكون إلى مُعِين پروانه في التوصية بأبناء الأمير سيف الدّين حَمّاء]

فقُرْبُكَ من صَوْبِ السّحائبِ أنجَعُ ... وأجدى على أهلِ البلادِ وأنفعُ
فعِشْ للمساعي والمآثِرِ والعُلى ... فإنّ حِماها ما بقيتَ مُمَنَّعُ

عزَم اللهُ له على الرّشدِ الأعظم، ووفّقه وتولّاه به. إنّي لم أملِكْ من الله إلّا الدّعاءَ المرجوَّ بركتُه، المأمولَ إجابتُه، سَمِعَه اللهُ وقبلَه واستجابَ فيه صالحِه وأفضلَه.

في هذا الزمان تضرّعَ أبناءُ الأميرِ سيفِ الدّين حَمّاء، أميرِ العالَمِ ـ سلّمهم الله ـ برسالةٍ إلى جناب مِلِكِ الأمراء، مقبولِ الحقّ، محمودِ الخُلُق أدامَ اللهُ علوَّه، لكي يأذن لأبيهم بالمجيء إلى هنا لكي يروه ويرتاحوا، وأوصي بأن يُسلّموا هذه الرّسالة إلى حضرتكم [٨١] لكي تُعرض في أوانها بحُسْن العَرْض، وتُقضى حاجةُ هؤلاء المحتاجين إن شاء الله تعالى.

ومعلومٌ في هذه السّنة أنّ سيّدَ المشايخ، جُنَيدَ الزّمان، أبا يزيد الوقت، أمينَ القلوب، مُشرّفَ الحقائق، حُسامَ الحقّ والدّين، أدامَ اللهُ بركتَه، بسبب عمارة حائط

بستانٍ كان قد هُدِّم، لقي عَنَتًا كبيرًا، وأنفق مالًا كثيرًا، ومعلومٌ لديكم أنّ خاطر هذا الدّاعي حريصٌ على أن يُساعَد في هذا الإنفاق. لم يكن الكبراءُ هنا، وخاطِرُكم الأشرفُ متأسٍّ بخاطر هذا الدّاعي

روحي بروحِك ممزوجٌ ومتّصِلُ فكلُّ عارضةٍ تؤذيك تؤذيني

ضاعف اللهُ هذا الاتصالَ، والمقصودُ معلوم. ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾[البقرة: ١١٠ و المزّمّل: ٢٠]، ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩].

أنتَ لنا في الرّخاءِ جَمالٌ وزينةٌ، وفي الشدّة عُدّةٌ وذخيرةٌ.

الرّسالة السّادسة عشرة

[إلى معين الدّين پروانه في إبلاغه
شكرَ أبناء سيف الدّين]

وفّر اللهُ قِسْطَ مِلِك الأمراءِ المتبرّئ من قوّته وحَوْله، المتمسِّكِ بفضل اللهِ وطَوْله، المختومِ بخاتَم الفلاح، الفارسِ على مركب النجاح، طالبِ الدّار الآخرة والمنازل الفاخرة، أليفِ العَدْلِ والإحسان، رديفِ الصّدق والإيقان، المقبولِ عند الحقّ، المحمودِ عند الخلْق، مُعينِ الدّولة والدّين، أدامَ اللهُ علوَّه وأخلصَه لطاعته وتابعَ السّرورَ وظاهر لديه الحبور، وكثّر قِسْمتَه من سعادة الدّارَين وكرامة المنزلتين. يطالعُ السّلامَ والتحيّة، ويعلَمُ أنّ التّوق والشّوق إلى لقائه الذي هو روضةُ الأنوار ونزهة الأبصار، وتَقَرُّ به العيونُ ويُسَرُّ به المحزون، الذي جعلَه اللهُ للسّرور نظامًا وللنعمة

تمامًا، غالِبٌ وباعث.

إنْ كنتَ لستَ معي فالـذّكْرُ منك معي قلبي يـراكَ، وإنْ غُيّبْـتَ عـن بـصري
العـينُ تفقِـدُ مـنْ تهـوى وتُبـصِرُه ونـاظرُ القلـبِ لا يخلـو مـن النّظـرِ

[٨٢] والآن فإنّ ملتمِسي هذه التحيّة وجاذبي هذا الإبرام إلى حضرتكم، أبناءَ العبد المعتَق المحرَّر سيف الدّين الأعزّاء وعشيرتَه، هذا الذي عُفي عنه وغُفِر له وارتدى خِلْعةَ تشريف عفوكم ومغفرتكم، [ذرّيته وأبناءه] أُحيُوا وظفروا بحياةٍ جديدة، وفي الرّكوع والسّجود والصّلَواتِ والخلوات يردّدون شكْرَ تلك النعمة والدّعاءَ لتلك الدولة، ويتمنّون أن يكون هذا الذي بلغ الأذنَ والعقلَ من ألطافكم الملكيّة وضروبِ إحسانكم الذي لا حدود له مُشاهَدًا بالعين أيضًا ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[البقرة: ٢٦٠]، يصيحون مثْلَ إبراهيم: ﴿ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[البقرة: ٢٦٠] بذلك الكرَم العميم إذ جعلتُم أنفسَكم، مِثْل الشّجرة الطيّبة،ترسًا لسطواتِ شمس الآفات لكي تستريح الخلائقُ في ظلّكم من تلك السّطواتِ، جزاكم اللهُ خيرا.

وإذا ما وصَلَ مرادُ القلبِ إلى هؤلاء الضعفاء الذين يزحفون كالسَّمك أملًا في أن يَرْحَمَ أميرُ الماءِ ويعطف، لا زال أميرًا، ويُجريَ هذا الماءَ من جديد إلى هذه الناحية، فسيكون الثّوابُ كبيرًا. «ارحَمْ مَنْ في الأرضِ يرحمْك مَنْ في السّماء». جعلَكَ الله دائمًا مُستغاثَ الضّعفاء والأقوياء في هذه الدنيا ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾ [الضحى: ٩-١٠]، وصلّى اللهُ على محمّد وآلِه وأهلِ دينه

الطّيّبين الطّاهرين، ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف: ٦٤].

الرّسالة السّابعة عشرة

[إلى مجد الدّين في طلب إعفاء كمال الدّين من الخراج]

أدامَ اللهُ التوفيقَ إلى الخير والطّاعة، التي هي رأسُ مال كلّ سعادةٍ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ميسّرًا للزمانِ المبارك للأمير ذي الدّين، وليّ الأيادي والنّعم، والإحسان والكرَم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]، مُربّي المظلومين، مُغيثِ الملهوفين، مجدِ الدّولة والدّين، أدامَ اللهُ علوّه، وكان اللهُ تعالى مرشدًا وهاديًا وموفّقًا ومسدّدًا له في كلّ الأفعال والأقوال والأحوال، بمحمّد وآله.

يطالعُ السّلامَ والتحيةَ، اللّذين هما من الواجبات، ويعلَمُ بأنّ الاشتياق إلى لقائه المبارك لا حدودَ له. جعلَنا الله ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

إنّ رافعَ التحية الابنَ العزيز كمال الدّين، كمّل اللهُ سعادته، من الأبناء المخلصين للدّاعي، وهو مشغولٌ بالطاعاتِ والأورادِ والتفكّر في أمر المعاد، ولأنّه في الدّين أهمل داعيةَ الكسب والتفكير في الحرص، لا شكّ في أنّه تضرّر كثيرًا في جانب المال، وعليه

دَينٌ وهو مُعيلٌ . والأمَلُ معقودٌ في أن يُعفى مما يُفرض على العامّة، لأنّه «ليس على الخرابِ خَراجٌ»؛ لكي [٨٣] يشتغل بالدّعاء لدولتكم وتكونَ المِنّنُ على هذا الدّاعي، ويُضمّ هذا إلى ضروب الإحسان التي لا حصر لها في السّابق. دُمْتَ محسِنًا.

الرّسالة الثامنة عشرة

[يبدو أنّها موجّهة إلى أمين الدّين ميكائيل (نايب بيك) في التوصية بشمس الدّين محمّد بن جمال الدّين لكي يُعهد إليه بعمل]

أدامَ اللهُ السّعادةَ والإقبالَ والدّولةَ والتوفيقَ إلى الطاعة وتيسيرَ العبادة كما قال تعالى : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الليل: ٧]، وجنّبه العُسرى، مُقيّضةً وميسَّرةً للأيام المباركة لمِلكِ الأمراء والخواصّ، مغيثِ المظلومين ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]، العالي الهمّة، اللّطيفِ الإدراك، الصّادقِ الفِراسة «ينظرُ بنور الله»، العظيمِ المباركِ [أُلغ قُتْلُغ بالتركيّة] نادرة الزمان، النّاشرِ للإحسان، نايب بيك ـ أدام اللهُ علوّه! وجعَلَ أولياءه منصورين وأعداءه مقهورين، وطاعاته مبرورةً. يُبلّغ السّلامَ والدّعاء بصدقٍ وصفاءٍ، والشوقُ إلى لقائه المباركِ يزداد لحظةً فلحظة. جعَلَنا اللهُ ﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧].آمين ياربّ العالمين.

إنّ حامِلَ التحيّة، شمْسَ الدّين محمّد بن جمال الدّين، ابنٌ عزيزٌ مخلصٌ، وهو فقيرُ الحال جدًّا ومسكينٌ، وكان أبوه جمالُ الدّين الأميرُ أحمدُ رحمه اللهُ منذ الصّغر ابنًا وملازِمًا لهذا الدّاعي. المؤمَّلُ من مكارم الأخلاق السّلطانية العاملة بمبدأ «خيرُ الناس من ينفع الناس» أن تأمر له بعملٍ يليق به، فيغدو من عبيدكم، لكي يتشرّف ويفتخر على أبناء جنسه ويباهيهم، وبهذا الفراغ ينشغلُ بالدّعاء للدّولة. دُمْتَ مغيثًا للخلائق. وسيكون الدّاعي ممتنًا لهذا، وينضمّ إلى الألطاف السّابقة التي لا حصر لها.

الرّسالة التّاسعة عشرة

[إلى أحد الأمراء في التوصية
بنظام الدّين]

أدامَ اللهُ ظلَّ ملِك الأمراء، سيّدِ الخواصّ، المعظّم لأمر الله، أدامَ اللهُ علوّه، يُبلّغ السلامَ والدّعاء [٨٤] ويعلَمُ أنّني مشتاق، وبتلك الجرعة زاد عطشُ الاشتياق ولم يسكن. جعلَنا الله ﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]. قال الله تعالى لموسى: «إذا رأيتَني على بابِكَ كيف تصنع؟ - قال: يا ربُّ، أنتَ منزَّه عن ذلك. قال إذا رأيتَ عبدًا من عبادي على بابِك، فافعلْ به ما أنتَ فاعِلٌ بي؛ فإنّي اصطفيتُه من عبادي ونوّرتُه بنُوري وأحييتُه بحياتي».

عُرِضَ على جَنابكم من قبْلُ أنّه برغم أنّ الصّلاةَ عمَلٌ فاضلٌ، فإنّ روحَ الصّلاة ومعنى الصّلاة أفضلُ من الصّلاة، مثلما أنّ روحَ الآدميّ أفضلُ من صورة الآدميّ

وأبقى؛ ذلك لأنَّ الصّورة لا تبقى وروحَ الآدميّ تبقى، وصورةَ الصّلاة لا تبقى ومعنى الصّلاة وروحَها يبقى، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].ومن أجْلِ هذه الكلمة ذُكرت حكايةُ ذلك الشيخ التي تذكر أنّه عندما تركت تلك الجماعةُ تعظيمَ شيخها قائلةً: إذا كنتَ لا تصلّي صلاةَ المغرب فسنقوم نحن ونصلّي. وبرغم أنّهم لم يقولوا هذا صراحةً، فإنّ إدراك المشايخ لا يحتاج إلى كلام اللّسان «إنّهم جواسيسُ القلوبِ يدخلون في قلوبكم ويخرجون من أسرارِكم، فإذا جالستموهم فجالسوهم بالصّدق، فمن أرادَ أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوّف».

ما دُمتَ ترى قومًا فتخلّ عن نفسِك

فإنّهم معكَ فوق التّراب ولكنّهم أسمى من الأفلاك

برغم أنّه في الصّورة فوق الأرض،

هو في المعنى في السّماء السّابعة

وهكذا يبيّن الفقيهُ صورةَ الصّلاة: أوّلُها تكبير وآخِرُها سلام؛ أمّا روحُ الصّلاة فيبيّنها الفقيرُ بأنها: «الصّلاةُ اتصالٌ بالله من حيث لا يعلمه إلّا الله». وشرطُ صورةِ الصّلاةِ هذه التطهُّر بنصف مَنّ من الماء، وشرطُ روح الصّلاة أربعون سنةً من مجاهدة الجهاد الأكبر ودَمُ العينِ والقلب والخروجُ من سبع مئة حجابٍ ظُلْمانيّ، وأن يموتَ الإنسانُ ويتخلّى عن حياته ووجوده، ويحيا بحياة الحقّ ووجوده.

إذا لم تستطعِ الجلوسَ على سرير المُلْك مِثْلَ الملوك،

فتمسّكْ بطِناب خيمة الملِك مِثْلَ الفرّاشين

لأنّكَ لستَ سلطانًا، كُنْ من الرّعيّة

ولأنّكَ لستَ نبيًّا كُنْ من الأمّة

لكي تدخل فيمن قيل فيهم: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].أمّا إذا اغتررتَ بصورة عمَلِك وطغيتَ، وأدرتَ وجهك واستغنيتَ عن أقطاب زمانك، الذين هم نُدَماءُ القلب ونُدماء الروح، [٨٥] وظننتَ نفسَكَ في صلاةٍ وقد توجّهتَ إلى القِبْلة، فإنّك على الحقيقة تكون مِثْلَ ذلك الدّرويش الذي رأى الإمامَ والقومَ قد أداروا ظهورَهم إلى القِبْلة، بينما رأى ذَيْنِك الشخصين اللّذين كانا جالسين في خدمة شيخهما [ولم يقوما إلى الصّلاة] متوجِّهَين إلى القِبْلة؛ هكذا مثلما قال الحقُّ لأبي يزيد قدّس اللهُ سِرَّه: «اخرُجْ بصِفاتي إلى خَلْقي، مَنْ رآك رآني، ومَنْ قصَدَك قصَدَني»، وهكذا إلى آخر هذا الحديث الذي لا نهاية له. نوّرَ الباريُ سِرَّك الطّاهرَ وأوقفكَ على روحِ الإيمانِ والصّلاةِ وحقيقتهما، اللّتين هما وراءَ صورة الإيمان والصّلاة إنّه الهادي والموفّق.

وفي شأن الابن المخلِص نظام الدّين، نظّمَ اللهُ أمورَه، كنتم قد أرسلتُم وعودَ خيرٍ وإحسانٍ وعونٍ، فامتَنّ لكم ودُعي لكم بالخير. وأنا أنتظر وأتطلّعُ بالعين والأذن إلى أن تُكمَل هذه الأفضالُ فإنّ «إتمامَ المعروف خيرٌ من ابتدائه». إنّ النيّة للصّلاة والتكبيرَ شيءٌ طيّبٌ، أمّا عندما تُكمّل الصّلاةُ بالركوع والسّجود والقعود فتكون أجملَ وألطف. إنّ الإحسانَ والنيّة الحسنة كالهلال وإتمامها يُشبه تحوّلَ الهلالِ إلى بَدْر تمام، حماكم الحقُّ تعالى من قُطّاعِ طريق الظّاهر وقُطّاعِ طريق الباطن، خذلَهم الله، الذين لا يريدون إنسانًا

طيبًا، ويريدون من كلّ إنسانٍ أن يكون مثلَهم منقلِبًا يائسًا.

مَنْ كان لديه ضعفٌ في الطّبع

لا يريدُ لِأحَدٍ أن يكون صحيحًا مُعافى

وعندما يتشاورُ الوالي الجديدُ مع الوالي القديم المعزول يحضّه على أعماله لكي يُعزَل مِثْلَه. وإنّ الشيطانَ الخفيّ والإنسانَ الشيطانيَّ الصّفات وُلاةٌ معزولون وحُسّادٌ ويقطعون طريقَ الخير على الإنسان بمئات الكلمات الدّسمة ويُفتِّرون محبّةَ الخير في قلبه.

عنـــدما يغـــدو لـــسانُ الحـــسد نخّاسًـــا

لا تجدُ في يوسُفَ إلّا ذراعًا من الكِرْباس

فاحذَرْهم، والجأْ إلى الله، وازرعْ بذورَ الخير بجِدّ، قبل أن تذهب، ويبقى المخزنُ المملوءُ بالحنطة غير المزروعة ميراثًا

قبْلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ

لا بدّ من أن تُعطيَ كلَّ عطيةٍ جديرةٍ بالعطاء

والمتوقّع أن لا يَعُدّ هذا الخيرَ من ضمن الخيرات الأُخَر، وأن يَعُدّ هذا الخيرَ منفصلًا عن تلك الخيرات في الفضيلة؛ ذلك لأنّ زراعة البصل ليست كزراعة الزعفران. دُمْتَ مُحسِنًا من أولئك المحسِنين الذين يعلمون ويعملون ويعلمون ما يعملون، يقينًا من دون تردّد؛ ويذهبون ويعلمون إلى أين يذهبون ـ وفّقه اللهُ وسدّده وثبّته وعصَمَه بفضله وكرَمه وهو أرحمُ الرّاحمين. والصّلاةُ على محمّدٍ وآله الطّيّبين الطاهرين، وعلى جميع الأنبياء والمرسَلين. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة العشرون

[في الرّدّ على شجاع الدّين
في موضوع الشوق إلى لقائه]

[٨٦] جَعَل اللهُ الخيراتِ والحسناتِ والصّدقاتِ التي يقدّمها الأميرُ قائدُ الجيش الأجلُّ الكبيرُ، العالمُ العادلُ، أسدُ الوغى، مقدَّمُ الجيوش، افتخارُ المجاهدين، الميمونُ، العظيمُ، السّعيد، العالمُ، الخطيبُ، المعتمدُ، المتقي، الرّبانيّ الهِمّة، شجاعُ الدولة والدّين، عضدُ الإسلام والمسلمين - أدام اللهُ علوّه وكبت بالذّل عدوّه - مقبولةً(*) ومبرورةً لدى حضرة ذي الجلال والإكرام ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ والتحيّة والثناء. و الاشتياقُ الذي ذكَرَه، عَلِم اللهُ تعالى وتقدّس، لدى هذا الدّاعي أضعافُه وآلافُ مِثْلهُ. ويجعلُ اللهُ تعالى، جامعُ الشّتاتِ ومحيي الأمواتِ ومجيبُ الدّعواتِ وقاضي الحاجات، عزّ وجلّ، في العاجل سببًا لملاقاتِكم وموافاتِكم اللطيفة الشريفة هذا الدّاعيَ «إنّه مجيبٌ سميع».

وقد حُكي أنّ السلطانَ محمودًا [الغزنويّ] قدّس اللهُ روحَه في حَرْب الهند، هُزِم هزيمةً نكراء، وكان جيشُ الهند كثيرًا جدًّا، وهكذا يئس عسكرُ السّلطان محمود. وفي

* المفعولُ الثاني للفعل« جعَلَ» في أوّل الفقرة [المترجم].

هذه الحال من اليأس سجَدَ السّلطانُ لله وقال: يا إلهي، عاهدتُك على أنّك إذا ما نصرتَنا فإنّ كلّ ما نغنمه ونحن في هذا اليأس ستصدّق به كلّه على الدّراويش. وتضرّعَ فاستجاب السّميعُ للدّعاء دعاءَه فهبّت رياحُ النّصر، ووقع هَلعٌ عظيم في قلوب مقاتلي الهند، وهُزموا، وجاءت غنائمُ لا حصر لها من جيش الهند، من الخزائن والخيل والعبيد ممّا لم يُحصل عليه في أيّة معركة. فقال الملِك: لا تأخذوا شيئًا، فقد نذَرْتُ. فضجّ الجندُ بالشكوى [قائلين]: إنّ الجيش محتاجٌ جدًّا، وقد خاض معاركَ طاحنة؛ فإذا نذرتَ أن تُعطي الغنائمَ للدراويش، فإنّ هؤلاء [الجند] أيضًا دراويش، صار الجندُ دراويش. فتضرّعوا كثيرًا حتّى خيّلوا للملِك أنّ هذا خيرٌ أيضًا. أدركتِ الحيرةُ الملِكَ وصار يبحث عن التأويل. وعلى حينِ غِرّةٍ مرّ مجنون فقيرٌ من الفقراء الإلهيّين الرّبانيّين، وليس من فقراء الخبز. فقال السلطانُ: ادعوه، لكي نحكي له قصّةَ هذا النّذر. فقال الدّرويشُ: إذا لم تكن لك حاجةٌ إلى الحقّ مرّةً أخرى، فافعَلْ ما يقولونه لك. أمّا إذا كنتَ ستحتاج إليه مثلَ هذه المرة ثانيةً فتذكَّرْ هذه الساعةَ ولا تحوِّل النَّذر.

ألا يعلَمُ الدّاعي ما الباعثُ على هذه الحكاية التي تُكتب؟ ـ بل أعلَمُ أيضًا أين تذهب ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾[المائدة: ١].

[٨٧] قبْلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ

لا بدّ من أن تُعطيَ كلَّ عطيّة جديرةٍ بالعطاء.

ليس لميتٍ حسرةٌ على الموت، بل لكلّ ميتٍ حسرةٌ على الفَوْت؛ لماذا لم أفعلْ ذلك الشيء؟ وليس لدى الدّاعي ما هو أفضلُ من هذه الموعظة ليرسلَه. والأمَلُ أن تقع موقعَ القبول. دمتَ موفّقًا ومؤيّدًا.

الرّسالة الحادية والعشرون

[إلى علَم الدّين قيصر في جوابٍ
لرسالته، وتتضمّن نصائح وشكرًا]

وصلَتِ المشرّفةُ الكريمةُ [الرسالة] من الابنِ المخلِصِ، المستبينِ للعواقب، نورِ القلوب، فاروقِ الحقّ، مصيبِ الظنّ، صادقِ الفِراسة، فطيمِ النفس، نقيّ القلب، واضعِ الخير موضعَه، متّقي الرّبّ، محاسِبِ النفس، عَلَمِ الدّولة والدّين، واهبِ الدّنيا للآخرة، أدامَ اللهُ معاليه، مشتملةً على أنواعِ اللّطائف والغرائب والدّقائق والحقائق. فقُرِئَتْ، فكان مضمونُها كلُّه إخلاصًا ومودّةً ويقظةَ قلبٍ ورؤيةً للعاقبة وطلَبًا للآخرة ـ زاده اللهُ حرصًا وشوقًا إلى لقائه ولجميع الطالبين. يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ ويعلَم أنّ الاشتياق إلى اللقاء المبارك لمن ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩] غالِبٌ وباعثٌ. يسّرَ الحقُّ تعالى وهيّأ اللقاءَ الحقيقيَّ النافعَ الشافعَ المؤنسَ في أيمن الأوقات وأحسن السّاعات.

وما ظهرَ من شوقِ الآخرة وطلَبِ سعادة الباقية هو عينُ الإلهامِ الملَكيّ والعناية الملَكيّة والفضلِ السّماويّ والمنبّهُ على الرّحمةِ الإلهية، إن شاء اللهُ، الذي يكون متزايدًا ويكون صبحًا صادقًا. ولا شكّ في أنّ هذا العالَمَ كلّه خرابٌ وفيه كنزٌ. والعاقلُ لا يطمئنُّ إلى الخراب، ولا يقتدي بذلك البُومِ العاشقِ للخراب ولا يغترّ، ويكون آناءَ اللّيلِ وأطرافَ النهار طالبًا لذلك الكنز.

بِقــدْرِ الكــدِّ تكتــسبُ المعــالي ... ومَــنْ طلــبَ العــلى سَـهِر اللّيــالي

[٨٨] تـرومُ العِـزَّ ثـمّ تنـامُ لـيلًا يغـوصُ البحـرَ مَـنْ طلَـبَ الـلآلي

—

قبلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ

لا بدّ مِنْ أن تُعطيَ كلَّ عطيةٍ جديرةٍ بالعطاء

—

الطّينُ الذي أحسَّ منه إبليسُ بالعار

احتضنتَه أنتَ كأنّه الدّين

—

ومتى يحملُ همَّ القُبلةِ والعِناق

ذلك الذي يأكلُ الخسَّ البرّيّ؟

أيّدَه اللهُ وسدّده ووفّقه وأحسنَ أقرانه، وأتمّ بيانَه، وتقبّل حسناته ورضي عنه وأرضاه ومن الخير لا أخلاه.

الأيامُ القليلةُ التي عشتَها في هذه الدّنيا

خسارةٌ، أيّها القلبُ، إذا عشتَها بالرّوح،

لا تكنْ من دون عشقٍ لكي لا تكون ميتًا

ومُتْ بالعشْقِ لكي تبقى حيًا

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ [الكهف: ٤٦ـ مريم:٧٦]، هي العشقُ. الدّنيا مِثْلُ القشّ، والعشقُ مثلُ الحِنْطة. وريحُ الأجَل تُذهبُ القشّ لا تبقى قَشّةٌ واحدة ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [التحريم: ٨]، دمتَ ناظرًا إلى العاقبة، وكُنْ على أنّك

نويتَ واجعَلِ الأصحابَ أيضًا على هذا وانصحْهم وساعِدْهم، ذلك لأنّ هذا هو العملُ والباقي كلّه نَدَم. إنّ مُلك الدّنيا كالطّبل، والخَلْقُ مندهشون من صوته، يجتمعون إليه وقلبُه فارغ، ليس فيه أثرٌ لدَسَم، ولا منفعة فيه. هنيئًا لمن لديه جُعبةُ عطّارِ العِشْق [طبله عطار عشق ـ بالفارسية]، وانصرَفَ قلبُه عن صوتِ طبلِ مُلْك الدنيا.

شعر:

إنّ مُلْكَ العالَمِ من أقصاه إلى أقصاه لا يأتي إلى الرأس إلّا بالصّداع

فيا أيّها السّفيهُ، لا تضعْ كثيرًا من الصّداع فوق رأسِك،

فإذا ما تُوّجتَ فضَعِ الشمسَ والقمرَ فوق رأسِك،

فستضع رأسَك فوق لَبِنةٍ في النهاية، عندما يؤذِن العمرُ بوادع

دمتَ متيقظًا. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثّانية والعشرون

[إلى تاج الدّين معتزّ في شأن نظام الدّين
صهر حسام الدّين وفي طلب تعويضه
عن خسائر لحقت به]

[٨٩] أدامَ اللهُ شمسَ إقبال مِلِكِ الأمراء، الأمير الرّبانيّ، الكريمِ الذّكْر، اللّطيفِ الفِكْر، المغبوطِ الأيامن، مصباحِ المساكن، الأعلمِ الأعدلِ، المشهورِ في الآفاق، فَخْر خراسانَ والعراق، صاحبِ الدّولتين، وليّ السّعادتين، باسطِ العَدْل، ناصرِ المظلوم، محترفِ الإحسان، المفكرِ في العاقبة، أمانِ البلاد وملاذِ العباد، مؤنسِ الفقراء، تاجِ الحقّ

والدّين، ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ـ أدام اللهُ عُلوَّه وكبتَ عدوّه وأيّدَه ونصَرَه ويسَّر له اليسرى وجنّبه العسرى ـ مشرقةً (*) دائمًا في بروج السّعادةِ والسّيادةِ والسّرور والشّهرة، وجعَلَ الإلهامَ الرّبانيّ والتوفيقَ الإلهيّ، في كلّ بَرّ وبحرٍ، هاديًا له ومرشدًا ومسدِّدا. وجعَلَ اللهُ حافظي الغيب السّماويِّين الموصوفين في ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[الرعد: ١١] حُرّاسًا ومراقبين لتلك الدولة.

يطالعُ السّلامَ والدّعاء، ويعلَمُ أنّ الاشتياق إلى اللّقاءِ الشريف المبارك غالِبٌ ومحرِّكٌ فإنّ «شُكرَ المنعِمِ واجبٌ». ولكن عندما تجاوز إنعامُ وليّ الإنعامِ هذا ومواساتُه وتسليتُه الحَدَّ والمقدارَ عجزنا عن الشّكر. والوفاءُ بذلك موكولٌ ومفوّضٌ إلى خزائن كَرَم ذي الجلال التي لا نهاية لها ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٤٠]

إنّ الابنَ المخلِص المعتقِدَ، نظامَ الدّين نظّم اللهُ أمورَه، ابنُ هذا الدّاعي، وحقوقُ البُنُوّة والخِدْمة والفِداء المخلِص ثابتةٌ تمامًا له على هذا الدّاعي منذ الصّغر. وفي باب الفقراء الرّبّانيّين، ماذا يكون المالُ إذا ما بُذلت الرّوحُ؟ ـ لأنّه قد نَما في خدمة الفقراء، وليس مُصطنعًا متكلّفًا.

فــلا تحقِــرَنْ نفــسي وأنــتَ حبيبُهــا فكــلُّ امــرئٍ يــصبو إلى مَــنْ يجــانِسُ

---

* هذه الكلمة هي المفعول الثاني للفعل «أدامَ» في مطلع الفقرة: أدامَ الله شمسَ إقبال... مشرقةً [المترجم].

يطيرُ كلُّ طائرٍ مع جنسِهِ

الحمامُ مع الحمامِ، والبازُ مع الباز

لا حاجة إلى السّؤال عن سُلوك الإنسان، بل يُبصَرُ أقرانُه؛ ولا ينبغي السّؤالُ عن المال من أين حُصِّل، بل ينبغي النّظرُ إلى مصارفه وأبواب إنفاقه. جعَلَ اللهُ كلَّ إنعامٍ ولُطفٍ ومساحةٍ وتفضّل بذَلَه ويبذلُه مِلِكُ الأمراء، أدام اللهُ علوّه، من البداية إلى النهاية في شأن الابن نظام الدّين، مبذولًا خاصّةً في حقّ هذا الدّاعي وفي حقّ الفقراء، وجعَلَه مقبولًا ومبرورًا، [٩٠] ذلك لأنّ ما لَه وجسمه وعِرْضه منذ صِغَره حتّى الآن وقفٌ للفقراء، وهذا لا يصحّ التعبيرُ عنه كتابةً. كان الدّاعي المخلِصُ يريد أن يأتي هو نفسه ويتحدّث إلى حضرتكم لكنّه اعتمد على الفِراسة الرّبّانيّة لخاطركم الشّريف ذلك أنّ «المؤمِنَ ينظر بنُور الله»، وإن شاء الله ليس هناك حاجةٌ إلى إزعاجكم بالمجيء، فأنا في المعنى حاضرٌ لديكم، إذ أنا منشغلٌ في الدّعاء لكم. وقد وقع سببٌ لأنواعٍ من الكَسْر والضّرر، فمن يرعى الشّفاعات ومن يقدرُ على استيفاء الحقوق؟ ومع استيلاء الخجلِ والاعتقادِ والحفاظِ على الضعفاء و أهل الخير، لا بدّ من مساحته. وقد آن الأوانُ لأن تُقدِّم مرّةً أخرى؛ ذلك لأنّ هذه السّفينة لا تنجو من موج الطّوفان من دون حماية نُوحِ الكَرَم، أدام اللهُ عُلوّه.

إذا سقيتَني فإنّك تكونُ قد غرستَ فَسِيلَك،

وإذا وضعتَني فإنّك تكون قد رفعتَني

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ [محمد: ٧].

وإنّ مِلِكَ الأمراء نفسَه أستاذُ هذه التجربة، فالحقّ تعالى سريعُ الحسابِ وسريعُ

المكافأة. لم يخسر أحدٌ في هذا الباب ولن يخسر. وأتوقّع أن يُبذَل ظلُّ العناية الملكية العظيمة المخدومة، في شأن الابنِ المخلصِ نظام الدّين في هذه المرّة الثانية، ويُتفضَّل، لكي يخرج من هذه العهدة الثقيلة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم ﴾ [الصّف: ١٠] خاصّةً أنّ هذا الخير لا يشبَّه بالخيرات الأخرى، فهناك فرقٌ من السّماء السّابعة إلى الأرض السّابعة بين الإحسان إلى الفقراء من أهل الجسَد والإحسان إلى الفقراء من أهل القلب. والحقيقةُ والمعلومُ أنّه هو نفسَه وأقاربَه في خدمة مِلِكِ المشايخ، جُنَيدِ الزمان، أمينِ القلوب، شمسِ الحقائق، إمامِ الهدى، حُسامِ الحقّ والدّين ـ متّع اللهُ العارفينَ بطول بقائه ـ الله، الله، أن لا يَعُدّ هذا الإحسانَ من جنس أنواع الإحسان الأخرى. ليس التكحّلُ في العينين كالكَحَلِ

أين العينُ التي تميزُ الجوهرَ من القشّ

أو تميزُ البازيَّ الأبيضَ من الذّباب؟

ولكن عندما يعرفون، يدركون أنّ رعاية ذلك هي عينُ الفَرْض، حتّى عندما يظهر يومُ الأجَلِ ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢] لا يكون هناك ندَمٌ، إن شاء الله تعالى. كحّلَ اللهُ عينَ تلك الدولة بكُحْل الهداية والتوفيق على الدّوام، آمين يا ربّ العالمين «أوليائي تحت قِبابي لا يعرفهم غيري». العابدُ الذي عبَدَ اللهَ ستّين ألفَ سنةٍ لم يعرف جوهرَ آدَم، والزاهدُ صاحبُ الكرامات، أي بلعم بن باعورا، لم يعرف جوهرَ موسى، ولكن عندما استيقن لم يراعِ ذلك، فجاءته المؤاخذة. وإذ ذاك عندما أُوخِذ، ماذا فعَلَ سِرُّ «مرضتُ فلَمْ تعدني»؟

ليس للدّاعي غرضٌ في هذه الشهادات إلّا الشّفقةَ وأداءَ حقّ مِلِك الأمراء، ذلك

أنّ [الحقّ] يقول: [٩١] اعرفوا عبادي وصاحبوهم في هذا العالَم واغتنموا وجودَهم لكي لا تندموا ولا تتحسّروا عندما يأتي يومُ دولتهم وينقضي دَوْرُ «من كان لله» الذي هو الدّنيا، ويأتي دَوْرُ «كان اللهُ له»، الذي هو العُقبى. وفي هذا العالَم القصير الأمد الكاذب، تكون مهمّاتُ الملوكِ العابرين خطيرةً جدًّا ومهمّة جدًّا، واهتمامُهم بطلّاب عالَم الحقيقة ليس أقلّ من هذا، برغم أنّهم يعتذرون [قائلين] إنّهم كانوا مخفيّين، ولم نعرفهم؛ لا سيّما أنّ الشّهودَ العُدولَ يشهدون [قائلين]: إنّه هو هذا.

الرّسالة الثالثة والعشرون

[إلى جلال الدّين (قرطاي أو مستوفي)
في التوصية بنظام الدّين]

صان اللهُ وحرَسَ صباحَ السّعادة والإقبال لدى الصّدر الكبير، الأميرِ الأجلّ، الأعلمِ الأعدلِ، صاحبِ الدّولتين، باسطِ العَدْل، وليِّ السّعادتين، الرؤوفِ بالمظلومين، المحترفِ للإحسان، المفكِّرِ في العاقبة، معينِ الفقراء، مربّي العلماء، جلالِ الدولة والدّين، عَضُد الإسلام والمسلمين، ذخرِ الملوك والسلاطين، المباركِ صاحبِ ديوان الاستيفاء، أدامَ اللهُ علوّه وكبتَ عدوّه وأيّدَه ونَصَرَه و «يسّر له اليُسرى وجنّبه العُسرى» ـ من مساء(*) زوالِ عين الكمال. أولياؤه منصورون ومسرورون، وأعداؤه

* الجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل «صان» في أوّل الرسالة.

مقهورون، والباري، جلّ جلالُه، حافظٌ وناصرٌ وشكور ليلًا ونهارًا.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ ويعلَمُ أنّ الاشتياق إلى اللقاء الشريف والمنظر اللطيف خارجٌ عن الحدّ والحصر. يجعل اللهُ تعالى للّقاء سببًا سريعًا «إنّه مجيب سميع».

إنّ الابنَ المخلِصَ المعتقِدَ نظامَ الدّين، الذي هو من المحبّين لذلك العزيز وشاكرٌ لنِعَمكم وناشرٌ لكرَمِكم وإحسانكم، متوجِّهٌ إلى حضرتكم، على أمَل الحصول على العون والإحسان والتربية التي هي معهودةٌ ومألوفة من حضرتكم «والمشْرَبُ العذْبُ كثيرُ الزّحام». المؤمَّل أنّه جريًا على العادة تُساعِدُ الملاطفةُ والرّأفةُ بالعباد السياديّة والملكية، حسبةً ووسيلةً إلى مرضاة الله تعالى؛ لأنّ أسبابَ الخسارة والأذى والأحداثَ غيرَ الموافقة كثرت وتواترت، وهذا وقتُ الرّقّة وزمانُ العطْف. وإنّه من جملة أسباب الخسارة أنّ نُوّاب سيّدِ الأمراء، زعيمِ الجيوش، نورِ الدّولة والدّين أدام اللهُ علوّه، قد أخذوا منه اثني عشر ألف [درهم أو دينار]، وقد بقي الباقي في الولاية. والمتوقّع أن يُقوّى عضدُه ليكون هناك إحياءٌ لحقوقه ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا [٩٢] فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة: ٣٢]، «ارحَمْ مَنْ في الأرضِ يرحَمْكَ مَنْ في السّماء».

وقد جعَلَ كلَّ تفضّل يقومُ به ولطفٍ يفعله، حقًّا، في خدمة هذا الدّاعي، وأنا ممتنّ له إلى حدّ أنه لو كان لدى هذا الدّاعي مِلْكٌ قريبٌ من الوفاء بهذا لباعَه وأدّى ذلك عنه، رعايةً لحقوق الخدمة القديمة، ولم يزعج حضرتكم بهذا. لكنّه بحمدِ الله، طلَبُ الحاجةِ من الكِرام افتخارٌ ومباهاة «نصرَكم اللهُ وأيّدَكم وأحسنَ عاقبتَكم».

إكرامُ أهلِ الهوى من الكرَمِ ... وأمّةُ العشقِ أضعفُ الأُمَمِ

«أنا عندَ المنكسرةِ قلوبُهم، فاطلبوني عندهم». والباقي فإنّ رأيكم العالي المضيء

يقرأ غيرَ المكتوب «اتّقوا فِراسةَ المؤمن، فإنّه ينظرُ بنُور الله»، لكي ينضمّ إلى المِنَن السابقة والألطاف المتقدّمة، ويَلحق بها. الله، الله، الله، لدينا أمَلٌ في أن لا يرجع من تلك الحضرة من دون مراده «ليس قريةٌ وراءَ عَبّادان». فإنْ تتجاوز ذلك الوليَّ للإنعام فليس لك سوى اليأس. دمتَ مغيثًا للمظلومين. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الرّابعة والعشرون

[إلى علاء الدّين چلبي يدعوه
فيها إلى العودة إلى المنزل]

الابنُ العزيزُ، قُرّةُ العيون، افتخارُ البنين، عينُ الله عليه ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، يقرأ السّلامَ والتحيّة من هذا الأب المخلِص، ويعلَمُ أنّني متألّمٌ من أنّه يخرج من البيت ولا يرقّ لهؤلاء الضعفاء، وهم على كلّ حال أمانةُ الله، الله، من أجل إرضاء قلْبِ هذا الأب، يكون ملازِمًا للبيت، ويجعل ناحيتَهم ناثرةً للسُّكّر من معمل سُكّر الطّبع الظّريف، لكي يصل إليّ شكرُ ذلك.

أيّها الحبيبُ، أتكونُ عِلاجًا لألَمِ الآخرين

وعندما تحينُ نوبةُ ألَمنا تكون عاجزًا؟

إنّ من يقدرُ على خداع الغريب، يقدرُ أيضًا على خداع حبيبه.

[٩٣] تألّمتُ، وليس عندك دواءٌ

فأعطِ غُنجًا كاذبًا، حتّى هذا ليس عندك أيضًا؟

إنّ هوى الدّنيا الفانية الغادِرة وهوَسها لا يستحقّان أن تجرح مروءةَ الأحبّة وقلوبَهم. وإن شاءَ الله سيزولُ حجابُ الغرور عن عين هذا الابن سريعًا لكي يعرف أنّ هذا ليس ماءً؛ لكي يعرف أنّ تلك الناحية التي يُجري إليها الجوادَ ويُسقِطُ الرّكوبةَ سَرابٌ، ذلك لأنّ كثيرين مثلكَ أسرعوا إلى تلك الناحية، وعندما وصلوا إلى هناك لم يجدوا ماء. هلكتِ الرّكوبةُ والراكبُ، حمى اللهُ ابنَنا وجميع أبنائنا، من العطش والإعياء، وهو عالِمٌ بأنّه يجذب العنانَ أوّلًا، قبْلَ خَرابِ البصرة، وإلّا فإنّ البُلَهاء كلّهم أيضًا يجذبون العنان. لا تفعلْ، لا تفعلْ، لا تفعلْ، لا تفعلْ، لا تفعلْ، والسّلام.

أوليسَ من أجْلِ حبّةٍ ينظر الطائرُ الصغيرُ مئةَ مرّةٍ

إلى الأمام وإلى الوراء، وإلى اليمين وإلى اليسار؟

وذلكَ لأنّه سيّئُ الظنّ،

فخوفهُ على روحه أكثرُ لديه من عشقه للقُوت!

والله، إنّ ذلك الجوادَ الأجرب لا يساوي هذا السَّرْج، لا يساويه.

وقد سحبَ إلى جوار نفسه مُسْتقذَرًا،

وأنتَ تلقّبه حينًا بالرّوح وحينًا بالحبيب!

وفي الجملة، يُتوقّع من رجولةِ ذلك الابن وشهامته ومروءته أن لا يجرح الخواطرَ المنشغلة بالدّعاء لدولته وسعادته وخيره ولا يشتّتها، وقد تكفّلتُ أنا الضعيفَ عشْرَ مرّات لدى الأمير سيف الدّين، سلّمه الله تعالى، ولدى أهله وتعهّدتُ، ولم تكن هذه عادةً لي، بل فعلتُه شفقةً عليك. وإذا ما بدا في نظرك الآن أنّ هذه المصلحة ألعوبةٌ، فإنّني ما فعلتُ هذا رغبةً منّي، بل كنتُ قد رأيتُ مناماتٍ، وإشارةً من الغيب، وفي

الجُمْلة أفشي سِرًّا مكتومًا، وأتضرّع، الله، الله، الله، الله، أن يكون ملازِمًا للبيت وملازِمًا لتلك الجماعة، ولا يتحدّث معي فكريًا عن هذه الأعذار بأنّها كذا وكذا، فمن السّهل جدًّا أن يكون عقلُهم لُعبَةَ القالِ والقُلة (*) لعقلكَ؛ كلّما أردتَ تلعب بها، وتكون قادرًا على صيد طائر الهواء، ولا تستطيع المحافظة على الحمامة المعلّمة.

جُرمُه كلُّه أنّه صار صديقًا لك.

أيْ قاتِلَ الحيّ، زُرْني، دع قلبَ الوالِدِ يفرغ من الرّسالة والتفكير بكتابة الرّسالة، وبدلًا من الرّسالة ينشغلُ بالدّعاء لك بالخير.

[٩٤] سوفَ ترى إذا انجلى الغبارُ أفرَسٌ تحتَكَ أم حِمارُ

قبْلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ

لا بدّ من أن تُعطيَ كلَّ عطيةٍ جديرةٍ بالعطاء.

الرّسالة الخامسة والعشرون

[إلى نور الدّين ولَد جاجا في شأن نظام الدّين صهر حسام الدّين چلبي]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

---

* القالُ والقُلّة لعبةٌ للصبيان: يأخذون عودَيْن أحدُهما نحو ذراع والآخر قصير، فيضربون الأصغرَ بالأكبر. فالقالُ العودُ الكبير الذي يُضرب به، والقُلّة الصغير. وتعرف هذه اللعبةُ عند العوامّ بالعُقلة [المترجم].

أدام اللهُ إلى ما لا يُحصى عددًا من السّنين حياةَ المجلسِ العالي للأميرِ الأجلِّ، المتقي لله، المحترِفِ للخير، الحسَنِ النّيّة، الزاهِدِ العابِدِ، طالبِ الآخرة، صاحبِ الصّفات الفاخرة، المعظّمِ لأوامر الله، الحافظِ لحدود الله، لطيفِ الأفعال، كريمِ الأقوال، نورِ الدّولة والدّين، افتخارِ الأمراء في العالمين، أدام اللهُ علوّه، (*) في غرائب الخيرات ونوادر الحسنات ودقائق تعظيم الحقّ.

يتلقّى السّلامَ والدّعاءَ الكثير من هذا الدّاعي المخْلِص، على تجدّد السّاعات وتواتر الأوقات، ويعلَمُ أنّ الاشتياق إلى زِينة العالَم الموصوف بـ ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[الفتح: ٢٩] غالِبٌ وباعثٌ. جعَلَ الله اللّقاءَ على الخير.

يُعلَمُ بحال الابنِ المخلِص نظامِ الدّين، نظّم اللهُ أمورَه، الذي أصيب بأنواعِ من الأذى، كما أنّ قلوب الأحبّة متعبةٌ ومتألّمة أيضًا ومتوجّهةٌ إلى تلك الناحية.المؤمّلُ من مدَدِكم وفَضْلِكم ولُطفِكم وفقَ المبدأ المعهود لديكم أن تُواسوه وتأخذوا بيده وتساعدوه، مثلما قَبْلَ ذلك قُدّمت الألطافُ وأزيلت المظالم ـ لله تعالى. وهذا لا يضيعُ عند الحقّ وله قبولٌ عنده. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[النساء: ٤٠]. «الدّنيا مزرعة الآخرة». ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ [٩٥] يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾[البقرة: ٢٦١]. وقبْلَ أن يذهب حِينُ الزّرع وينقضي وقتُ الزراعة، يكون واجبًا وفرضًا من جهة العقل والإيمان المبالغةُ

* الكلام بدءًا من هذا الموضع............... متصل به «أدام اللهُ ما لا يحصى ..»[المترجم].

والمبادرةُ وزراعةُ كلّ نوعٍ من بذور الخير؛ خاصّةً أنّ الابنَ العزيز، نظامَ الدّين، قريبٌ وصهرٌ لجناب مِلكِ المشايخ، ضياءِ الحقّ، أمينِ القلوب، جُنَيدِ الزّمان، حسامِ الدّين، متّع اللهُ المسلمينَ بطُول بقائه. وهذا الخيرُ لا يشبه ضروبَ الخير الأخرى «إنّ لله تعالى عِبادًا أمجادًا محلُّهم في الأرض كمحلّ المطر، إنْ وقَعَ على البَرّ أخرجَ البُرَّ، وإن وقَعَ على البحرِ أخرج الدُّرّ».

أرجو أن يعود الابنُ نظامُ الدّين، بفضل تربيتكم وإحسانكم ولطفكم العامّ الذي هو معروفٌ ومشهورٌ في شأن كلّ المحتاجين، وكلُّهم شاكرٌ وذاكرٌ لحضرتكم فطوبى لكم، مسرورًا سالمًا غانمًا أيضًا، في جوار عصمتكم وحريم حمايتكم وفَرْط عنايتكم؛ لكي تكون على هذا الدّاعي وعلى فقرائنا مِنَنٌ ويحصلَ ثوابٌ لا حدّ له وثناءٌ لا عدَّ له. إن شاء اللهُ تعالى.

الرّسالة السادسة والعشرون

إلى مُعين الدّين پروانـه في طلَـب إشـارته المباركة لإعفاء شهاب الدّين من الخراج]

أدام اللهُ على الخلائق كافّةً ظِلَّ مَعْدَلَةِ مَلِكِ الأمراء والخواصّ، عمدةِ المُلْك، القمرِ الأنورِ والسّحابِ الأمطر، مربّي العلماء، غياثِ المظلومين، مؤنسِ الفقراء، العظيمِ السّعيدِ الأعظم [الغ قتلغ، بالتركية]، المبارِكِ، پروانه بك، أدام الله علوَّه. أولياؤه منصورون، وأعداؤه مقهورون، وأمدادُ توفيقه إلى الخيرات في تزايد، بمَنّه وكرَمه.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ من هذا الدّاعي، ويعْلَمُ خجلَ الدّاعي من الإزعاجات

والمضايقات، وأنه ذاكِرٌ شاكر.

إنّ رافعَ التحية، الابنَ العزيز المعتقِدَ فخْرَ التّجّار شهابَ الدّين، أحسَنَ الله عاقبتَه، من المحبّين والدّاعين لتلك العتبة، وهو راغبٌ ومولعٌ بالخيرات والعبادات، كما يحبّ ذلك الفَذُّ؛ لكنّ كثرة العِيال تستلزم الانشغالَ بالتجارة حتّى سيواس وحدودها [٩٦]، ثمّ بسبب الجُباة وإزعاجهم توقّف مدّةً عن التجارة. وإنّ خيراتِ مِلِك الأمراء تصلُ إلى العالم كلّه، فأرجو بالإشارة المباركة منكم أن يعفيه الجُباةُ، ويجعل ذلك حجّةً، ويفتخر على أبناء جنسه. وهذه صَدَقةٌ من صدَقات مِلِكِ الأمراء عليه وعلى عياله، ويغدو عتيقَ تلك المنّة والمكرمة. ويكون الدّاعي ممتنًّا، ويُضمّ هذا الإحسانُ إلى ضروب الإحسان السابقة، ويكون ذخيرةً ليوم الجزاء. دمتَ محسِنًا ومُعينًا ومغيثا. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة السّابعة والعشرون

[إلى مُعين الدّين پروانه في شكر أفضاله
وتشويقه إلى الإحسان إلى الفقراء]

وصَلَ الإحسانُ والإنعامُ واللّطفُ بالدّراويش والوعودُ الجميلةُ اللطيفة من لطيفِ الخطاب وحسَنِ الجواب، ووصَلَ العفوُ والرّحمةُ المِلكيّة من مِلِك الأمراء والحُجّاب، نظامِ المُلك، صاحبِ السعادتين، مُعينِ الحقّ والدّين، أدامَ اللهُ علوّه، إلى هذا الدّاعي المخلِص. ونُطِق بآيات الشُّكر ودعواتِ الخير من أجل دوام تلك الدّولة ومضاعفة تلك السعادة. ولا شكّ في أنّ الوعدَ الصّادق لمِلِك الأمراء والحُجّاب، أدامَ

اللهُ علوّه، في قبول هذه الشفاعة معتمَدٌ عليه وصادقٌ، ومُطَمئنٌ للقلوب «والكريمُ إذا وعَدَ وفى»، لا سيّما أنّ هذا الكريمَ هو مَعينُ أنواع الكرَم وسلطانُ المروءات كلّها؛ ولا مزيدَ على وَعْدٍ أن يتلقّى ذلك العظيمُ التماسَ هؤلاء الفقراء والضعفاء وشفاعتَهم بأحسنِ القبول؛ ابتغاءَ مرضاةِ الحقّ تعالى وذخيرة الآخرة. وما يكون من أجْلِ مرضاة الله لا يمكن أن يُنْدَم عليه أو يُرجَع عنه ـ بصرف النظر عن كمال اعتقاد هذا الإنسان الفذّ وتقواه وهمّته العالية وعبادته وسيادته، أدامَ اللهُ علوّه «واجعَلْ له لسانَ صِدْقٍ في الآخِرين». ولكنّ هؤلاء الضعفاء يشكون ويتفجّعون كلَّ يوم حزنًا ورقّةَ قلب، ويطلبون من هذا الدّاعي المخلِصِ، المحترِزِ غايةَ الاحتراز عن إزعاجِ حضرتكم ومضايقتها، تكرارَ الشفاعة والاستغاثة.

وإنّ الدّاعي المخلِص، معتمدًا ومتكلًا على كمال حِلْمِكم وإحسانكم وسَعَةِ صدركم في إعانة الضعفاء والعفو عنهم، يخبركم بأنّ كلّ عفوٍ وإغماضٍ ورحمةٍ تُتّخذ في هذا الباب [٩٧] ستكون ذخيرةً للآخرة وشكرًا للنُّصرة «وقد نصرتكم على عدوّكم فإن شكرتُم بالعفو والرّحمة لأزيدنّكم» و ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. قال الحواريّون لعيسى عليه السّلام: يا روحَ الله، أيُّ شيءٍ أشدُّ وأصعبُ؟ قال: غضَبُ الله. قالوا: فما الذي ينجي من غضَبِ الله؟ ـ قال: أن تكفَّ غضبَك وتعفو إذا قدرتَ.

جعَلَ الحقُّ جلّ وعلا ملِكَ الأمراء والحُجّاب، أدام اللهُ علوّه، من هذا القبيل ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. آمين، يا ربَّ العالمين، دمتَ مستغاثًا للمظلومين ومؤيّدًا بروح القُدُس.

الرّسالة الثامنة والعشرون

[إلى أحد الأمراء إظهارًا للسّرور بعودته وعدم إمكان زيارته بسبب مرض صلاح الدّين]

سَلامُ الحقّ والرّحمةُ الأبديّة على الذّات الشريفة لمِلِكِ الأمراء، باسِطِ العَدْل، ناصرِ الحقّ، أبي الملوك والسلاطين، أدام الله علوّه. وإنّ الثناءَ والألقابَ الحقيقية هي تلك التي يقولها الحقُّ تعالى في شأن عباده المحْسِنين، فإنّ ثناءَ الحقّ خِلعةٌ للعباد الصّادقين لا تبلى وعطاءٌ يتزايد كلَّ يوم، ودولةٌ ثابتةٌ أبدًا، لا يأخذها منهم أحدٌ، ولا يرثها منهم أحدٌ، وحيثما حلّوا كانت هذه الدولةُ وهذا الثناءُ رفيقًا لهم، مثلما يمدَحُ العباد ويثني عليهم ويُغدق عليهم الألقابَ في الكتاب القديم [قائلًا] ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧]. مثلما هي الحالُ اليومَ في دولة مِلِك الأمراء والخواصّ، أدام اللهُ علوَّه وزاد توفيقه، وجعَلَ مجيئه ووصولَه مباركًا. أحيا كثيرًا من الخيرات، وسَرَّ المظلومين، وقد رأيتُ الخَلْقَ مسرورين وشاكرين، فسألتُ: ما سببُ هذا السُّرور؟ ـ فقالوا: قدومُ مِلِك الأمراء وإحسانُه. أردتُ المجيءَ إلى الحضرة للتبرّك بالوجه المبارك، إلّا أنّه لم تكن هناك قسمةٌ حتّى الآن، وكنتُ مشغولًا بسبب مرضِ شيخ المشايخ وليِّ اللهِ في الأرض، أبي يزيد الوقت [إشارة إلى أبي يزيد البِسْطامي]، قطبِ الزمان، صلاح الحقّ والدّين، مدّ اللهُ بركاتِه علينا وعلى المسلمين. وكما هو معلومٌ لديكم فإنّ خاطرَه المبارك برغم كلّ هذا المرض المزمن

وبرغم هذا الاستغراق الكبير في بحر أنوار رحمة الحقّ ـ فإنّ للأولياء منه كلّ لحظة [٩٨] موجًا فوق موج ـ إلى حدّ أنّه ليس لديه وقتٌ يحكّ فيه رأسَه من غلبات أمواج نُور الحقّ، ويقيس مِلِكُ الأمراء ذلك على حاله عندما حوّل أمراءُ الدولة ورعيةُ هذا الملِك تصريفَ الأمورِ اليومَ إلى عنايتكم واهتمامكم، فليس لديه الفرصةُ للحفاظ على المصالح. وهكذا فإنّ لدى هذا العبد [الشيخ صلاح الدّين] الذي هو نائب الحقّ وخليفتُه في ملكوت السّماء والأرض [إذ يقول الله تعالى]: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠]، ولجُمْلةِ الأرواح المضيئة تحوّلٌ إليه، استغراقًا وانشغالًا كبيرًا؛ رسالة وراء رسالة، ورسول وراء رسول ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]، وليس لهذا الكلام نهاية. والمقصودُ أنّه برغم كلّ هذه المشاغل اللّطيفة والرّقيقة من كثرة ما كان خاطرُه متعلّقًا بجانب مِلِك الأمراء، لم ينقطع عن الدّعاء إلّا أيّامًا قليلة. لا قطَعَ الباريُ تعالى بركاتِ أوقاتِه عنّا وعنكم وعن هذه الدولة، واستجابَ دعاءَه في دوام دولتكم، آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة التّاسعة والعشرون

[إلى شجاع الدّين (؟) في شأن نظام الدّين
صهر صلاح الدّين في طلَبِ زيادة مرتَّبه]

جعَلَ اللهُ سعادةَ الدنيا والآخرةِ وحصولَ جملة الأماني والأمدادَ السماوية رفيقةً

لزمانِ المختارِ من خير الآثار، الإحسانيّ النّثار، سيّدِ الأمراء والخواصّ، مقرَّبِ الحضرة بالاختصاص، مختصّ الملوك والسلاطين، تمامِ الأنسِ، قَوام الأنسِ، علَمِ الهدى، فخرِ الورى، شجاع الدّولة والدّين، أدام اللهُ علوّه وكبت عدوّه.

سلامٌ وتحيّةٌ يوظّفان من خلاصةِ المحبّة والولاءِ الطّاهر من التكلّف والرّياء، والاشتياقُ إلى دوامِ صحبته ومؤانسته الغريبة اللّطيفة متجاوزٌ للحدّ. ويجعل البارئ تعالى لهذا المراد سببًا سريعًا، إنّه مجيب سميع.

مصوِّرُ الرأي الأنور أيّده الله بنُوره ـ الرّيحُ الحامِلَةُ للتّحيّة الابنُ العزيزُ الفنّانُ الكافي، نظام الدّين ـ دامت معاليه ـ صهرُ سيِّدِ المشايخ، أبي يزيدَ الوَقْت، جُنَيد الزّمان، خضر القَدَم، مسيحِ الأنفاسِ، نورٍ يمشي به في الناس، صلاحِ الحقّ والدّين الذي هو ابنُ الرّوحِ والقلب للسيّد برهان الدّين محقّق [الترمذيّ] وخليفتُه ـ مدّ الله ظلّه ولا أخلى جنابَكم وتحصيلَ أسبابكم من برَكته ـ سُمِع في هذا الوقت أنّ طغرائيَّ الوقتِ وعظماءَ المُلْك قد اختاروه لتولّي نيابة الطّغراء والإنشاء. المتوقّعُ من مكارم أخلاقكم ولطفكم الشامل أن يُسعى في تقرير ذلك وتعيين أكبر قدرٍ من المرتّب له، بسيادةٍ وأبوّةٍ، لكي تغدو بركاتُ هذا السّعي [٩٩] وعنايةُ الهمّة العالية لمِلِكِ المشايخ، المتصرِّفِ في الكونَيْن والفعّال في الدّارين، سببًا لدوام الدّولة القاهرة، ثبّتها الله، وسببًا لمزيد الجاه والأبّهة وحصولِ المراد والسّعادة لكم في الدّارَين:

الهمّةُ لأنّها تقدّم ضروبَ العِناية

لا تحتقرْها لأنّها تؤثّر.

مدّ اللهُ لك العمرَ وأدامَ عليك الجاه، آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثلاثون

[إلى معين الدّين پروانه
في شكر إحسانه وفضله]

جعَلَ اللهُ شمسَ إسعادِ ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ [النور: ٣٥] ولا أرضية ولا سماوية، بل إلهية ربّانيّة أزَلية، لألاءةً مشرقةً دائمًا على الذّات المطهَّرة المنوَّرة المعطَّرة اللطيفة الشريفةِ لوليّ الأيادي والنِّعَم، مَلِكِ الأمراء والحُجّاب، فلَكِ المعالي، تاج الأعالي، الدستور الرّبّاني والحاكم الرّوحاني، العظيمِ السّعيد [الغ قتلغ بالتركية] حامي الدّين، پروانه بك، خلّد الله علوّه.

ربُّ الأربابِ وملهِمُ الصّوابِ هو المرشدُ والهادي في كلّ تفكّر وتردّد؛ ويحمي اللهُ تلك الذّاتَ الحسنةَ الصّفات من شرّ قاطعي طريق الدّين ومن الغِيلان والجانّ القاطعة لهذا الصّراط المستقيم ومن شؤمهم ومكرهم ووسوستهم، لكي لا يجعلوها مثلَهم قبيحةً وسيّئةً وسخيفةً وكئيبةً ومحرومةً. ويقولُ الحقّ تعالى في شأن هؤلاء الذين يقطعون الطّريق ويدّعون: ﴿إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣٤].

إنّ في هذا الطّريق مئةَ ألفِ إبليس له وجْهُ إنسان،

فحذارِ أن تعدَّ كلَّ من له وجْهُ إنسانٍ إنسانا

—

في هذه العتبةِ المليئة بالتلبيس

يأكلُ إبليسُ الخبزَ بقوله: «لا حولَ ولا قوّة إلّا بالله»

قدّسه اللهُ عنهم بحفظه. وبرغم هذا العمى كلّه، يطعنون في أهل الدّين ولا يتورّعون ولا يقولون:

[١٠٠] عندما تكون عينُنا التي تُبصِر الباطنَ فاسدةً

كيف نعرفُ أنّ هذا وَرْدٌ أو عشبٌ؟

يبلِّغُ السّلامَ والدّعاءَ والتحيّةَ عن صِدْق وولاءٍ وإخلاص وصفاء، ولدينا ما لا يُحدّ من الشكر. جعَلَ اللهُ جزاءَ هذا الإحسانِ الكثير متواترًا متواصلًا إلى ذاته الشريفة من خزانة ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٧]، آمين يا ربَّ العالمين.

الرّسالة الحادية والثلاثون

[إلى معين الدّين پروانه في شأن مساعدة
أمير العالَم چلبي (ابن مولانا)]

سَلامٌ عليكم، لا سلامُ مودِّعٍ ولكنْ سلامٌ لا يزال جديدا

جعَلَ الحقّ تعالى، جلّ جلالُه، حِلْمَ مَلِكِ الأمراءِ والكبراء المؤيِّدِ بالعطيّة الأبديّة والدولة السّرمديّة، العروةِ الوثقى والرّكنِ الأعلى، الشمسِ التي لا تخفى في الجود والضحى، ظلِّ الرّحمة الوافية، ظهيرِ الملّةِ الصّافية، مختصّ الحضرتين، مؤيّدِ الدولتين،

العالِم المتكلِّم [بلكا دلكا ـ بالتركية في الأصل] التقيّ، پروانه بك ـ أدام اللهُ علوَّه ـ وكرَمه(*) وشفقتَه ورأفتَه وإحسانَه كعبةً للمحتاجين وقِبلةً للمؤمّلين أبدًا سرمدًا.

سَلامٌ ودعاءٌ لم يحصل فيهما فتورٌ وانقطاع، واشتياقٌ أبعثُه وأظهِرُه متجدّدًا، اشتياقٌ مِثل فضائل وليّ الأيادي وشمائله وفوائده أنضرُ وأكثرُ تفتّحا. جمعنا الله وإيّاكم على موائد فضله.

ولأنّ الحقّ جلّ جلالُه جعلَ تلك الذّاتَ الشريفةَ مُشارًا إليها بالبنان في قضاء حاجات الدّراويش والمحتاجين، اختيارًا واضطرارًا، فإنّني بالرّغم من أنّني لا أريد أن أزعجه وأضايقه، ولكن لأنّ همّته العاليةَ المباركةَ طالبةٌ للآخرة ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾[الشورى: ٢٠]، وطلَبُ تلك الدولة الخالدة لم يُترك من دون تحديد «حُفّت الجنّة بالمكاره»، أعرضُ توقّعَ أمير العالَم وفّقه الله الذي كان دائمًا في ظلّ عنايةِ مِلِكِ الأمراء والكبراء أدامَ اللهُ علوّه وشفقتَه ورعايته، ويريد أن تظلّ هذه المرحمةُ والرّأفةُ تتجدّد عليه مثل إقبال مِلِكِ الأمراء الذي لا يزول؛ فإنّ كلَّ من يبني بيتًا وقصرًا وعمارةً يظلّ حتّى النهاية يجيل نظَرَ الإشفاق في خَلَلها وخيرها وشرّها، إلّا إذا حدَثَ في إقطاعه تدخّلٌ وسبّب ذلك انزعاجَ الرّعايا وظهر في وظيفته من هذا الإقطاع قلّةٌ وقصور. يطلب لبَذْر الأمَل من غيث العاطفة القديمة الذي يشمل العمومَ أن يصيبه خاصّةً [١٠١]، لكي ينشغل بالدّعاء للدولة مع الشاكرين

* هذه الكلمة وما بعدها معطوفة على كلمة «حِلْم» في مطلع العبارة.

والظّافرين بالإحسان الآخرين. جعلَه اللهُ دائمًا ملاذًا لطالبي الملاذ. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثانية والثلاثون

[إلى القاضي سراج الدّين في شأن ميراث
علاء الدّين چلبي]

بعد إيراد السلام والتحية والاعتذار عن الإزعاج والمضايقة التي تُقدِّم اعتمادًا على كرمِ حضرةِ منبعِ الفَضْل والكرَم، قاضي القضاة، أفضلِ العالَم، الصّدرِ الكبير، البدرِ المنير، المحقّق المدقّق، سراج الحقّ والدّين ـ أدام اللهُ فضلَه ومتّع العالمين بسعيه الجميل وفضله الجزيل، آمين يا ربّ العالمين. نُقِل عن لسان الناطقِ الصّادقِ مُفيضِ الحقائق مفيدِ الخلائق ـ لا زال ناطقًا بما يرضي الإلهَ ويزيِّن الأسماعَ والأفواهَ، ويزيل الظّلمةَ والاشتباه ـ مرّاتٍ إلى سَمْع هذا الدّاعي المخلِص [مولانا الرّومي]، أنّه في ضبط المِلْكية الضّئيلة التي هي تَرِكةُ ابنِ الدّاعي، علاء الدّين، رحمه اللهُ وأبقاكم، من أجل مصلحة أيتامه، مثلما طُلِب من جناب مولانا [القاضي سراج الدّين]، وقد قال مولانا إنّه في هذا الشأن أسعى الآن إلى أن يكتب لي فلانٌ ـ أي الدّاعي ـ أنْ هكذا تصرّف وهكذا احكُمْ. وعندما سمع الدّاعي هذا غدا من الواجب تجديدُ اعتقاده واعتماده على لُطف مولانا وكرَمه العامّ الفائض على الخاصّ والعامّ.

وإنّ كلَّ شفقةٍ وخدمةٍ ولطفٍ يتفضّلُ بها مولانا تسرّ قلبَ الدّاعي وروحَه، بل إنّ كلّ تربيةٍ وتدبيرٍ لطيفٍ وحُسْنَ حِضانةٍ وصيانةٍ تُسرق من بيدر فضْلِ مولانا وتُستفاد منه.

إنّ الدّاعي منهمكٌ بالدّعاء لمولانا. والمرجوّ أن لا يعتمد على كلام هذا الدّاعي؛ لكي لا يبقى هؤلاء الضعفاءُ ضائعين محرومين بغير نظر عناية مولانا. «الخَلْقُ عِيالُ الله، فأكرَمُهم عند الله أنفعُهم لعياله» وهو يُعْذَر على هذه الجرأة لأنّ الإشارة المصطفويّة أعطتْ هذه الجرأة: «استعينوا على حوائجكم من رُحَماء أمّتي»، خاصّةً مولانا، الذي هو المفخرُ والإمامُ والمقتدَى لكلّ رُحماءِ الأمّة وعلمائها. أدامَكم الله، والسّلام.

الرّسالة الثالثة والثلاثون

[إلى القاضي تاج الدّين في إظهار المحبّة لحسام الدّين چلبي وتشويق المخاطَب إلى العناية به]

[١٠٢] فتَحَ اللهُ أبوابَ السّعادة والكرامة والعناية على الضمير اللألاء لمولانا العالِمِ الفاضل، قاضي القضاة، باسطِ العَدْل، ناشرِ الفَضْل، مفخَرِ العلماء، تاجِ الملّة والدّين، افتخارِ الإسلام والمسلمين، ناصحِ الملوك والسلاطين ـ أدام اللهُ فضلَه ومتّع المسلمين بطول بقائه. وجعَلَ الإلهامَ الرّبانيّ والإقبالَ السّرمديّ مُرخى العِنان لِفكْر زينةِ العالَم مُكْرِمِ المظلومين مُفْني الظالمين راعي الدّين. ويطالعُ السّلامَ والتّبجيلَ من هذا المخلِص، ويعلَمُ أنّ الاشتياق إلى دوامِ مُصاحبة لطيفِ الصّحاب فخرِ الأحباب غالِبٌ وباعث. يجعل البارئُ تعالى وتقدّس، الذي هو جامعُ الأحبابِ وربُّ الأرباب، سببًا سريعًا للّقاء، إنّه مجيبٌ سميع.

يعلَمُ الأصحابُ علمَ اليقين صدقَ رغبة مولانا، دام فضلُه، في رعاية الفقراء

وأهلِ الله وصفوته، خاصّةً في باب حفظ جانبِ شيخ المشايخ، أبي يزيدَ الوَقْت، جُنَيد الزمان، العروةِ الوثقى والرّكن الأعلى، أمينِ القلوب، مخزنِ أسرار العرش، حسامِ الحقّ والدّين ـ أدام اللهُ بركتَه ـ الذي شرحتُ بعضًا من فضائله لحضرتكم، وأظهرتُ قطرةً من ذلك البحر. وإنّني أعلَمُ أنّ للضمير المؤيَّد والمنوَّر لمولانا تأييدًا يُضبَط في ورق الدفتر، وهو يقرأ الرّسالة غيرَ المكتوبة؛ لأنّ «المؤمنَ ينظر بنور الله»،وقال الرسولُ صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ أراد أن يجلسَ مع الله تعالى فليجلسْ مع أهل التصّوف»، «أحسِنوا إلى الفقراء الرّبّانيّين واتخذوا عندَهم الأيادي، فإنّ لهم دولًا يقال لهم: خُذْ بيدِك من شئتَ وأدخلْه الجنّة. إنّ أولياء الله لا يحتاجون إلى شفاعتي وإنّما لهم شفاعةٌ في الله».

وعَرْضُ هذا المعنى، برغم أنّه من ناحيةٍ خِلْوٌ من الأدَب، فإنّه من ناحية كون مولانا أصْلَ الفضائل والفوائد و «كلٌّ يرجعُ إلى أصله»، وكذلك تبعًا لوعدٍ كريمٍ، يبيِّضُ وجهَ هذا المخلِص ـ إذ صرتُ كفيلَ هذا الذي هو معدِنُ الكرَم ـ ويقدِّم عنايةً سياديّةً في هذا الباب. أبقاكَ اللهُ مظهَرًا للعنايات، آمين يا ربَّ العالمين، والسّلام.

الرّسالة الرابعة والثلاثون

[إلى واحد من رجال الحكومة في التوصية بواحد من المساكين]

[١٠٣] يطالعُ ملاذُ الضّعفاءِ في العالَم، مدّ اللهُ علوّه، السّلامَ والتحية، ويعلَمُ أنّ

رافعَ هذه التحية، وهو ابنٌ عزيزٌ صالحٌ متديّنٌ حسَنُ الاعتقاد شرَحَ اللهُ صدره، من المحبّين لدولته الدّاعين لها. وغيرُ خافٍ استحقاقُه واضطرارُه بسبب كثرة حيائه ومروءة نفسه وتعفّفه وعجزه عن سؤال أيّ مخلوق، لا صراحةً ولا كنايةً. وهو يقضي وقته في الصّبر والشّكر والطّاعة والقناعة والدّعاء لدولتكم. واليومَ إذ وصَلَ سكّينُ الضرورة إلى العظم جاء يطلبُ الوظيفةَ المباركة التي تصل إلى العاجزين من جناب الرّحمة، وهو ضعيفُ الجسد. وههنا أولادٌ ينتظرون زمانَ المرحمة ووقتَ العاطفة. لا قطَعَ اللهُ التوفيقَ إلى الخيرات عن ذلك الخاطر وعن تلك اليد. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الخامسة والثلاثون

[إلى واحدٍ من رجال الدولة في التوصية بالإمام الأجلّ فلان وفي طلَب الإحسان إليه]

جعَلَ اللهُ القلبَ المفكّرَ بالخير والرّوحَ النّاظر إلى العاقبة لدى الابن المخلِص المقبِل، المجمَّلِ الصّفات، المشرَّفِ النّعوت، المستنيرِ الخاطر، الحليمِ الكريم، المعظِّمِ لأمر الله، المشفِقِ على خَلْق الله، مختصّ الملوك والسّلاطين، أكفى الكفاة، قامعِ البغاة، صاحبِ الأخلاق الجميلة والفضائل الجزيلة ـ أدامَ اللهُ علوّه وزاده فضلًا وإقبالًا وحرصًا على إحراز الفضائل وأيّده بروحٍ منه ـ مترقّيًا(*) دائمًا على معارج القبول

* المفعول الثاني لـ «جَعلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

ومدارج القرب! الأولياءُ منصورون ـ وأولئك الأولياءُ هم الملائكةُ الذين هم حُرّاسُنا الذين [١٠٤] يحفظوننا من مهالك الدّارَين، ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[فاطر: ١] وهكذا إلى سبعِ مئة جناحٍ على قدْر شرفها ـ والأعداءُ مقهورون، وأولئك الأعداءُ هم الشياطينُ، على هذا المثال أيضًا. وأولياءُ الظّاهر وأعداؤه هم فروعُ أولئك الأولياء والأعداء الذين وصفناهم ونتحدّث عنهم شفاهًا، إذ لا تتسع الرّسالة للحديث عنهم.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ من هذا الأب، والاشتياقُ جذبَ إليكم، أمّا عندما يكون مستطاعًا التنعّمُ بأنواع التنعّم فلن يترك نصيبَه، إلى أن يأتي الحينُ أو الوقت، عن قريب إن شاء الله.

إنّ الإمامَ الأجَلّ ـ الذي هو رافعُ التحية ـ شفّع هذا الأبَ من ناحية العناية إذ يصل السّرورُ إليه أيضًا من خُلُقكم الحسَن. وهذا الأبُ ضَمِنَ أن يزيد على ما هو متوقّع، فإنّني أعرفُ طبعَه، وأنا مطّلعٌ على حُسْن معاهدته. والمتوقّعُ أن يجعل هذا الأبَ صادقًا من ناحية الظّاهر؛ وإذا كان هناك عتابٌ في الباطن خفيٌّ وغيرُ معلَن فإنّه يلطُفُ في هذا العتاب كثيرًا ويهبُ العنايةَ التامّة في شأنه، ويَعُدّ ذلك من جملة الصَّدَقات المقبولة، وينضمّ إلى المنّة العظيمة وإلى الألطاف والثناءات السّابقة.

أنْ تستعبدَ حُرًّا واحدًا بإحسانكَ

خيرٌ من تحرّر أن ألفَ عبدٍ.

ذلك لأنّ الحقّ تعالى يقول: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾

[المائدة: ٣٢]. الله، الله، أن يبيّض وجهَ هذا الوالِدِ لكي يحصل المفهومُ من قوله تعالى: ﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٥]، إن شاء اللهُ تعالى.

الرّسالة السّادسة والثلاثون

[إلى فخر الدّين عليّ صاحبِ العطاء في
طلَب إعفاء الأصحاب من المطالبات]

جعل اللهُ اللّطفَ القديمَ للنّاصرِ والمعينِ الأخِ الأميرِ الأجلّ التقيّ، الحسَنِ الأخلاق، الخاشي لله، المفكّرِ في العاقبة، الرّؤوفِ بالمظلومين، مختصّ الملوك والسّلاطين، فخْرِ الدولة والدّين ـ أدامَ اللهُ علوّه ـ والخيراتِ [١٠٥] والحسَناتِ والفِكَرَ الجميلة التي يقدّمها على أملِ النجاة في الآخرة، مقبولةً(*) ومضاعفةً لدى حضرةِ ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤].

يطالعُ السّلامَ والتحيةَ ويعلَمُ أنّ هذا الدّاعي شاكرٌ لإكرامه الأخويّ وذاكِرٌ لإنعامه. وبرغم أنّني لا أضايقُه بزيارة الجسد، أُريد بالرّوح والقلب كمالَ ذلكِ الأخ العزيز. وإنّ ضروب إحسانه التي لا تُحدّ تُخجلني، ولستُ بقادر على مكافأتها، وأسأل الخزانة التي لا تنتهي والفضلَ الإلهيّ أن يكافئ كلًّا منها بسبع مئةِ مِثْلٍ، بل من دون عدَد ﴿ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ولم يقتصر

* المفعول الثاني لجعل في أوّل الفقرة [المترجم].

الباريُ على هذا، إذ يقول بعد ذلك: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[البقرة: ٢٦١] ـ يكونُ أضعافَ ذلك لمن يشاء له الله ذلك. وبحَمْدِ الله، لجأ الأميرُ الأجلّ، الأخُ الأعزُّ، إلى تلك الإرادة وإلى تلك العناية جعَلَه اللهُ محفوظًا وملحوظًا.

ويكون معلومًا أنّ جماعةَ أصحابنا الذين هم في هذه أيام الصعبة، بفضل عنايتكم، فارغو البال من المطالبات والمصادرات، كانوا مشغولين بالدّعاء لكم، ولم يبق من هذه الجماعة كلّها أكثرُ من خمسة أشخاص، أو ستّة، هم في مَعْرِض المطالبة. وقد قال الكبراءُ لدى الحقّ وخاصّةُ الحقّ إنّه برغم أنّ بداية الخير مباركةٌ وعملٌ عظيمٌ وعلامةٌ للعناية الأزلية والسّعادة الأبديّة، فإنّ إتمامَ الخير خيرٌ من ابتدائه. «إتمامُ المعروفِ خيرٌ من ابتدائه». ومثل ذلك قال أربابُ البصيرة إنّه برغم أنّ الهلالَ مباركٌ، يكون أكملَ عندما يغدو بَدْرًا كاملًا في الليلة الرّابعة عشرة. نقصِّر الكلامَ ونقتصر على الدّعاء. وننتظر أن تُتمّ عنايةُ الأميرِ، الأخِ الأعزّ ضاعف اللهُ سعادتَه وتوفيقه، تلك العنايةَ، لكي تنضمّ إلى المِنَن السّابقة والإحسانات المتقدّمة، وتكونَ سببًا لسعادة الآخرة وذخيرةً لذلك اليوم العظيم، إن شاء الله تعالى.

الرّسالة السابعة والثلاثون

[إلى معين الدّين پروانه في طلب
فلان (؟)]

جعَلَ اللهُ العينَ المبصِرةَ للدّقائق لدى ملِكِ الأمراء، ناشرِ العَدْلِ، باسطِ الفضلِ،

ملجأِ الضعفاء والمساكين، محيي الهدى واليقين، الصّاحبِ الأعظم، پروانه المعظّم، مُغيثِ الخلائق، منيرِ الحقائق، شريفِ الألقاب، مفخَرِ ذوي الألباب، مُعينِ الدّولة والدّين - أدامَ اللهُ علوَّه وشرَحَ صدرَه وأيّدَه بروح القدس - [١٠٦] مطّلعةً(*) على أسرارِ الغيب وعواقبِ الأمور، في كلّ يوم؛ وجعَلَ اللهُ أُذنَه مغناطيسَ للنصيحة والكلام الصّائب؛ وجعَلَ قِبْلَةَ روحه المبارك نورَ التوحيد وخلوصَ التفريد. خلُقُه الحسَنُ شاكرٌ لقَصْباء الشُّكر التي لا نهاية لها، ولُطفُ ذاته ذاكرٌ للُطفِ البحر الذي لا غاية له، فإنّ ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى ﴾ [البقرة: ١٥٢] دعوةٌ لإكرامه.

يطالع السّلامَ والتحيةَ، ويعلَمُ بأنّ الاشتياقَ غالبٌ وباعثٌ ومهيِّج، ولكنّ «الأمور مرهونةٌ بأوقاتها». وإذا لم يكن هناك كرَمٌ ولُطفٌ من جهة مُعاينة الصّورة، فإنّ الخبرَ المتواتر موجِبٌ للعِلْمِ القطْعيّ. وكنتُ أسمع بآثار الخير والخُلق الحسَن والإنعام العامّ والإكرام التامّ لدى ذلك العزيز على نحوِ متواتر، وكنتُ أعلَمُ بذلك فأطلبُ المزيدَ منه ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]. و «ليس الخبرُ كالمعاينة» والخبرُ، إن كان متواترًا، لا يكون أبدًا كالمعاينة. عاينتُ آثارَ لُطفه وإحسانه بعد الخبر، وانشغلتُ بالدّعاء له بالخير، ولم أشأ أن أعلنَ المحبّةَ والدّعاء لكي لا يمتزجا بالرّياء. ولكن من أجل إشارة المصطفى صلّى اللهُ عليه وسلّم الذي كان جالسًا في المسجد، فمرّ شخصٌ من باب المسجد، فقال أحدُ الصحابة: يا رسولَ الله، أحبُّ هذا الرّجلَ الذي

* المفعول الثاني لـ «جعل» في مطلع الفقرة [المترجم]

مرّ. فقال المصطفى: قُمْ وأعلِمْه بهذه المحبّة. فلو كان في هذا الإعلام آفةُ الرّياء، لما أعطى مُبصرُ دقائق العالَمِ والبشَر فتوى بهذا الإعلام: «مَنْ أحبَّ منكم أحدًا فليُعلِمْه». كذلك فإنّ مَلِكَ الأمراء مُحِبٌّ لحضرة الحقّ، وباللّطف والإحسانِ ورعاية المساكين يُعْلِم بِصدْق محبّته تلك الحضرةَ [الله سبحانه]، التي هي غيرُ محتاجة إلى الإعلام، لكنّها تحبُّ الإعلام. برغم أنّ ذلك الخُلُقَ واللطفَ وتلك الرحمةَ والملاطفةَ للمساكين لا تغدو حجابًا عن الاعتماد على الله والتوكّل عليه لدى مَلِك الأمراء، فيغفل عن مَكْر الحقّ. ذلك أنّ من يتوكّلُ ويختار جانبَ الحقّ مرّةً واحدةً هو الذي لا يحتاطُ مئةَ ألفِ احتياط. فإنّ فرعونَ قد قطَعَ رؤوسَ مئةِ ألفِ طفلٍ بريءٍ من بني إسرائيل احتياطًا واتّباعًا للحَزْم، ومَنْ كان أصلًا وخصمًا ربّاه في قَصْرِه في حِضْنِه ودلّلـه آلافَ أنواع التدليل. هكذا يكون فِكْرُه الغطاءَ لعينه. ولو اعتمدَ على الحقّ، لجعَلَ الحقُّ ذلك كلَّه أوتادًا لتثبيت مُلْكه وتوطيده وأضفى عليه المحبّةَ والشّهرة، على غرار مُلْك داود وسليمان. والمرجوُّ أن يخصَّ العبدَ المقصّرَ، فلانًا، بالعفو والرّحمة من أجل إرضاء قلْب هذا الدّاعي، وأن يتوكّلَ على الحقّ في دَفع الشّرور والآفات لكي يكون هذا الدّاعي رهينَ المِنّة. وإنّ إحدى علامات السّعادة أنّه عندما يجيء الظفرُ والنّصْرُ يحوّله إلى محض عنايةِ الحقّ، ويراه من الحقّ، لا من تدبيره ومهارته. ضاعف الحقُّ تعالى هذا التوفيقَ لكي يجتهدَ في تحصيل رضى الحقّ لا في جَمْع رأيه.

قال العطّارُ ما عرفه

والباقي كلّه مُلْكُ من يستمع

[١٠٧] والحمدُ لله ربّ العالمين.

الرّسالة الثّامنة والثّلاثون

[إلى السلطان عزّ الدّين كيكاوس في إجابة رسالته وعرض مباحث عرفانية]

وصلَتْ إلى هذا الوالدِ بشارةُ الرّفعة والإقبال والسّعادة من لَدُن الملِكِ العادل، ناشرِ الخيرات، فريدِ العالَم، نادرةِ الزمان، مِلِكِ الدنيا، الكنزِ الخفيّ، مختارِ الرّحمن، السّلطانِ السلطانيّ الأصل، مَنْ هو الأمنُ والرّحمةُ للبلاد والعباد، المتوكّلِ على الله، المخصوص بفَضْل الله، قِبْلةِ الإقبال، كعبةِ الآمال، خلاصةِ الوجود، فَخْرِ آل داود، عظّم الله دولتهم. كذلك قبْلَ وصولِ المشرّفة [الرّسالة] الكريمةِ والرّقعة العزيزة ومن طريق ﴿ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣]، يُخبَر قلبُ هذا الوالد عن حال فريد العالَم هذا من جهة عالَم الغيب. ومن جهة الظاهر وصَلَتِ المشرّفةُ العزيزة الشريفة والرّسالةُ المضاعِفة للسرور. غدتْ حِرْزًا للسّرور وجُعلت تعويذةً للسّرّ وهيكلًا [حِرْزًا] وراحةً للقلب. يُبعثُ بآلافِ السّلامات والتحيّات والثناءات عن صدقٍ وصفاء، ويُعْلَمُ الاشتياقُ إلى اللقاءِ المبارك ورؤية ذلك الذي هو نورُ العناية، وقَبْلَ حلولِ الأجَل يُرى كثيرًا إن شاء الله «إنّ الله يجمع من يشاء ويرفع البُعْدَ عمّن يشاء». وإنّ المسهِّلَ لكلّ صعوبة والحالَّ لكلّ مُشْكِلٍ يحوِّل، بفضله وكرَمه الذي لا نهاية له، فِراقَنا إلى وصال، ويقرّب الطّريقَ البعيد، مثلما أنّ أسبابًا عجيبةً لم تكن في وهمنا سبّبت أوّلًا لقاءَنا بفريد العالَم هذا، عظّمَ اللهُ إقبالَه؛ ومثلما أنّ يوسف الصّدّيق وجد أباه وإخوته بعد فراق طويل وانفصالٍ ويأس من اللقاء، فتوجّهَ إلى السّماء وقال: يا ربّ، ما

الأسبابُ التي صنعتَها لكي تُوصِلَ إليّ أبي وإخوتي، وبعدَ مثلِ هذا الفراق أذنتَ بالوصال ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. هم كانوا في ولاية كنعان وأنا في مصر، ولا عِلْمَ لهم عنّي، أحدثتَ في العالَمِ قحطًا وجفافًا حتّى صار إخوتي وأبي في حاجة إلى الخبز، فاشتروا الخبزَ بالذّهب وزنًا بوزنٍ ولم يحصلوا عليه، وصيّرتَني أنا يوسفَ مَلِكًا لِمصْرَ وأذعتَ اسمي في العالَمِ [إذ صار يُقالُ] إنّ ملِك مصر يعطي قمحًا ويُرخص ويعطي الكثير ويقبلُ من الدرويش الفِضّة الزائفة [١٠٨] بدلًا من الذهب الخالص، ويعطي قمحًا، وجاء إخوتُه من أقصى بلاد كنعان إلى مصر بناءً على هذه السُّمعة، ولم يكن لديهم وهمٌ في أننا نمضي نحو أخينا، وأنّ مَلِك مصر هو أخونا، وإذا كانوا يعلمون فأين جاؤوا؟ وبأيّ وجه جاؤوا؟

فيا لَما من أسبابٍ لطيفةٍ غريبة صَنَعَها فاعلُ الأفعال لكي يجمع يوسفَ الصّدّيق مع إخوته. في اللّيل والنهار، يصنع مئةَ ألفِ عمَلٍ من هذه الأعمال ويفصِلُ أقوامًا ويفرّق جماعاتٍ، ويُلقي موجُ التقدير كلَّ واحدٍ في مدينةٍ، ثمّ من جديد يخلق أسبابًا وبِموج بحر التقدير يجمع من جديد هذه الأسبابَ المفرَّقة. ونؤمِّل من رحمة هذا الفعّال لما يريد أن يصِلَ الأسبابَ اللطيفة المباركة بعد هذا الفراق الطويل، مثلما يسّر الوصالَ الأوّل الذي لم يكن في الوهم. إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

الحقُّ تعالى عليمٌ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠] بأنّ المحبّة والدّعاء بالخير والعشْقَ والاهتمامَ نفسَها التي كانت في أيّام الوِصالِ إذ يرى كلٌّ منّا صورةَ الآخر، ما تزال قائمةً، وقد ظلّ خيالُكم وأحوالُكم أمامَ العين في أيّام الفِراق هذه، ولم ينطبق علينا القولُ المأثورُ «مَنْ غابَ عن العين غابَ عن القلب» وحاشَ للُّطفِ الملكيّ

والبُنُوّة والأدَب النَّبويّ التي يتمتّع بها هذا الفذّ أن تغيب عن عين هذا الأب وقلبه. فالمحبّةُ التي تكون خاصّةً للحقّ، والأبوّةُ والبُنُوّة التي تكون خالصةً لله، لا تتغيّر أبدًا. مثلما يقول الحقُّ تعالى إنّه في يوم القيامة، في تلك الغَلَبة الشديدة وشدّة الهيبة وقول الإنسان: نَفْسي، نَفْسي، تُقْطَع صِلاتُ القُربى كلّها، ويفرّ القريبُ من قريبه، والنّسيبُ من نسيبه، ويُديرُ كلٌّ منهم وجهَه عن الآخر ملتفتًا إلى وجه وقته، ما عدا القرابةَ والأبوّةَ والبُنُوّة والأخوّة التي تكون لله؛ فإنّ زلزلةَ السّاعة لا تقطعُ تلك القرابة؛ يبحث هؤلاء الأقرباءُ بعضُهم عن بعض ويتعاونون في قدْرهم و مقامهم وقُربتهم ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وهذه الدّرجةُ للمتّقين المقلّدين الذين لديهم إيمانٌ وصدقٌ في قلوبهم، لكنّ أعينهم مغمضةٌ، مثلما يعرفُ الابنُ الطفلُ الأعمى أمّه ويرضع حليبَها، ولكنّه حين يُسأل: ما لونُ أمّك، أهي سمراء، شقراء، بشوشٌ، طويلةٌ، قصيرةٌ، دقيقةُ الأنفِ، نحيلةٌ، طويلةُ العنق؟ لا يستطيع أن يسمّي أيًّا من هذه العلامات إلّا بالتقليد والسّماع. أمّا المتّقون الذين فتُحت لهم الأعينُ وأُعطوا القدرةَ على أن يفتحوا عَيْنَ من يشاؤون ويجذبوا أذنَه للإصغاء ويُحيوا الميتَ، فماذا أقولُ عنهم؟ القيامةُ من أجْلِهم ابتغاءَ أن يتحقّق ما قالوه للخلق وهدّدوهم به ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ [إبراهيم: ٤٧]. وهكذا، فالقيامةُ على الآخَرين يومُ وعيدٍ وعلى العبادِ الخواصّ يومُ عِيدٍ ووقتُ مزيد. ولن أعيِّنَ مَنْ هو هذا العبدُ الخاصّ في زماننا، لكنّني أسألُ الحقّ تعالى أن ينوِّر عينَ فريد [١٠٩] العالَمَ هذا وقلبَه بنوره ويعطيه المزيد لكي لا يحتاج إلى قول أحد وتعريف أحد.

أيّها القلبُ، إلى متى أنتَ في سِجْنِ الخداع هذا ترى هذا وذاك؟

اخرج لحظةً من هذه البئر المظلِمة لكي ترى الدنيا

متّعكَ الله في هذه الدنيا وفي تلك الآخرة وفيما وراء هاتين، آمين يا ربَّ العالمين.

الرّسالة التاسعة والثلاثون

[إلى السلطان عزّ الدّين كيكاوس في التوصية بشمس الدّين وابنه نور الدّين]

جعَلَ اللهُ الكراماتِ والطّيباتِ والسّعاداتِ السّماوية، التي هي مطلوبُ أهل الدنيا ونصيبُ الأنبياء والأولياء والخاصّة ـ وهي الجديرةُ بالطّلب ـ ونثارُ الرّوح الطّاهر للمَلِك الذي العِلمُ شِعارُه والعَدْلُ دثارُه، العالي الهمّة، الملَكيّ الصفات، البصيرِ بالعواقب، العابِدِ لله، المفيضِ للخير، فخرِ الملوك، افتخارِ آل داود ـ أدامَ اللهُ علوّه، قرينةً(*) لذاته الشريفة. وثبّتَ الله جلّ جلالُه أوتادَ الدولةِ والإقبالِ المكتسَبِ والموروثِ بالتّثبيت الأبديّ. وجعلَ خيراتِ ذلك المِلِك وحسَناتِه وملاطفتَه للدراويش ورأفتَه الملكية بالمظلومين سببًا لمزيد العناية ومضاعفة الكرامة.

يطالعُ آلافَ السّلاماتِ والتحيّات والأدعية والخدمة من هذا الدّاعي المخلِص، ويتأمّلُ شُكرَ الإحساناتِ والألطافِ وضروبِ المواساة الملكية، الذي لا يُقدَر على تأديته بالقول والكتابة. ويرتّب البارئ تعالى أسبابَ اللقاء، لكي يُقال شُكرُ تلك

---

* المفعول الثاني للفعل «جعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

الضروب من الإنعام حضورًا. والمرجوُّ أن يجازي الغنيُّ المطلَقُ الخالقُ بحقّ هذه الصّورَ من الإنعام من خزائن فضله التي لا نهاية لها ولا حدّ ولا طرفَ مئةَ ألفِ ضعفٍ، أضعافًا مضاعفة.

ويُعْرَض هنا أنّ الأخَ العزيزَ، العالِمَ الفاضلَ المعتقِدَ شمسَ الدّين وابنَه، قرّةَ العيون نورَ الدّين، منذ أن فارقا حضرةَ ذلك العظيم لم يستريحا يومًا واحدًا، بل حتى ساعةً واحدة. فالشخصُ الذي اعتاد على خدمة ذلك الملِك المكرّم واستظلّ بظلّه ورأى [١١٠] ألطافَه، لا يستطيع البقاءَ لدى الملوك الآخرين، وهما يريدان أن يرجعا إلى الحضرة والخدمة، ولا يقدران على ذلك خجلًا. وعندما وصل السّكين إلى العظم، ووصل فراقُكم الذي هو آلَمُ الجروح إلى الغاية طلبا شفاعةَ هذا الدّاعي لديكم. ولأنّهما يعلمانِ عنايةَ هذا الملِك ويُحسنانِ الاعتقادَ بهذا الدّاعي، تصوّرا أنّ شفاعة هذا الدّاعي تُقبَل، وكلُّ ما كان من جنايةٍ وتقصير لن يذكره ذلك الملِكُ وسيمدُّ ظلّ العناية السّابقة على رأسيهما، لكي تكونَ على هذا الدّاعي مِنّةٌ من الأرض إلى السماء، وينضمَّ هذا الإحسانُ إلى الإحسانات السّابقة، لأنّ لهما على هذا الدّاعي حقوقَ خدمةٍ ومساعدةٍ قديمة.

أُؤمّلُ من لطفِ هذا الملِك أن يُعزّ الدّاعيَ بقبول هذه الشفاعة. الجواري والغلمانُ [يريد بناتِه وأولاده]، صغارًا وكبارًا، مشتاقون للّقاء السعيد منشغلون بالدّعاء ليلًا ونهارًا لعلّ صانعَ الأسباب في المشرق والمغرب يصنع سببًا للّقاء، فقد خلَقَ الأسبابَ [لأن نُخلَق] من قطرةِ مَنِيٍّ ـ ليس لها أذنٌ ولا عقلٌ ولا عينٌ، ولا صفةٌ مَلكيّة ولا صفةٌ عبوديّة ولا تعرف غمًّا ولا سرورًا ولا ذلًّا ولا عِزّةً ـ هذه القطرةُ من المَنِيّ التي لا علمَ

لها أُودعتْ في الأرحام، ثمّ بالتربية اللّطيفة صيرّها دَمًا، ثمّ صيَّر ذلك الدّمَ علقةً ثم مضغةً، ثم عظامًا، ثم كسا العظامَ لحمًا. ثم في تلك الخلوة، حيث لا يدَ ولا آلة، شقّ لتلك القطعة من اللّحم فتحةَ فمٍ وعينين وأذنين، وجعَلَ لها لسانًا، ثم بعد الفَمِ صنَعَ لها خزانةَ الصَّدْر التي وضع فيها قلبًا، هو في الوقت نفسه قطرةٌ وعالَمٌ، وهو في الوقت نفسه جوهرٌ وبحرٌ، وهو في الوقت نفسه عبدٌ ومليكٌ. فأيُّ عقلٍ ذلك الذي يدرك أنّه أتى بنا من تلك الولاية الحقيرة المجهولة إلى هذه الولاية وقال: أرأيتَ وسمعتَ من أين أتيتُ بكَ وإلى أين؟ والآن أيضًا أقولُ لك لن أتركَكَ ههنا، بل سأُخرِجُكَ من هذه السّماء وهذه الأرض إلى أرضٍ هي ألطفُ من الفضة الخالصة، وإلى سماء لا يتسع لها وَهْمٌ ووصفٌ، في الإبهاج واللّطف، فإنّه من دوران ذلك الفَلَك لا يشيب الشابُّ، ولا يقدُم الجديدُ، ولا يبلى شيءٌ ولا ينتن، ولا يموت حيٌّ، ولا ينام يَقِظٌ؛ ذلك لأنّ النّوم يكون من أجل الرّاحة ودَفْعِ التّعب، وثمّة لا تعبٌ ولا مَلَلٌ. وإذا لم تصدّق، ففكّر أنّه إذا قلتَ لقطرة المنيّ هذه إنّ لله عالمًا خارجَ هذه الظلمة، فيه سماء وشمسٌ وقمرٌ وولاياتٌ وأقاليمُ وبساتينُ وفيه عبادٌ بعضُهم ملوكٌ وبعضُهم أقوياء وبعضُهم أصحّاءُ وبعضُهم مرضى وعُمْيٌ، والآن، اخشَي، أيْ قطرةَ المنيّ، أنك إذا خرجتِ من هذا المكان المظلم من أيّ نوعٍ من هؤلاء ستكونين؟ ليس لدى هذه القطرة وَهْمٌ وعقلٌ يصدّق حكايةَ أنّ هناك عالمًا غيرَ هذه الظلمة وغذاءً سوى هذا الدّم؛ ولذلك تكون تلك القطرةُ غافلةً ومنكِرةً. أيمكن أن تتحرّر؟ يؤتى بها غصبًا. وهذا كفاية.

يسلِّمُ عليكم سيّدُ المشايخ، قُطْبُ الزمان، أمينُ القلوب، جُنَيد الوقت، حسامُ الحقّ والدّين ـ أدامَ الله [١١١] بركاته ـ ويدعو لكم. وإنّ سلامَه ودعاءه المبارك غيرُ

منقطعٍ عن الأبناء والمعتقِدين؛ لأنّ محبّة عباد الله وتعلّقهم لا تنقطعُ ولا تنقص، مثل روحهم الباقي الأبديّ الذي لا يتغيّر بأيّ علّة من جانب الخلق أو بسبب غفلتهم، ذلك لأنّهم لا يمتلكون زمام أمرهم، ومحبّتهم وتعلّقهم يكونانِ بإشارةٍ من الحقّ لا وفقًا لهواهم. وإنّ المحبّة الناشئة عن هوى وهوَسٍ تبردُ وتسخُنُ، مثل هواء هذه الدنيا الذي يكون صيفًا تارةً وشتاءً تارةً. أما تلك المحبّةُ التي تخرج عن الهوى فتكونُ وفق مراد الحقّ: لا تبردُ ولا تسخن ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٣]،﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النّور: ٣٥]. وعندما لا يفي الغافلون يقول عبدُ الله: «اللهمّ، اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون». أدامَكَ اللهُ على مُلْكِ الإيمان ومُلْك الأركان، أمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الأربعون (*)

[موجّهة في الظاهر إلى فخر الدّين عليّ صاحب العطاء في شأن الإمام عماد الدّين والإمام مجد الدّين وطلب العفو عنهما]

أدامَ الله أيّامَ مولانا وليّ الأيادي المولى العلّامة، المحقّقِ الرّبانيّ، رافعِ منار الهدى، مظهِّرِ الذات، مجمِّل الصّفات، عينِ الفضل وإنسانه وترجمانِ الحقّ ولسانه، السرّ

* هذه الرّسالة بالعربية في الأصل [المترجم]

الأكبر والنّورِ الأبهر والحقّ الأشهر، صاحبِ السعادتين في الحياتين، برهانِ السّفارة في الحضرتين، كمالِ الحقّ والدّين، لا زالَ السّعدُ له نزيلًا والمكارمُ بحضرته عاكفةً، والمعالمُ عليه واقفةً، وخلّدَ الله في جواب الفتاوى أقلامَه، ونشَرَ في مواكب الوحدانية أعلامَه.

وينتهي إلى جنابه العالي أنّه لا يخفى على العالمين إدراكُ خدمته الشريفة والتشرّفُ بزيارته الكريمة. مفخرُ الأحرار ومقتبَسُ الأنوار، الذي هو لعِطاش الفضائل كالماء الفرات، لا سيّما لهذا الدّاعي الذي هو أحرصُ الناسِ على إدراك تلك الزيارة الباهرة. فالتنائي عن ذلك الجناب لا يكون لكسَلٍ بل لخجَلٍ، ولا يقع التقصيرُ عن قلّة رغبة، بل لإجلالٍ ورهبة، كما ورد عن والِدِ البشَر آدمَ، عليه السّلامُ، أنّه بعْدَ ارتكاب المنهيّ كان يفرّ من مواقف المناجاة، فخاطبه الجليلُ مناديًا: أفِرارًا [١١٢] منّي يا آدمُ ؟ ـ قال: لا، يا ربّ، بل حياءً منك. وقولهم:

لو اختـصرتُمْ مِـنَ الإحـسانِ زرتُكـمُ والعَذْبُ يُهجَـرُ في الإفـراطِ في الخَـصَرِ

ثمّ لم يغنِ عنّي صبري عن حضرته إبعادًا لتاقلي إذ التمس منّي الوالدانِ الأعزّان(*) وهما الإمامُ عمادُ الدّين والإمامُ مجدُ الدّين ـ دام توفيقُهما وحرصُهما على ملازمة حضرة المولى مدّ اللهُ عُلوّه ـ وكأنّه نُقِل إلى ذلك الجنابِ المخصوص بالعفوِ والرّأفة زائدًا عمّا صدَرَ منهما. فالمرجوُّ من جليل كرَمه أن لا يجعلَ ذنوبَهما من الذّنوب التي لا تُغفَر، ويعفوَ عن خطيئتهما وإن جلّت، ويثبّتَ على الاستقامة أقدامَهما وإن زلّت، ولا يشمّتَ بهما العِدا لا شمّتَ اللهُ به أعداءَ دولته، وحرسَه في إقامتِه وسَفرته.

* ظاهرُ الأمر أن مفعول «التمس» محذوف هنا [المترجم].

وأردتُ أن أجيء لأجل هذه الشفاعة وأشفي غليلي وشوقي متعلّلًا بهذا الالتماس. لكن قد علمتُ وجرّبتُ كثيرًا أنّي كليلُ اللّسان في حضرة السّادات والموالي، قليلُ البيان عندَ ملاقاة العِيان، وإن حرصتُ على ذكْرِ المودّة المحِبّيّة وشَرْحِ المحبّة الإلهية باللّسان. إذ قال قائلٌ للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنّي أحبُّ فلانًا. قال: قُمْ وأخبِرْه. وقولُه «تكلّموا حتّى تُعرفوا»، ولكن لا يطيعُني لساني ولا ينقاد لي بياني، وأرجعُ عن حضور المولى لائمًا نفسي مغاضبًا لمنطقي. وهما يُشهِدانِ اللهَ على ما في سِرِّهما، وهي مودّةُ أهلِ الفضلِ، لا سيّما مولانا، لا نقصانَ في الولاء والمودّة، ولكنّ اللّسانَ عن بيانه مقفولٌ عند ملاقاة سيّد الفضلاء والفحول «وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له». لا زالتْ فِراسةُ مولانا مستغنيةً عن لحن اللّسانِ وظاهر البيان، مبصِرًا بنور الحقّ سيماءَ الوجوه ولمحات الأجفان، ولا زالَ دون أخمصِه النجومُ وقلّ في أوصافه العلوم. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الحادية والأربعون

[إلى واحدٍ من الأمراء في التوصية ببهاء الدّين وطلَب تسليمه مدرسةً]

جعَلَ اللهُ ديباجةَ المحيّا المباركِ اللّقاء، الشّبيهِ بالشّمس، مفخرِ الأمراء والخواصّ، عُمدةِ الدّولة القاهرة، عِمادِ السلطنةِ الباهرة، منبعِ المكارم والمعالي، سيّدِ الأكابر والأعالي، المتفنّنِ في الفضائل، شريفِ الشمائل، مربي الأفاضل، افتخار الأماثل ـ أدام

اللهُ علوّه ـ قبلةَ(*) الإقبالِ المؤيَّد وكعبةَ [١١٣] سماءِ الملك الممجّد، ومشربَ الأرواح المقدّسة، ومحطَّ آمال الخواطر المصوَّرة، لسنين تفوق الأعداد.

إنّ آثارَ أخلاقِه اللّطيفة وأوصافِه الشريفة منتشرةٌ مثل أخبارِ حُسْن يوسف ومُلْك سليمان ـ عليهما السّلام ـ وجُودِ حاتم، وأعينُ المحبّين وقلوبُهم تتضاعف استنارتُها كلَّ يومٍ بإكرام تلك الذّاتِ الشريفة وبَسْطِها للإحسان وسلامةِ طويّتها، ضاعفها اللهُ!

ويبلِّغُ السّلامُ الموصوفُ في الكتاب الكريم والخطاب القديم ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٥]، والشوقُ غالبٌ إلى لقاء تلك الذات الشريفة، المستورة برداء المصالح وتدبير المهمّات، إذ لولا حُجُبُ الأشغالِ هذه لنظرَ في مرآة صفاء وجهه، فحار في نفسه، ولم يصل إلى مصلحة وتدبير. لكنّ الحكمة القديمة رفعت تلك المرآة من أمام وجهه لكي يكون لكلّ إنسانٍ نصيبٌ منه. وقد حدَثَ بحَمْد الله أنّ طالبي النصيب شاكرون ذاكرون لذلك الجناب العالي. وإنّ تأثير شكر الشاكرين الآخرين لتلك الحضرة صار باعثًا على التماس العناية والرّحمة في شأن رافع هذه الرّسالة.

والابنُ بهاءُ الدّين ـ يسّر اللهُ له اليسرى ـ الشاكرُ دائمًا لأيادي ذلك الجناب العالي والذّاكرُ لثنائه، داعٍ بالمزيد لتلك الدّولة من صميم قلبه وروحه، في المجامع والمجالس. لكنّ كثرةَ العِيال والأتباع وقلّةَ المنال تمنعه في هذا الوقت من الانشغال بالدّعاء

* المفعول الثاني لـ «جعَلَ» في أوّل الفقرة [المترجم].

لدولتكم ومن تحصيل السعادة فقد «كاد الفقرُ أن يكون كفرا». فإذا جاء مدَدٌ من ميامنِ عنايات ذلك الكريم ـ لا زال مكرَّمًا ـ ووُفّرت مدرسةٌ منحلّة أو غير ذلك، مما يُرى لائقًا بحاله وفقًا لقاعدة الإكرام والمواساة والعناية بالعلماء، فلا شكّ في أنّ ذلك الشّكر سيصلُ إلى أسماع المحِبيّن، ويُمَدّ في الأدعية، وسيكون هناك ثوابٌ عظيم، ويكون ذلك سببًا لدوام الدولة والسّعادةِ وقهرِ الأعداءِ وأمْنِ العبادِ والبلاد. وإنّ قلوبَ جَمْعٍ من حَلْقة أهل الخير ستُسرُّ بذلك، كما هو واضح لديكم. دمتَ ناصرًا ومنصورًا وذاكرًا ومذكورًا، آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثّانية والأربعون

[إلى مُعين الدّين پروانه في الشكوى من
المغول الذين طالبوا بمركب وبغل]

اللهُ يجمعُ بينَنا، ويرفع البُعْدَ من بيننا، صرَفَ اللهُ المكارهَ عن مولانا الأمير الرّبانيّ، الجليل [١١٤] الأصيلِ، ملِكِ الأمراء والأيامن، پروانه بك ـ أدام اللهُ علوّه وشرَحَ صدرَه وأحسنَ عاقبتَه ـ ويتلقّى السّلامَ والدّعاء من هذا المخلِص.

معلومٌ أنّه مثلما أنّ قِلّةَ المال عيبٌ عند الأغنياء، ويجدون في ذلك نقيصةً، فإنّ الادّخارَ واكتنازَ الذهب والفضّة مئةُ عيبٍ وأكثرُ لدى الدراويش، ويشعرون إزاءهما بالخجل.

التعاظمُ عارٌ عنْدَ الدراويش

التعاظمُ عبءٌ ثقيلٌ على خواطرهم

يدخلُ رزقُهم كالسّيل ولا يأتي بسبب هؤلاء الخَلْق. وقد بلغ الدَّينُ والاقتراضُ ثمانيةَ آلاف وأكثر، واليوم يطالِبون ببَغْلٍ من أجل التُّرك. ولله وفي الله، إنّ عناية ملِك الأمراء بهؤلاء الدّاعين فاقت الوصفَ، ولم ننسَ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. وإذا تأخّرت المكافأةُ على الحضرة، فإنّها لم تُنسَ، «تعالى الله عمّا يقول الظالمون». وهذا أوانُ رقّةٍ ووقتُ رحمةٍ، فلا يَعُدّ الدّاعين من قَبيل الآخرين، فليس لديهم آلةُ صيدٍ، وقد صِرْنا صيدًا. والمصيدُ لا يستطيع الصّيدَ.

إكرامُ أهلِ الهوى من الكرَمِ وأمّةُ العشقِ أضعفُ الأممِ

ولاحاجةَ إلى الإسهاب لأنّ لنا في الضمير الملكيّ لپروانه الأعظم ـ أحسَنَ اللهُ عاقبتَه وأكرمَه ـ شفيعًا يُسهب في الحديث الجميل لهؤلاء الدّاعين عن الأمير. دمتَ محسِنًا، وهذا إكرامُ ملِكِ الأمراء، والهديةُ عند الحاجة أهلٌ للقبول.

الرسالة الثالثة والأربعون

[إلى مُعين الدّين پروانه في طلَب العفو عن نظام الدّين]

فتَحَ اللهُ أبوابَ الإجابة والعناية السماوية قرينةً للذات المطهّرة المنوّرة لملِكِ الوزراء، آصِفِ العَدْل، الدّستور المعظّم، منشئِ الخيرات ـ أدام الله علوّه وأهلكَ عدوّه وأدامَها، وعصمَ زمانَه الميمونَ من غرور دار الغرور، إنّه مجيبُ الدّعواتِ ومُنزِلُ

البركات وقاضي الحاجات.

يطالعُ السّلامَ والتحيةَ من هذا الدّاعي المخلِص، ولا يحمِلُ تقصيرَ الجسد إزاء حضرته [١١٥] على معنى الاستغناء والنسيان، فإنّ بين القلبِ والقلبِ طريقًا خفيًا. «من القلب إلى القلب رَوْزَنةٌ».

إذا غُلِّقتْ جهاتُك السّتُ فلا تخشَ؟

فإنّ في أعماق وجودك طريقًا إلى المعشوق

وإنّ للشّمسِ إلى الصّخر القابع في أعماق المنجم طريقًا خفيًّا خاصًّا لكي تحوّله بحرارتها إلى ياقوت. ولا عِلْمَ لتلك الصخور وذلك الياقوت بذلك الطريق. كذلك فإنّ لشَمس عنايةِ الحقّ طريقًا خفيًا إلى جوهر القلب المؤمن القابع في منجم قالبه، ولا عِلْمَ لصَخْرِ القالب وياقوتِ القلب بذلك الطريق، وهما يريانِ الهديةَ نفسَها التي تصل.

يجري الدّمُ وجرحُه خفيٌّ

تصل رائحةُ الكَبِد المشويّة والمطبخُ غيرُ ظاهر، وهذا الكلامُ مِثْلُ فضائلِ مِلك الوزراء لا نهايةَ له، ولكن «ما لا يُدْرَكُ كلُّه لا يُترَكُ كلُّه».

لا بدّ من ليلٍ دائمٍ وشعاع قمرٍ جميل

لكي أحدّثكَ عن ألوان الغمّ التي أحدثتَها فيّ

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]

أي إنّ أولئك المحسِنين الذين يمدّونَ يدَ العون إلى المحتاجين من أجل رضى الحقّ، إذا لم يشكرْهم المحتاجون وجفَوهم وكفروا نعمتَهم، يقولون إنّنا لن نُغلق عليكم بابَ

الإحسان بسبب جفائكم وكفركم النعمةَ، لأننا قدّمنا هذا الإحسانَ خالصًا لمرضاة الله تعالى لا طمعًا في شكركم ومعرفتكم حقّنا. وسببُ نزولِ هذه الآية على قول بعضهم أنّه في عهد الرّسولِ عليه السّلام كان أحدُ المحسِنين في سنة قحطٍ قد رتّب لدرويش رغيفَ خبزٍ كلّ يوم. فقال أحدُ الحسّاد يومًا: أيّها الأخُ، أنتَ تقطع عن حلوق أطفالك في مثل هذا القحط أرغفةَ خبزٍ وتعطيها له، وهو يقول عنك إنّك مخطئ ويضيف: إنّ صدقتَه تبقى في وجهه؛ لأنّه يعطيني رغيفًا محروقًا لو قدّمته للكلاب لما شمّته ولعافته. وقال أشياءَ أخرى سيّئة، كتابتُها إلى جنابكم مجافيةٌ للأدب. وبعد أن سمع ذلك المسْلِمُ هذه الإساءات، نفر قلبُه من ذلك الرّجل، لكنه ضاعفَ الوظيفة كلَّ يومٍ ونذَرَ وألزم نفسَه وقال: إلهي، إنّ عبدَكَ يُمتحن؛ لأنّني قلتُ إنّني أعطي ابتغاءَ مرضاتك.

واليومَ فإنّ ذلك المحسنَ هو مِلِكُ الوزراء، وذلك الطالبَ وصاحب الوظيفة هو ابنُنا نظامُ الدّين، غريقُ تلك النِّعَم، وعتيقُ ذلك الكرَم الذي يتفضّل به مِلِكُ الوزراء. فإن كانت هناك إساءةٌ، فالمرجوُّ أن لا تُقصَر عنه العنايةُ، ولا يُجعل من المغضوب عليهم؛ احتسابًا للأمرِ عند الله تعالى وإرضاءً لوجه الله، وهو ما تنصرفُ إليه همّتُكم ويتوقُ إليه أمَلُكم. وسأكونُ مسرورًا سرورًا تامًّا إذا ما أُطلق من أجل الله تعالى [١١٦] لكي يخرجَ ويصفّق ويرقص. وإذا ما حصل اليومَ لتلك الحضرة ضررٌ من هذا الإحسان فالمستيقَنُ أن يصل من جناب الحقّ عِوَضَ ذلك أضعافٌ مضاعفة، فما أكثرَ خواطر الأعزّاء لدى حضرة الحقّ المرتبطةَ بأمره نهارًا وليلًا! وهذا أوانُ رِقّةٍ ووقتُ مرحمةٍ وشفقةٍ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨].

استمعْ إلى كلام سَنائي ونُصْحِه واحفظْه،

فإنّ كلامَ العَبْد سَنائي جديرٌ بالاستماع إليه

دمتَ محسِنًا ووهّابًا ومؤثّرًا ومفضّلًا، آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الرّابعة والأربعون

[إلى فخر الدّين علي صاحبِ العطاء
في التوصية بواحدٍ من أبنائه]

أبقى الله ظلَّ عَدْلِ مَلِكِ الوزراء ورأفته، الناشرِ للخيرات، المغيثِ للخلائق، الأبِ للملوك والسلاطين، على المسلمين جميعًا، سنينَ لا تُحصى عددا. ويبلِّغُ السّلامَ والدّعاء عن صدقٍ ووفاء ووفور هوى. وإنّ شُكْرَ الأيادي وضروبِ العناية والإحسان التي تفضّل بها على هذا الدّاعي وإخوانه والمتعلّقين به، يعجِزُ عنه الشّرحُ والبيانُ وتسطيرُ البنان؛ لأنّها خالصةٌ لله تعالى، شَكَرَ اللهُ سعْيه وأعلى ذكرَه. جعل اللهُ مئةَ ألفِ رحمةٍ على هذا الروحِ الطاهر المقدّس المنير، الذي في كلّ لحظة يزرع بذورَ السّعادة في طريق الآخرة وليوم العاقبة، ويمتنّ ويتفضّل، ويَعُدُّ ذلك التوفيقَ خِلْعةً سماويّة وكنزًا خالدًا ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر: ٢٢]. ويعلَمُ علمَ اليقين أنّه لن يبقى في اليد من هذه الدولة والسّعادة والمنصب في هذه الدنيا إلّا ما هو ذخيرةُ العَدْلِ مع الإحسان؛ إمّا بالعَدْل ودَفْع شرّ الظالم عن المظلوم، وإمّا الإحسان بإعانة المستحِقّ المحروم. وهذه هي نفسُها صَنعةٌ قديمة وحِرفةٌ للعالِمِ العادلِ الحكيم الكريم، ملِكِ الوزراء،

مدّ الله علوّه وصانه من نوائب الدهر وصدمات الشرّ والقهر.

وفي هذا الوقت، فإنّ الابنَ الدّاعي، متوجّهٌ إلى الرحمة والعناية الموظّفة منذ القديم لمِلِك الوزراء، ولا ملجأ للطالبينَ اليومَ سوى تلك العناية وذلك اللطف، لكي ينجو في ظلّ الرّحمة من هجير مزاحمة المزاحمين ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٧٧]. فبسبب ضيق هذه اللّقمة [١١٧]الفانية، يتجاوز كلٌّ منهم على الآخر ويمدّ كلٌّ منهم يدَه إلى حقوق الآخر. ومنذ أن وُجدت لقمةُ العالَم الغدّار كانت ضيّقةً، خاصّةً في هذا الزمان؛ وفي هذا يقول: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].إنّ أرضَ التوكّل والقناعة واسعة. ومَن فُتح له ذلك البابُ ينظر بعين الرّحمة إلى الوجود كلّه، حيث كلُّ واحدٍ يفعل فِعْلَ النّمل: تسحبُ النملةُ الحبّةَ إلى جُحرها بالحيلة والارتعاش، وتقع وتنهض. ولأنّها تملك أعينًا صغيرة لا يكون في مقدورها أن ترى بيدرَ ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق: ٣]؛ وأمّا ذلك الوحيدُ المتوكِّل فقد اعتلى البيدرَ الباقي الرّبّاني، وجلَسَ طيّبَ النفس وأخذ يتفرّج على أطراف البيدر ويرى ما يفعل بعضُ هذه النّمالِ ببعضٍ وكيف تتدافع على هذه الحبّة المقسومة، وكم هي غافلةٌ عن بيادر الرّحمة هذه ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[المائدة: ٥٤].

لا أخلانا اللهُ وإيّاكم من بركاتهم. والمتوقَّعُ أن تُبسط عليه وظيفةُ الإكرام والعناية القديمة والرّحمة، ليُديم اللهُ هذه الدولةَ، آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الخامسة والأربعون

[إلى من يُدعى صَدْر الأمراء في التوصية
بنظام الدّين صهر صلاح الدّين]

أتمّ اللهُ تعالى رحمتَه ونورَه على صَدْرِ الأمراء العميدِ، ناشرِ الخيرِ والإحسان، بديعِ الفَضْل في الزمان حتّى يسعى نورُه بين يديه وبيمينه، إنّه لما يُرجى ويدعى قريبٌ مجيب.

يقبلُ السّلامَ والدّعاء من هذا الدّاعي القديم، وإذا كان الآخرون ملازمين لحضرته والدّعاء له بأجسادهم، فإنّني ملازمٌ له بروحي؛ وإذا كانوا ملازمين بالرّوح فإنّني ملازمٌ بروح الرّوح وأطلب المَدَدَ في الدّعاء لدولته من الخاطر الأشرفِ لملِك الأبدال، روحِ العارفين، أمينِ القلوب، مولانا صلاحِ الحقّ والدّين الذي هو في هذا الوقت قِبْلَةُ الأرواح المقدّسة [إذ يقول الحقّ تعالى] ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، لكي تمزّق آثارُ هذا الدّعاء عن قريب الحجُبَ وتظهر على مساعي اللطيف الكريم السيّد، على أتمّ صُوَر الظهور، ويتيسّر ويُحصَّل [مدلولُ قوله تعالى]﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟﴾ [فُصّلت: ٣٠]. وإنّ علامةَ حصول هذا المعنى هي أنّ العناية السّياديّة، بل الأبويّة، تُبذَلُ للابنِ [١١٨] العزيزِ اللّبيبِ الأديبِ المعتقِد، الكافي الصّافي، نظامِ الدّين، زِيدَ فضلُه، الذي هو الآنَ صهرٌ لحضرة مولانا صلاح الدّين، وابنٌ له في الوقت نفسه؛ وبين كِفايته في العمل الذي يُسند إليه، في الحفظ والأمانة والتربية، وبين الآخرين فرقٌ كبير. ولن أشرحَ ذلك من جهة أنّه سلّمَ بعظمته ببنوّةٍ ولأنّ حُسْنَ صفاته لا يخفى على الصّدور. ومن أجل

سرور قلب هذا الدّاعي وأصحابه المخلِصين تغدو ثمرةُ ما يغرس في متناول اليد في أقرب وقت ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٥].
الله، الله، إنّ الدّاعي نفسّه أراد المجيء لكي لايحصل تأخيرٌ في هذا العمل من أعمال الخير.

آتي إليكَ ولكن في الخفاء،

وهذا جنسُ الزيارة الروحية.

ذخيرةُ يوم ﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم: ٨]، أي أغرِقِ الشؤمَ والخُلْفَ في النور أيضًا. برغم أنّه لا يكون هناك مكانٌ لشؤمٍ وخُلْف. أيّدَه اللهُ بروحٍ منه وبحَوْلٍ وقوّةٍ عرشيّة قديميّة ربّانيّة إذ «لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمِعتْ، وموهبةٍ ونِحْلَةٍ من عند الله الكريم. والسّلام.

الرّسالة السادسة والأربعون

[إلى من تُدعى فخر الخواتين في شفائها
بعد مرَضٍ لإظهار الغبطة والسّرور]

جعل اللهُ سعادةَ وَليّةِ الإنعامِ والإكرام، الزاهدةِ العابدةِ فخر الخواتين وعصمتهنّ، الحسَنةِ الخُلُق، العاليةِ الهمّة، المفكِّرةِ في العاقبة، الباسطِة للخير، الطيّبة الذّكر، سليلةِ الملوك، ابنة الأمير ـ أدام اللهُ عصمتها وضاعف دولتها ـ ودولتَها الرّفيعة، في ازديادٍ إلى الأبد. وجعَلَ أحبّاءها سعيدين، وأعداءها منكوبين، وكفاها

حاجاتِ الدّين والدّنيا، وأبلغَها مراداتِ العالَمَيْن [الدنيا والآخرة] وسعاداتِ الدّارين ـ بحقّ محمّد وآله.

تتلقّى السّلامَ والتحيّة من هذا الدّاعي، وتُعلَم بأنّ الاشتياق إلى لقائها المبارك لا حدّ له. [١١٩] ويشهد الحقّ تعالى أنّ الخاطرَ لم يخلُ لحظةً من التفكير بأحوال هذه الفريدة، ولم يُنسَ اللّطفُ والمحبّةُ والإحسانُ والإكرامُ الملكيّ أبدًا، لكنّني كنتُ أضرعُ إلى الحقّ وأدعوه، عندما لم يكن ثمّة إمكانيةٌ للمجيء ولكتابة رسالة. مثلما يعلَمُ القلبُ المستنير والرّوحُ الطّاهر لهذه الفذّة أنّ الأمر كذلك ولا تكلّفَ في هذا، فإنّ المحبّة التي تكون للحقّ تعالى لا تقبلُ النقصانَ في الموتِ والحياة. وقد كنّا على الدّوام نسأل الصادرَ والواردَ عن أحوالكم. والحمدُ لله تعالى أننا في النهاية سمِعْنا بشائرَ الخير والسلامة والسعادة في شأن هذه الفريدة. وبرغم حلول الشدائد والمصاعب فإنّها تكون أسبابًا لنيل الدرجات وذرائعَ للسعادة والنجاة. ولأنّ تلك الفريدةَ اعتمدت دائمًا وتوكّلت على فضل الحقّ تعالى وعنايته، كانت النتيجة أنّ فضلَه القديم يجعل الآلامَ عينَ العلاج، ويجعل الخرابَ عين العمران. مثلما قضت السُّنّةُ الإلهية في القديم أن يُبتلى الأنبياءُ والأولياءُ وأتباعُهم، هؤلاء الذين توجّهوا إلى الحقّ واعتمدوا على فضله، بأنواع البلاء القاسي على سبيل امتحان الحقّ لهم. حتى إذا استيأسوا وأخذ الأعداءُ يقرّعونهم بالقول إنّكم تدّعون باطلًا في شأن فضل الحقّ وتثرثرون في الحديث عن تلك الحضرة، وهذه هي حالُكم اليومَ، وهو لا يساعدكم، قالوا: برغم أننا مساكينُ ضعفاءُ في أجسادنا وأنفسنا، ونصعّد آهاتِ الحسرة، فإنّ في داخل أرواحنا عهدًا محكمًا، وعهدُ الإيمان راسخٌ وطيد. ونعُدّ وعْدَ الحقّ صادقًا في أنه في النهاية سيحوّل سُمّنا

شُكرًا، ويجعل ظلمتَنا نورًا، ويرفع الدولةَ المنهارة. وهكذا كانت العاقبة ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. جاءت نُصرة الحقّ وأمدادُه، ورأوا بدَلَ كلّ مرارةٍ مئةَ ألف حلاوة، وحصلوا بدلًا من كلّ فراقٍ على ألفِ وصالٍ وسعادة ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣].

وماذا أقول عن هذه الناحية؟ ـ رفع الصغارُ والكبارُ ليلًا ونهارًا أيديَهم بالدعاء لتلك الدولة إلى حضرة من هو مُعينُ العاجزين والمحتاجين، وهم في غاية الشوق إلى تلك الفريدة. ومن هنا، فإنّ الملازمين للخدمة، صغارًا وكبارًا، يهدونكم السّلامَ، والسّلام.

الرّسالة السابعة والأربعون

[إلى القاضي كمال الدّين في التوصية بمجد الدّين لقبول شفاعته]

[١٢٠] أطالَ اللهُ بقاءَ الصَّدْر الذي يستحقّ الصّدْريّة بسَعة الصدر، خيرِ القضاة عليّ القدْر، وأدامَ سعادته ولا زال مترقّيًا في معارج عِلّيّين، بحق محمّدٍ وآله أجمعين.

يطالعُ السّلامَ والتحيّة، ويعلّمُ الاشتياقَ إلى المجالسة، ولكن «تجري الرّياحُ بما لا تشتهي السُّفنُ».

وكما قال عليُّ بنُ أبي طالب كرّم اللهُ وجهَه: «عرفتُ ربّي بفَسْخِ العزائم ونَقْضِ الهِمَم». أمّا القلبُ والخاطرُ فمنشغلان بالأحوالِ المحمودة لهذا العزيز.

جعلها الله أكثرَ حمدًا كلّ يوم.

إنّ الابنَ المخلِص مجدَ الدّين من المحبّين لحضرتكم ومن الدّاعين لدولتكم، وهو اعتمادًا على اللّطف الجِبِلّي وكرَمِ العنصر اللذين تتمتّع بهما ذاتكم الشريفة، يقول كلمةً على سبيل الشّفاعة. وإذا كان لا يعرف آدابَ القول، فإنّ أدبَ محبّتكم مستقرٌّ في صَدْره. والمرجوّ أن يُصدَّق. دمتَ محسِنًا، والسّلام.

الرّسالة الثّامنة والأربعون

[تبدو موجّهةً إلى فخر الدّين علي
صاحب العطاء في إرسال سيف الدّين
لإخباره بالمصاهرة]

أبقى اللهُ سعادةَ مِلِك الوزراء، آصِفِ الزمان، نظامِ مُلْك العَدْل، منشئ الخيرات، مربّي العلماء، مؤنِس الفقراء، ناصرِ الهدى واليقين ـ أدامَ اللهُ علوّه ـ وأبقى إقبالَه على تقادم الأدوار وتجدّد الأطوار. مُحبّو تلك الدّولة منصورون ومسرورون وأعداؤها مقهورون ومحصورون، بمحمّد وآله أهلِ الهدى والنّور.

يبلِّغُ السّلامَ والتحيّةَ، وهما فرْضُ عينٍ، ويُعلِم أنّ الاشتياق إلى لقائه الشريف الحنون غالِبٌ وباعثٌ. يَسّرَ اللهُ لقاءَ الطّلعة المباركة، لا زالت منوَّرةً مسرورةً منصورةً سفرًا وحَضَرًا ليلًا ونهارًا في أمان الله وحفظه، في أبركِ ساعةٍ وأسعدِ حالةٍ. تصل الأخبارُ المفرِحةُ عن تلك الحضرة من الصادر والوارد، وعندما يُسمَع عن تلك الحضرة الباسطة للخير كمالُ الحال وتوفيقُ ذي الجلال في الاهتمام بتلك الخيرات، ممّا

هو علامةُ سعادة العاقبة وغفران الآخرة [١٢١]، يحصُلُ شكرُ الباريءِ تعالى «والشكرُ وسيلةٌ إلى المزيد». قال الله تعالى ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]. جعَلَ اللهُ نوايا الخير والإخلاص التي يبديها هذا العزيزُ في «تعظيم أمر الله والشفقة على خَلْق الله» مقبولةً ومقابَلةً بأضعافٍ مضاعَفةٍ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، بل ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة:٢٦١]،بل ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٦١].وجعَلَ اللهُ ملِكَ الوزراء العادلَ الحلّالَ لعُقَد المشاكل مكتوبًا ومحسوبًا ضمنَ وَعْدِ «لمن يشاء».

الأخُ العزيز، أكفى الكفاة، المعتقِدُ صاحبُ الدّين، سيفُ الدّين ـ كتب اللهُ سلامتَه ـ عجّلَ إلى حضرتكم، لكي يعْرِض الخدمةَ التي قدّمها لحضرتكم سريعًا. والمتوقَّعُ من صدقات ذلك العزيز ومكارم حسناته أن يسمحَ لنا بالأخِ العزيز سيفِ الدّين سريعًا من دون تريّثٍ ويرسلَه إلينا، لكي يتمَّ خبرُ المصاهرة والارتباط إذ «النكاحُ سُنّتي». وقد جاء في الحديث أنّه جيء إلى المصطفى ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بجوادٍ من ناحية البحر، برَسْمِ الهديّة، قيِّمٍ جدًّا وجميلِ الهيئة إلى حدّ أنّه يعدِلُ خراجَ ولاية. فقبلَه قائلًا: «لو أُهدِيَ إليّ بكُراعٍ لقبلتُه». يقول المصطفى صلّى الله عليه وسلّم إنّه بهذا الاستغناء والتفرّغ الذي لديّ ـ إذ من الواضح أنّ خزائنَ الأرض لا تساوي شيئًا إزاء خزائن السّماء، أنّ هذه الأرضَ تجمع فُتاتًا من تلك السماء ـ عُرِضتْ عليّ خزائنُ السّماوات وكنوزُها فلم أنظر إليها بطرف عيني ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النّجم: ١٧]. عجبًا، الإنسانُ الذي يرى لقاءَ الحقّ، أيُّ شيءٍ يكون لديه ذا قيمة؟

هذا الذي فعلتُه كان على جهة الاستغناء والتفرّغ، أمّا من جهة المروءة والشفقة والتقبّل الحسَنِ للخَلْق فإنّ من يأتيني برِجْل أرنب، هديّةً، أقبلُها بتكريم. ولا أُدخِل اليأسَ إلى قلب هذا المُهدي. صدَقَ رسولُ الله. قبِلَ هذا الجوادَ الهديّة.

التفت [المصطفى] إلى الصحابة وقال: أيّها الأصحابُ، لأيّ شيءٍ يصلُحُ هذا الجواد؟ قال أحدُهم: يصلح لغزو الكفّار. قال: لا، الغزوُ نفسُه شيءٌ طيّبٌ، لكنّني أسأل عمّا هو أحسنُ. فقال آخر: يُباع ويعطى ثمنُه لمن يستحقّ. فقال: هذا أيضًا حسَنٌ؛ أسأل عمّا هو أصلح. فقال كلّ واحدٍ شيئًا حتى عجزوا. قالوا: يا رسولَ الله، قُلْ أنتَ. فقال: يكون لشخصين حديثٌ عن النّكاح، لكنّهما لا يتزوّجان أو في النقاش يبقى المَهْرُ أو الجهاز أو غيرُ ذلك. نحن هنا نسمع أنّه في مدينة كذا تُحدِّث عن مثل هذا النكاح، ثم أوقفه مانعٌ، نُركِبُ على هذا الجواد رجلًا عذبَ المنطق عاقلًا يُجري هذا الجوادَ بأقصى سرعته ويُتِمّ هذا النكاحَ ويزيل المانع. إنّ كلام الأنبياء لا يكون فارغًا، خاصّةً كلامَ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. ولو أنّنا فكّرنا نحن وأمثالُنا لمئة عامٍ لما رأينا بعقلنا الصّغير ما يراه هو في لمحة واحدة. ولو جُمع مئةُ ألفِ سراجٍ وشمعٍ وأُشعلت في ليلةٍ لما فعلت [١٢٢] ما تفعلُه شمسٌ واحدةٌ في الدنيا، برغم أنّ الشّمسَ ليست نورَ الله، الشمسُ مخلوقةٌ. وإنْ كانت الشمسُ نورَ الله فكيف قال: «المؤمنُ ينظر بنور الله؟» فإنّه في الشمس يشترك الكافرُ والمؤمنُ، لا بل إنّ الحيوانات مشترِكةٌ معنا في ضياء الشمس. فلماذا يُمدَح المؤمنُ ويُثنى عليه بأنّه «ينظر بنور الله؟» والعاقلُ تكفيه الإشارة. دمتَ مغيثًا للخلائق ومدركًا للحقائق، آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة التاسعة والأربعون

[إلى حاجي أمير، رسالة محبة]

جعَلَ اللهُ السعادةَ الأبديّة والإقبالَ السّرمديّ ورضا الله قرينَ العهدِ المبارك للسيِّد الأجَلّ، الزاهدِ العابد، الحسيب النّسيب، الحسَنِ العهد المجاهدِ العالي الهمّة، حاجي أمير، أدامَ الله بركتَه وأيّده ونصَرَه. وجعلَ اللهُ تعالى صدرَه المبارك المفكّرَ بالخير موردَ الإلهامات ومصدرَ الكرامات، أحبّاؤه مسرورون ومبتهجون، وأعداؤه للانتقام مقهورون ـ بحقّ محمّد عليه السّلام.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ اللذين هما من المواجب واللوازم، وعلى هذا الدّاعي دَيْنٌ أوجب، ويعلَمُ أنّ الاشتياق إلى لقائه المبارك ومنظره المحبوب ـ الذي هو ديباجةُ بِشارة العناية السماوية ـ غالبٌ وباعثٌ. يجعلُ البارئ تعالى للّقاء سببًا خفيفًا وسريعًا، إنّه مسبِّبُ الأسباب.

جئتَ متأخّرًا وذهبتَ سريعًا من عندي،

التأخّرُ في المجيء والإسراعُ في الرّحيل صنيعُ الوَرْد

برغم أنّني أعلم يقينًا أنّه حيثما يقيمُ هذا العزيزُ، يكون العنصرُ الطاهر للجوهر الملائكيّ في طينته، ولا بدّ أن يجعله قرينَ الخيراتِ والحسنات، ويكون طالبًا للدرجات ومبتغيًا لمرضاة ربّ السّماوات.

دائمًا، اللّيلُ ليلٌ، والنهارُ نهارٌ

وشجرةُ الورْدِ وردٌ، والفهْدُ فهد

[١٢٣] كلُّ من احترفَ خِياطةَ الجراميق [النّعال]

يظلّ في كلّ مدينةٍ يكون فيها خائطَ جراميق

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [مريم: ٣١]، بل إنّ كلّ روحٍ طيّبٍ لطيف محسِنٍ يموتُ في عالَمِ الكون والفساد هذا، عندما ينتقل إلى عالَمِ الحقيقة يكون مثلما كان في هذه الدنيا «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تُبعثُون» ـ صدَقَ رسولُ الله. هنا وهناك وفي الطريق وفي المنزل، يضعُ هذا العزيزُ بتوفيق الحقّ وبجَذْبة أَصْله الطاهر دائمًا قدَمَه على سُلّم السعادة وينطلق إلى معراج القربى ـ ثبّتَ الله قدَمَيْه. وإنّه ليعزّ على الدّاعي المشتاق فراقُ صورة ذلك العزيز.

فيـــومٌ لا أراكَ كـــألْفِ شَـــهْرٍ　　　وشـــهرٌ لا أراكَ كـــألْفِ عـــامِ

«الجماعةُ رحمةٌ والفُرقةُ عذاب». اللهُ يجمع بينَنا ويرفع البعدَ عن بَيْنِنَا.

اللهُ الذي أظهرَ لنا طريقَ الهجران

آملُ أن يسهِّلَ طريقَ الوصال.

الرّسالة الخمسون

[إلى أحد العلماء في شأن أركان السلوك وشروطه]

إشارةُ المولويّ ـ لا زال مولًى وسيّدًا وسَندًا سابقًا ـ أن يُرسَل له بضعةُ أسطرٍ محتويةٍ على أركان سلوك الطريق وسِيَر سَيْرِ الصّراط المستقيم وشروط ذلك. ولا ريب في أنّ الوقائع والنوازلَ الجسمانية أقلُّ وأنقصُ من وقائع عالَمِ الباطن. وقد صُنِّف

الآلافُ من كُتب الفِقه في الإرشاد إلى كيفيّة المحافظة على أركان سِيرة الظّاهر، وهي حتى الآن لا تكفي. وتقع حوادثُ في الظاهر لم يُذكر لها علاجٌ ولا حلٌّ وهي لا توجد في تلك الكتب الكثيرة. وعندما تُختصرُ وقائعُ الظّاهر الجسمانيّ في نطاقٍ لا يتسع النطاقُ للموضوعات وينقطع من كثرة أحوال الظاهر لأنّها مدَدٌ فوق مدد، فكيف يمكن شَرْحُ المحافظة على أركان الباطن وأحوال الباطن ـ الذي لا يمكن قياسُه على الظّاهر الحقير ـ في ثلاثة أسطر؟!

وقد كُتبت أحوالُ الظّاهر في ثلاثة أسطر ليس لأيّ منها نهاية واضحة: سطرٌ هو أحوالُ [١٢٤] الماضي، وسطرٌ هو أحوالُ الحاضر، وسطرٌ هو أحوالُ المستقبل؛ برغم أنّك كلّما قرأتَ سطرًا لم تصل إلى نهايته. وهذه الأسطرُ الثلاثةُ كُتبت على لوح العقل الجزئيّ، وهي على لوح العقل الكلّي تامّةٌ ومشروحةٌ. أمّا أحوالُ الباطن التي هي خارجةٌ عن هذه الأسطر الثلاثة، فيا لَلعجب كيف يُطمعُ بأن تُختصر في ثلاثة أسطر ولها من الاثنين والثلاثة نَبْوةٌ عظيمة ونفورٌ كبير؟

وهكذا يفرغُ المخدومُ ـ لا زال مخدومًا، إن شاء اللهُ ـ من الاثنين والثلاثة، لكي يحظى بالأحوال المتواترة التي تتجدّد في عالم الباطن وفي كلّ لحظة تكون جديدةً وطارئة، ويُقْطَع وهْمُه عن التحديد والتقدير والنهاية والغاية وذلك كلّه. وعندما عنّ للدّاعي هذا المعنى لم أستطع عَرْضَ التماسِه ثلاثةَ الأسطر التي ذكرها؛ وإنّ تمامَ ما يُلْحَظ، في المعنى الذي ذُكر قبلُ، لا يُستوعَبُ في هذه الرّسالة، ولا بدّ لذلك من المشافهة والكلام المباشر.

ونظرًا إلى اندفاع ذلك المخدوم وصِدْق طَلَبه وعِشْقِه للكمال وتوَقانه ـ إذ إنّ

«والعادياتِ ضَبْحًا» صفةُ جوادِ الطالبين، و«المورياتِ قدْحًا» صفةُ جواد المسرعين المندفعين، و «المغيراتِ صُبحًا» بشارةُ عاقبةِ طلَبه المبارك ـ يشرّفنا بذاته اللطيفة، التي هي في خِفّة الرّوح أخفُّ من الرّسالة بل هي في الاندفاع وسرعة المجيء أسرعُ من فكرة الرّسالة، فإنّ «الجماعةَ رحمةٌ والفُرقةَ عذاب»، وسريعًا يأتي إلينا، فلا تجعلُ جاذبةُ التعجيل الرجوعَ رفيقًا لها؛ لأنّ الحساب ليس حسابَ المجيء بل حساب تجديد الفراق وتجديد الجِراح، مثل الحاقِنِ الذي يأتي إلى صلاة الجماعة ويقتدي فيتحوّل من قدَم إلى قدَم. وبسبب احتقان البول لا يحصُلُ هو من الصّلاة على نفعٍ ولا الجماعةُ الذين يرونَه على هذه الحال؛ فهو من جهة الظاهر جامعُ صلاةٍ، ومن جهة الانجذاب إلى الخارج قاطِعُ صلاة. من جهة الظاهر اجتماعٌ، ومن جهة الجاذب الخارجيّ انقطاع. الظاهرُ مواجهةٌ وملاقاة، ومن جهة ذلك الجاذِبِ مُدابرةٌ ومواراة. أبعد اللهُ هذه الحالَ عنكم وعن الأحبّة والأصحاب.

وإنّ اشتياق الدّاعي المخلِص إلى لقاء ذلك العظيم أضعافُ أضعاف ما قيل؛ لكنّ المهمات التي تظهرُ هنا والقيودَ التي تعرضُ لآلة الصّيد هنا أخشى، إذا ما تركتُها، أن تضيع. وهذا الخوفُ يقصّ جناحَ الهمّة والاشتياق لزيارة تلك الحضرة، فيصدح طائرُ الاشتياق بهذا التغريد:

لـوَ انّ الـرّيحَ تحملُنـي إليكـمْ تـشبّثتُ بأذيـالِ الرّيـاحِ
وكِـدتُ أطـيرُ مـن شـوقٍ إليكُـمْ وكيـف يطـيرُ مقـصوصُ الجناحِ

[١٢٥] يا للأسف والحسرة، ليت هذه الواقعة تُكتب بقلمٍ أو تستوعبُ في ورقٍ لكي أكتب حقيقتَها وما هيّتَها وأرسلها إلى جنابكم. لكنّه ليس لدى الأقلام الجرأةُ على

أن تتحرّك في كشفها، وليس لدى الأوراق القدرةُ على أن يحتفظ جِرْمُها بحرارة هذه النار.

مَــنْ لديــه غــمٌّ ويــستطيع التحــدّثَ عنــه
يــستطيعُ أن يزيــل الغــمَّ مــن قلبــه بالحــديث عنــه

فانظر إلى هذه الطُرفـةِ للـوَرْد الـذي تفتّح لنـا:
لا يـستطيعُ إظهـارَ اللّـون، ولا يـستطيعُ إخفـاء الرّائحـة

عَلِمَ اللهُ أنّني عانيتُ كثيرًا ولقيتُ مكابراتٍ ومعاندات مع الجواذب الدّاخلية حتّى استطعتُ كتابةَ بضعة الأسطر هذه ـ شكرًا لحقوقكم ومكافأةً لمودّتكم ـ ذلك لأنّ مُحدِّثَ الباطن لديه نارٌ عظيمة [إذ يقول:] كيف انشغلتَ بالقلم وتوجّهت إلى الكتابة بالورق؟ إلّا إذا لم يكن لديكم خبرٌ عن مَرْسَمِنا [أحوال قلبنا]؟ هذا الذنبُ نَعُدّه واحدًا من الآخرين، ومنكم مئةً، مثلما قيل:

وظُلْــمُ ذوي القُربــى أشــدُّ مــرارةً عــلى المـرء مــن وَقْـعِ الحـُسامِ المهنّـدِ

قال الله تعالى ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾[الأحزاب: ٣٠].كلّما كثر العِلْمُ عظمتِ الجِنايةُ. ولا يعاقَب على جناية الطفل مثلما يعاقَب على جناية العاقل، ولا يؤاخِذُ الملوكُ على زلّة المُكارين ووقاحتهم كما يؤاخِذون على زلّة المقرَّبين ومجانبتهم الأدب؛ لأنّ لديهم علمًا كثيرًا عن أخلاق الملوك ودقّتهم وغيرتهم. كما قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: « إنّ اللهَ تعالى لمّا خلقَ العقلَ، قال له: أقبِلْ، فأقبَلَ. ثمّ قال له: أدبرْ، فأدبرَ. ثمّ قال له: قمْ، فقامَ. ثمّ قال له: اقعدْ، فقعدَ. ثم قال له: تكلَّمْ، فتكلّمَ. ثمّ قال له: اسكتْ، فسكتَ. إلى آخر الحديث.

ثمّ قال: وعزّتي وجلالي، ما خلقتُ خلقًا أكرمَ منكَ إليّ. لكَ أخاطِبُ ولكَ أعاتبُ ولك أغفرُ، ولك الثوابُ وعليك العقابُ» والسّلام.

الرّسالة الحادية والخمسون

[إلى معين الدّين پراونه في التوصية بكريم الدّين محمود]

[١٢٦] ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾[آل عمران: ١٦٠]. بعضُ الفلاسفةِ والمعتزلة لا يُطلقون على الله ـ جلّ جلالُه ـ العالِمَ والعادِلَ والحليمَ والحكيمَ والكريمَ والأسماء الحسنى، ولا يجيزون إطلاقَ تلك الأسماء والألقاب عليه [سبحانه]؛ ويقولون إنّ هذه الألقاب تُطلَق على غيره وقد استُعملت في المخلوقين، ونحن نخجل من أن نطلقها عليه. هكذا بَسْطُ القولِ في الألقاب هو الذي فيه وَهْمُ مماثلة أسماءِ العِباد لأسماء ربّ العباد، مثلما يُقال للملِك: «بَلبان» [بلغارية بمعنى دُبّ]، و «سُنقُر» [شاهين في التركية]. لكنّ بَسْطَ القول في الألقاب له بابٌ في التعظيم، وعدَمَ ذِكْر الألقاب أو تقصيرَ القول فيها له بابٌ أيضًا في التعظيم فإنّ «الأعمال بالنّيات». لكنّ تَرْكَ الألقاب والصّفات لغَرَضِ نَفْي التشبيه نوعُ تعظيم. وإن كان لا بدّ من الاختصار والاقتصار في بعض الألقاب في حقّ مَلِك الأمراء، مغيثِ المظلومين، ناصرِ الحقّ، مُعينِ الدّين ـ أدام اللهُ علوّه ـ فـ ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[يس: ٥٨].

سَلامٌ عليكم في جميع أحوالِكم وأفعالكم وأقوالكم وعلى عباد الله الصالحين:

لــوَ انّ الــرِّيحَ تحملُنــي إلــيكمْ تــشبّثْتُ بأذيــالِ الرّيــاحِ
وكِــدْتُ أطــيرُ مــن شــوقي إليكــمْ وكيــف يطــيرُ مقــصوصُ الجنــاحِ

«خيرُ النّاسِ من ينفع الناس»، «سيّدُ القوم خادِمُهم»، ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[الرعد: ١٧]، «عدْلُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستّين سنةً»، «العَدْلُ وضعُ الشيء في موضعه»، ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضّحى: ٩ – ١٠]، لأنّ هذين مظلومانِ ومسكينانِ، لا يكونان موضعَ قَهْرٍ وزَجْر. فإنّ وضْعَ القهر على المقهور ليس عدلًا، وليس «وَضْعًا للشيء في موضعه». فلا قُطِعَت أمدادُ التوفيق من موفّق الأزَل والأبَد عن هذا الذي هو ظلُّ الرحمة والمعدَلة!

إنّ حاملَ تحيّتي كريمَ الدّين محمودًا ـ وفّقه اللهُ ـ هو من المحبّين والقريبين لهذا الدّاعي. وقد أُلحقت به تُهمةٌ بسبب الطّمع. والمؤمَّل، بشفاعة هذا الدّاعي، أن يتفضّل حُكمُ العناية والمغفرة واللّطف المِلكيّ بأن يعود من سَراي المغفرة ـ التي هي الملاذُ لقضاء حاجات الخلائق [پاي عَلَم ـ بالفارسية بمعنى: تحت العلم]، حرَسَها اللهُ وصانها وشيَّد برهانها ـ شاكرًا وذاكرًا ومثنيًا ومسرورًا، مثل الخدَم والأصاغر الآخرين. فيدّخِرُ الثوابَ الجزيلَ والثناءَ الجميل ويَعْذِرُ على هذه الإزعاجات المتلاحقة فإنّ «المشْرَبَ العذْبَ كثيرُ الزّحام».

الآن وقــد انتــزعَ جمــالُ وجهِــك روحَ العــالَم،
مــــاذا يفيــــدُ الــــضّيقُ والملالــــةُ منــــك؟

[١٢٧] وعنـــدما صرتَ قمَــرًا أمــا علمْــتَ
أنّــك ســـتكون المــشارَ إليـــه ببنـــانِ العـــالَمِ؟

شرَحَ اللهُ صدرَه ويسَّر عليه أمرَه وبعّد عنه الملالَ والكلالَ وأيّدَه بروح القدس وروّحَه بروح الأنس. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثانية والخمسون

[موجّهة في الظاهر إلى فخر الـدّين عـلي
صـــاحب العطـــاء في شـــأن اخـــتلاف
الدراويش والتظلّم]

جعَلَ اللهُ الطاعاتِ والحسَناتِ والخيرات التي يؤدّيها الأميرُ الأجلُّ، العالِمُ العادِلُ، وليّ الأيادي والنِّعم، المعظِّمُ لأمر الله، المشفِقُ على خَلْق الله، مختصُّ الملوك والسلاطين، أدام اللهُ علوّه وكبت عدوّه، مقبولةً لدى حضرة ذي الجلال ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[الأنعام: ١٦٠]،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٤٠].

يعلَمُ أنّ السّلامَ والدّعاء من هذا الدّاعي المخلِص متواتران، ويعرف أنّ هذا الدّاعي شاكرٌ لنِعَمه وذاكرٌ لكَرَمه ولُطْفه ـ جزاه اللهُ خيرًا. وعندما يُفعَل الإحسانُ الخالصُ من أجل الحقّ ـ إذ الأمرُ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً

وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩] ـ فأيّ شُكرٍ يأتي من أيدينا وألسنتنا؟ وأيّةُ مكافأة تأتي؟ تلك الضروبُ من الإحسان تُحوَّل إلى حضرة الحقّ الذي ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هناك جماعةٌ، بسبب جهلها وضعف إيمانها، تؤذي الدراويشَ الذين هم محبّون لله، ومن جرأتها ووقاحتها تأتي إلى حضرتكم وتبكي منكسرةً ماكرةً كما يصنع اليهود وتشتكي إليكم. وبرغم أنّ لديكم أعمالًا كثيرة ومهمّات كثيرة فإنّ مساعدة الدراويش الطالبين لله أولى من المهمّات الأخَر. والمتوقّعُ أن تتفحصوا الأمرَ بطريقة أخرى وتساعدوا الدراويش والمظلومين بلسانٍ آخر وَيَدٍ أخرى، لكي لا تمضي تلك الزفراتُ إلى السّماء ولا تُثار الفِتَن. ليس لدى الدراويش تلك الألسنةُ والقلوبُ التي يواجهون بها أولئك العيّارين ذوي الطباع اليهودية في المكر والاحتيال ويشنّعون منكسرين. يكسرون رؤوسَ الآخرين ويرفعون عمائم الآخرين ويأتون إليكم حاسري الرؤوس ومعتمّين ويأتون بالمنافقين الآخرين ليشهدوا. وفي النهاية، انظروا أنتم في أمر الطائفتين كلتيهما، في أسلوب الطائفتين وطلبهما، أيّتهما أهلٌ للظلم والكذب وإثارة الفتنة. لكي تحصلوا على الثواب الذي لا نهاية له.

[١٢٨] إذا ما تركْنا المدينةَ وأقلَلْنا الإزعاجَ منعتمونا من ذلك؛ وإذا ما أقمنا فإنّ هذه القِلّة من الدّراويش لا ينقطعون عنّا لكي نغلق بابنا. ليس لدينا القدرةُ على تحمّل هذا الظّلم. وبعدُ فالرأيُ لكم. فإذا أجزتُم فأفتونا. والسّلام.

الرّسالة الثالثة والخمسون

[إلى نور الدّين ولـد جاجا في التوصـية
بنظام الدّين الذي غُضب عليه]

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] «من كظمَ الغيظَ ملأ اللهُ قلْبَه أمنًا وإيمانًا». أدامَ اللهُ بركاتِ كلام ربِّ العالمين وألفاظ سيّد المرسلين ـ صلواتُ الله عليه ـ قرينةً لعهد الأميرِ الأجَلّ، العالِمِ العادلِ المفضِلِ المكرِم، ناشرِ الخيرات، مُعينِ الفقراء، مغيثِ المظلومين، نورِ الدولة والدّين، ضياءِ الإسلام والمسلمين، أدام الله علوّه. أولياؤه منصورون، وأعداؤه مقهورون، لا سيّما عَدُوّي النفس والشيطان فإنّ «أعدى عدوّك نفسُك التي بين جنبيك». نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا.

يطالعُ السّلامَ والدّعاء من هذا الدّاعي المخلِص ويعلَمُ أنّ الدّاعي راغبٌ في دعائه له بالخير والإقبال. يا مَنْ غاب شخصُه وحضرَ ذِكْرُه، سلامٌ عليكَ يومَ وُلِدتَ ويوم تموتُ ويومَ تُبعث حيًا (مستفاد من الآية ٣٣ من سورة مريم)، جعَلَ اللهُ هذا الدّعاءَ مستجابًا.

يُعْلَم أنّ الابنَ العزيزَ نظامَ الدّين ـ أحسن اللهُ عاقبته ـ سمع بأنّه قد غُضِب عليه من خاطركم المباركِ الطَّيِّب السّريرة المربّي للدراويش، وأنّه تواقحَ فتكدّر خاطرُكم الشّريفُ منه. وهذا الدّاعي المخلِصُ يتضرّع إليكم سائلًا الشفاعةَ، حِسْبةً لله ـ من بدا

على (*)حسناتِكم وصيامكم وصدقاتكم تقبّلها اللهُ قبولًا حسنًا». وذلك إحسانٌ آخر هو رأسُ كلّ ضروب الإحسان.

سُئِل عيسى عليه السّلامُ: ما أشدُّ الأشياء وأصعبُها وأشقّها؟ ـ قال: غضَبُ الله أشدُّ الأشياء. فقيل: ياروح اللهِ، ما ينجينا من غضَبِ الله ؟ ـ قال عيسى عليه السّلام: إن تكفّوا غضَبَكم عند قدرتكم يكفَّ اللهُ غضبَه عنكم، ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[الرحمن: ٦٠].

[١٢٩] قبْلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ

لا بدّ من أن تُعطيَ كلَّ عطية جديرة بالعطاء

إنّ ابنَنا نظامَ الدّين محبٌّ لدولتكم ومتعلّق بكم دائمًا، وقد كان رطبَ اللسانِ بذِكْر خيركم؛ فإن حصلَتْ منه زلّةٌ فالعفوُ أوْلى:

لا يبيعُ شخصٌ صديقَه بخطأ واحد

ومن أجْلِ برغوثٍ لا يمكن حَرْقُ البِساط

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحد جاءتْ محاسِنُه بألفِ شفيعِ

«ارحَمْ من في الأرض يرحمْكَ من في السّماء»، «ارحَمْ مَنْ هو دونَك يرحمْكَ من هو فوقك». فمن أَجْلِ يومٍ تؤمّلون فيه أن يعفو القهّارُ المطلقُ عن ضروب تقصيركم، في ذلك اليومِ الذي ليس لأحدٍ فيه الجرأةُ على الشفاعة، يصطنعُ لدى هذا الضعيفِ

* هكذا جاء ما بين علامتي تنصيص بالعربيّة، ولم نهتد إلى توجيه مطلع هذه العبارة [المترجم].

[مولانا] اليومَ ذخيرةً ويَقبلُ شفاعةَ هذا الدّاعي في سبيل تحقيق ذلك الأمَل؛ لكي تكون لكم المِنَنُ والأيادي البِيضُ، ويحصلَ لكم الثوابُ الجزيلُ والثناءُ الجميل. جعلكم الله دائمًا من أهل الإحسان، بحقّ محمّد وآله.

الرّسالة الرّابعة والخمسون

[إلى مجد الدّين في شأن اختيار مظفّر الدّين أميرِ العالَمِ أن يكون درويشًا]

لَأدْنى كتابًا في سُطورٍ كأنّها مخانِقُ دُرٍّ في صدورِ الكواعِبِ
وأعذبُ من ماءِ الغَمامِ على الظّما وأطيبُ ريّا من نسيم الجنائبِ

اطُّلِع على مضمون المكتوب الشّريف لذلك الجنابِ المنيف، الصّدرِ الكبير، الأميرِ الأجلّ الأفضل، فخرِ الأمراء، ذي الفَضْل الوافر والعَدْل الكامل، الحسيبِ النّسيب، المتحرّي للرشاد والموفَّقِ للسّداد، مجدِ الدولة والملّة والدّين، مختصِّ الملوك والسلاطين، أدام اللهُ علوَّه وكبتَ عدوَّه وأيّده بروح منه. ويُعْلَم خُلوصُ اعتقادِ ذلك العظيمِ وحسْنُ طلَبه وتعطّشه إلى المشربِ الغيبيّ [١٣٠] والرّحيقِ الرّباني؛ فإنّ مقصودَ الوجود هو ذلك ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] «لولاكَ لما خلقتُ الأفلاك».

وبحَمْدِ الله فإن ذلك العالي الهمّة يندفعُ آناءَ الليل وأطرافَ النهار على مركب الفقر إلى معْدِن الإعزاز فوق المرتفعات والمنخفضات مؤيّدًا بالتوفيق الرّباني، ضاعف

الله توفيقه. وهو يعلَمُ أنّ الذي يفيدُ من الدنيا ودولة الدنيا هو ذلك، والباقي فانٍ، ذلك لأنّ دولة الدنيا مثلُ الإعصار الذي يندفع حادًّا وقويًّا فيحملُ قبضةً من التراب والقشّ في الهواء ويرفعُها إلى الأعلى ثم يعيدها إلى الأرض؛ والترابُ والقشُّ يرجعان إلى حيّزهما فـ ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [طه: ٥٥]. فما أسعد ذلك الإنسانَ الذي، في هذا الإعصار، يصفّي قمحَ الأعمال الصّالحة من هوى النفس ليستعدّ لطاحونة الأجَل فلا يخجل آنذاك، يُعرِض ويغدو لائقًا للفائدة الأبدية ـ بَخٍ بَخٍ لَه.

ولأنّنا في تلك الأيام سُرِرْنا بحضوركم، حمَلْنا رائحةً من أنفاسِكم وشمائلكم اللطيفة وتيقّنّا أكثرَ صِدْقَ طلَبِكم لذلك الخير الذي يستحقّ الطلَبَ. ونرى واجبًا علينا دعواتِ الخير لكي يعود الطالبُ العزيز، وذلك المسافرُ ذو الهمة، إلى مستَقَرّ عزّ السعادة الأبديّة سالمًا من قُطّاع الطريق من شياطين الإنس والجنّ ومن حبائل الغواية في عصمة الحقّ وحماية الرّحمن، وغانمًا ﴿ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر: ٢٨].

ولم أذكر الاشتياقَ والسّلام؛ لأنّ مثلَ هذه الذات التي هي المحطّ للاشتياقات والمعْدِنُ للآمال والتحايا، منها يُتحلّى بخواتيم الإقبال، فالحالُ مِثْلُ حَمْلِ الكمّون إلى كَرْمانَ [جَلْب الشيء إلى موطنه] ـ أيّده الله وسدّده ويسّر له اليسرى وجنّبه العسرى.

وتلك الإشاراتُ التي قيلت اجتُهد فيها قدرَ الإمكان، وعلى حسب الشواغل ـ وإتمامُه علينا ومذكّراتُ الوفا حوالينا. كذلك، من هذه الناحية، الأحبّةُ والدراويشُ مشتاقون ومنتظرون الوصالَ وهم منشغلون بالدّعاء. ومن عندنا يبعث إليكم مظفّرُ الدّين أميرُ العالَمِ بالسّلام والمحبّة، ويبدي التّوقَ والتعطّشَ إلى اللقاء المنعِش المبهِج للقلب المنير ـ لازالَ منوّرًا ـ حتى الغاية ومن دون أية نهاية، وهو منتظِرٌ شرَفَ تقبيل

الأيادي. ويُمْن همّة ذلك الفذّ الفريد، سحَبَ يَدَه من مشاغل الدنيا وانشغل بأحوالِ الآخرة وعاقبةِ الأمر، ولَبِس الخِرْقةَ وصار من زُمْرة المحلّقين رؤوسَهم والمقصّرين (إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الفتح). فلِلّه الحمدُ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد عُرِضتْ مشرَّفةُ [رسالة] ذلك المولى على مولانا، وعندما اطمأنّ على صحتكم ورأى اهتمامَ خاطركم المبارك وانشغالَه بفقراء الدّين والآخرة، سُرّ سرورًا عظيمًا وتضاعفت محبّتُه لكم وموالاته لجنابكم؛ وفي مِثْلِ هذا القلْب ـ الذي هو منجمُ اللطفِ ومعْدِنُ النّور، وعلى الحقيقة، الجنّةُ ورضوانٌ هما قلوبُ الأولياء إذ يقول القرآن ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٩ - ٣٠] ـ صار لكم مُقامٌ ومحَلٌّ. ومن اليومِ فصاعدًا سيكون ذلك النّورُ وتلك العنايةُ، في السّفرِ والحضَر، في الدنيا والآخرة، حارسًا وحافظًا وقرينًا ومؤنسًا. لله الحمدُ والمنّة، ذلك من فضل [١٣١] ربّي. وقد أوتيتُم هذه السّعادةَ منذ الأزَل «السّعيدُ من سَعِد في بطن أمّه». جعَلَ الله دائمًا روحَه الطّاهر شاربًا ماءَ حياةٍ ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٦]، آمين يا ربَّ العالمين.

الرّسالة الخامسة والخمسون

[إلى شخص مجهول مع إشارة إلى التعزية بمحمد]

سَلامٌ على أهلِ ناديكمُ ومَن حلَّ يومًا بواديكمُ

❋ ❋ ❋

لوَ انّ الرّيحَ تحملُني إليكم تشبّثتُ بأذيالِ الرّياحِ

كان السيِّد علي النّوّاح ينوح في السَّحَر على روح محمّدنا. وفي هذه الأيّام كان يقول أثناء النياحة بلسان الرّوم [اليونانيين]: أيُّها المحسِنُ المرحوم، إنّ موسم نوحتك قد انقضى والباكينَ عليك أخذتْهم المشاغلُ وعادوا من تذكّرك ونوْحتك. فيا للعجب، كيف حالكَ في هذه الغربة؟ - ثمّ عاد فقال: أيّتُها الأخواتُ، أيّها الأعزّاءُ، كيف يجيبني ذلك الطفلُ المرحومُ بالقول: لو أخذتُم منّي كلَّ الأفواه ونسيتموني، ما نسِيتْني تلك الأمُّ المحترقةُ أبدًا. إنّ خيالي لا ينصرف عن عينها. وفي كلّ لحظةٍ تزداد حُرقةً وبكاء.

وهذا الكلامُ في حقّ صلة أهل الدنيا، كالأمّ وغيرها، مبالغةٌ، بل هو في وصف اتصالِ الحالِ الجليلةِ الوفاء الثابتةِ العهد لأهل الدّين وإخوان الصّفاء، خاصّةً مَنْ هو روحُ الأرواح وعقلُ العقولِ، شمسُ الحقائق، الشمسُ الرّبّانيّة، الرّحمةُ السماوية، بحرُ الحنان الذي لا نهاية له، جنّاتُ الأنهار الإلهية، فِهرِسْتُ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤] - أدامَ اللهُ علوّه ومتّع العارفين بدوام ظلّه الظليل وفضله الجزيل - فإنّ صلةَ الاتصال بمحيطه المبارك في النوم واليقظة، في العمل والرّاحة، لألاءةٌ منيرة، مقرونةٌ

بشفاعاتِ المعاونة والمناصرة والمنادمة؛ وفي أجزاء الرِّمَم النائمة وأحياءِ الهمم الساهرة تتفتّح آثارُ ذلك الضياء والمواهب على التوالي والتواتر وتظهر. فهو الخليلُ حينَ غيابِ الخليل، والظّهيرُ حينَ غيابِ الظّهير، متّصف بأوصافِ ربّ العالمين.

رقّ الزّجاجُ ورقّتِ الخمرُ فتشاكلا وتشابَه الأمرُ

لا زالت أرزاقُ القلوبِ في يُمناه، وأزمّةُ الأقدارِ منبوذةً إلى يسراه!

[١٣٢] فمَنْ يرَه في منزلٍ فكأنّما رأى كلَّ إنسانٍ وكلَّ مكانِ

غدا مشكورًا على الإجمال، بلا شَرْحٍ فإنّ «شُكْرَ المنعِمِ واجب»، ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤]، وأحقُّ أن يجعلَنا ﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]، وأدام الله في ممالك يوم الدّين ذلك الغافل عن أمور الدنيا! ـ آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة السادسة والخمسون

[إلى فاطمة خاتون زوجة سُلْطان ولَد
في شأن الكدورة بينها وبين سُلْطان ولَد]

روحي بروحِكَ ممزوجٌ ومتّصلُ فكلُّ حادثةٍ تؤذيكَ تؤذيني

أُشهِدُ اللهَ جلّ جلالُه، وأقسمُ بذات الحقّ الطّاهرة القديمة أنّ كلّ ما ينزعج منه خاطرُ تلك الابنة المخلِصة يزعجنا أضعافًا مضاعفةً ـ وانزعاجكُم انزعاجٌ لنا، وإنّ حقوقَ سُلطانِ المشايخ، مشرق أنوار الحقائق ـ قدّس الله روحَه ـ وإحسانه وفضْلَه،

دينٌ في عنق هذا الدّاعي لا يمكن أداؤه بأيّ شكر وبأيّ خدمة. شُكْرُ ذلك أيضًا يمكن طلَبُه من خزينة الحقّ تعالى. ورجائي من تلك الابنة أن لا تُخفي عن هذا الأب أيّ شيء يزعجها؛ لكي أشكرَها ولا أقصّر في المساعدة، قدر الإمكان، إن شاء الله تعالى. وإن يسعَ الابنُ العزيز بهاءُ الدّين في إيذائكم فحقًّا ثمّ حقًّا لن أحبَّه، ولَنْ أردّ سلامه، ولا يأتي إلى جنازتي، لا أريد، وكذلك غيره أيًّا كان . بل أريد أن لا تنزعجي ولا تغتمّي البتّة، فالحقُّ ـ جلّ جلالُه ـ في عونك، وعبادُ الله في عونك. وكلّ من يقول في حقّكِ نقصانًا لن ينالَ منكِ، لأنّ البحرَ لا ينجُسُ من فم الكَلْبِ، وعِذْلُ السُّكّر لا يرخصه اجتماعُ الذباب، ولديّ يقينٌ أنّه إذا أقسم مئةَ ألفِ مرّة أنّه مظلومٌ فسأعدّه ظالمًا إذا لم يكن محبًّا لكِ وداعيًا لك. لا أعدّه مظلومًا، لا أقبلُ القسَمَ والاعتذار. والله وبالله وتالله لن أقبلَ أيَّ عذرٍ وقَسَمٍ ومَكْرٍ وبكاءٍ من قائلٍ سوءًا بحقّك. المظلومةُ أنتِ. وبرغم أنهما مجترمانِكَ، فلا بدّ من أن يعلن مولانا وابنُه على رؤوس الأشهاد، من دون مواربة، نِسْبةَ العيب إليهما قائلَيْنِ إنا مجرمان. وبرغم ذلك يظلّان ظالمين وأنتِ مظلومة؛ لأنّ حقّك وحقَّ ذلك السّلطان [والد فاطمة] يساوي أضعافَ ما يفعلانِه. والله إنّ الأمر كذلك، وبالله إنّ الأمر كذلك وتالله إنّ الأمر كذلك. وأنا إذا ما ضحكتُ ضحكةً صفراوية في وجه جماعة بسبب حساسيّتي [١٣٣] فإنّ الله قد أعطاني ـ والحمدُ لله ـ النورَ فلا أرتاح حتى يستقيموا قلبًا وروحًا وعلى نحو واضح مع الحقّ وعبادِ الحقّ، ويتركوا المكرَ، ولا يقلبوا الأمورَ، ويكونوا غبارًا لأقدام عباد الحقّ وخدَمًا لهم، سرًّا وعلانية. واعتقادُ هذا الأبِ أنني أموتُ على هذا وأُدفن على هذا ـ إن شاء الله تعالى. ناشدتُكَ اللهَ أن لا تخفي على هذا الوالِدِ شيئًا، وتطلعيني على أحوالك شيئًا فشيئًا، لكي

أساعدكِ بعون الله، قدر المستطاع. أنتِ حِرْزُ أمانِ الحقّ في العالَم من آثار ذلك السّلطان، لأنّه ببركتكِ يُعنى روحُه الطّاهر بأهل الأرض آلافَ العنايات، لا أخلى الله العالَمَ من آثاركِ ولا قطَعَ نَسْلَكِ إلى يوم القيامة، ولا أغمَّ قلبكِ وقلوبَ أبنائكِ. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة السابعة والخمسون

[موجّهـةٌ في الظّـاهر إلى السّلطان عـزّ الـدّين كيكـاوس في شـأن شـخص اسمه حسام الدّين اختلف مع عياله]

جعَلَ اللهُ السعادةَ والإقبالَ في الدّارَيْنِ نثارَ عهدِ فريدِ الزمان، فخرِ الملوك والسلاطين، افتخارِ آل داود، العالي الهمّة، الرؤوفِ بالمظلومين، المغيثِ للضعفاء، المربّي للفقراء، غياثِ العالَم، المتقي لله، الرّاعي للرّعية، الحليم الكريم ـ أدام الله علوّهم وإقبالَهم وزاد توفيقَهم وإفضالَهم. أولياءُ تلك الدولة ومحبّوها منصورون، وحُسّادُ تلك الحضرةِ وأعداؤها مقهورون، والله تعالى ناصرٌ لكم ووليٌّ وحامٍ ومرشد ومعين في كلّ الأحوال والأقوال والأفعال.

نبعثُ إليكم بالسّلام والدّعاءِ والتحيّة والثّناء من صميم الصّدق والصفاء ونهاية المودّةِ والولاء، على الدّوام والتواتر. والتوقُ والاشتياقُ إلى شرَف لقائكم الكريم أكبرُ من قدرة بيان الأقلامِ وأوسعُ من إحاطة الرّسائل. هيّأ مسبّبُ الأسباب ومفتّح الأبواب، الميسِّرُ لكلّ عسير، أسبابَ لقاء فريد العالَم ووصاله، ووفّق إليهما، بمَنّه

وجوده. وإننا لنسألُ الصادرَ والواردَ على الدّوام عن استقامة تلك الدولة التي هي نفّاعةٌ للخَلْق ومسرّةٌ لأهل الأرض. وعندما نسمعُ الأخبارَ السّارّة وبشارةَ انتظام تلك الدولة وثبات تلك السّيادة وتترامى إلينا أنباءُ انبساط الخيرات وإشاعة الحسنات من تلك اليد المعطية المنفقة، نشكرُ البارئ تعالى ونحمد اللهَ على ما أكرمَ ووفّق وأولى، فنعْمَ المنعِم والمولى. وكان حاملُ التحيّة، حُسامُ الدّين، الابنُ العزيزُ المقبلُ، يثني على حضرتكم ويشكركم، ومَنْ ذا الذي لا يكون شاكرًا وذاكرًا لتلك الحضرة؟ لكنّ الابنَ، حسامَ الدّين، أبدى حبًّا آخر ومودّة [١٣٤] أخرى لتلك الحضرة وكان صادقًا في تلك المحبّة لتلك الحضرة ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴾ [الفتح: ٢٩] لكنّه حدثت له مع أهله مشادّةٌ ومجادلةٌ، وهو لا يضمر لهم سوى الخير والإحسان. وقد حدث لهم نفورٌ شديد، وأساؤوا الظنّ به. وإنّ علاج كلّ هذه الإزعاجات والوحشات في صيدلية لُطفِ ذلك الفريد ورعايته ورأفته. أرجو أن تُزيلوا أنتم أيضًا تلك الوحشةَ بينه وبين أهله، وإنّ كلامكم أنفذُ لدى الطرفين، وأقدرُ على تهدئة الفتنة، وأكثرُ زيادةً للمحبة والمودّة، فإنّ «كلامَ الملوكِ ملوكُ الكلام». قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «لا تزال أمّتي في خير ما أتاهم العلْمُ والنصيحة من قِبَل أكابرهم، فإذا أتاهم من قِبَل أصاغرهم هلكوا». والنصيحةُ عندما تأتي من الملوك تقبلها الرّعيةُ، وتعظّمها القلوبُ، وعندما ترد النصيحةُ من الصّغار إلى الكبار لا يكون لها هذا التمكّن. والمؤمَّلُ من سلطانكم وإحسانكم اللذين لا حدّ لهما أن تزيلوا تلك الوحشة الحاصلة بينهما. لكي يحصل بينهما الاجتماعُ والألفةُ ويساعدَ كلٌّ منهما الآخرَ في خدمة ذلك العظيم وطاعته؛ وعلى هذا النحو يصل شُكْرُ الابنِ العزيز حسام الدّين إلى هذا الدّاعي، ويكون هذا

الدّاعي ممتنًا، وينضمُّ هذا إلى أفضالكم السّابقة. ومن عندنا، الصّغارُ والكبار مشتاقون إليكم، ومن فَرْط المحبّة والاشتياق يرون ذلك الفذّ في اليقظة، وفي النوم في أغلب اللّيالي.

ومِـنْ طـولِ التفكّـر كـلَّ يـومٍ رأيتُـكَ كـلَّ ليـلٍ في المنـامِ

وقد جاءت البشارةُ بأنّكم ستأتون إلى هنا؛ واللهُ يعلَم كم كان سرورنا. ومرّة أخرى تأخّر ذلك؛ والله يعلمُ كم حصَلَ لنا من الغمّ. جعلَ الباريءُ تعالى أسبابَ اللقاء ـ الذي هو أعظمُ المرادات ـ ميسَّرةً؛ بأيّ طريق يكون خيرًا. دمتُم رعاةً للرّعية! آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثامنة والخمسون

[إلى تاج الدّين معتزّ في التوصية بالسيّد شرف الدّين]

أدامَ اللهُ أيّامَ الصّاحب الأعظم، الدّستورِ المعظّم، الحسيبِ النّسيبِ، المشهورِ في الآفاق، فخرِ خراسان والعراق، ذي الدّولتين، صاحب الرّياستَيْن، وليّ الأيادي والإنعام، ناشرِ العدْل، باسطِ الفضل، تاجِ الدولة والدّين، افتخارِ الإسلام والمسلمين ـ أدام اللهُ علوّه وخلّد دولتَه وإقبالَه وحقّق [١٣٥] آماله ـ في أعلى(*) مرتبةٍ وأنفسِ

* الجار والمجرور هنا متعلّقان بالمفعول الثاني للفعل «أدام» في مطلع الفقرة [المترجم].

منقبة! وأبعدَ اللهُ مكارهَ الزمانِ، وطوارقَ مضارّ الدنيا والآخرة عن تلك السّاحة المرتاحة، وجعَلَ حُرّاسَ العناية وحفَظَةَ الصّفوة، مراقبين وحافظينَ لجناب العصمة ومسكن الحماية هذا ليلًا ونهارًا، بعينه التي لا تنامُ، وبرَكته التي لا تُرام، جعلها الله كذلك، ومئةَ مرّة كذلك.

يستيقنُ السّلامَ والدّعاءَ اللذين لا عدَّ لهما ولا إحصاء ولا حدّ لهما ولا حساب، آناءَ الليل وأطرافَ النهار، من هذا الدّاعي المخلِص. والشوقُ إلى ذاته الكريمة، المشفقةِ على الفقراء، المواسيةِ لهم الصّبور عليهم، لا حدَّ له ولا نهاية. وزمانُ الفراق، برغم أنّه قريبُ العهد عند الأغيار، بعيدُ العهدِ عند المشتاقين الذين فارقَهم الهدوءُ والقرار.

فيـــومٌ لا أراكَ كـــألفِ شَـــهْرٍ وشـــهرٌ لا أراكَ كـــألفِ عـــامِ

جمعَنا اللهُ على مجامع فضلِهِ، فقد ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾[الأنعام: ١٢] أن يجمعنا ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

حامِلُ التحيّةِ، السيّدُ الأجَلُّ، العالِمُ العادلُ الزاهدُ، فخرُ آل ياسين، سيّدُ الأشراف، شرَفُ الدّين ـ أدام اللهُ بركتَه ـ متوجِّهٌ إلى حضرتكم، و «المشْرَبُ العذبُ كثيرُ الزحام». إنّ الدّنيا كلّها طالبةٌ للُطفكم، لا سيّما السيّد الأجلّ. وقد قنع كثيرًا، وصبَرَ كثيرًا على الغنى والفقر، وكان يدعو لذلك العظيم من بعيدٍ، ولم يشأ أن يُثقِل على خاطره المبارك بذكر حالته. أما وقد بلَغَ السّكينُ العظْم ووصل سوءُ الحال إلى الغاية، فقد لاذ بالجنابِ العالي ـ لا زال عاليًا ـ المشهورِ بمساعدة الفقراء، خاصّة أبناءَ الرّسول الحقّ، خاتم النبيّين ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ الذين لهم حقّ على الوجود كلّه،

وأيّ حقّ وبرّ! فقد خلّصوا آباءَنا وأجدادَنا جميعًا من عبادة الأصنام وعبادة الحجارة. وإنّ كلّ راحةٍ وصلت إلينا في الدّين والدّنيا، ولدينا أمَلٌ بالمزيد منها، إنّما كانت من ظلّ الإقبال المصطفويّ والتضحيات النبويّة في نَشْر الإسلام. صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدّين.

الأمَلُ أن يعود السيّدُ الجليلُ شرَفُ الدّين، زاده اللهُ شرفًا، إلينا شاكرًا وذاكرًا، شأنُه في ذلك شأنُ كلّ قاصدي حضرتكم، لكي يكون الثوابُ من دون نهاية، والجزاءُ من دون غاية.

الرّسالة التّاسعة والخمسون

[إلى تاج الدّين معتزّ في التوصية بنظام الدّين صهر حسام الدّين چلبي]

أدامَ اللهُ السّعادةَ والإقبالَ على الصّاحبِ الأعظم، ملِكِ الأمراء نظامِ الملْك، فخر العراق وخراسان، [١٣٦] ناشرِ الخيرات، تاج الدولة والدّين ـ أدامَ الله علوَّه وتقبّل حسناتِه وكرّمه وفضّلهُ على كثيرٍ من عباده تفضيلا.

يطالعُ السلامَ والتحية والشّكر التي لا حدّ لها ولا نهاية من هذا الدّاعي المخلِص، والاشتياقُ إلى لقائه المزيِّن للعالم، المباركِ، لا حدّ له ـ جعَلَنا الله ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. وإنّ الألطافَ التي تفضّل بها عصيّةٌ على الشرح والبيان. وماذا أقول أنا في ذلك البناء المبارك، ما نادرةُ الإحسان التي تفضّل بها ـ بنى اللهُ تعالى

له قُصورًا في أعلى الجِنان ـ إنّ له روحًا آخَر وله ذوقًا آخر وسرورًا آخر.

ولا يخفى على حُسْن اعتقادِ فريدِ العالَم وضميره الطّاهر أنّ نظام الدّين، منذ القديم ومنذ الطفولة، كان الابنَ وقرّةَ العين لهذا الدّاعي، خاصّةً أنّه ارتبط وصارت له قرابة بفخر المشايخ، أمينِ القلوب، جُنَيدِ الوقت، قطبِ الزمان، حُسام الحقّ والدّين ـ أدامَ اللهُ بركتَه ومتّعَ العالمين بطول بقائه ـ وتلك البُنوّةُ التي كانت في البَدْء تضاعفت وصارت مئةَ ضعف. وفي اللّيل والنهار، ما يملكُه يؤثِر به سبيلَ الحقّ ويقدّمه فداءً للفقراء الصّادقين. وهذا هو سببُ دوامِ دولة نادرة العالَم، مِلك الأمراء. أتطلّع إلى أن ينظر مِلكُ الأمراءِ إليه بتلك العناية اللائقة بملاطفته الملكية للدراويش، وشفقته على الفقراء؛ لكي تكون ملاطفةُ مِلك الأمراء هذه شاهدًا على الجوهرِ النقي لمِلكِ الأمراء والحالِ الشريف المشفِقِ على الفقراء المكرِمِ للدراويش لجنابه، وتحريضًا للخَلْق على الخير؛ فإنّ عنايةَ الملوك بأهل الخير تحريضٌ للآخرين على الخير، وإهمالَ أهل الخير وإهانتَهم تنفيرٌ للخَلْق من الخيرات.

كان الفُضَيلُ بنُ عِياض رحمةُ الله عليه، وهو من مشاهير المشايخ، في أوّل أمره قاطعَ طريق. أوقفَ قافلةً فقتلَ بعضَ التجّار، وقيّد أيدي بعضِهم، وحبَسَ بعضهم، ثمّ فُتحت أمتعةُ التجّار لحضرة فُضيل وعُرضت عليه. فوُجِد في أحد صناديق الثياب آيةُ الكُرسيّ مكتوبةً بالمسك والزعفران. فأمر غلمانَه بأن يفتّشوا عن صاحب هذا الصندوق بين التجّار ويجدوه ويأتوه به. [وعندما جاؤوه به] قال له فُضَيل: عوّذتَ بضاعتَك بآية الكرسيّ؟ قال: نعم. فقال لغلمانه: اعزلوا متاعَه عن أمتعة الآخرين وارفعوه، ثمّ قال له: أعطيتُك أيضًا الأمتعةَ الباقية؛ لأنّني لا أريد أن يفتُر اعتقادُك بآية

الكرسيّ بسببي، فتقولَ إنّها لم تنفعني. «والعاقلُ تكفيه الإشارة».

نوّر الحقُّ تعالى الصدرَ المباركَ لملِك الأمراء بنور ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور: ٣٥]. آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة السّتون

[إلى أمين الدّين ميكائيل في التوصية
بتاج الأئمة جمال الدين معبد]

[١٣٧] جعَلَ اللهُ السّعادةَ والإقبالَ ـ اللذيْن هما أكبرُ كثيرًا من السّعادة والإقبال اللذين يفهمهما بنو آدم وأهلُ الدنيا، ممّا قيل فيه: «لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر»، وقيل: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠] لأنّ سعادة الدنيا عكسٌ وآثارٌ لذلك كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [محمد: ٣٦]، وكلُّ لَعِبٍ هو عكسٌ للجِدّ ويُسْرَق من الجِدّ، مثلما يسترقُ الأطفالُ الألعابَ من ضروب الجِدّ ـ قرينَ(*) عاقبة ملِكِ الأمراء والنُّوّاب وليِّ الأيادي والإحسان، ناشِرِ الخيرات، مغيثِ الخَلْق، معينِ الحقِّ، باسطِ العَدْل، فخرِ الصّدور، طالبِ النّور والهِمَم العالية، المجذوبِ بجذبة

* المفعول الثاني للفعل «جَعَل» في مطلع الفقرة [المترجم].

التوفيق، أمينِ الدولة والدّين ـ أدامَ اللهُ عُلوَّه.

صرَفَ اللهُ نوائبَ آخرِ الزمانِ عن ساحته الشّريفة وأبعدَها! وخاطِرُه العزيز المتشبّثُ والمتمسّك ليلًا ونهارًا بـ «تعظيم أمْرِ الله والشّفقة على خلْقِ الله» الذي التفاتُه المبارك دائمًا إلى المظلومين ونظَرُه الشريف نحو المساكين، لا شَغَلَ الحقُّ تعالى ذلك الخاطرَ وذلك القلبَ بأية فتنةٍ وأيِّ مكْروه، ولا ألهاهُ عن الأنسِ بلطائف الحقّ؛ إنّه مجازي المحسِنين والشاكرين يومَ الدّين ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[هود: ٣] و ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

يوصَلُ إليكم السّلامُ والتحيّةُ من خُلوص الطويّة، والاشتياقُ إلى مجالستكم ومؤانستكم الكريمة غالبٌ وباعثٌ. والرّجاءُ أن لا يُحمَل التقصيرُ الظاهرُ على قصور الاشتياق؛ فإنّه من فَرْط حِرْصِ الدّاعي على الملاقاة مصادفةُ المانعات؛ لأنّ «الحريصَ محروم». فالحقُّ تعالى بسبب غَيرته يبتلي الأحبّةَ الحريصين على لقاء بعضهم بعضًا نهايةَ الحِرْص بالموانع، وإنّ الأذكياء الدقيقي النظَر يقعون أيضًا في الغلط، ويحملون هذه الموانعَ على السّآمة وقلّة الرّغبة، ويغلطون في ذلك، ويعلمون في الآخِر أنّ الإبعادَ غَيرةٌ لا فتورُ محبّة.

لا بدّ من ليلٍ دائم وشُعاعِ قمرٍ جميل

لكي أحدّثك عن ألوان الغمّ التي أحدثتَها فيّ

حفظَ اللهُ تعالى نورَ قمر الأمنِ والأمان وعنايةَ رحمة السّماء إلى صبح القيامة من الغروب والكسوف، لكي يصلَ ضعفاءُ آخِرِ الزمان بذلك الإمهال إلى آمالهم في الدّين والدنيا فإنّه «لو بقي من أيّام الدّنيا يومٌ واحدٌ يطوّلُ اللهُ ذلك اليومَ إلى أن

يبلغ المجتهدُ مأمولَه» ـ صدَقَ رسولُ الله.

ولأنّ حمايةَ جملةِ الخيرات وعمارتَها هي اليومَ بسعيكم وهمّتكم، فإنّ الابنَ العزيز، فَخْرَ المدرّسين والمعيدين، تاجَ الأئمة، جمالَ الدّين ـ بلّغه اللهُ مُناه ـ الذي هو من الدّاعين [١٣٨] والمحبّين القدماء لتلك الدولة ليلًا ونهارًا، هو منذ الصّغَر حتى الآن من دون فتورٍ ولا تبديل مستغرَقٌ في العلوم الدّينيّة والاستفادة والإفادة وإقامة الصّلوات والأوراد واليقظة في الطّاعة والعِلْم والعمل، طبعًا وطوعًا، إذ إنّه لا يستطيع أن يعمل غير ذلك «وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له». ولو أُعلم الأميرُ بحاله وسيرته وزمانه بصدقٍ ومن دون غرض لرأى أنّ في خاصّ ماله حقًّا له وعدَّ من الفروض إفراغَ خاطره من الشواغل لكي يستغرق في العِلْم والعمل باجتماع خاطرٍ. وهذه إشارةٌ، وستجعله هذه الحالةُ كلَّ يومٍ وليلةٍ في ازدياد ونماء:

لمّا رأيتُ من الهلالِ نُموَّهُ ... أيقنتُ أنْ سيصيرُ بدْرًا كاملا

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٩] . وكانت إشارتُكم العالية بأن يذهب إلى أبلستان(*). وقد قبِلَ الإشارةَ سمعًا وطاعةً وكان من السامعين والمطيعين وتأهّب للذّهاب. إلّا أنّ الدّاعي وبقيّةَ الأبناء والأشقّاء منعوه من ذلك قائلين إنّنا لا نتركه أبدًا:

سألتُ النّاسَ عن خِلٍّ صَدوقٍ ... فقالوا ما إلى هذا سبيلُ

* جاء في معجم البلدان لياقوت الحمويّ قولُه: «أَبْلُسْتَيْن: ..هي مدينة مشهورة في بلاد الروم.. قريبة من أَبْسُس مدينة أصحاب الكهف».

تمسَّكْ إنْ ظفرتَ بذَيلِ حُرٍّ فإنّ الحرَّ في الدنيا قليلُ

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]. قالوا: لا تذهبْ، فإنّه من غير الواضح كم بقي من العمر، ومناصبُ الدّنيا القصيرةُ الأمد، خاصّةً في هذا الزمان، لا تعدلُ حديثَ مثل هؤلاء الأحبّة ومجالستَهم ومؤانستَهم، فقد كان هذا هو المقصودَ من إيجاد العالَم:

المقصودُ من العالَم هو آدَمُ والمقصودُ من آدم ذلك النَّفَس

ولا ينبغي مفارقةُ الأحبّة في الله ولله من أجل الدّنيا التي هي جيفةٌ وطُلّابُها كلاب». ففسَخَ العزمَ لكي لا يكدّر خاطرَ الأحباب، وعقدَ العَزْمَ على أن يتخلّص من كلّ شيء؛ فإنّ النفسَ خيرٌ من الدّنيا. ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ [الأنعام: ٩١]. لكنّ القلّة في المعاش مانعةٌ من المهمّات الدّينية. «لولا الخبزُ لما عُبِدَ الرّب»، «نفسُك مطيّتُك فارفُقْ بها».

ما دُمْتَ راكبًا على ظهرِ بَغْلٍ فإنّ حِمْلَه فوقَ روحِك

المرجوّ من مكارم أخلاقكم أن تنظموه في سِلْك الممتنّينَ لِمنّتكم والشاكرين لنعمتكم؛ لأنّ إنعامكم وإحسانكم لم يُنسَ ولن يُنسى وينضمّ إلى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]. جعلكَ الله دائمًا معشوقَ الفقراء ومفخرَ الكبراء، لكي تكون رياستُكم صلاحَ الخلائق فإنّ «احتياجَ الأشرار إلى الأخيار صَلاحُ الطّائفتين، واحتياجَ الأخيار إلى الأشرار فسادُ الطّائفتين».

الرّسالة الحادية والسّتّون

[إلى النّائب (أمين الدّين ميكائيل)

في التوصية بجمال الدّين]

[١٣٩] يُعْرَض على الرّأيِ العالي لِلمِلكِ النُّوّاب، سيّدِ الأمراء، مفخرِ الكبراء، وليّ الأيادي، العروةِ الوثقى والرّكنِ الأعلى، ناشرِ العَدْل، باسطِ الفضل، أدام اللهُ علوّه.

بعد السّلام المورود والتحيّة الممدودة اللذين سُمعا في شأن الابن العزيز مفخر المدرّسين والمعيدين جمالِ الدّين ـ دام فضلُهُ ـ جاء إلى حضرتكم، فقد ذهب الخوفُ في هذه السّاعة وكان تبديل المدرسة ضروريًا. ولم تبقَ ضرورةٌ، ولم يبقَ خوف. ولا يخفى على رأي الأمير أنّ الخوفَ قائمٌ طالما أنّ هذه الطّائفةَ مسلّطةٌ على المسلمين. وإذا ما سكنتْ ساعةً فإنّها تكون مِثْلَ أفعى في بيتٍ شبعت فنامت في زاوية، وهي نفسُها الحيّة التي تقتل. ومعلومٌ أنّ قُونِية اليومَ هي السّوادُ الأعظم ـ حماها اللهُ بطول بقائكم ـ وفي تلك المدّة التي مضى فيها ركابُكم الميمونُ إلى تلك الثغور حدثت فِتَنٌ كثيرة هنا، وفي كلّ ليلة كان يؤخَذ بيتٌ ويُقتَّل أطفالٌ ونساء وتُنهبُ أموالٌ، مع وفرة الحرَس والعَسَس والجمّ الغفير والجمع الكثير. وإذا لم يصل ركابكم الميمون ـ جعله اللهُ دائمًا قرينَ السَّعد الأكبر ـ وتأخّر فسيحدث خرابٌ كبير وسفكُ دماء كثير، فكيف تكون الحالُ في تلك الزوايا المنقطعة؟

إذا اشــــتكتِ العمائـــمُ الفَلَـــسا ... فــــإيش تقـــول الـــسّراويلات؟

وليس الدّرسُ لدى أرباب الفكر في تلك الأماكن سوى تعطيل وتعذيب، لأنّه بكلّ نوع من الأراجيف يتشتّت الخاطرُ ويتصوّر آلافَ الفِكَر والأخيلة، فإنّ «الحزْمَ

سوءُ الظنّ». وهناك الأراجيفُ في هذا الزمان متواترةٌ ومتتابعة ومتعاقبة في كلّ يوم. وأساسُ التحصيلِ والتّعليم اجتماعُ الفِكْر؛ وعندما يضطرب الفكرُ بهذه الخيالات والأوهام لا يبقى ثمّة مجالٌ للتحصيل.

الكلامُ الذي لا يأتي من رأسٍ مفكّر لا يستحقّ أن يُكتَبَ ويقالَ

ففي كلّ يوم يأتي خبرٌ سيّئٌ فيغدو الحليمُ حيرانَ والعاقلُ جاهلا. وإذا ما أقام إنسانٌ هناك فإنّ ذلك بسبب غِلظةٍ وسفاهةٍ فيه، [١٤٠] أو بسبب العجز، أو يكون شخصًا له طبعُ الأطفال، فإذا لم يصل السّكينُ إلى حَلْقه فلَنْ يكون لديه عِلْم بشيء، كالبهائم، أو يكون شخصًا مضطرًّا بسبب انعدام الحيلة والوسيلة لا يستطيع أن يتحرّك من مكانه.

وإنّ لُطفَ الأمير أشرفُ من أن يسمح بأن يتشتّت المحتاجون إليه والمحبّون له ـ خاصّةً المنقطعين للعِلْم والعمل المتفانين فيهما، أحلاسَ البيوت، مصابيحَ الظُّلَم، خَلَقي الثياب جديدي القلوب ـ ويبقوا عاطلين متسكعين. ومن تعوّد على الماء العَذْب ومجالسة أهل الفضل لا يستطيع العيشَ في تلك الأماكن حتى دون تشويش وإزعاج، إلّا إذا كان شخصًا لا عِلْم لديه عن حلاوة حديث أهل الفضل.

الطائرُ الذي لا خبرَ لديه عن الماء الزُّلال
يغمس منقارَه في الماء المِلْح طوالَ العام

وبرغم أنّ هذه الأعذارَ عند عامّة الخَلْق غيرُ عظيمةٍ وخطيرةٍ لأنّ أغلب الخلق مِثْلُ البهائم ويعدّون الغذاءَ كلّه خبزًا، ويرونَ تسكينَ حرارةِ الكبد من الماء،

إذا أنتَ لم تعشقْ ولمْ تدرِ ما الهوى فقُمْ واعتلِفْ تِبْنًا فأنتَ حِمارُ

فإنّ الخاطرَ الأشرف، الذي هو جاسوسُ أحوالِ المحقّقين والخبيرُ بأسرار الطالبين، يَعُدّ كلّ واحدٍ من هذه الأعذار جبَلَ قاف وسَدَّ الإسكندر [شيئًا عظيمًا جدًّا]. زاد اللهُ كلَّ يومٍ هذه الدّقّةَ في النظر والإصابةَ في الفِكر والكياسةَ والعناية لذلك الصّدر. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثانية والستّون

[إلى القاضي سراج الدّين في التّوصية بشخصٍ اسمُه سيّد أبو بكر أُخِذ ملكه ظلمًا]

دامَ ظلُّ فَضلِ مولانا أقضى القُضاة، أستاذِ الأفاضل، قامعِ البِدْعة، محيي الشريعة ـ أدامَ اللهُ فضلَه ـ على أهل الإسلام كافّة. أولياؤه منصورون وأعداؤه مقهورون، بحقّ محمّد وآله.

يطالعُ السّلامَ والتحيّةَ من هذا الدّاعي المخلِص، ويعلَمُ الاشتياقَ إلى المجالسة والاستفادة. إنّ رافع التّحية، السيّدَ أبا بكر، وهو وأمّه من أصحاب هذا الدّاعي ومحبّيه، طفلٌ صالحٌ ومحبٌّ للصّالحين، ولا نصيرَ له ومظلوم. انتُزِع منه مُلكُه ظُلمًا عندما كان صغيرًا. وإنّ خَصْمَ [١٤١] ظالمي اليتامى والمساكين والمظلومين هو ظلُّ رحمةِ مولانا. أنتظرُ من كرَم مولانا أن تصلَ إليه تلك الحجرةُ، فليس عنده مكانٌ يلجأ إليه عندما يجنّ الليلُ. أمّه درويشةٌ من أهل الله، وزوجُ أمّه سيّئُ الطّبع وقاسٍ وفقيرٌ ومَنَع الطفلَ قائلًا: لا تأتِ إلى بيتي ولا تأكلْ طعامي. الله الله، أن تأمر الهمّةُ المباركةُ بأن

تُسلِّم تلك الحجرةُ التي بقيت ميراثًا إلى هذا المظلوم المسكين لكي يتمكّن من العيش ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]. وإنّ والدته وجدَّه وقومه كانوا جميعًا من الصّالحين والمقيمين للصلاة والمظلومين، وإنّ صلاحَ الأصولِ أيضًا مظنّةُ صلاحِ الفروع وحُسْنِ جوهرهم، إلّا نادرًا. قال اللهُ تعالى في قصّة مريم:

﴿ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝٢٧ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨ ﴾ [مريم: ٢٧ ـ ٢٨]، يعني من أهل الفحش. وإنّ المعصيةَ من أبناء الصّالحين شيءٌ عجيب، وموجِبُ استعجابٍ لدى العقلاء. وهذه الطائفةُ ليست هي تلك الطائفةَ التي تطمع في مُلْك الآخرين، بل هي تلك الطائفةُ التي لا تُطالب أحيانًا حتّى بحقّها ـ حذرًا من الوحشة. ومولانا نفسُه عندما يرى يعرف ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[الفتح: ٢٩]، ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾[محمد: ٣٠]. قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «من يأتِ عملًا صالحًا لله في جوفِ اللّيل يُلْبِسْه اللهُ منه رداءً يُعرف به»، ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣].

ونسأل اللهَ الذي يجزي أهلَ الخيرِ خيرًا وأهلَ الفَضْل فضلًا أن يجزيَ مولانا خيرَ ما جزى به ويتقبّلَ سَعْيه، آمين يا ربَّ العالمين.

الرّسالة الثّالثة والستّون

[إلى معين پروانه في طلب دفع مرتّب
إلى اختيار الدّين وعماد الدّين]

يُعرَضُ على الرّأي العالي لمِلِكِ الأمراء، وليّ الأيادي والإحسان، پروانه بك الكبير، أدام اللهُ علوَّه. بعد تبليغ آلاف السّلامات والتحيّات وأنواع الشّكر والإحسان لحضرة من ﴿ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠]، فإنّ حاملَي الرقعة، الفقيهين الصّالحَيْن الحسيبَيْنِ النَّسيبَيْنِ، اختيارَ الدّين وعمادَ الدّين ـ سلّمهما اللهُ ووصل إلى هِممهما ـ هما من الأبناء المقبلين لهذا الدّاعي ومن المحصّلين والمتعبّدين والقانعين ومن أولئك الذين ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[البقرة: ٢٧٣]. وقد قُطعت عنهما من المدرسة بضعةُ الدراهم المرتّبة لهما التي كانا يتعيّشان بها بقدر كبير من القناعة والعنَت [١٤٢]؛ لأنّه ليس لهما من وليّ ومُعين غير الحقّ. وإنّ مِلِك الأمراء هو نائبُ الحقّ ومن ثمّ نائبٌ مختارٌ من الرّحيم الكريم بعبادِ الله، لا سيّما الفقراء الطالبين لله، المجاهدين للقاء الله، ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وبرغم أنّني في غاية الخجل، أتطلّع من ألطافِ مَلِكِ الأمراء ـ جزاه اللهُ أحسنَ ما جزى به يومَ يحتاج النّاسُ إلى مصالح المجازاة ـ أن يَسُرَّ قلبي بإبهاج ابنيَّ ـ وفّقهما الله تعالى ـ ويحييهما بتلك العناية فإنّ ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا

ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[المائدة: ٣٢].

والسّلامُ على الأميرِ المحسِنِ إلينا يبتغي بالإحسان من ربّه نورًا وحضورًا، ولا يريد منّا جزاءً ولا شكورا. ودمتُم على عرش السّعادة. آمين يا ربَّ العالمين.

الرّسالة الرّابعة والسّتون

[إلى سُلْطان ولَد وعلاء الدّين چلبي في التوصية برعاية حال شرف الدّين لالاي السمرقندي]

الابنُ العزيزُ المقبِلُ المحسِنُ الحسَنُ الاعتقاد، بهاءُ الدّين، والابنُ العزيز الأمجدُ الأسعدُ الأشرفُ، علاءُ الدّين - دامت سعادتُهما - يعلمانِ سلام هذا الأب، ولا يعاملانِ الوالدَ العزيزَ وليَّ التربية والخدمة، شَرَفَ الدّين، بأيّة خشونة وقسوة ومكافأة ومجاراة، وينظرانِ بعينِ هذا الأبِ؛ ويتخيّلانِ أنّ ذلك الغضبَ صَدَر عن هذا الأبِ، فيتحمّلانِه؛ ذلك لأنّ للوالدِ العزيز شرفِ الدّين على هذا الأب [مولانا] حقوقًا كثيرة. أرجو من ابنيّ المقبِلَيْن رجاءً عظيمًا عظيمًا عظيمًا أن يقولا كلّ ما يقولانِه له بلطفٍ، وأن يفعلا ذلك بتحمّلٍ وتلطّفٍ ورحمة وبُنوّة، ومن أجل قلب هذا الوالد يرجى منهما أن يشغلا نفسيهما عدّةَ مرات بالمشاغل؛ لكي يصلَ إليّ خبرُ ذلك ويزدادَ الدّعاءُ الذي أدعوه لهذين الولَدَيْنِ، وتتضاعف شفقتي عليهما، وإن شاء الله تعالى يعودانِ بأسرع وقتٍ ببركةٍ وسرورٍ مسرورَيْن بنيل المراد، إن شاء الله تعالى.

الرّسالة الخامسة والسّتون

[إلى صلاح الدّين في الظروف
وبيان الاشتياق إلى الزيارة واللقاء]

[١٤٣] اللهُ هو الميسّرُ للاجتماع.

أقسِم بالله الذي فيضُ رحمتِه لا تسعُهُ أطباقُ السّماء
آنه من الهجرانِ والاشتياق لا يتّسعُ فَمٌ لما لديّ من كلام

إنّ التعلّقَ الذي يُكنّه القلبُ والرّوحُ بالصّورة المباركة للأخِ الأعزّ الأجلّ الأفضل الأكمل، سيّد الصُّدور، المحقِّقِ المدقِّق، مفخر الأئمة، تاجِ أهلِ الصُّفّة، صاحبِ الدولتين، صلاحِ الحقّ والدّين - أدام اللهُ علوّه وأيّده ونصَره وأعلى محلّه وأنجز آمالَه وجمع شملَه في الدنيا والآخرة - لا يتّسع له بيانُ قلَم ولا يأتي عليه الشّرحُ.

أنتَ نفسُك تعلَمُ كيف أكون منقبضًا ومغتمًّا من دونك،
لا قدّر اللهُ أن أكون خجِلًا من وجهِكَ في هذا المعنى

وإن حدَثَ تقصيرٌ في الخدمة والضّيافة فالحقّ تعالى عليم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠] بأنّ ذلك لم يكن من ضعفِ عهدِ مودّةٍ ولا من فتور أركانِ محبّة؛ فإنّ محبّة ذلك الأخِ مِثْلُ أيّام الرّبيع، كلَّ يومٍ في تزايدٍ وإشراق. لكنّ مرجعَ ذلك الأعداءُ المتمثّلون في الطبيعة العنصرية الضعيفة المحتاجة إلى الحوائج الخسيسة، التي تُقيّد الرّوحَ وتسيطر عليه، ولا تسمح لهمّته بأن تتمسّك حقَّ التمسّك بمصاحبة إخوانِ الصّفاء وخلّان الوفاء. وهذه عينُ قصّة المجنون الذي امتطى ناقتَه مندفعًا بآلاف

الأشواق تاركًا وراءه حُوار النّاقة، فكان يُغذُّ السّيرَ إلى ربوع ليلى؛ وفي الساعة التي جعلتْه حيرةُ المحبّة غافلًا عن حثّ الناقة على السّير كانت النّاقةُ قد عادت إلى ناحية الوطن والولَد، وقد تراجعت إلى مسافة طويلة حتى استعاد وعيه؛ وهكذا قضى في طريق الأيام الثلاثة مدّةَ شهرين في هذا الجَزْر والمدّ. فقال بعد ذلك:

هوى ناقتي خَلْفي وقدّاميَ الهوى وإنّي وإيّاها لمختلفانِ

والمرجوّ من سَعةِ الأخلاق الطيّبة الطاهرة للصَّدْر الأخويّ ـ أدام اللهُ علوّه وفضلَه ـ أن يتجاوز عن هذا التقصير، وإنّ علامةَ تجاوز ذلك استدعاءُ هذا الأخ وتحقيقُ مطلبِ مراجعةِ الصَّدْر الأفضل. أدام اللهُ فضله.

[١٤٤] تعالَ مرّةً أخرى لتزدادَ ممّا كان

وإذا لم يكن ثمّةَ شيءٌ حتّى الآن فليكنِ الآن

عودوا إلى الوَصْلِ عودوا فالهجرُ صعبٌ شديدُ

ولو لم يكن حولي عوائقُ وصغارٌ متعلّقون بحِضانتي لجئتُ من دون إبطاء في طلَب ذلك العزيز الفريد، مُسْرِعًا ومستعجلًا؛ ولكان ذلك المجيءُ دون حَدِّ المودّة والتوّقان والاشتياق، بل هو واحدٌ من الألْف:

عندي جُمَلٌ من اشتياقٍ وفصولْ لا يمكنُ شرحُها بكُتْبٍ ورسولْ

بل أنتظرُ الزمانَ والحالُ يحولْ أن يجمع بيننا فتُصغي وأقولْ

نسألُ اللهَ محرِّكَ القلوبِ ومهيِّجَ النّفوس أن يشرحَ صدْرَ الأخ الرّبانيّ بسرعة النهوض منه والإفاضة وتقرير [كذا] عيون الأحبّة من غير رويّة وريبٍ واستخارة؛

فالخيرُ كلّ الخير والرّحمةُ كلّ الرّحمة في إيناس الأحباب، ودَفْع الوحشة والفُرقة والعذاب، ونعم المرجُو والمسؤول.

والأميرُ العالمُ العامِلُ الطّالبُ الحسيبُ النسيبُ، المشتاقُ إليك شوقَ العطشان إلى الماء الزّلال وشوقَ العاشق الكئيب إلى ساعة الوصال. وقد شفع لهذا الأخ أنّني أُعلمكم أنّه قد عاهد الله تعالى على أنّه عندما يرى وجهَكم الكريم ينتطق بنطاق الخدمة نَفْسًا وروحًا ومالًا وجاهًا، وعلى أنّ كلَّ مالٍ يملكه هنا وفي مدينة گنگر يكون مناصفةً في خدمته، بل كلّه له. الرجاءُ أن يقبل شفاعةَ هذا الأخِ لكي يصدق ظنُّه في اتصالنا ونفوذ شفاعتنا لدى حضرته، لأنّه يعتقد أنّ أيّة شفاعةٍ والتماسٍ لهذا الأخ لدى حضرة من هو مَعْدِنُ الكرَم لا تُردّ. دمتَ محسِنًا! والسّلام.

الرّسالة السّادسة والسّتّون(*)

[إلى مجد الدّين أتابك في التوصية ببهاء الدّين الذي هو من أقرباء بيت مولانا]

الله يجمعُ بينَنا، ويفرّق البُعْدَ عن بيننا. سَنَةُ الوَصْلِ سِنَةٌ، وسِنَةُ الهجرِ سَنَةٌ. تكاثرت الأشواقُ إلى [١٤٥] لقاءِ الصّدرِ الكبير، فَخْرِ المدرّسين، تاجِ الأدباء، صاحبِ

* هذه الرّسالة بالعربية في الأصل [المترجم].

الفنون، الحسيبِ النّسيب، مجدِ الدّولة والدّين، أدام اللهُ علوَّه. وقد قَصِرت الألقابُ لا لقلّةِ أوصافه وشمائله الشريفة، ولكن احترازًا عن سآمة خاطره الشّريف في مؤنة المطالعة، وهي في القلب مكتوبةٌ وعند الله مُعدَّة ليوم الثواب.

أنهي السّلامَ الكثيرَ مقرونًا بخلوص المحبّة في سِرِّ سِرِّ القلب. عجّل اللهُ تعالى بكرَمه العودةَ المباركة مع المراد والسّلامة والسّعادة، خيرَ إيابٍ وأحسنَ رجوع. آمين يا ربّ العالمين.

ونُنهي إلى خِدْمته الشّريفة المغتنَمة المفرِّجة المنشِّطة ـ لا سلَبَها الله عنّا أبدًا ـ أنّ حاملَ الخدمة [الرّسالة]، بهاءَ الدّين، هو من أقرباء بيت مولانا، وهم في غاية الفقر والإقلال، كثيرو الحياء والصّبر، يحتملون من الفاقة ما لو كان على غيرهم لملأ الآذانَ من الإيذان والشّكوى. ولا شكّ في أنّ شبكةَ الرّزق في الدّنيا هي الوقاحةُ، والحياءُ يمنع الرزقَ. والكريمُ يستحيي من عَرْض حاجة أخيه، والصّبرُ على فاقة نفسه محمودٌ، والصّبرُ على فاقة أخيه قساوةٌ ومذموم. وقد علمتُ حِلْمَكم ومودّتكم، لا سيّما على أهالينا وأقربائنا ومعارفنا؛ وكيف لا، وأنتم نحنُ ونحن أنتم.

رُوحُـــهُ روحِـــي وروحِـــي روحُـــه　　　مَـــن رأى روحَـــيْنِ عاشـــا في بَـــدَنْ

نرجو من كرَمه البسيط ولُطْفه المحيط أن يدبِّر حاجتَهم ويُنهي حالهم أحسنَ إنهاء إلى حضرة الصّاحب الأعظم، ملِكِ الوزراء الأكرمِ الأعلم ـ مدّ اللهُ علوَّه وجلالَه في دولةٍ صافية ونعمةٍ وافية ـ لكي يسلكهم في سِلْك مماليكه وخُدّامه ليستظلّوا بظلّه اللطيف الوافر الوارف، ويستعصموا بحَبْله الحصيف الكاثف، وينجوا من غمزات الشّقاء والإيلام ومخاليب نوائب الأيّام ـ طلبًا لمرضاة الله تعالى وذخيرةً ليومٍ يحتاجُ

النّاسُ فيه إلى العمل الصّالح، وتكونُ الطاعةُ فيه «تعظيمَ أمْرِ الله والشفقةَ على خَلْق الله» التي قدّمها العبدُ أكرمَ بضاعةٍ في ذلك اليوم، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

وخاطِرُكم منبعُ الفضائل، ونشْرُ الحِكَمِ عليكم أولى؛ لأنّ الغيومَ تأخذُ من البحر، وأكثر ما يقطرُ يقطر عليه، فهو أحقُّ به.

وإن تــرى عيبًــا فــسُدَّ الخَلَــلا　　　فجــلَّ مَــنْ لا عيــبَ فيــه وعــلا

منتظراتٌ لعَوْد المجلس الكريم، أقرَّ اللهُ أعينَهنَّ وأعيُنَنا.

الرّسالة السابعة والسّتون

[في الظّاهر إلى علاء الدّين چلبي
في نصيحته ودعوته إلى الخُلُق الحسَن]

[١٤٦] فخرُ المدرّسين، خيرُ البنين، محبوبُ الأوّابين، يقرأ السّلامَ من هذا الوالد، ويعلَمُ أنّه مدعوٌّ له بالخير، ويرجع إلى عَيْن عنصر سخاء النّفس الذي هو طبعُه الأصليّ، ويتجنّب مداخلَ خبث الأنانيّة وشحّ النفوس؛ فإنّه ما من أحدٍ يستحقّ المجيء من روضة الفَناء إلى عالَمٍ مملوء بالحُور والذّهَب والجوهر المنثور، بأشواك الهوى. وإذا ما أغرى أحدٌ بسبب الغفلةِ الطبعَ الطّفْليَّ على المباراة والمسابقة في الفعل والقول المخالفَيْنِ، فإنّه لن يكون محمودًا وسعيدًا بهذا الفعل المخالف للمواثيق الرّبانيّة

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ﴾ [المائدة: ٢] ولا يحملنكم ظلمُ قومٍ على أن تتركوا طريقتكم المثلى وهمتكم العليا المرضيّة عند المولى:

لــو تغـيّرتْ عليــكَ جملــةُ العــالَمِ فــامضِ في ســبيلك، ولا تتغــيّر

هكذا يَتصوّرُ أنه في تلك الحجرة هذا الأبُ جارٌ له فيتحمّل ويُحسِنُ الجوارَ مثلما يليق به وهو يهمس: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة: ٢١٦]، وحتّى لو أُكرهَ في هذا الباب الطبيعةَ ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧]. وما أكثر طيِّبِي السَّرائر الذين يغدون راضين بالأخلاق المذمومة وراغبين فيها قائلين إنّ فلانًا أيضًا كذلك، وفلانًا بدأ ذلك. فهل ثمّة عاقلٌ يقتلعُ عينَه البصيرة قائلًا إنّ فلانًا لا عَينَ له أو أعور؟ - أو يجيزُ لنفسه فِعْلَ القبيح قائلًا إنّ فلانًا كذلك مخنَّث؟ لأنَّ هذه الصفةَ في نفسها مذمومةٌ وفيها أنانية وبُعد عن الله وعن الأرواح الطّاهرة. ولو لم تكن هذه الصّفةُ أكثرَ قُبحًا من العمى والتخنّث لم تكن سببًا للبُعْد، فإنّه في هذا الطّريق وجَدَ كثيرٌ من العُميان والمخنّثين الطريقَ عندما توجّهوا إلى ترك الأنانية والغفلة. ولو تأمّلْتَ فيه قليلًا لعرفتَ وجوهَ القبح فيه كثيرًا. وقد قلتُ للسّيّد مجد الدّين عدّةَ رموز، يسمعها أيضًا. كتبَه والدُه يُعرف بلحن قوله.

الرّسالة الثّامنة والسّتّون

[إلى معين الدّين پروانه في تسليم خانقاه
نصرة الدّين إلى حميد الدّين]

[١٤٧] صانَ اللهُ وحرَسَ داعيةَ الخيراتِ والحسنات، مِلِكِ الأمراء، النّاصرِ لدين الله، صاحبِ الدولتين، سعيدِ السّعادتين، العروةِ الوثقى والرّكنِ الأعلى، غياثِ الإسلام، مغيثِ المسلمين، السّعيدِ العظيم (قتلغ الغ - بالتركية) المتديّن الخاصّ، پراونه بگ، أدام اللهُ علوّه =(*) من آفة الملال والسّآمة التي هي سَدٌّ في طريق الطائعين!

يطالعُ السّلامَ والاحترامَ، على التّجديد والتّرديد والتكاثر. ويتفضّل بالعلم بالاشتياق المجاوز للحدود. وإنّ الدّاعي المخلِص ليجتهدُ في أن لا يزعج الجنابَ المبارَكَ من المكاتبات والمراسَلات، وليس لذوي الحاجات منهلٌ ومشربٌ آخر غير ذلك الذي هو ماءُ عينِ الحياة وكوثر السّعادات. ينظرون يَسْرةً ويَمْنةً فلا يجدون ملاذًا ومخلَصًا من مخلب الفقر وفاقة الزّمان عدا المنهل والمشرب المبارك الذي جعله الله مستدامًا إلى أقصى الدهور والأعوام.

المَــشْرَبُ العــذْبُ كثــيرُ الزِّحــام ومــزرَعُ الــدّهرِ رهــينُ الرّهــام

لا يجوز كسْرُ قلوبِ الدراويش ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [الضحى: ٩ - ١٠]. قال الجدارُ للوتد: لِمَ تشقّني؟ - قال: انظرْ إلى من يدقّني.

---

* تشير إشارة = هذه إلى أنّ ما بعدها (من آفة) متعلّق بالفعل «صان» في مطلع الفقرة.

وإنّه من دون اختيارٍ، تتابعُ الإزعاجاتُ، والمرجوُّ من مكارم أخلاقكم أن تغفروا هذا الإزعاجَ الكثير، لكي يستجيب الحقّ، جلّ جلالُه، لدعواتكم وحاجاتكم وحاجات أحبّائكم والمتعلّقين بكم من دون توقّف وانتظار «كما تدين تُدان».

حاملُ التحيّة، الابنُ المخلِصُ حميدُ الدّين ـ وفّقه الله ـ بيُمْنِ همتكم دخَلَ في زِيّ الصّالحين وتركَ الرّعونةَ والشبابَ وطهّرَ ظاهرَ الجسدِ من الشّهواتِ والرّعونات ممّا هو في يده؛ لكي يبدّل الحقُّ تعالى أيضًا قَلْبَه ويتوجّه إلى ذلك العالَمِ، ظاهرًا وباطنًا.

قال النبيُّ عليه السّلام: «هذا عَدْلي فيما أملِكُ، فاعفُ عنّي فيما لا أملك». وإنّ الخانقاه الذي لجَدِّه نصرة الدّين ـ رحمه الله ـ لا أحد يقوم على أمره «والصّوفيُّ أولى بخِرْقته»، والمتوقّعُ من مكارم أخلاقكم الملكية أن تستعملوا سلطانكم وعطاءكم وتفوّضوا أمْرَ تلك الزاوية إلى الشيخ حميد الدّين لكي تحرّضوه على مزيد اكتساب العِلْم والعمل تقرّبًا لا تبعّدًا، رَغَبًا لا تنفّرًا. ومعلومٌ أنّ له على الدّاعي حقًّ خدمة كثيرًا. وسأكون ممتنًّا وأعتبر أنّه قد فعل ذلك الإحسانَ من أجل الدّاعي مجدّدًا. والحمدُ لله أنّه من العنوان يَفهم الرّسالة التي لم تُفتح، ومن الفِهْرِس يفهم الكتابَ إلى آخره. فالحمدُ لله على تلك [١٤٨] الفِراسة الإلهية، اللهمّ، زِدْ ولا تنقُصْ. قال الله تعالى: «وسنزيد الشاكرين» [مستفاد من الآية ٧ من سورة إبراهيم].

ومن عندنا، يسلّم عليكم ويدعو لكم مَلكُ المشايخ، جُنيدُ الزمان، أمينُ القلوب، قدوةُ الحقائق والأرواح، حُسامُ الحقّ والدّين، أدام اللهُ بركتَه.

الرّسالة التّاسعة والسّتون

[في الظّاهر إلى القاضي سراج الدّين،
رسالةٌ عِرفانيّة]

يطالعُ مفخرُ الصّدور، مؤنسُ الفقراء، قدوةُ الأخيارِ ـ أدام اللهُ علوّه ـ السّلامَ والتحيّة، ويعلَمُ أنّ الدّاعي مستبشرٌ بالمشرَّفة [الرّسالة] العزيزة. يقول الله تعالى لعبدٍ أنعمَ عليه: ماذا صنعتَ فيما أسبغتُ عليكَ من النّعمة؟ ـ فيقول: يا ربّ، شكرْتُكَ وحمِدْتُك، يعني شكرتُكَ بمالي وبنفسي وبلساني وبقلبي وبغيرها. فيقول الله تعالى: لم تشكرْني إذا لم تشكر لمن أجريتُها على يده، يعني لم تشكر لَمَنْ أجريتُ تلك النعمةَ على يده ـ صدق رسولُ الله فيما أخبرنا عن الله.

لأنّ الحقّ جلّ جلالُه جعلَ ذلك الموفّق وسيطًا لإيصال نعمة الحقّ إليك، كان شكرُه واجبًا؛ مثلما أنّ الله خلقَ جسْمَك، ولكن لأنّه جعَلَ أباك وأمّك وسيطًا لكي يوفّر نعمةَ الجسد عليك بوساطة موافقتهما على تربيتك، صار شكرُهما واجبًا [فقال تعالى] ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]. كذلك عندما وصلتْ إليك نعمةُ العِلْم، صار شُكرُ المعلّم الذي جعَلَه الحقُّ وسيطًا واجبًا أيضًا.

وهكذا يُحكى أنّ بعض الرهبان، الذين كان يُعتقد بصلاحهم، اشتكوا في حضرة أحد العظماء قائلين إنّنا نتحمّل العنتَ والفاقةَ أكثرَ من صحابة الرّسولِ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ونحن أبعدُ منهم عن الشّهوات، ولكنّ ما يحصلون عليه من الكرامات لا نحصل عليه نحن. فما السّببُ؟ فأجابهم ذلك العظيمُ قائلًا إنّ معرفةَ الله والزّهدَ

والرّهبانيةَ والانقطاعَ عن الدنيا وأمثالَ ذلك، هذه جميعًا موروثُ الأنبياء وإرشادُهم، وإنّه من دون إرشادِهم لن يكون معلومًا لدى أيّ شخصٍ معرفةُ الله والسَّيرُ والطريقُ إلى الله تعالى، لأنّ ذلك موروثُهم. وأنتم قد أدرتُم إليهم ظهورَكم برغم أنكم قد حصلتُم عل هذه النعمة منهم. فقالوا: نحن نُقِرُّ بالأنبياء المتقدّمين ونشكرهم. فقال: لأنهم نفسٌ واحدة، يكون تكذيبُ أحدِهم تكذيبًا للجميع. مثلما أنّ غَسْلَ الأعضاء في الوضوء شيءٌ واحدٌ من جهة الفائدة؛ فإن لم تغسلْ أحدَ الأعضاء فلن يفيدَك غَسْلُ الأعضاء الأُخَر. ولأنّ الأنبياءَ يُقِرّ كلٌّ منهم بالآخر ويشهدُ كلٌّ منهم على نُبوّة الآخر الصحيحة، فإنّك إنْ كذّبتَ بأحدهم كذّبتَ بالجميع. ويمكن القولُ حقًا إنّ ذلك نورٌ واحدٌ أشرقَ من كُوّة كلّ منزل من منازل أجسام الأنبياء من [١٤٩] شمسٍ واحدة. فإذا صرتَ ضدَّ واحدٍ من تلك الأنوار التي تكون في هذا المنزل المعيَّن ومنكرًا له، ثبتتِ الخفّاشيّةُ لك، تغدو منكرًا للجميع. ونظيرُ هذا أنّه إن قال خُفّاشٌ: أنا مُقِرٌّ بشمسِ البارحة، لستُ ضدًّا لها، برغم أنّني ضِدٌّ لشمس هذا اليوم، قيلَ له: هذه البارحةُ واليومُ أو القديمُ والجديدُ ليسا اثنَيْن، ولكنّ البارحةَ بعيدةٌ عن امتحانك. وكذلك مثلما تقول حيّةُ التراب: إنّني سمكةُ ذلك الماء الذي كان يجري في النهر السنةَ الماضية، لا أسبح في هذا الماء. فيقال لها: هذا الماءُ هو نفسُه؛ أمّا ذلك الماءُ الذي هو غير هذا في زعمك، فليس هو الممتحِنَ في زمانِك. ولا يتمّ بيانُه ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩]. جعَلَ اللهُ روحَه الطّاهر دائمًا مستسقِيَ ماءِ حياةٍ ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٦]. آمين يا ربَّ العالمين.

الرّسالة السّبعون

[إلى فلان الدّين (؟) نصيحة أبويّة لـترك طريق الشيطان]

قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ لا تحلُّ له فإنّ ثالثهما الشيطان». من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فلا يقفنَّ مواقفَ التُّهَم. من باشر خيرًا أو شرًّا في جنح ليلٍ في بيتٍ مظلم جعَلَ اللهُ ذلك عليه بالنهار رداءً وشِعارًا يُعرف به. يؤيّده قولُه تعالى: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ [القلم: ١٦]؛ يعني نجعلُ الخيرَ والشرَّ علامةً على أنفه يراها كلّ أحد.

يعلَمُ الابنُ العزيزُ فلانُ الدّين ـ خلّصه الله تعالى من أيدي الشياطين ـ أنّه في هذا الزمان تكون زاويةُ الخلوة مجمعًا للشياطين. ولدى الأُسود خوفٌ في هذا الزمان من الانقطاعِ عن الأصحاب الصالحين والجلوسِ في الخلوة. ولا يليق الخوفُ بالأسود لأنّ ذلك نقصانٌ للأسَديّة، وفتنةُ الشيطان أنّ هذا الأبَ تصامم عن خير العالَم وشرّه، لكنّهم كانوا يضعون أفواهَهم في أذني ويصيحون. واللهِ الطّالبِ الغالب إنّهم كانوا في هذه المدّة يقولون أشياء عن ذلك الابن لو أنّني رأيتُها في المنام لحرّمتُ النومَ على نفسي. ولو كان السّفرُ ممكنًا لسافرت. وفي النهاية، من قال إنّ ذلك مفيدٌ؟ إنّ فيه مئة ألفِ ضرر. واللهِ ما قال هذا إلّا عدوّ. نُصِح مرّاتٍ عديدة، وذلك الابنُ أوّلَ ذلك ووضعَه تحت البساط ولم يؤوّل خداعَ النّفس، مثلما تصوّر ذلك الشخصُ في نُبوّة موسى كثيرًا من الأخيلة والإشكالات والتأويلات ولم يتصوّر لألوهية العِجْل أيّ تأويل.

في مستطاع هذا الأبِ دعوةٌ ودُعاءٌ، بحقّ قوله ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦] [١٥٠] و﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. الدعاءُ نفسه عملي والدّعوةُ هي ما أقولُه مرّةً ومرّتين مثل نوح ﴿ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢]. وإن شاء اللهُ لا تقول ﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾[هود: ٤٣]، يعني الجأ إلى عَبْدٍ مرحومٍ وكنْ ملازمًا لذلك المرحوم، وإلّا فإنّك أينما ذهبتَ وجدتَ الخسرانَ. ماذا الذي غرّك بطيش الشباب؟ ومهما يكن فإنّ أخاك أصغرُ سِنًّا منك. واأسفاه، كان مأذونًا له أن يحدّثك عن حاله. الله، الله، يعرف ويجرّب تلك الحجرة. أجدُ صعوبةً في أن أنصح إنسانا في وجهه. الفَمُ مملوءٌ، ولا إمكانيةَ للقول؛ القلبُ مملوءٌ، ولا إمكانيةَ لكتابة ذلك. وفي النهاية اخشَ من روح ذلك العظيم، واخجلْ من روح ذلك السّلطان. والمنزلُ الذي كان حَسَن السّمعة ومشارًا إليه بالبنان كالبيت الحرام، اقتربَ من أن يغدو مشهورًا مثلَ خان ضياء الدّين.

واللهِ، وباللهِ، إنّ روحَه يزأرُ مثْلَ الأسَد وهو عارفٌ بكلّ قليلٍ وكثير يجري. ويمكن أن يهبط على رأسك. لا تحلِفْ ولا تُنكِرْ ولا تقلبِ الأحوالَ ﴿ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ ﴾ [التوبة: ٤٨] لأنّ الإنكار لمرّة واحدة ذنبٌ آخر. وابدأ مِثْلَ آدم وقُلْ ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ولا تحاجِجْ مثلَ إبليس. وإن تحسّنت حالتُه الإنسانية، فالله الله أن يتمسّك بشيخٍ ولا يُلقي بنفسه تحت الشياطين الضعيفة ـ وفّقه اللهُ وقوّاه وأيّده بنصره. الله الله، يلازمُ صحبةَ شيخِ الشيوخ المشايخ، إمامِ الوقت، حُسام الدّين، إن كان هناك حجابٌ يحجبه عنّي، أو لم أكن في موضع

معيّن. الله الله الله، لا يسرُّ الأعداء.

إذا سمِعَ العدوُّ عن هذه الحال غدا مسرورًا

فبالله عليك، لا تكنْ على هذه الحال؛ لأنها سرورٌ له

تكون الدنيا مسرورةً عندما تُذيق العاقلَ المرارة

لأنّ الحياةَ الحلوةَ تموتُ مُرّةً

والسّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته.

الرّسالة الحادية والتّسعون

[إلى القاضي عزّ الدّين في تسليم تَرِكة
أخت فخر الدّين إلى أخيها]

أطالَ اللهُ بقاءَ قاضي القضاة، ناشرِ العَدْلِ والحسنات، الصّدْرِ الذي استحقّ الصدرَ بسَعة الصّدر، [١٥١] وفاقَ الأفاضلَ بعلوّ القَدْر، بقيةِ السّلَف، أستاذِ الخَلَف، مفتي الفريقين، إمامِ المذهبيّن، الأجلِّ الكبير، العالِمِ النّحرير، البدْرِ المنير، عزّ الحقّ والدّين علاءِ الإسلام والمسلمين، عَلَمِ الهدى واليقين ـ أدامَ الله علوّه ويسّر له اليسرى وجنّبه عن العسرى، ولا زالَ السّعدُ له خادمًا والإقبالُ ببابِه ملازمًا، كلأَهُ اللهُ ورعاه ومن الخير لا أخلاه.

يطالعُ السّلامَ والاحتفاءَ من هذا الدّاعي المخلِص، الشّاكِرِ الذّاكر. ويعلم أنّ الاشتياقَ لملاقاة الذّاتِ الشّريفة لمفيضِ الفوائد والنّوادر، متجاوزٌ للحدّ ـ جمع اللهُ بيننا

على بساط الصّدق ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. آمين يا ربّ العالمين.

خيالُـكَ في عيني وإسـمكَ في فمـي وذكـرُكَ في قلبـي إلى أيـن أكتـبُ؟

أنـا وأنـتَ جعلَـتِ الإنـسانَ اثنَـيْنِ

ومن دون «أنا وأنتَ» تـصير أنـتَ أنـا وأصـيرُ أنـا أنـتَ

ومتـى كانـت ذواتُنـا منفـصلةً عنّـا

ذهـبَ أنـا وأنـتَ، وبقـي الله

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢]. الله يجمع بيننا ويرفعُ لبُعد عن بيننا.

أيّتهـا الأرواحُ الطـاهرةُ في أكـوام الـتّراب

إلى متـى أنـتم مـستقرّون مِثْـلَ أهـل سَـقَر

مـا زال الوقـتُ متـأخرًا لكـي يُقـرع طبـلُ المحشَر

فيا أبناءَ الأحيـاء، ارفعـوا رؤوسـكم مـن هـذا الـتراب

لا بـدّ مـن ليـلٍ دائـم وشُـعاع قمـر منـير

لكـي أحـدّثك عـن ألـوان الغـمّ التـي أحـدثُتها فيّ

عنـدي جُمَـلٌ مـن اشـتياق وفـصول لا يمكـنُ شرحُهـا بكُتُـبٍ ورسـول

بـل أنتظـرُ الزمـانَ والحـالُ يحـول أن يجمـع بيننـا فتُـصغي وأقـول

وقوله «تُصغي وأقولُ» تفسيرٌ لـ «يجمع بيننا»؛ لأنهما عندما يجتمعان على شَرْط

عين الجَمْع تُكشف الأحوالُ من دون وساطة القول الظاهر؛ وإن بقيت بعضُ الأحوال من دون انكشاف وكانت محتاجةً إلى البيان بذِكرها بالقول، فإنّه لا يكون هناك جمعٌ، بل التفرقةُ قائمة؛ ذلك لأنّ التفرقة ليست من جهة المكان، لأنّ الرّوح [١٥٢] ليس مكانًا، التّفرقةُ من توسّط الحجُب. يكونون مجتمعين عندما ترُفَع الحجبُ تمامًا.

وهذا مكشوفٌ للخاطر الأشرف، فلا حاجة إلى الإطالة. «العاقلُ تكفيه الإشارةُ»؛ لأنّه يتكلّم وينبّه[١]، والعاشقُ لا يكفيه ألفُ إشارة؛ لأنّه يتكلّم ويشير لا للتفهّم وحْدَه بل لالتذاذه و(اغتذاء روحه بدَلّ)[٢] المحبوب ظاهرًا وباطنًا.

يُعْلَم أنّ الابنَ العزيز، طالبَ الحقّ، فخرَ الدّين ـ دامت سعادتُه ـ من الدّاعين والشاكرين لتلك الحضرة. وهو مشغولٌ ليلًا ونهارًا في تحصيل دَرْس العشقِ والتنبيهِ على التقوى ووجيزِ القناعة وتوسّطِ قوت القَلْب وبسيطِ المعرفة والجامِع الكبير في مقعد صِدْق[٣]، ويخوض في أصولِ أصولِ الأصول، ولديه همّةٌ ونهَمٌ في طلب العبورِ من العلوم والوصولِ إلى المعلوم، وهو الحقّ تعالى. وإنّ أختَه، المرحومة، انتقلت إلى الآخرة، غفر الله لها، ومن الأفضل أن تُصرف التّركةُ الموجودةُ في أبواب الخير، ومن الخير إعطاءُ تَرِكتِها لأخيها فيكون في ذلك صدقة للمتوفاة ﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

١ـ جاءت هذه الكلمة هكذا في الأصل: ونَبيه، وقد أثبتنا في المتن ما اعتقدنا أنه صحيح [المترجم].

٢ـ هذه العبارة بالعربية هكذا في الأصل: اعتذار وجه يذلّ، ويبدو أنّ الصحيح هو ما أثبتناه في المتن [المترجم].

٣ـ الظّاهرُ أنّ مولانا يوظّف أسماءَ بعض الكتب التي هي أصولٌ ومصادرُ للثقافة الاسلاميّة في عصره، في الإشارة إلى ضرورة إصلاح الباطن والسِّرّ قبْلَ استظهار المتون المتّصلة بظاهر الدّين [المترجم].

﴿بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال: ٧٥] خاصّةً مثْلَ هذَيْنِ الرَّحِمَيْن إذ تحصل صِلَةُ الرَّحِم الدينيّ على أتمّ الوجوه وتسعى في إحياء نفسها، فذلك على الحقيقة إحياءٌ للخلائق جميعًا، ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾[المائدة: ٣٢].

يصلُ الابنُ المخلِصُ صَدْرُ الدِّين ـ دامت سعادته ـ بحُكم الوكالة. والمؤمَّلُ وفقًا لقانون اللّطف ورعاية المساكين وبَسْط المعروف من الجناب السِّيادي والأبويّ، أن تأمر العنايةُ بأن يصل الحقُّ إلى المستحِقّ، فيبتهج روحُ تلك المتوفّاة ويكون ذلك ذخيرةً ليومٍ يحتاج فيه الناسُ إلى ما يقدّمون لأنفسهم من خير. وإنّ حديثَ «عدْلُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستّين سَنةً» في ذلك اليوم يغدو ظاهرًا ومكشوفًا ومحسوسًا ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]. والألطافُ التي تفضّل بها قبْلَ هذا ويتفضّل بها، من حِفْظ الغيب وستر العيب، علينا شكرُه وعلى الله جزاؤه. جزاه اللهُ أحسنَ ما جزى به محُسِنًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

إكـرامُ أهـلِ الهـوى مـن الكـرَمِ وأمّـةُ العـشقِ أضـعفُ الأمـمِ

والسّلامُ عليكم وعلى مَنْ حولَكم ومن حَلَّ يومًا بواديكم وعلى أهل ناديكم، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ١٥]. دمتَ مغيثًا للخلائق ومبيِّنًا للحقائق! والسّلام.

الرّسالة الثانية والسبعون

[إلى سعد الدولة والدّين في التوصية
بالسيّد شرف الدّين]

[١٥٣] جعَلَ اللهُ الخيراتِ والحسَناتِ والصّدقاتِ والصّلواتِ التي يؤدّيها الأميرُ قائدُ الجيش، الأجَلُّ الكبيرُ، العالِمُ العادلُ، المؤيّدُ المظفَّر، المنصورُ المجاهدُ، مرابطُ المثاغِرِ، أسَدُ الوغى، مقدَّمُ الجيوش، المخلِصُ للملوك والسّلاطين، سعدُ الدولة والدّين ـ أدام اللهُ علوّه وإقبالَه وحقّق آمالَه وأيّده بروحٍ منه = مقبولةً (*) لدى حضرة وليّ الحسنات مجيبِ الدّعوات قاضي الحاجات! أولياؤه منصورون، وأعداؤه مقهورون؛ وإنّ أعزّ الأولياء العقلُ الناصحُ، وأعدى الأعداء النفسُ الأمّارة.

يأخذُني الروحُ إلى حضرة خُورِ الرياض
ويأخذُني الجسدُ لخدمة القبور القذرة
الروحُ الطّاهرُ هو عيسى وهذا الجسد الدّنِسُ حمار
ويرميني الحمارُ العنيد إلى عيسى
لكي يظلّ طاسُ الزمان هذا لا محالة
يعزف على صدري أنغامًا متابعةً مثل الهاون

طُوبى لمن يقطع رأسَ النفسِ الأمّارة، التي هي العدوُّ لديننا ودولتنا وقاطعُ

* المفعول الثاني لـ «جعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

الطريق علينا في الدنيا والآخرة، بصَمْصام الخيرات والطّاعات، لكي يكون غازيًا ويُكتب لقَبُه مجاهدًا، ليس في ديوان الدّنيا بل على ساق العرش؛ أيّده اللهُ وتقبّل حسناتِه ووفّقه لشكره ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

يَقبلُ من هذه الناحية السّلامَ والدّعاء، والاشتياقَ إلى إدراك الحقائق. وبرغم أنّ الرؤية قريبةُ العهد، لكنّ الرّوحَ لا يقنع بتلك الملاقاة:

أعانقُها والنّفسُ بعدُ عشيقةٌ إليها وهل بعدَ العناق تداني؟

يسّر اللهُ وهيّأ الملاقاةَ والموافاة بأسرع الأزمان وأيمنِ الأوقاتِ وأسعد الحالات! آمين يا ربّ العالمين.

حاملُ الذّكر، السيّدُ الأجَلُّ، الحسيبُ النسيبُ، شرفُ الملّة والدّين ـ أدامَ الله شرفَه ـ مستقبِلٌ حضرتكم، والإحسانُ والإكرامُ الأميريّ في حقّ جُملة أهل الخير فائضٌ ومشهور، لا سيّما في حقّ السّادات الأعزّة ـ ضاعفَ الله عزّهم. المأمولُ من الإنعامِ العامّ والإكرام الرّامّ [المصْلِح] والعنايةِ بالدراويش وبَسْطِ الفضل لدى ذلك العزيز، أن يعودَ السيّدُ الأجَلُّ من ذلك الجناب العالي شاكرًا وذاكرًا، مثلما يعود الفقراءُ والصلحاءُ والمؤمِّلون الآخرون من حضرته شاكرين ومُثْنين؛ لكي يحصلَ الثوابُ الجزيل [١٥٤] وينضمّ ذلك إلى الإحسانات الأُخَر. جعلَكَ اللهُ دائمًا مقصِدَ الرِّجال ومحطَّ الرحال! قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «الخَلْق عيالُ الله فخيرُ الناس أنفعُهم لعياله». والسلام.

الرّسالة الثالثة والسبعون

[إلى فخر الدّين أو القاضي عزّ الدّين
في التوصية من جديد بفخر الدّين]

أطال اللهُ بقاءَ قاضي القضاة، الصَّدْرِ الكبير، البَدْرِ المنيرِ، الحَبْرِ النَّحرير، المحقِّقِ المدقّق، علَمِ الهدى، معدِنِ العِلْم والتّقى، بقيّةِ السَّلَف، أستاذِ الخلَف، عِزّ الملّة والدّين، شرَفِ الإسلام والمسلمين، ناصحِ الملوك والسلاطين ـ أدام الله علوَّه للدّين وحِياطته، وللحقّ ورعايته، وللمظلوم وإعانته، وأدامه اللهُ على المكارم وأيّده، وبسط بكلّ خير يدَه وعُمْرَه، وزيّن الدّنيا وأهلَها بأفضاله ـ بحقّ محمّد وآله.

يطالعُ السّلامَ والتحيّة ويَعلَمُ بأنّ الاشتياق إلى رؤيته ـ التي هي روضةُ الآمال ونزهةُ الأبصار ومُخجِلُ الأقمار، تقرّ بلقائه العيونُ ويُسَرّ به المحزونُ، إذ جعَلَه الله للسّرور نظامًا وللنعمة تمامًا، لا وحشةَ مع مقابلتها ولا أُنسَ مع مفارقتها ـ غالبٌ. يجعل البارئُ تعالى للملاقاة سببًا خفيفًا، إنّه سميعٌ لطيف.

الإزعاجُ الذي أحدثْناه قابَلَه بالألطاف ـ كافاه اللهُ ما كافى به محسِنًا عن إحسانه، فإنّ الله أملَكُ لجزائه منّي وأوسعُ لمؤنته، واللهُ المعينُ على صالح النيّة والعمل والمكافئُ للحسنة بسبع مئةٍ، وأدناها بعَشْرٍ، وأكثرُها لا نهاية له.

يُعْلَم أنّ جماعةً من أقارب الابن العزيز المخلص فخر الدّين، أيّده الله بعونه، بسبب شُحّ النفس وسِحْر الدّنيا، إذ «الدّنيا أسحرُ من هاروت وماروت»، صاروا منّاعين للخير لكي لا يصل ما هو حقٌّ تامّ إلى مستحقّه؛ خاصّةً مثل هذا المستحِقّ الذي يجعل كلَّ شيء فداءً في طريق الحقّ ﴿أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:

٢٧٣]، ويأتون بالحِيَل والمعاذير قائلين إننا نُشفِق، ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨]؛ ليُلبِسوا على الناس ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[الأحزاب: ٣٧].

المؤمَّلُ من كمال لُطفِ ذلك العظيم وإحسانه وعنايته وسيادته أن يجتهد في إيصال ذلك الحقّ إلى صاحبه، وأن يحملَ المانعين [على ذلك] بكفايته وعلمه الشريف، لكي يمتنّ[١٥٥] على هذا الدّاعي وتكونَ زيادةً على الإحسانات السّابقة؛ فإنّ «إتمامَ المعروف خيرٌ من ابتدائه». إنّ الإحسانَ مثلُ الهلالِ؛ فالهلالُ برغم أنّه لطيفٌ ومباركٌ ومضاعِفٌ للسّرور، عندما يصل إلى التّمام ويغدو بَدْرًا كاملًا ينوِّرُ العالَمَ. مثلما أنّ ابتداء الطّاعة بإتمامها ـ أيّدَه اللهُ ووفّقه، وهو وليُّ التوفيق. اللهَ اللهَ أن يحقّق هذا المطلبَ المهمّ ناسِجًا في هذا الخير على منواله وجاريًا فيه على عادته في تمتين الدّين ونصرة الحقّ ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، التي هي صِفةٌ خِلقيةٌ وجِبِلّيّةٌ له طَبْعًا لا تكلّفًا «ليس التكحّلُ في العينَيْنِ كالكَحَلِ»، مدّخِرًا ليوم ذلك المعاد. جَعَلَه الله تعالى دائمًا كاشفًا لمشكلاتِ الخواصّ ومُصْلِحًا لخطوبِ العوامّ ومغيثًا للمظلومين ومربّيًا للغاشمين. آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الرابعة والسبعون

[إلى سيّد العالَم من رجال قُونية

رسالةُ شكر مسجوعة]

الرّوحُ المبارَكُ لسيِّد العالَم، الفارّ من هذه الدّنيا المشتاقِ إلى تلك الدنيا، إلى الجانب

الذي لا جانب له، المنزّهِ عن الجوانب والأركان، في كلّ ساعة ينظر ويناجي سرًّا من أعماق قلبه وروحه مرشِدًا لنا إليه من هذه الصحراء، وموصِلًا إيانا إلى ساحل الخلاص من أمواج هذا الطّوفان؛ فيجيب الحقُّ إنّ خلاصَ الخَلْق دائمًا وفي كلّ زمان قد رُبط بواحدٍ من خواصّ العبيد؛ لكي ينظر إليه الخَلْقُ، ولا ينظروا إلى السّماء؛ لأنّ بابَ السّماء لا يُفتح لكلّ أعشى البَصَر حيران. فانشُدْ رضى وليِّ الله، ولا تشغلْ بالَك بكِيوان [زُحَل]، إذ يقولُ الرسولُ الصّادق سلطانُ الصّادقين عليه صلواتُ الرحمن: عندما تعجزون، يا أمّة المؤمنين، في آخر الزمان، وتمتلككم الحيرةُ والاضطراب، التمسوا رضايَ من عبدٍ خاصّ لي، فظُنّوا به ظنّ أهل النّور، لا كظنّ أهل الظّلمة. وهكذا فإنّه في طوفان نوحٍ عليه السّلام، لم يكن هناك أيُّ ملجأ إلّا التوجّه إلى نوح، فطوبى لأرواح النُّوحيّين! ويقول الرسولُ عليه السّلام: يا أمّتي، إنّه يوجد في كلّ زمان طوفانٌ ونُوحٌ، وقُطْبُ ذلك الزمانِ، الذي هو خليفةُ الوقت، هو سفينةُ نوح في ذلك الزمان. وكلٌّ من تمسّك به نجا من الطوفان. وهذه الكلماتُ بيانٌ وإشارةٌ إلى سيّد العالَم ـ أدامَ اللهُ علوَّه على مرّ الزمان ـ جزاءً لتلك الإحسانات الوافرة التي تفضّل بها هذا الوليُّ للإحسان؛ [١٥٦] فإنّ ذا الكرَم المطلق لا يُضيع أبدًا إحسانَ المحسِنين فـ ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

أيْ فَخْرَ المحسِنين، اسمعْ شهادةَ المنصِفين، واقرأْ رسالةَ الأصحّاء، وأجرِ الماءَ كما تشاء، ولا تُجرِه في الأرض المالحة وفي الأرض ذات الحجارة، بل أحسِنْ هذا الإحسانَ إلى أحياء القلوب الذين يقول في شأنهم: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ [الأعراف: ٥٨] واعرفْهم من بين الجُهّال، الذين برغم ارتدائهم الخِرْقَةَ والطيلسان

ليس لديهم نورُ الرُّوح وحكمةُ اللّسان. وما أكثرَ الخِرَقَ والعمائمَ والطيالسةَ التي عندما تنظرُ بعين المعنى تراها محترقةً في نار جهنّم قائلةً «إنّ اللهَ لا ينظرُ إلى صُوَرِكم». ومهما يكن فإنّ الكفّار في كلّ زمان كانوا يتطاولون على الأنبياء ويتطاولون على الغرباء. كانوا يعقدون الحجَرَ بطَرَف العِمامة ويكسرون الجوهر بالحجر - بعيدًا عن أحبّائكم - لا جَرَمَ لن يقبل صدقاتهم، ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤]. وأولئك الذين أضاءَ أبصارَهم إذا ألقَوا إلى ذئبٍ وكَلْبٍ عَظْمًا يعلمون أنهم إنّما يُعطون لذئبٍ وكَلْبٍ، وإذا أعطوا إلى يوسف الصِّدِّيق وليّ الحقّ لُقمةً يعلمون أنهم يُعطون ليوسف، وبرغم أنّ الاثنين كليهما يعملان، ولكنهم يميّزون.

ولا أريد أن أُثقِل بهذا الخيرِ، بسبب فَرْطِ الخجل من المضايقات السّابقة؛ ومن جديد عندما يشاء الحقُّ تعالى أن يؤدّى هذا الخيرُ الخطيرُ بمساعدة لسانكم وضميركم وقَدَمِكم ونَفَسِكم وأنتم الفاتحُ للمغالق ذو الرأي المبارك المزيّنُ للعالَم إذ ﴿ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ [النور: ٢٦] يقضي أن نأتي بالمضايقة مرّةً أخرى إلى حضرتكم، فقد كنتم المرسومين والمعهودين والمألوفين لمضايقاتنا السّابقة.

قَـــدْ رجَـــعَ الحــــقُّ إلى أهلــــه والحمـــــدُ لله عـــــلى فَـــــضْلِهِ

وإنّ إتمامَ مثل هذه الخيرات هو عملُكم. والآنَ ماذا يقولُ الدّاعي وضميرُكم المبارك نفسُه يتحدّث من جهة الدّاعي ويسمع. ولكن عندما نويتَ النّيّةَ الحسنةَ، فلا تتحوّلْ عنها. رغيفُ الخبز الذي أعطيتَه لمثل هذا الدّرويش في الشّتاء لا تجعَلْه نصفَيْنِ

[قائلًا] إنّ ذلك الدّرويش يحصل على خبزٍ كثير، ولكنّك لا تجد مِثْلَ ذلك الدّرويش لكي يغدو سببًا لدوامِ دولةِ سلطانِنا، السلطانِ الصّافي الرّوح، فخرِ السلاطين، مَهْدي آخِرِ الزمان، صاحبِ طالع عناية الدّيّان ونظَرِ أهل الإحسان، ضاعف الله دولتَه، إن شاء الله تعالى.

الرّسالة الخامسة والسّبعون

[إلى تاج الدّين معتـز في التوصـية بفخـر المشايخ]

مصوّرُ الرّأي العالي،، افتخارُ الصُّدور والأيامن، الصَّدْرُ المعظّم، الدستورُ المكرّم، ملكُ الوزراء، معينُ الحقّ، [١٥٧] الجليلُ الأصيل، تاجُ الدّولة والدّين، عضدُ الإسلام والمسلمين ـ أدامَ اللهُ علوَّه وضاعفَ إقباله وأيّده بروح منه.

بعد أداءِ وظائفِ السّلام والتحية، يُراد الاعتذارُ عن المضايقات. وإنّ «الإسلامَ بدأ غريبًا وسيعود غريبًا». وكلُّ مَنْ في روحه نصيبٌ من حقيقة الإسلام، يكون غريبًا بين النّاس، والخَلْقُ لا يختلطون به ويعيش غريبًا، وهكذا كان الخَلْقُ يقصدون قتْلَ الأنبياء والأولياء ويتّهمونهم ويخرجونهم من ديارهم مثلما يحكي الحقّ تعالى ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] إلى أن يأتي نصرُ الله. وكذلك هي حالُ حيوانات اليابسة مع حيوانات البحر، برغم أنها قبيلتُها ومواطنتُها لا تختلط بها؛ وهكذا قال إبراهيمُ لأبيه وخاصّته عندما رأى غربتَهم: أنا بريءٌ منكم (مستمَدّ من

مدلول الآية ٢٦ من سورة الزخرف). إلّا غريبًا مشاركًا يكون له أيضًا لباسٌ من تلك القطعة من القماش وأثرٌ وعلامةٌ من تلك النّار، فإنّه عندما يسمع من هذا الغريب نَفَسَ الغرباء تجيش نفسُه بعاطفة المجانسة والمواطَنة وتظهرُ القرابةُ [كما قال تعالى] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، «وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ». إنّ محبّتكم وإخلاصكم نادران وغريبان، ولن يخفى عليكم أنّ ما يُظهره هذا الدّاعي وما أظهره من استحقاق فَخْرِ المشايخ ـ أدام الله بركته ـ مُنزَّهٌ عن الغَرض والعِلّة وليس على جهة التقليد والقياس؛ فإنّ ضياء الدّين المرحوم ـ برغم أنّ كلّ إنسان في مقامه جيلٌ ـ متميّزٌ جدًّا وشتّانَ ما بينه وبين سواه، ولو جاهدتَ مئةَ سنةٍ ما أدركتَ غُباره. فكيف لا يكون ما حُفظ له كثيرًا. ومن ذلك كلّه التمس هذين المقامَيْن. وإنّ الأعداءَ وأربابَ الأهواء العُمْيَ البصائرِ والأبصار يغتصبون من دون تمييز [قائلين] إنّ هذَيْنِ كثيران. بالله وتالله إنّ غرض الدّاعي هو صلاحُ المُلْك والمِلّة ولا تتسعُ هذه الرّقعةُ لأكثر من هذا الشَّرح. آملُ، من أجْلِ زاد الآخرة والمَدَد في يوم العجز، أن يُساعِد في تحقيق هذا الخير الخطير، ولا حاجة إلى الوصية:

أستاذُك هو العشقُ، فعندما تصل إليه

سيقولُ بلسان الحال: هكذا افعَلْ

—

أعلَمُ أنك تميزُ الجوهَرَ من الزَّبدِ والغثاء

تعرفُ البازَ الأبيضَ من الذّبابة

برغم أنّ لكلّ قطعة حديد قيمةً ولا تخلو من فائدة، يعلَمُ العقلُ أنه لا بدّ من

غُصَصٍ كثيرة ومجاهداتٍ وأزمان لكي تصبح قطعةُ حديدٍ مرآةً للكائنات وآسِرةً للعالَم.

وصَلَ القلَمُ إلى هنا فانكسَرَ رأسُه

وفّقك اللهُ على الدّوام.

الرّسالة السادسة والسبعون

[إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء في طلب مشيخة خانقاه لحسام الدّين چلبي]

[١٥٨] دامتِ السّعادةُ والإقبالُ وخُلّد المجلس العالي لملِك الوزراء، آصِفِ الزمان، عمدةِ السّلطنة، أبِ الملوك والسلاطين، مغيثِ الإسلام والمسلمين، باسطِ العَدْل في العالمين، منشئ الخيرات والكرامات، الصاحبِ الأعظمِ، الدستورِ المعظّم - أدام اللهُ علوّه وخلّد دولته، ولا زال السّعدُ له خادمًا والإقبالُ لركابه ملازمًا. ومهّد رفيعُ الدّرجات وشيّدَ، في كلّ يوم على تقادم الأدوار وتجدّد الأطوار، أسبابَ الرّفعة والسّعادة والمكانة؛ إنّه مجيبُ الدّعاء.

يطالعُ السّلامَ والدّعاء من هذا الدّاعي المخلِص والمحِبّ الصّادق، ويَعلَمُ أنّ الاشتياق إلى طلعته المباركة وزيارته المغتنمة غالبٌ وباعث. ولأنّ فَرْط رغبة الهمّة العالية - لا زالت عالية - متطلّعٌ دائمًا إلى المحتاجين والمستحقّين والمظلومين، خاصّةً

أهل التقوى والدّين الذين هم خلاصةُ الوجود، صار من الواجب عَرْضُ أبوابِ الخير ومصارفِ الإحسان على الرّأي العالي لكي يظلّ الماءُ جاريًا في نهر خيرات مِلِك الوزراء بحُسْن سعيه، وتبقى أرضُ مزرعةِ الآخرة مرتويةً بماء طاعته وإحسانه.

وفي هذه الأحوال لا يخفى أنّ الوقت العزيز لفخرِ المشايخ والأبدال ـ أبي يَزيد العَصْر جُنَيدِ الزمان أوحدِ الرجال حسام الدّين أدام اللهُ بركتَه ـ مستغرَقٌ بالخلوات والمراقبات، ولا شكّ في أنّ أسبابَ الدّنيا في خَلَل. والحقّ تعالى، من أجل سعادة الخَلْق، لم يرزق أولياءه من خزانته الخاصّة مع كمال قدرته، لكي يحوّل أرزاقَهم إلى الخَلْق، من أجل ابتلاء الخَلْق وامتحانهم، إذ يقول سبحانه على لسان عيسى عليه السّلام: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ٥٢].

كان الحقّ تعالى قادرًا على نُصرته؛ طلبُ النصرة من الخَلْق هو من أجل رحمة الخَلْق. وهكذا يقولُ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ويقولُ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، من أجل رحمة الخَلْق ، لأنه لا يتيسّر لكلّ إنسان أن يغدو نجيًّا للحقّ، لكنّهم إذا أرادوا مُوادّة الحقّ وادُّوا أولياءَ الحقّ وساعدوهم بالمالِ والنّفْسِ وبكلّ ما هو ممكن، ولا يتصوّرونَهم مِثْلَ الآخرين، ويرغم أنّه

....

في هذا الطريق، يكون الذّبابُ كالطّاووس في العمل

فإنّه ليس هناك صاحبُ تمييز يساوي بين الطّاووس والذّباب. يقول اغتنموا وجودَ

هذه الطائفة [١٥٩] الغريبة النّادرة من أجل أنه عندما تأتي دولتُهم ويكون ذلك الزمانُ وفقًا لمرادهم يكونون عونًا لكم، وإذ ذاك لا تتحسّرون ولا تقولون: ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٠١]، فإنّه في ذلك اليوم لا يُساعدُ حبيبٌ حبيبًا البتّة إلّا مَنْ كان قد أحبّ أولياءَ الحقّ إذ ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]. ولو كان أحدٌ في هذا العصر غير ملِك الوزراء ـ ضاعف الله علوّه ـ موفّقًا لأداء عظام الخيرات، لما أُعطيت هذه المضايقةُ المملوءة بالرحمة إلى تلك الحضرة.

وقد خلا حاليًّا المسكنُ الذي انتقل عنه الشيخُ صدرُ الدّين، دامت بركتُه، وإذا أعطيتموه فسيكون لذلك أثرٌ عظيم، وستكون مِنَنٌ على هذا الدّاعي وعلى دائرة أهل الخير الملازِمين للدّعاء. دمتُم مَسْندًا للخيرات ومَصْدرًا للسعادات!

الرّسالة السابعة والسّبعون

[إلى فلان الدولة والدّين(؟)

في التوصية بحامل الرّسالة]

أوصلَ اللهُ نُجْحَ المقاصد والمُرادات، وحصولَ المرام والأمنيّات، وكفايةَ الخطوب والمهمّات الدّينية والمالية الحالية والمآلية، لمن هو الذّاتُ المطهّرةُ العاليةُ والهمّةُ المباركة والطّلعةُ السعيدة، من هو حَدَقةُ العَدْلِ، بِذْرةُ الكرَم، رضيعُ المجد، مصدرُ الشّرَف،

غائصُ بحر الدّرّ، ترياقُ سمّ الضرّ، أعزُّ أركان المملكة، ربيعُ جِنان السلطنة، نورُ الدّولة المنصورة، فَرحُ القلوب المحصورة، صبحُ الجلال، قِبلةُ الإقبال، فلانُ الدّولة والدّين، أدام الله علوّه في حدائق السـرور والنِّعَم = إلى أقصى(*) الغايات ولأعظم النهايات.

سلامٌ لا تندرسُ آثارُه بتأثير رَيْب المنون، وتحيةٌ لا يطمس كمالَها السّنونَ والقرون، يؤدِّيان كلّ صباحٍ على الدوام من خلاصات المودّةِ القديمة ورقائق المحبّةِ المقيمة ـ التي عقَدَها العاقدُ المطلَقُ جلّ وعلا بين حقائق أرواح المؤمنين قبل فَخّ القوالب بستّ مئة ألف سَنة إذ ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣]، ويُنظَر بنظر المودّة التي لم تلوَّثْ بقذى عوارض الغضَب ولم تنعدم بتأثير طوارق الجفاء، بالخيالِ المشرَّف، إلى ذلك الوجود المبارك . ومن مرآة الضّمير أسألُ البارئ تعالى أن يجعل نتائجَ هذا السّلام والتوادّ والاتّحاد والصّلة الظاهرة الخفيّة، مضاعِفةً للسّرور كلَّ يومٍ لدى الضمير الأشرف، لا زال مشرّفًا، إنّه رؤوف بالعباد.

[١٦٠] كنتُ أريد بين الفينة والأخرى أن أزيل عن مرآة المودّة غبارَ النّسيان، فألتمس في التحية والمراسلة سببًا لذلك، إلى أن أتى حاملُ الخدمة، الذي هو من المحبّين لتلك الحضرة والممتنين لمنّة ذلك الكرَم، فاستشفع الدّاعيَ المخلِصَ إليكم

* الجار والمجرور متعلّقان بالفعل «أوصل» في مطلع الفقرة [المترجم].

بكتابة هذه الكلمات القليلة الممزوجة بالمحبّة على أمل أن يزيد نظرُ العناية والتربية اليومَ ما كان وليُّ الإنعام والتربية، دام علوُّه، قد وظّفه في حاجاته. فقد وجد نظَرَ العناية ذلك أكثرَ اقترانًا بالفأل الحسَن من نظَر المشتري، وتبيّن أنّه أكثرُ بركةً من غُرّة العيد الأكبر.

والمتوقّعُ أن ينقلب مسرورًا بالمؤمَّلِ منه، فإنّه بذلك يكون كثيرٌ من الخلائق شاكرين وذاكرين لتلك الحضرة إنجاحَها حاجاتِهم المختلفة. والمؤمَّل أن يكون ذلك سببًا لمزيدِ نورِ الدّين والدولة، ومضاعَفةِ الإقبال والسّعادة. آمين يا ربَّ العالمين.

الرّسالة الثّامنة والسّبعون

[إلى معين الدّين بروانه، في طلب المساعدة لحسام الدّين چلبي]

جعَلَ اللهُ أبوابَ خيراتِ ملِكِ الأمراء، سيّدِ الخواصّ، مُغيثِ الخلائق، زكيّ الحقائق محيي العَدْل، وافرِ الفَضْل، نادرةِ الزمان، زعيمِ الأمنِ والأمان، الشّريفِ الذّكر، الدقيقِ الفِكْر، وكبَتَ حاسِدَه وعدوّه ـ مفتوحةً(*) ومضاعَفةً!

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ والاشتياق، ويعلَمُ بأنّ التعطّش إلى لقائه المباركِ الجميل

* المفعول الثاني للفعل «جعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

المحيًا المزيَّن للعالَم المضاعِف للسّرور، غالبٌ ومسيطرٌ. اللهمّ اجعَلْنا على سُرُرٍ متقابلين. وبرغم أنّ الصّورة مقصِّرةٌ في الوصول إلى الحضرة، هناك اتصالٌ بصفة المودّة والمحبّة والتعلّق. فليس التزاورُ بقُربِ المكان، بل التّزوارُ بقربِ الجَنان.

فقلتُ: وما نفعي بقربِ ديارِهِ إذا لم يكن بين القلوب قريبُ

[١٦١] وقال: سَلامٌ على الغائب الحاضر.

وعلى الدوام يصِلُ صيتُ خيراتِ الأعظم پروانه بك وصدقاتِه إلى خَلْقِ الله على العموم بسَدّ سُبُلِ الآفات، وعلى الخصوص ببذْل الصّدقات إلى أولي الحاجات. وقد كان لدى الدّاعي دائمًا أمَلٌ وتمنٍّ لأن يُصْرَف خيرُكم في المصارفِ الشريفةِ العظيمة المنفعة، الخطيرةِ المنزلة، فذلك هو اللائقُ بالهمّة العالية.

مَنْ يُولَدُ من نَسَبٍ عالٍ لا بدّ له من كلامٍ عالٍ

وابتغاءَ أن يُزرَع بَذْرُ خيراتكم في خير المزارع وينمو نماءً عجيبًا، لا بدّ من العناية والبَذْل والمساعدة في نفقات الشيخ الأجَلّ الأورَع الأروع، عارفِ الحقّ، أمينِ الغيب، جُنَيد الزّمان، وليّ الله، حُسامِ الدّين ـ أدام اللهُ بركتَه؛ لكي ينضمّ ذلك إلى المنن السّابقة فإنّ «علامةَ قبولِ الخيراتِ إعادتُها». فإذا جاءت هذه الكلماتُ مستحسَنةً لدى الخاطر النقّاد الوقّاد الحادّ النّظر المستبين ـ لا زال منوّرًا ومطّلعًا على الأشياء كما هي ـ فإنّ الإحسانَ والإيثار لا يمتنعُ، فذلك أوانُ الشفقةِ وزمانُ الرّقّة ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر: ٥٦]. دمتَ محسِنًا!

الرّسالة التّاسعة والسّبعون

[إلى حُسام الدّين چلبي، عَرض الإخلاص وبيان الشوق إلى اللقاء]

الوَرْدُ ضاحكٌ، فإنْ هو لم يضحك فماذا يفعل؟
وإذا لم تَفُحْ رائحةُ المسك، فماذا يفعل؟

مَن اختاره اللهُ تعالى وألبسَه خِلْعةَ صفاتِ كرَمه ووضعَ على رأسه تاجَ ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢] ـ أدامَ اللهُ في العالمين ظلّه ـ إذا لم يرأف بالعباد ويرحم المساكين فماذا يفعل؟ وقد شهدتُ مئةَ مرّة للخَلْق والخالق أنّ كلّ ما يفكّر فيه هذا المخدومُ هو منتهى تفكيري، وكلّ ما يقولُه ويتحدّثُ فيه هو خلاصةُ خطاباتي. وقد صوّر الحقُّ صورتَه المباركة مثلما أراد أن يليق بآمال روحي، وكلُّ ما يكون أمَلًا لروحي يلمع يقينًا في خطاب المخدومِ حُسام الدّين ـ لا زال مخدومًا ـ وإشاراته. وإن ظهر ذلك المرادُ أو لم يظهر فإنّه يكفي بهاءَ الدّين وأصولَه شَرَفًا وعزّةً [١٦٢] أن يجعلَ مساعدةَ ذلك الخاطر اللألاء المشرق مساعدةً له.

وكلُّ ما تقولونه، من يقول إنّ مولانا لم يقلْه، بل يقولُه چلبي، عليه غرامةٌ.

مِن الكونَيْنِ كليهما اخترتَ زاويةً للخلوة
وخارجَ الكفر والإيمان ظفرتَ بطريق آخر
ومن ماءِ الحياة الموجودِ عند الحبيب
ظفرتَ بمُلْك الإسكندر إلى يوم الحشر

ـ

لــو صِرْتُ شــكْرًا مــا اســتطعتُ أن أقــولَ شــكْرَك

ولو صِرْتُ عـذرًا مـا اسـتطعتُ أن أطلـبَ عُـذْرَك

بعد ألفِ سَلامٍ يطالع الشّكْرَ والامتنان والاشتياق الزائد كلّ يوم، وأنا مشغولٌ بالدّعاء بالسّعادة والخير. فلا قَطَع اللهُ عن العالَم تلك الدولةَ التي هي ملجأ الطالبين والمقصّرين ومدَدُ طالبي المدَد وممتلئةٌ بكمالِ المرحمة وإزالةِ السّوء وقبولِ التقصير والتفكير بالعذر والشفاعة، وتلك المروءةَ التي لا يعلمها إلّا الله، آمين. وحفِظَ اللهُ ذلك الحِرْزَ الأعظمَ الدّافعَ لبَليّات آخر الزمان، آمين يا ربّ العالمين. ومن همتكم لديّ أنواعٌ من الشّكْر، فاطلبوا أنتم أيضًا عُذْرَه.

الرسالة الثمانون

[يبدو أنّها موجّهةٌ إلى السلطان عزّ الدّين
كيكاوس، لرفع تعدّي الوالي على صهر
حُسام الدّين چلبي]

بَسَطَ اللهُ ظلّ عَدْلِ سيّد العالَم ـ عظّم الله سلطانَه وأيّد برهانه ولا زال الملوكُ منخرطين في سِلْك خَدَمه والأيامنُ سائرةً تحت ظلّ عَلَمه ـ على رؤوس الخَلْق، سنينَ لا انتهاء لها! يُعْرَض على الرّأي المعلّى لسيِّد العالَم ـ عظّمَ الله دولتَه ـ حالُ العَبْدِ الأصغر صِهْرِ شيخ المشايخ، أبي يزيدَ العصر، جُنَيدِ الزمان، أمينِ القلوب، حُسامِ الحقّ والدّين

ـ أدام اللهُ بركتَه ـ الذي هو اليومَ طمأنينةُ القلب وقُرّةُ العين لهذا الأب. ولا يخفى على الرّأي العالي لسيّد العالَم، سيِّدِ السلاطين خلّد الله دولتَه، أنّ سيّد المشايخ عزَمَ على السَّفر مرّاتٍ عديدة، فمنعه هذا الدّاعي بألف تضرّع. لم يُرِدْ هذا الأبُ أن يكون من دون صحبته العزيزة ولم يُرد أن تخلو خِطّةُ مملكة سيِّدِ العالم ـ عظّم الله دولتَه ـ من شخصٍ فريد مثْلِه ومن مثل هذه الهمّة وهذا الدّعاء، في الوقت الذي حرص فيه [١٦٣] مشاهيرُ الملوك الرّبّانيّين من أعماق قلوبهم على أن يقيم في ممالكهم خواصُّ الحقّ، وعَدّوا ذلك خيرًا من الخزائن والجيوش القاهرة. وإنّ سيّدَ العالَم بحَمْد الله مزدانٌ باعتقاد أن يكون طالِبًا لقلوب أهل القلوب. وقد ظهر الآن عدّةَ مرّات من والي الوقت أنّه يؤذي العَبْدَ الأصغر ويتعدّى عليه، ويصلُ ذلك الأذى إلى خاطر سيّد المشايخ وإلى قَلْب هذا الأب المخلِص. وقد كنتُ أُبعِد الإزعاجَ والمضايقة عن حضرة المعلّى السيّد ـ خلّد اللهُ مُلْكَه ـ ولكن عندما بَلغَ السّيلُ الزّبى والعنايةُ الملكية لسيّد العالَم شاملةٌ جميعَ أهلِ الخير والدّراويش، خاصّةً هذا الأبَ، أتطلّع إلى أن يُرْفَع ظُلمُ هذا الوالي وتعدّيه عن هذا العَبْد الصغير، بإشارة السّيّد الذي هو ملاذُ العالَم، إسكندرُ الزمان ـ خلّد اللهُ مُلكه ـ لكي ينشغل بالدّعاء للدولة القاهرة بفراغِ خاطرٍ وأمانٍ كأمان الكعبة.

المفتخر بدعائه، محمّد بن محمّد بن الحسين البلخيّ

الرّسالة الحادية والثّمانون

[إلى شمس الدّين أو فخر الدّين علي
صاحب العطاء في التوصية بصدر الدّين
ابن حسام الدّين چلبي]

جعَلَ اللهُ ثمراتِ الخيرات وحُسْنِ النّيّة ومواساةِ المظلوم والرأفةِ بالدرويش وعلوّ الهمّة والبَصَرِ بالعاقبة العائدةَ للأمير الأجَلّ، وليّ النِّعم، المتحلّي بأخلاق الملائكة، الملَكيّ الصفات، مغيثِ الإسلام، فخرِ الأنام، مختصّ الملوك والسّلاطين، شمسِ الدولة والدّين ـ أدامَ الله علوّه وكبتَ عدوّه ـ موفورةً(*) ولا انتهاءَ لها في يوم الجزاء ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا ﴾ [النساء: ٤٠]. أولياؤه منصورون، وأعداؤه مقهورون، والبارئ تعالى وتقدّس راضٍ وراعٍ، بمحمَّدٍ وآله.

يطالعُ السّلامَ والدّعاء من هذا الدّاعي المخلِص ويعلَمُ أنّه سائلٌ عنه وطالبٌ له وشاكر لجنابه. وإنّ جوهرَ استعداده وحسْنَ أدبه ولطفَ إدراكه لا تغيب عن عيني، ولأنّكم منشغلون بالمصالح لا نريد الإثقالَ عليكم. وإن شاء الله يتيسّر ذلك الوصالُ المريحُ من دون انقطاع؛ فإنّه خلاصةُ طلَبِ كلّ الطالبين، ﴿ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] تلطّف الله بك.

[١٦٤] شَكَرَكم الابنُ العزيزُ، الحسيبُ النّسيبُ، الطّاهرُ الجوهر، صدرُ الدّين،

* المفعول الثاني لـ «جعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

دامت سعادته. وآمَلُ أن تتمّموا ما بدأتموه، فإنّ ابتداءَ الخير أمرٌ طيّب، أمّا إتمامُه فليس له حدود. فالهلالُ برغم أنّه جميلٌ وحسَنٌ ورائعٌ، فإنّ اكتمالَه بدرًا شيءٌ آخر. وإنّه معلومٌ للرأي العالي مبلغُ تعلّق الدّاعي بسيّد المشايخ والأبدال، أمينِ القلوب، جُنَيد الزمان، حُسام الدّين، أدامَ اللهُ بركته؛ وتعلّقُ فخرِ المشايخ بحضـرة ذي الجلال تعالى أضعافٌ مضاعفة لا يأتي عليه بيانٌ ولا يحيط به قَلَم. والمؤمَّل أنّه مثلما أنّ الجميع شاكرون، يعود الابنُ صَدْرُ الدّين شاكرًا، ولا يَعُدّ هذا الخيرَ من الخيرات الأُخَر فإنّ الأنبياء لا يعامَلون معاملة المدّعين. الله يعلَمُ أيّة خيراتٍ ستكون لذلك العزيز ـ دام علوّه ـ من هذا السّعي وأيّة مِنَن ستكون على هذا الدّاعي. دمتَ محسِنًا، آمين يا ربَّ العالمين.

الرّسالة الثانية والثمانون

[إلى معين الدّين پروانه في طلب تخلية زاويـة عابدة خاتون من رجال معين الدّين]

جعَلَ اللهُ الثّباتَ والخيراتِ والحسنات وحمايةَ الدّين والرأفةَ بالمظلومين وبسْطَ المعدلة ـ مما يتّصل بالأميرِ الأجَلّ المتّقي لله المبصِرِ للعواقب الحليمِ الكريم، «المعظِّم لأمر الله والمشفِقِ على خَلْق الله» ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، مختصِّ الملوك والسلاطين، قامعِ الكفَرة والشياطين، العظيمِ

المبارك، پروانه بك أدام الله علوّه وكبتَ عدوّه ـ مقبولةً(*) ومبرورةً ومشكورةً ومذكورةً لدى حضرة غافرِ الذّنب وقابل التّوب.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ الكثير من هذا الدّاعي، ويعلَمُ أنّ الاشتياق في ازدياد. يسّرَ اللهُ الالتقاءَ في أوفق الأحوال. يُعلَم أنّ أخلاقَ ملِك الأمراء وإخلاصَه أظهرُ من الشمس في العِناية بالمظلومين والدّراويش، خاصّةً الدّراويش الربّانيّين الذين ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]. وفي هذا الوقت جعلت جماعةٌ من المتّصلين بكم، من دون عِلْم منكم، من زاوية الأختِ العزيزة الزاهدةِ العابدة الناسكة ـ أدام الله عصمتها ـ منزلًا، فحصَلَ لأهل الخير تشويشٌ وتشتّتٌ للخاطر. وإنّ أوقاتَهم ودعواتهم مغتنَمةٌ، خاصّةً في اعتقاد [١٦٥] ملك الأمراء وظنّه العالي. المؤمَّلُ أن يؤمر بعَدَم إزعاج الدراويش، ولا يُجعَل ذلك منزلا. وقد أراد الدّاعي المجيءَ بنفسه إلى جنابكم من أجل هذا الخير؛ لكنّه ما الحاجةُ إلى ذلك ولطفُ ملِك الأمراء مستعِدٌّ للخيرات ويبحث عن ذريعةٍ لتقديم الخير؟ دمتَ مُحسِنًا، آمين يا ربَّ العالمين.

* المفعول الثاني لـ «جعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

الرّسالة الثالثة والثمانون

[إلى جلال الدّين قرطاي في طلب
خمس مئة درهم قرضًا لشراء بستان
لورثة صلاح الدّين]

جعَلَ اللهُ سعادةَ الدّارَيْنِ وأمدادَ الرّحمة السّماويّة قرينَ الزمانِ المبارك المشرَّف المزيَّن المختار لسيِّدِ الأمراء، مفخرِ الكبراء، عالي الهمم، ملكيّ الأخلاق، كرّوبيّ(*) الأوصاف، معدِنِ الخير والإنصاف، مختصّ الملوك والسلاطين، ملجأ الضعفاء، مؤنسِ الفقراء، مغيثِ المظلومين، جلال الملّة والدّين ـ أدام اللهُ علوّه ولا زال السّعد له خادمًا والإقبالُ لبابه مُلازمًا. ولا يكونُ من دون نفخةِ ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩]، واللهُ، جلّ جلالُه، في كلّ الأحوال معينُه وناصرُه ومؤيّدُه ومسدِّدُه ومرشدُه ومؤنسُه وراعيه وشاكرُ مساعيه، بحقّ محمّد وآله.

ولأنّه يرى شفقةَ ذاتِكم الشّريفة، وعنصرِكم اللّطيفِ الظريف المبارك، ومَيْلَها ورغبتَها إلى جانب تربية الفُضَلاء وتقوية العلماء والفقراء، فإنّه إذا كان فقيرٌ ربّانيّ حقيقيّ سيستعين في أمرٍ مهمّ، يتمثّل تطبيقُ القَوْلِ «وأُحِبُّ وَضْعَ الشيء في محلّه» في أن يَعْرِضَ الحاجةَ أوّلًا على حضرتكم. وفي هذا الوقت اشترى

* نسبةً إلى الكرّوبيين، أي الملائكة المقرّبين [المترجم].

وَرَثَةُ مِلِكِ المشايخ والأبدال، سِرِّ الله في الرِّجال، جُنَيدِ الطَّريقة، أبي يزيدَ الحقيقة، المؤيَّدِ بالأنوار الإلهيّة والأضواء الربّانيّة، المشرَّفِ بإشراق شمس المعارف، المختصّ ببوارق نور الاختصاص، صلاحِ الحقّ والدّين ـ قدّس الله سرَّه وأعاد على العالمين نورَه وبركته، بستانًا(*)، تأخّر من ثمنه خمسُ مئة درهم، لعشرة أيّام أو خمسة عشر يومًا. ولا يسمح بائعُ البستان بذلك. وقد نُظِر إلى كلّ ناحية التماسًا لهذه المساعدة، فلم يُرَ أكثرُ موافقةً ومناسبةً لهذا العون من الجناب المبارك لفريد العصر. فبات واجبًا التقدّمُ إلى حضرتكم في التماس القَرْض.

ولدينا أَمَلٌ على قدر عادة ملاطفة الدّراويش وحماية الفقراء واصطناع الذّخيرة ليومٍ تحتاجُ فيه الخلائق إلى ذخيرة العمل الصّالح، خاصّة زَرْعَ بَذْرِ الخير في الإحسان إلى أولئك الفقراء الإلهيّين [١٦٦] الذين هم فقراءُ اسمًا، سَلاطينُ حقيقةً في الدارين، فإنّ فقراءَ العامّة حجابٌ لهم لكي لا يصلَ إليهم جهَلَةُ الخِرْقة وعُبّاد الظّاهر. حَفِظ الحقُّ تعالى وحَرسَ بصيرةَ ذلك الفذّ وطلَبَه اللطيف من حجاب الحرمان، آمين يا ربّ العالمين.

---

* مفعول به للفعل «اشترى» في مطلع الفقرة.

الرّسالة الرّابعة والثّمانون

[إلى معين الدّين پروانه توصية بحامل الرّسالة الذي لم يذكر اسمه]

دائمًا الوقتُ مباركٌ لملِك الأمراء والخواصّ، فَخْرِ الحجّاب والنّوّاب، الصّاحبِ الأعظم، «المعظّم لأمْر الله، المشفِقِ على خَلْق الله»، مغيثِ الإسلام، ملاذِ الأنام، ناشرِ العَدْل، منبعِ الفَضْل، مَعْدِنِ الحِلْم والكرَم، ملَكيّ الأخلاق، جبرائيل اليُمْن، عَرْشيّ الروح، معينِ الملّة والدولة والدّين، مختصِّ الملوك والسلاطين، برهانِ الهدى واليقين، كعبةِ الآمال في العالمين ـ أدام اللهُ علوَّه، وحرَسَهُ اللهُ الكريم بعينه التي لا تنام وبركته التي لا تُرام، وأعاذَه من شرّ الأنام وحوادث الأيّام ومن كلّ طارق يطرق بسوء. وهذه الدعواتُ ودعواتُ جميع محبّي تلك الدولة في حقّ مَنْ هو فريدُ الدّهر، جعَلَها اللهُ مستجابةً ومقبولةً، إنّه رؤوفٌ بالعباد.

يطالعُ سَلامًا وتحيّةً أصفى من ريح الصَّبا وألذَّ من عهد الصِّبا وأنفعَ من هواء الربيع وأوفى من دار القرار، ويَعلَمُ أنّ الاشتياق إلى لقاء مزيِّن العالَم المضاعِفِ للسّرور ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩] غالبٌ وباعثٌ. كذلك حدَثَ مرّاتٍ عديدة أن حضّ الاشتياقُ على أنْ أسافر إلى هناك، خاصّةً من أجل لقاء ذلك الفذّ، فقال القلبُ إنّك بطيءُ الحركة في النزول والارتحال ولديك أشغال كثيرة، وأنا لأنّني سريعُ الحركة ومن دون كلفة أقوم بهذه المهمّة، فأقِمْ أنتَ في دعاء القنوت.

عندما يملّ الخاطرُ المباركُ أهلَ الدّنيا ويتذكّر الأصحابَ وإخوانَ الصّفا، أعلمُ

أنّه يرى قلبَ الدّاعي في هذه الأثناء مختلطًا بتلك القلوب وقد صارت قطعةً واحدة:

روحُـــه روحـــي، وروحـــي روحُـــه مَـــنْ رأى روحَـــيْنِ عاشـــا في بَـــدَنْ؟

[١٦٧] سُئِل الشيخُ: مَنِ الصّوفية؟ ـ فقال: روحٌ واحدٌ في أبدانٍ متفرّقة.

أنـــا روحٌ واحـــدٌ في آلاف الأجـــساد فما الروحُ وما الجسدُ والاثنانِ هما أيضا أنا

قال الله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[لقمان: ٢٨].

وبحَمْدِ الله تعالى فإنّ الخاطرَ المباركَ حجرةُ لطائفِ الحِكْمة وأسرارها، وصدْرُه الطّاهر المنبعُ والمنبِتُ لرقائق «أرِنا الأشياءَ كما هي» وحقائقِها. كذلك نقطفُ من أخلاقه المباركة جواهرَ ونثرُها على سَمْعه الشّريف مثلما قال: «أخَذْنا من البحر وأهرقْنا على البحر». جعلَكَ اللهُ دائمًا مصدرًا ومرجعًا للمعارف والأسرار.

إنّ حاملَ التّحية يأتي إلى حضرتكم في حاجةٍ، ويجعلُ هذه التحيّةَ وسيلةً إلى ذلك الإحسان الفائض من دون سبب ومن دون وسيلة على محتاجي العالَم كافّة، الذين يتوجّهون إلى كعبة الكرَم تلك مؤمِّلين، فلا يرجعون من ذلك الجناب العالي إلّا سالمين غانمين فرِحين شاكرين؛ فقد باتَ مكشوفًا للخاطر المبارك أنّ إقبالَ الدّنيا ومالَ الدّنيا من أجل الزراعة والبَذْر، فقد أُعطيت بَذْرةُ العمر والإقبال من أجل الزراعة، لا من أجل الامتلاك ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٧٧]. البَذْرُ الذي يُعطى للزراعة، يُعطى قليلًا، لكي يشهد قليلُهُ أنّي للبَذْر لا للخَزْن. الأمَلُ أن يعودَ من حضرتكم شاكرًا مثل الشّاكرين الآخرين، ويجعلَ توقيعَ قبولكم وعنايتكم سلاحَ مباهاةٍ وافتخار وتدلّلٍ على الأمثال والأقران؛ وعندما يُسأل: كيف رجعتَ من حضرة ذلك الكريم؟ تكون تلك العنايةُ لسانَه.

دمتَ محسِنًا ووهّابًا ومؤثّرًا ومفضِّلًا، آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة الخامسة والثمانون

[إلى معين الدّين پروانه في التّوصية
بصَدْر الدّين بن حسام الدّين چلبي]

قرَنَ اللهُ بالقبول الدائم حسناتِ ملِكِ الأمراء، دستورِ الممالك، مؤنسِ الفقراء، أنورِ الشّهب، أملأِ السُّحب، الغ ديندار [بالتركية، بمعنى العظيم صاحب الدّين]، سيّد الخواصّ، مَعْدِنِ الإخلاص، مُعينِ الحقّ والدّين، پروانه بك - أدام اللهُ إقباله، وزادَ مجده وكماله، وأحسَنَ عاقبتَه وحصّل آمالَه.

يتقبّلُ سَلامًا لا حدودَ له من هذا الدّاعي المخلِص، ويعلمُ أنّه رَطْبُ اللّسان بالدّعاء لتلك الدّولة والثّناء على تلك الحضرة. أكرمَه البارئ تعالى بأجلّ المقامات وأكمل السعادات! بعد الشّكر [١٦٨] الذي لا نهاية له، يعلَمُ أنّ الابنَ، قرّةَ العيون، ثمرةَ الفؤاد، صَدْرَ الدّين، ابنَ شيخِ المشايخ، أمينِ القلوب، خازنِ أسرار الله، جُنَيدِ الزمان، حُسامِ الحقّ والدّين - أدام اللهُ بركتَه - مشغولٌ بتحصيل العلوم، ويسعى بالطّريقة الطيّبة والسِّيرة الشّريفة، ولكنّ الحاجاتِ الإنسانية مانعةٌ ومشوّشةٌ لطلَب المعاني. وكلّما فكّرَ الدّاعي بأن يعرض هذه الحالَ على عظماء الدّولة لم يطاوعْه القلبُ، فكنتُ منتظِرًا ركابَ سيّد الأمراء نفسه، أدام اللهُ علوّه - فلعلّ نظرَ مَلِك الأمراء الذي

له صفةُ الكيمياء ينظر في إنفاذ تلك الحاجة؛ لكي يكونَ من ذلك الثّوابُ الذي لا انتهاء له، وتكونَ المِنّنُ على هذا الدّاعي.

الرسالة السادسة والثمانون

[إلى معين الدين پروانه في التّوصية بالدراويش ومراعاة أصول الملوك الماضين]

جعَلَ اللهُ كمالَ الرّحمة القديمة حارسًا لأحوالِ مِلِكِ الأمراء وأقواله وأفعاله، هذا الباسطُ للعَدْل، الناشرُ للفَضْل، العروةُ الوثقى، والرّكنُ الأعلى، أنورُ الشُّهب، أملأُ السُّحب، المغيثُ للخلائق، أعظمُ مَلِك، پروانه بك، أدام اللهُ علوّه.

يطالعُ السّلامَ والدّعاء، ويجعلُ اللهُ هذه النهضةَ والرّحلة مقرونةً بحصول المراد! ويُعْلَمُ الرّأيُ العالي بأنّ بضعةَ دراويش من الملازمين لهذا الدّاعي في مجالس الذّكر، وقد ارتبطت قلوبهم بهذا الدّاعي وظنّوا خيرًا في هذا الدّاعي، أحوالُ انقطاعهم عن الحرص على الدّنيا وفتورِهم في الكسب والعمل مشهورةٌ ـ وكيف لا يفتر إنسانٌ يصِلُ إلى مشامّه رائحةٌ من جلال الرّبوبية؟

لماذا أُشعِلُ المصباحَ أمامَ الرّيح الصّرصر؟

وكيف أخيط القَباءَ أمامَ الأسد؟

من أبناء آدمَ واحدٌ استبدّت به هذه الفكرةُ. احتاج عيالُه، فطلَبَ العونَ من إخوته، فقالوا: مثلما نسعى نحن، أنتَ أيضًا اسْعَ. فأوحى الحقّ تعالى إلى آدم أن أوصِ أبناءَك بأن يقدّموا له يدَ العون. دعا آدمُ أبناءه وقال لهم: أعطُوه من كلّ ما لا بدّ منه، فقد جاء الأمرُ بذلك. فأجابوا قائلين: لنا أيدٍ وله يدٌ [١٦٩] ولنا أقدامٌ وله قدمانِ، ولنا أعينٌ وله عينانِ. فأوحى الحقُّ تعالى إلى آدم: لا تنظروا إلى هذه الظواهر، وقد أخذتُ يَدَه، وقَدَمُه قد أخذتْها هيبتي القيّوميّةُ، وعيناه وعقلُه أخذها جلالُ نوري، مثلما شُرِحت لحضرتكم قصّةُ الغزال والأسَد. المتوقّعُ أنّ ما أظهره الملوكُ الماضون، لله تعالى رحمةً، يُتمّه مِلكُ الأمراء ويؤكّده لكي يُدّخَر الثّوابُ الذي لا نهاية له. دمتَ محسِنًا!

الرّسالة السابعة والثّانون

[إلى الأمير فخر الدّين أرسلا ندغمش
أو إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء في
طلب مساعدة الدراويش]

تقبّلَ اللهُ تعالى إحسانَ الأميرِ الأجلّ الأمجدِ الأسعدِ، الحسَنِ الأخلاق، المفكرِ بالعواقب، المتّقي لله، العالي الهمّة، الرّفيق بالدراويش، النّاصر للمظلومين، المشْرقِ القلب، الطّاهرِ الدّين، فخرِ الملّة والدّولة والدّين، أدام اللهُ علوّه، وجعَلَ جزاءه ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾[آل عمران: ١٣٠]، فقد قال تعالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[الأنعام: ١٦٠] وقرَنَه بوعود الكرَم ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا

وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

من فَرْطِ حُسْنِ حظّ الإنسان أن يطمئنّ قلبُه إلى وعود الحقّ. وقد وجدْنا، والحمدُ لله، تلك العلاماتِ في ما يصدرُ عن الجناب العالي من ضروب العناية والإحسان. وإذا ما رجعنا إلى طلَب عناية الملوك ومنشورهم من أجل إعفاء هذا النّفر القليل من الدّراويش المنشغلين بالدّعاء لدولتكم وقد شغَلَهم هذا الدّعاء كثيرًا ـ إذ لم يبق من سعيهم السابق عُشْرُه؛ فإنّ قوّة اليد والقَدَم، مبعثُها الحرصُ ـ فإنّ هذا الطّلَبَ للمنشور ليس بسبب أنّ تقصيرًا قد حصَلَ من جناب الأمير التقيّ، دام علوُّه، في العناية بالدراويش؛ بل من أجل أنّه إذا اعترَض حسودٌ بسبب جهله قائلًا: لماذا تخصُّ بالعناية هذا النفرَ القليل من الدراويش، تكون شهادةُ الملوك ـ تغمّدهم اللهُ بعنايته وجزاهم خيرًا ـ حُجّةً للأمير؛ ذلك لأنّ الأميرَ يعلمُ بأحوال الدراويش الذين صاروا صيْدًا لمحبّة الحق. فبرغم أنّهم معمورون في ظاهرهم، هم خرابٌ في باطنهم. ولا أحَدَ يعرف تلك الأحوال. جُعِل ذلك المنشورُ ذريعةً للأمير وحجّةً. ومعلومٌ أنّ الأمير لا يقلّد أحدًا أبدًا في العناية والرعاية، إنّه مقلَّدٌ لقلبه الطاهر ومقلِّدٌ أملِه بأنوار العناية.[١٧٠]

آهةُ المريض مَنْ يسمعُها ؟ ـ المريض.

ولا شكّ في أنّ مساعدةَ مثْلِ هذه الطائفة مباركةٌ، أوّلًا وآخرًا، ليس على غرار تلك المباركة الحمقاء التي يفهمها الحمقى. ومرّةً أخرى يُلتمس من جديد، برغم أنّ المطالباتِ والضّرورات قد زادت في المدينة، أن تسهّلَ شفقةُ الأمير وعنايتُه الصّعبَ في الوقت نفسه. في عهد عُمَر ـ رضي الله عنه ـ اشتعلت نارٌ في المنازل، فحاول النّاسُ

إطفاءَها بقِربِ الماء وقِرَب الخلّ. فكلّف عُمَرُ مناديًا وقال له طُفْ وصِحْ بالناس: أعطُوا خبزًا؛ فإنّ هذه النّارَ لا تُطفأ بالماء. دمتَ محسِنًا!

الرّسالة الثّامنة والثّمانون

[إلى تاج الدّين معتزّ في طلب تفويض إمامة مسجد قرا أرسلان إلى صدر الدّين]

أبقى اللهُ الذّاتَ الشريفةَ للأمير الأجلّ الأكرمِ الأمجدِ الأسعدِ، الثاقبِ العقل، الثابتِ الحِلْم، ملِكِ الأمراء، نظامِ المُلْك صاحبِ الدولتين، الحسيبِ، النسيبِ، تاجِ الدولة والدّين، افتخارِ الإسلام والمسلمين، مختصِّ الملوك والسلاطين ـ أدامَ اللهُ علوّه وأيّدَه وسدّده وضاعفَ دولته وتقبّل طاعته ـ في كنف الحياطة الإلهية سنينَ لا نهاية لها.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ من هذا الدّاعي المخلِص، على التجديد، ويعلم أنّ الأملَ بلقائه المبارك المحبوب السعيد متجاوزٌ للحدّ. وإنّنا نسأل عن الأخبار السّارة من الصّادر والوارد. وعندما تترامى إلى أسماعنا أخبارُ أحوالِ اللّطف والعَدْل والإحسانِ وخشيةِ المولى لدى ذلك الفذّ الفريد، نشكر الله «والشكرُ قيدُ النِّعَم الحاصلة وصيدُ النِّعَم الآجلة».

يُعْلَم الرّأيُ العالي بأنّ الابنَ العزيز، الصّدْرَ ابن الصّدْر، الإمامَ الأجلّ، فخرَ

المذكّرين، صَدْرَ الدّين ـ نصرَه الله وزاد عزَّه وفضلَه ـ منشغلٌ بالخير ونَشْر العِلْم وتحصيل الفضل ليلًا ونهارًا، ويَعُدّ تلك القوّةَ في الفراغ والرفاهية من عناياتكم وألطافكم. وهو يرفع يديه في اللّيل والنهار نحْوَ القِبْلة في الدّعاء لكم، ويطلب المزيدَ من السّعادة لكم، جعَلَ الله دعاءه مستجابًا.

وفي هذا الوقت، فإنّ إمامةَ مسجد أرسلان رحمه الله وتقبَّل خيره ـ إذ إنّ خَطابة هذا المسجد وقفٌ عليهم وعلى ذرّية الصّدر المرحوم شمس الدّين الخجندي رحمه اللهُ ـ فوّضها أيامنُ الدّولة وكبارُ الملك إلى الابن العزيز، فإنّه مُعيلٌ ومستحقٌّ لمناصب أكثر من ذلك. وذلك الشخصُ الذي كانت الإمامةُ في وقتٍ من الأوقات له، طمع [١٧١] في أن يسلبها منه، وقد توجّه إلى الدّيوان العالي ـ أعلاه الله. ومعلومٌ فضلُ الابن العزيز، صَدْرِ الدّين ـ دام فضلُه ـ على الآخرين بأنواع الحسَب والنّسب والذكاء والفطنة والأهليّة والعِلْم والعمل.

والمتوقّعُ من مكارم أخلاق الشمسيّ الصّفات وإحسانِه العامّ، هذا الذي فيضُ نوره لألاءٌ وواصلٌ إلى المشارق والمغارب شاملًا العمومَ، أن يبذل في شأن الإمام ابن الإمام عناياتِه السّاداتية ومساعداتِه وملاطفاته الملكية، فإنّ ذلك عنصرُه القديم، لكي يحصل الثّوابُ الذي لا نهاية له، وتثبتَ على هذا الدّاعي المِنّةُ والشّكر، وينضمّ ذلك إلى المِنَن السّابقة والإحسانات السّالفة التي تفضّل بها. ذلك أنّ «علامة قبول الطّاعة الحرصُ على طاعةٍ بعد طاعة»، فإنّ الطّاعة السابقة عندما تُقبل تجذب قلبَ الطائع بمددها إلى طاعة أخرى وتجمعها، مثلما يحصل لشخصٍ رأسُ مالٍ، فيظلّ رأسُ المالِ هذا دائمًا يجذب قلبَه إلى طلب المزيد. دمتَ مغيثًا للعالَم.

الرّسالة التاسعة والثمانون

[في الظاهر إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء في طلب مساعدةٍ للسّيّد زكي من أجل شراء دكان]

تُطلبُ الشّفاعةُ لدى حضرة الأمير التقيّ، مختصّ الملوكِ والسلاطين، ناشرِ الخير والعَدْل في العالمين، بعد وافرِ السّلام والتحيّات ودعوات الخير، وشُكرِ الإحسانات السّابقة والألطاف الذي لا يقدر عليه قلَم. ومكافأةُ ذلك عند الله تعالى متوافرةٌ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وإنّه لا أحَدَ من الأوّلين والآخِرين تحمّل أيّ قدر من العنت في قضاء حاجة محتاج من أجل إرضاء الحقّ تعالى، وفكّر بأنّ ذلك قد ضاع أو اشتكى من أنه قد أضاع؛ بل يشتكي من أنّه لم يفعل الكثير. إنّ أيّام العمر سوقٌ رائجةٌ رابحةٌ ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم ﴾ [الصف: ١٠]؛ فمن لم يشترِ نَدِم، ومَن اشترى نَدِمَ [قائلًا:] لماذا لم أشترِ أكثر، ولماذا خفتُ من الحيف في هذه الحضرة العديمة الكَيْف. والحمدُ لله الذي أعطى أميرَنا ـ مدّ اللهُ علوّه ـ خِلْعةَ التوفيق وتاجَ الصّدْق ونطاقَ الاجتهاد، زادها اللهُ كلَّ يومٍ وأطلق الألسنة بالدّعاء بالخير له وجعل القلوبَ متفقةً على محبته!

إنّ حاملَ تحيّتنا، السيّد زكي دامت بركتُه، من أهل الصّلاح وأهل القرآن. وقد أخذ دكّانًا لجماعة من الأصدقاء من مستغلّات السلطان ـ ضاعف الله دولته ـ والتزم [١٧٢] بإظهار أمر الأصدقاء. والآن هم يطلبون إعفاءهم. والمؤمَّلُ من صدقات

الأمير التقيّ ـ أدام اللهُ علوّه ـ أن يُعنى بهؤلاء الدّراويش لكي يقترن ذلك بالخيرات المتقدّمة ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[النور: ٣٥].

نـــذكّرُ بالرّقـــاع إذا نُـــسينا ونكتـــبُ حـــين يمطلُنـــا الكـــرامُ
فـــإنّ الأمّ لم تُرضِـــعْ غُلامًـــا علـى الإشـفاق، مـذ سـكتَ الغـلامُ

ـ

مـــن قـــاسَ جـــدواكَ يومًـــا بالـــسُّحْبِ أخطـــأ مَـــدْحَكْ
الـــسّحْبُ تعطـــي وتبكـــي وأنـــت تُعطـــي وتـــضحكْ

ـ

لكي تصبحَ أهلًا للمدْح، امدَحْ أهلَ المعنى

ولكي تُصبح أهلًا للإكرام، أكرِمْ أهلَ المعنى

وقوله تعالى: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥]، أسقطَ البارئُ تعالى رُطَبَ نخيلِ العَدْل والمرحمة على من لهم صفةُ مريم في المعرفة، والحمدُ لله ربّ العالمين.

الرسالة التسعون

[إلى واحدٍ من رجال الدولة في طلب
تنصيب أحدهم على مدرسة المرحوم]

جنّب اللهُ جنابَ الأميرِ الأعلمِ الأعدلِ، مربّي الفضلاء، صفيّ الأخلاق، فخرِ الآفاق، مدبرِّ المُلك، عمادِ المملكة، مغيثِ الخلق، مختصّ الملوك والسّلاطين ـ أدام اللهُ

علوّه وإقباله وجنّبه العُسرى ويسَّره لليُسرى، ويلّغه المقامَ الأسنى، بحقّ محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين.

يطالعُ السّلامَ والدّعاء، ويعلَمُ أنّ الأملَ باجتماع الحقائق والاختلاط بأسراره الطّاهرة اللطيفة ـ زِيدَ لطفًا ـ [١٧٣] غالبٌ؛ أمّا العذرُ عن التقصير فهو نفاذُ التقدير. يُعْرَض على الرأي العالي بطريق الطّلَبِ والالتماس، للضرورة. رافِعِ التحية فلانٌ ـ دامت سعادته ـ الذي ازدانَ بأنواع الأهلية وتحصيل العلوم، المؤمّلُ أن يشملَه اللّطفُ والعنايةُ اللذانِ هما ظلٌّ ظليلٌ على الفقراء والعلماء والغرباء كافّةً، ويعيَّنَ في مدرسة المرحوم ـ تغمّده اللهُ بمغفرته وتقبَّل حسناته. فإنّ استحقاقه زائدٌ كثيرًا على استحقاق الآخرين، استعدادًا وتحصيلًا وسهرًا واجتهادًا. وبذلك تكون على هذا الدّاعي مِنّةٌ عظيمة، ويتقدّمُ هذا على الإحسانات السّابقة، وهكذا يتفضّل على هذا الدّاعي تفضّلًا خاصًّا. دمتَ مغيثًا للخلائق وبريدًا للحقائق، آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الحادية والتسعون

[إلى واحدٍ من رجال الدولة في التوصية بليث الدّين ليجعله المخاطَبُ بالرسالة جزءًا من خدّامه]

على الدّوام يترامى إلى أسماعنا ذِكْرُ إحسانِكم وإنعامِكم ولطفِكم بالدّراويش وشكرُ هذه الصنائع، فندعو لمزيد التوفيق ـ وفّقكم الله وأيّدكم ونصَرَكم وللخير يسّركم.

حاملُ التّحية، الابنُ العزيزُ المخلِص، ليثُ الدّين ـ دامت سعادتُه ـ حسيبٌ ونسيبٌ، وقد أصبح الآنَ مُعيلًا، وقلّت لديه أسبابُ الدّنيا فـ «المالُ غادٍ ورائح»:

لا تغـترَّ بالمـال، ولا تـسـرَّ بالحيـاة فالمـالُ مـاءٌ جـارٍ، والحيـاة ريـح

وهو يريد أن يغدو من جُملة عبيدِ سيّد الأمراء ـ دام علوّه ـ وخَدَمِه وملازميه، ويلجأ إلى ظلّه. والمؤمّلُ من لُطف هذا الفذّ الفريد وكَرَمه وإكرامه للعبيد ورعايته للدراويش أن يبسط ظلَّ العناية والقبول على رأسه وينصّبه في الخدمة اللّائقة به؛ لكي يُشرَّف بتلك الحضرة ويفتخر على أقرانه وإخوانه؛ ابتغاء أن يدّخر الثوابَ الجزيل والثناء الجميل. قال النبيُّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ : «الخَلْقُ عيالُ اللهِ فأفضلُهم أنفعُهم لعياله»، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١١٠].

قبْلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ

لا بدّ أن تُعطي كلَّ عطيّة جديرة بالعطاء

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ [الصف: ١٠].

[١٧٤] إذا كنتَ الآن في هذا الوقت ههنا تتأذّى وتتألّم

فما أجمل رأسَ المال والرّبح اللذين ستراهما غدًا من ذلك الأذى والألم

فأكرِمْ ذلك الضيفَ العُلْويَّ

لكي تجده مضيفًا عندما تخرج من هذه الدّنيا

أن تستعبد حُرًّا واحدًا بإحسانك

خيرٌ لكَ من أن تُحرِّر ألفَ عبدٍ

أيّدَه اللهُ ونصرَه وأرشدَه وألهمَه خيرَ الدّنيا والآخرة، كما سدّدَ وألهمَ ونصرَ أولياءه وعباده الصّالحين؛ إنّه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

أُحرِّمُ الكلامَ مع النّاس

وعندما يأتي حديثُك أُطيلُ الكلام.

الرّسالة الثانية والتّسعون

[في الظاهر إلى السّلطان عزّ الدّين كيكاوس في الاعتذار عن عدم القدرة على الزيارة]

زاد اللهُ سعادةَ الملِكِ العادل، فخرِ آل داود، الملِكِ سليل الملوك ـ أدامَ اللهُ علوَّه ـ إلى أبَد الدّهر وأقصى العصر، في كمال الإجلال المناسبِ لتلك الهمة، اللائق بذلك الكرَم، الموافق لذلك اللطف ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

يطالعُ السّلامَ والدّعاء، ويعلَمُ أنّ ذِكْرَ المليك المكرَّم وليّ الأيادي والنِّعَم لا يغيب عن القلب، وخيالَه لا يغيب عن العين، واسمَه المبارك لا يبارح الفَمَ، آناء الليل وأطراف النار.

أفادتكم النّعماء منّي ثلاثةً: يدي ولساني والضمير المحجَّبا

إنّ شُكر الإحسانات الملكية لذلك الملِك لا يتسع له بيانٌ، ولا يقدر عليه قَلَم

وبنان. وإنّ عالِمَ السّرّ والخفيّات، وليَّ الإحسان والمجازاة - تبارك وتعالى - سيكافئ تلك الإحسانات من خزائن ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[الزمر: ٦٣]، و ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠]، و ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[البقرة: ٢٦١].

[١٧٥] المرجوُّ أن يعذر هذا الضعيفَ إن لم يُجب دعوةَ ذلك الملِك والتماسَه، فقد كان ثمّة أسبابٌ وموانعُ حالت دون الكتابة. وإن ساعد القدَرُ وتنحّت أيّامُ الفراق تحدّث مشافهةً إن شاء الله، ويعُدُّ نفسَه غيرَ قائلٍ؛ لأنّ القلبَ المنير والفِراسة الصّافية والإدراكَ الكامل التي يتمتّع بها ذلك الملِكُ - أدامَ الله علوّهم - تدرك عُذْرَ الدراويش؛ ذلك لأنّ الدرويشَ في بحر تصرّف الحقّ وليس في تصرّف نفسه.

.... تجري الرّياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ

إنّ يدَ تصرّفِ عزّةٍ «يقلّبها كيف يشاء» أعظمُ من أن تُبقي للدراويش قدرةً واختيارًا فـ«ليس في الدّار غير الله ديّارٌ» ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾[يوسف: ٢١].

لا تَسَلْ عن الأحوال، إنّ هذا خطأٌ منك،

فامضِ وانظرْ إلى محيّا شَهْمٍ تجدِ المشكلاتِ قد حُلّت

إنّ كلّ من يرى نورَ وجه ﴿ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[إبراهيم: ٢٧] لا يبقى في جِبِلّته أيُّ اعتراض، ويرحمُ الخلائقَ جميعًا، مثلما قال غلامٌ لسيّده: اجلسْ عند باب المسجد حتى أدخلَ فأصلّي وأخرج، أحملُ الطّاسَ معك إلى الحمّام، إن كنتَ محتاجًا إلى

الحمّام. قال السيّدُ: نعم، وجلس خارجَ الباب. تأخّر الغلامُ في المسجد. فصاح السيّدُ: أيّها الغلامُ، اخرجْ، فقد تأخّر الوقتُ من أجل الذهاب إلى الحمّام. فصاح الغلام: انتظِرْ، لا يتركونني أخرج من المسجد. فقال السيّدُ: ليس في المسجد إلّا أنت، فمن يمنعُكَ من الخروج؟ ـ قال: عينُ الشّخصِ الذي يمنعُك من أن تدخل المسجد. وهكذا لم تبقَ شكوى من أيٍّ منهما. وفي هذا المعنى قيل: «الشّكايةُ من الخَلْق شكايةٌ من الخالق».

كلُّ من علّموه أسرارَ الغرام

خاطوا منه الفمَ عن لَفظِ الكلام

الرّسالة الثالثة والتّسعون

[إلى تاج الحكماء، أكمل الدّين، في تسليم
مدرسة فخر الدّين أرسلاند غمش بعد
شمس الدّين الماردينيّ إلى أفصح الدّين]

ضاعفَ اللهُ وزادَ سعادةَ الابنِ المخلِصِ الحسنِ الاعتقاد المتفنّنِ، ملِكِ الأطبّاء، تاجِ الحكماء، أكملِ الملّة [١٧٦] والدّين ـ أدام اللهُ فضلَه، على تقادم الأيّام وترادف الأعوام، وأيّد وسدّد روحَه الطاهرَ الطالبَ العاشقَ العارفَ العزيز، بروح القدس.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ من هذا الدّاعي المخلِص ويَعلمُ أنّ الاشتياق غالب.

الألطافُ التي أدّاها بظهر الغيب يصل جزاؤها من خزانة اللّطف الإلهيّ الذي ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢]، و ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾[هود: ٣]، و﴿ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾[لقمان: ١٦].

إنّ شُكْرَ إحسانِكم لا يقدرُ عليه قَلَم

فيا لها قصّة في شَرْحِها طولُ

يُعلَم أنّه في هذه الأيام تُفتح مدرسةُ الأمير الأجلّ فخرِ الدّين أرسلاندغمش ـ أدام الله علوّه وتقبّل حسناته ـ وينتقل إليها الصّدرُ الكبير، أستاذُ الفضلاء، شمسُ الدّين الماردينيّ، دام فضلُه. وإنّ جماعةً من أبنائنا ـ الذين يأخذون أجورًا في مدرسة قرطاي ـ خائفون من أن يأتي إلى مدرسة قرطاي ـ رحمه الله ـ مدرّس غريب فيتعرّض لهم، ويعاملهم هذا الغريبُ بعكس المداراة والمواساة التي كان يعاملهم بها سيّدُ المدّرسين، شمسُ الدّين.

ومعلومٌ لديكم أنّ الفقراء لا يستطيعون شَغْلَ وظائف التعليم بجدّية، وأنّ أغلب النّاس أعداءٌ لهذه الطائفة حسَدًا. ويؤمّلون أن تُرتَّب الأمورُ على أن تُحوَّل مدرسةُ قرطاي من الصَّدْر شمسِ الدّين إلى الصَّدْر الكبير، سيفِ النظر، فخْرِ المدرّسين، أفصحِ الدّين، دام فضلُه، الذي له فضلٌ على الآخرين في مختلف الأمور وله اطّلاعٌ على آلام الفقر والفقراء، وهو أبٌ مشفِقٌ لجماعة الفقراء وأبنائنا كأنّهم نفسُه وأقرباؤه، لكي تسير الأمورُ بسعيكم على هذا النهج المثالي، ابتغاءَ أن يصل ثوابُ ذلك إلى عهد ملِكِ

العالَم، وإلى هذا الابن المخلِص ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

يبعثُ إليكم مِلِكُ المشايخ، أمينُ القلوب، إمامُ الهدى، حُسامُ الحقّ والدّين ـ أدام الله بركتَه ـ بالسّلامِ والدّعاء، ويشدّد في هذا الشأن في التوصية، من جهة أنّ اللّطفَ كفايتُكم، على أنّه بعد انتقال شمس الدّين لا يطمع شخصٌ آخر بمدرسة قرطاي ـ قدس اللهُ روحَه ـ وتكون لأفصح الدّين. وإذا لم يُتقيَّد مثلًا بذلك بذريعة أنّه أيليقُ بعد فلان أيضًا؛ فلأنّ المدرِّس شمسَ الدّين الماردينيّ راضٍ بذلك ومسرورٌ، لأنهما قريبانِ، وليس بينهما فرق. ويَعذُرُ على هذه الوقاحة؛ لأنّ المشربَ العَذْبَ كثيرُ الزّحام. دمتَ منوَّرًا ومعطَّرًا ومفضَّلًا ومقدَّما. آمين يا رب العالمين.

الرّسالة الرّابعة والتّسعون

[في الظاهر إلى السّلطان عزّ الدّين كيكاوس الثاني، توصيةً بفخر التجّار شمس الدّين لأنّ أمير الأكادشة في سيواس يطالبه بحقوق ديوانية كثيرة]

[١٧٧] زاد اللهُ وضاعفَ سعادة الابنِ المخلص، فخرِ آل داود، الملِك سليلِ الملوك ـ أدام اللهُ علوّهم ـ على تقادم الأدوار وتجدّد الأطوار! أولياؤه منصورون

وأعداؤه مقهورون، وكان الباريّ جلّ جلالُهُ ـ مُرْشِدًا له ومسدِّدًا وملهمَ خيرٍ وناصرًا في جملة أحواله وأقواله وأفعاله، بحقّ محمّد وآله.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ من هذا الدّاعي المخلِص، ويَعلَمُ بأنّه شاكرٌ للنِّعم وذاكرٌ لذلك الكرَم. جعل الحقُّ ـ جلّ جلالُه ـ مكافأةَ تلك الإحسانات والإنعامات الملكيّة موفّاةً وموفّرةً من خزانة ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢] التي لا نهاية لها ولا حدّ؛ إنّه كريم مجيب.

يَعلَمُ أنّ حاملَ التحيّة، الابنَ المخلِصَ، فخرَ التجّار، شمسَ الدّين ـ دامت سعادتُه ـ له حقوق البُنوّة، ودائمًا يغتنم خدمةَ الفقراء. وإذ إنّ أمير الأكادشة في سيواس يبالغ في مطالبته وأقاربه بحقوقٍ ومصادرات ديوانيّة، فقد التمس كتابَ عناية من جنابكم إلى أمير الأكادشة لكي يخفّف عنهم ويسهّل عليهم؛ لكي يُعَدُّوا من خدَمِكم وملتجئين إلى كرَمكم؛ فينشغلوا بتفرّغٍ بالدّعاء لتلك الدولة واستمرار تلك السّعادة، ويكونَ بذلك مِنّةٌ على هذا الدّاعي، تُضمُّ إلى الأفضال السابقة ـ التي لم تُنسَ ولن تُنسى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

ومن عندِنا كلُّ المحبّين صِغارًا وكبارًا، من أبنائنا الغَرْقى بتلك النِّعم والعُتقاءِ لذلك الكرَم، منشغلون بالشّكر والدّعاء ويبلغونكم السّلامَ والطّاعة، وهم ينتظرون اتفاقًا سماويًّا يجمع الخلائقَ من الأماكن البعيدة بأسباب مستورة، فإنّه ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢]، إنه ﴿ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٩]؛ إنّه جامعُ الشّتات وسامعُ الأصوات ومؤلِّفُ الرّميم والرّفات

ومُحيي الأموات، وله التحيّاتُ الطيّبات، وصلّى اللهُ على محمّد وآله الطيّبين. دمتَ باسطًا للخير ومغيثًا للخلائق. والسّلام.

الرّسالة الخامسة والتّسعون

[في الظاهر إلى السّلطان عز الدّين كيكاوس مباركةً بالزواج، وتوصيةً بصَدْر الدّين بن حُسام الدّين چلبي]

[١٧٨] السّعادةُ والإقبالُ قرينا زمانِ فريدِ العالَم، فخرِ آل داود، صفوةِ الورى، قِبْلةِ السُّرى، مُغيثِ المظلومين، مُجِيرِ المحرومين، افتخارِ السّلاطين، بحرِ المكارم، العابدِ لله، المتلطّفِ بالرّعية، الباسطِ للإحسان ـ أدام اللهُ علوَّهم، ودمَّر عدوَّهم، وعصمَهم وكلأهم ورعاهم، ومن الخير لا أخلاهم. وكان الله ـ جلّ جلالُه ـ حافظًا له وملهِمًا الخيرَ ومرشِدًا في جملة أحوالِه وأقواله وأفعاله، بمَنّه وكرَمه.

يبلِّغ السّلامَ والدّعاءَ والتحيّةَ والثّناء، ويَعلمُ أنّ الاشتياق غالب. يجعلُ الحقُّ تعالى للقّاء سببًا في العاجل؛ إنّه مجيب سميع.

ترامى إلى الأسماع نبأُ المصاهرة المباركة الميمونة، وقد قُدّمت المباركاتُ، ودُعِي بأدعية الخير.

الحمـــدُ لله عـــلى فـــضْلِهِ   قـــد وصَـــلَ الحـــقُّ إلى أهلِـــهِ

الملِكُ ـ جلّ جلالُه ـ الجامعُ للخلائق يربط المنيبين إلى جنابه والمتوكّلين في طريق رحمته بما هو سببٌ لمزيد السّعادة في الدّارين ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٣]، فإنّ كلَّ من لديه توكّلٌ واعتمادٌ على الحقّ ـ تعالى وتقدّس ـ ويكون متوجِّهًا إلى حضرته المقدّسة الأزليّة، معاذَ الله أن نضلّ، لا يمكنُ أن يقدّم له الحقّ تعالى شيئًا سيئًا، بل يقدّمُ إليه آلافَ صُوَر الإحسان، ذلك لأنّه ضيفُ الله، وهو الذي لا يؤذي ضيفَه. وكلُّ من يتوجّه إلى الحقّ وإلى عباده الخاصّين، يقدِّم له ما يكون سببًا لسعادته، وبرغم أنّه يحصل لحاله غمٌّ من ذلك، يزول ذلك الغمُّ وتتواترُ السّعادات.

رضـــيتُ بـــما قـــسَمَ اللهُ لي وفوّضــتُ أمــري إلى خــالقي
لقــد أحــسنَ اللهُ فــيما مــضى كــذلك يُحــسِنُ فــيما بقــي

قال اللهُ تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه حين يذكرني. من ذكرني في ماله ذكرتُه في مالي، ومن ذكرني على ملأ ذكرتُه على ملأ، ومن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي.

يسّر الحقُّ ـ جلّ جلالُه ـ وقيّض كلَّ سعادة هي الأكثرُ وكلَّ إقبالٍ هو الأسنى لذلك العزيز! إنّه مجيب الدّعاء.

إنّ حاملَ التحيّة، الابنَ المخلِصَ، قُرّةَ العين، الشّريفَ الأخلاق، الكريمَ الأعراق، الحسيبَ النسيب، [١٧٩] صدْرَ الدّين بن الشيخِ أمين القلوب، جُنَيدِ الوَقْت، أبي يزيد الزمان، مفخرِ المشايخ، قائدِ السّالكين، حُسامِ الحقّ والدّين ـ متّع اللهُ المسلمين بطول بقائه ـ متوجِّهٌ إلى جنابكم؛ وإنّ مَنْ هو منجمُ اللّطف والإحسان

والهمّة العالية والعطاء الملكيّ، لا يحتاج إلى وصية.

ولكنْ رأيتُ السّيفَ من بَعْدِ شحْذِهِ إلى الهزّ محتاجًا وإنْ كان ماضيًا

إنّ ملاطفةَ الدّراويش ورعايةَ الضعفاء لدى هذا الفريدِ ـ أبقاهم اللهُ في دولة صافية ونعمة كافية ـ أظهرُ من الشّمس عند أهل الدّنيا والقاصدين لذلك الجناب؛ «والشمسُ لا تخفى بكلّ مكان». وهذه الوصيّةُ من أجل أن يكون لنا نحن أيضًا حَظٌّ من ثواب ذلك الإحسان، فإنّ «الدّالّ على الخير كفاعله». فلا أخلى البارئُ تعالى وجْهَ البسيطة من وجودِ ذلك الذي هو فريدُ العالَم، ومن إحسانه الذي ليس له حدود، آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة السّادسة والتّسعون

[إلى معين الدّين پروانه، في طلب جَبْر خسارةِ نظامِ الدّين، صِهْرِ حُسام الدّين چلبي]

جعَلَ اللهُ السّعادةَ والإقبالَ دائمًا ملازِمَيْنِ لحضرة مِلِكِ الأمراء، العالِمِ العادل، المؤيِّدِ المظفَّرِ المنصور، تاجِ الأيامن، عُمدةِ الممالك، عمادِ السّلطنة، مربّي العلماء، مغيثِ المظلومين، باسطِ العَدْل، ناشرِ الإحسان، مؤسّسِ الخيرات، مُستحقّ الكرامات، ذي الهمَم العالية، أُلُغ قُتْلُغ [بالتركية بمعنى: الكبير المبارك]، ألبْ [بالتركية بمعنى المقدام] الخاصّ، العالي الهمّة، المؤيِّدِ بروح القدس، پروانه بك ـ أدام اللهُ علوّه، وأهلك عدوّه،

ويسّره لليسرى، وجنّبه العسرى، وأصلحَ أمورَه، وشرّحَ صدرَه، وأيّده بروحٍ منه. السّلامُ والدّعاء ليلًا ونهارًا، لأنّها من الواجب، أؤدّيها وأرسلُها بيدِ الصَّبا

... .   فـريحُ الـصَّبا منّـي إليـكَ رسـولُ

ومن المعلوم النصيحةُ وإرادةُ الخير والمحبّة وحفظُ الغيب لدى هذا الدّاعي، خاصّةً إزاء ذلك الذي هو وليُّ الإنعام والإحسان «والبادئ بالخير لا يُكافأ».

ولكـنْ بكَـتْ قَـبْلي فهـيّجَ لي البُكـا   بُكاهـا، فقلـتُ: الفـضلُ للمتقـدِّم

والمتقدّمُ في الإحسان وملاطفة الفقراء ومواساة المحتاجين هو تلك الحضرةُ، وتلك الشجرةُ التي ألقتِ الظلَّ اليومَ في هذه الصحراء التي لا ملجأ فيها، حيث يفرُّ إلى ذلك الظلّ المحترقون بشمس الآفات [١٨٠] لأنّه ظلُّ الله «خيرُ الناس من ينفع النّاسَ، وشرُّ النّاس من يضرّ الناسَ. اطلبوا الحوائجَ من سُمحاء أمّتي، فإنّي وضعتُ فيهم الرّحمة».

حاملُ التحيّة، الابنُ المخلِصُ المعتقِدُ، نظامُ الدّين ـ نظّم اللهُ أموره ـ من الدّاعين لتلك الدولة والمحبّين لها، واليومَ هو ابنُ الدراويش، وكلّ ما يملكه ينفقه على الفقراء، وذلك ممّا لا يخفى عليكم. وعلى امتداد مدّةٍ مديدة تصيبه الواقعةُ إثر الواقعة والضّررُ إثر الضّرر «مَنْ ثَخُنَ دينُه ثخنَ بلاؤه، ومَنْ رقّ دينُه رقّ بلاؤه». والمؤمَّل من الرّحمة العامّة لهذا الفذّ، الذي له صفةُ الشمس وكرَمُ السّحاب وعطيةُ البحر، أن ينظر إليه بعين الرعاية والعطف. واليومَ فإنّ نَفَسَ فخرِ المشايخ، أمينِ القلوب، جُنَيدِ الزّمان، أبي يزيد الوقت، بقيّةِ السّلَف، مقدَّم الخَلَف، حُسامِ الحقّ والدّين ـ متّعَ اللهُ المؤمنين بطول بقائه وبارك في أنفاسه ـ متعلّقٌ به، ومن الصِّغر هو ابنٌ لهذا الدّاعي. والمتوقَّعُ الذي هو

أكثر من التوقُّع أن يُكرمه ويُحبيه ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]، لكي يكون من ذلك مِنّةٌ على هذا الدّاعي وعلى الفقراء. دمتَ مغيثًا للخلائق - آمين يا ربّ العالمين - وينضمّ هذا إلى الإحسانات والإيثارات السّابقة المقبولة عند الله ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[النور: ٣٥].

الرّسالة السّابعة والتّسعون

[إلى واحد من الوزراء، لعلّه معين الـدّين
پراونه، في التوصية بأمير العالم چلبي]

قالَ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم: «اطلبوا الحوائجَ من السُّمحاء؛ فإنّي جعلتُ فيهم رحمتي؛ ولا تطلبوها من القاسية قلوبُهم فإنّي جعلتُ فيهم سخطي». جعَلَ اللهُ بركاتِ الكلماتِ النبوية والإشارات المصطفويّة قرينًا ومُعينًا للزّمان السّعيد للصّاحب الأعظم، مِلكِ الوزراء، نظامِ المُلْك، مُغيثِ المظلومين، الناشرِ للخيرات، المؤسِّسِ للحسنات «المشفِقِ على خَلْق الله، المعظِّمِ لأمر الله» - أدامَ اللهُ علوَّه وتقبَّل حسناته وتجاوزَ عن سيّئاته وآمَنَه من الفَزَع الأكبر - دائمًا أبدًا.

قرَنَ اللهُ التوفيقَ الذي له في الخيرات بالتّوفيقات الأُخَر. ولا شكّ في أنّ الإنسانَ مركّبٌ من جَسدٍ في غاية الخِسّة، ومن رُوحٍ في غاية الشّرف. وقد جمع الحقُّ تعالى بكمال قدرته بين هذين الضدّين؛ ويظهرُ من ذلك الرّوح الشّريف مئةُ ألفِ حكمةٍ، ويظهر

من هذا الجسم الكثيف مئةُ ألفِ ظُلمة، ومن جهة ذلك قال: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨ - ٢٩]. نسبَ [١٨١] الجسَدَ إلى الطّين المظْلِم، والرّوحَ إلى نفخة روحه، لكي يجعل ذلك النّورُ وتلك النفخةُ الرّبانيّةُ هذا الطّينَ المظلم آلتَهما في الإصلاح والعَدْل وحِفْظ أمانةِ الله؛ ليكون ذلك سببًا للنجاة والرّفعة والدّرجات، لا أن يجعلَ هذا الطّينُ المظلِمُ ذلك السّراجَ، بالطمع بنُورَ «نفختُ فيه من روحي»، آلةً له في الغَدْر واللصوصية.

... ... إذا جاء اللصُّ حاملًا السّراجَ حمَلَ الأحسنَ من المتاع

بل إنّ سراجَ روحِ ﴿نَفَخْتُ﴾ [الحجر: ٢٩] يعطي لطينِ الجسدِ نورًا دينيًّا ويحوِّله عن طبع الطين والجهل والثّقَل «فمن غلبَ عقلُه شهوتَه فهو أعلى من الملائكة، ومن غلبت شهوتُهُ عقلَه فهو أدنى من البهائم».

يطالعُ السّلامَ والدّعاء على نحو متجدّد. والاشتياقُ إلى لقائه المبارك ليس له حدود. ويهيّئ البارئُ تعالى وتقدّس سببًا لتوفيق اللّقاء دونها إبطاء - إنّه مجيب سميع.

وقد جاء الخبرُ في شأنِ أنّ الرّكاب الميمون - أعزّ الله نصره - سيأتي إلى هنا. فسُرّ الأصحابُ جميعًا ببشارة اللقاء، لكنّ هذا الخبر فتر.

... ... وأيّ نعـــيمٍ لا يكـــدّره الـــدّهرُ

وإن شاء اللهُ، يكون الرّجوعُ في أبركِ زمانٍ وأسعد وقت، جعَلَنا اللهُ إخوانًا، وجمع بيننا ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

إنّ حاملَ التّحية، أميرَ العالَم ـ علّمه الله ـ يلجأ إلى الإكرام والإنعام العامّ لمن له صفةُ الشّمس، الصاحبِ الأعظم، مدّ الله علوَّه. ولا شكّ في أنّه قد صار مُعيلًا الآن، وقد تعرّض لأضرار كثيرة، وقِلّةُ الحظّ في الدّنيا مانعةٌ من تحصيل العلم. فإذا ما أكرمَه الصّاحبُ الأعظمُ، على قاعدة عنصره الطّاهر وكفّه الكريمة، وأحياه ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[المائدة: ٣٢]، فلن يكون أبدعُ من هذا اللّطف الذي لا حدود له ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١١٠]، ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[البقرة: ٢٦١]. دمتَ محسِنًا ومنعِمًا وناشرًا للخير! آمين يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثامنة والثمانون

[إلى شمس الدّين يوتاش في التوصية
بأخي أحمد]

تقبّل اللهُ الخيراتِ والحسناتِ والاجتهادَ والتعبّدَ والطّلبَ من الابن المخلص، الأميرِ الأجَلّ، الأمجدِ الأفخرِ الأسعد، العالِمِ العابد [١٨٢] العادلِ، «المشفِقِ على خَلْق الله، المعظِّم لأمر الله، مختصّ الملوك والسّلاطين، المفكّر بالعواقب [الموصوف بـ]

﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[الذّاريات: ١٧ ـ ١٨]، شمسِ الملّة والدّين ـ أدامَ اللهُ علوَّه. اللهُ تعالى، رزّاقُ الرزق بغير حساب، وعلّامُ العِلْمِ بغير كتاب، ناصرٌ له وحافظٌ وحارسٌ ومؤيّدٌ ومعينٌ في كلّ أحواله وأزمانه وسفره وحضَره وخلوته وعزلته ـ بحقّ محمّد وآله .

سَـــلامٌ عَـــلى أهـــلِ نـــاديكمُ ومَـــنْ حـــلَّ يومًـــا بـــواديكمُ

آلافُ التحيّات والأدعية، هي من الأمور اللازمة، تُرسَل إلى جنابه، ويعلَمُ أنّ اشتياقًا، كاشتياق العطشانِ إلى الماء والمهجورِ إلى اللقاء والمحبوس إلى الفضاء، غالبٌ وباعثٌ. جعَلَ الحقّ جلّ جلالُه ـ جامعُ الشّتاتِ ومخرجُ النبات ومُحيي الأموات وسامعُ الأصوات ـ اللقاءَ ميسَّرًا ومهيّأً على أحسن حال وأيمن فال، إنّه وليّ الإجابة.

يؤمَّلُ أن يَبسطَ ظلَّ العناية، وفق عنصرِه الكريم الرّحيم المحسِن المحترِفِ للإحسان، على حاجات الابنِ المخلِصِ العزيزِ المعتقِدِ المجتهِدِ، أخي محمّد ـ سلّمه اللهُ وأبقاه ومن الخير لا أخلاه ـ لكي يكونَ شاكرًا للنِّعم وغريقًا لذلك الكرَم، ويكونَ على هذا الدّاعي مِننٌ كثيرة. ويصل سلامُ هذا الدّاعي إلى حضرة مِلك الأمراء، الصّاحبِ الأعظم، المشهور في خراسان والعراق، وليّ الأيادي والإنفاق، عَضُدِ الإسلام والمسلمين، معدِنِ الأخلاق الشّريفة والصّفات المنيفة، تاجِ الحقّ والدّين، أدام اللهُ علوّه وتقبّل حسناته وأيّدَه ونصرَه. وما يعلمُه، من المساعدة والمناصرة، لا يمتنع عنه في الوضوح والخفاء ـ لله تعالى ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾[الإسراء: ٧].

ويرغم أنّ لطيفَ عنصرِكم غيرُ محتاجٍ إلى الوصية

ولكنْ رأيتُ السّيفَ مِنْ بَعدِ شَحْذِهِ إلى الهـزّ محتاجًـا وإن كـان ماضـيا

الله، الله، هناك توقّعٌ للإحسان الذي قد أنجحَ دائمًا مطالبَ هذا الدّاعي من حضرته ووصَلَ إلى حُسْنِ الإجابة ـ تقبّل اللهُ حسناته وضاعف أجْره.

إن سقيتَ الغرسةَ، فأنت الذي غرستَها

وإن وضعتَها، فأنتَ الذي رفعتَها

«إتمامُ المعروف خيرٌ من ابتدائه».

ترامى إلى سمعي أنّكم قد شرعتم بالاشتغال التّامّ بأمر الآخرة، فمباركٌ لكم ذلك، أوّلًا وآخرًا ـ وأعانكم اللهُ ونصرَكم، ويسّر لكم اليسرى وجنّبكم العسرى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأنعام: ١٢٥].

[١٨٣] من هنا، الإخوانُ والفقراءُ جميعًا مشتاقون إليكم، ويبعثون إليكم بالسّلام والدّعاء. دمتَ مغيثًا للمظلومين، بمحمّد وآله.

الرّسالة التّاسعة والتّسعون

[إلى معين الدّين پروانه، طلب تفويض

وظيفة إلى الشيخ حسام الدّين]

أدام اللهُ الحياةَ الطيّبة المتصلة لملِكِ الأمراء والأيامن، مغيثِ المظلومين، المجتهدِ في طاعة الله، الحريصِ على عبادة الله، ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

[آل عمران: ١٩١]﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤]، مربّي الفضلاء الرّبانيّين، أنيسِ الفقراء الرّوحانيّين، مُعينِ الدّولة والدّين ـ أدام اللهُ علوَّه.

يُبعث بالسّلامِ والدّعاء. السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٥] ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]، واشتياقُنا كاشتياق مقطوع الجوارح إلى أعضائه وأجزائه، فـ «المؤمنون كنَفْسٍ واحدة، إذا اشتكى منه [كذا] عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[لقمان: ٢٨]، إنّ الله على جَمْعنا إذا يشاء قدير (مستوحى من الآية ٢٩ من سورة الشورى)، ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢] جعلَنا اللهُ ﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] ـ آمين يا ربَّ العالمين.

حاملُ التحيّة، الابنُ المخلِص الكافي الوافي، الشيخُ حُسام الدّين ـ سلّمه الله ـ قد توجّه إلى مقام كعبة الآمال وقِبْلة السّؤال ـ لا زال مُفْضِلًا على الوفود ومطلبًا للعطاء والجود. المتوقّعُ من الإنعامِ العديم العِلّة لجناب ذلك العزيزِ ـ لا زال عزيزًا ـ ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩]، أن ينصّبه في الخدمة اللائقة به؛ لكي يكون من خُدّام ذلك الوليّ للإنعام ومن يواسيهم.

أنعِمْ عليّ أيّها الملِكُ، اعملْ عملًا مـن أعـمال الإنسانية،

لكـــي أفـــاخرَ بـــأنّني رأيـــتُ الـــسّعادة

يا مليكَ الزمان، ماذا ينقِصُ من سلطانك، إذا ما سُرَّ إنسانٌ من إحسانك؟

[١٨٤] وإنّ خيرَ صَنْعةٍ وعملٍ لذلك الفذّ في سُوق العالَم ملاطفةُ الدّراويش وجَبْرُ كسْرهم - زادكَ اللهُ توفيقًا على توفيق، وتأييدًا على تأييد! «الخلْقُ عيالُ الله فأفضلُهم عند الله أنفعُهم لعياله». «خيرُ النّاسِ من ينفعُ النّاس»، لكنَّ منفعةَ ذهب الدّراويش الأحمر ليست كمنفعة الفِضّة، ومنفعةَ الفضّة ليست كمنفعة العُملة النّحاسية؛ وبرغم أنّ «النّفعَ خيرٌ كلّه»، هناك فرقٌ بين نفعٍ ونفع. الأبُ والأمّ جاءا بالإنسان إلى سِجْنِ هذه الدّنيا، ونَفْعُ الأنبياء حرّر الخلْقَ من سجن هذه الدّنيا وأوصلَهم إلى فضاء عالَمِ الغيب. وليس لهذا الكلام نهاية. جعل اللهُ ثوابَ مِلِكِ الأمراء ومددَ توفيقه من دون نهاية!

والدّاعي المخلِصُ معتادٌ على عَرْض حاجاته على تلك الحضرة الكريمة، وتلك الحضرةُ معتادةٌ على إنجاح حاجات العاشقين وإتمام مطلوباتهم.

إكـرامُ أهـلِ الهـوى مـنَ الكـرَمِ وأمّـةُ العِـشْق أضـعفُ الأمـمِ

دمتَ محسِنًا، آمين يا ربّ العالمين.

والدّاعي في هذا الإحسان سيكون متحمّلًا منّةً عظيمة، وسينضَمُّ ذلك إلى الألطافِ القديمة. والسّلام.

الرّسالة المئة

[إلى الصّاحب الأعظم تاجِ الدِّين
في التوصية بأخي محمّد]

أطالَ اللهُ حياةَ المجلسِ العالي للصّاحبِ الأعظم، ملِكِ الأمراء والأيامن، مُغيثِ الملهوفين، غياثِ المظلومين، مشهورِ الآفاق، فخرِ خراسان والعراق، مؤنسِ الفقراء، مربّي الفضلاء، الذّابِّ الخصيمِ عن حريم الإسلام، كهفِ الأنام، تاجِ الدّولة والدّين ـ أدام الله علوَّه ـ على مذاقِ ذلك الاستحقاق، والسّعادةِ اللائقة بذلك الإشفاق، والعطيّة الملائمة لتلك الهمّة، والمكافأة والمجازاة اللائقة بتلك النّية. الإقبالُ ساعِدٌ والزمانُ مُساعِدٌ، واللهُ ـ عزّ وجلّ ـ في كلّ المساعي راضٍ وراعٍ.

إنّ عالِمَ الأسرار مطّلعٌ على أنّ هذا الدّاعي لم ينسَ أبدًا حقوقَ الإحسان السّابق والإنعام والأيادي التي تفضّل بها مِلِكُ الأمراء ـ أدامَ اللهُ علوَّه ـ ويتذكّرها ويشكر تلك النِّعَم؛ جاذبيّةُ تلك الأُلفة تستمرّ كلَّ يومٍ وتكثر. وإنّني أعلم، على الحقيقة، أنّه من تلك الناحية أيضًا يزدادُ الاعتقادُ والاتصالُ في كلّ يومٍ، [١٨٥] ذلك أنّه «من القلب إلى القلب رَوْزَنةٌ»، و«القلوبُ تتشاهدُ». ويُستوجَب في قضية العقل والدليل أنّه لا بدّ للمحبّة من أن تكون من الطرفين كليهما، وأن يكون محرِّكُ الشوق وداعيةُ التّوق من الناحيتين؛ ذلك لأنّ محبّة الحقّ والخَلْق لا تكون أبدًا من جانب واحد ولا تُتصوَّر؛ فالصّوتُ لا يعلو من يَدٍ

واحدة، والرّقصُ لا يأتي من قَدَم واحدة فـ ﴿ يُحِبُّهُمْ ﴾ لا يكون من دون ﴿ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة: ٥٤]، و ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾لا يكون من دون ﴿ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[المائدة: ١١٩].

يطالعُ السّلامَ والتحيّةَ عن صِدْقٍ وصفاء. والاشتياقُ إلى سعادة ذلك اللّقاء الشّريف، ليس من ذلك القبيل الذي يمكن أن يكون للعقل القصيرِ النظر نصيبٌ من إدراكه، أو يكونَ للصبر الفرّارِ ثباتٌ برغم غلبته. وفي الغيب عجائبُ، واللّيالي حُبلى، تظهر نتائجُها وآثارُها في العالم، وفي القلوب أشواقٌ، وفي الرّؤوس ميولٌ شديدة تطلبُ تلك النتائجَ وتجذب وتتضرّع لكي يأتي إلى الوجود والظّهور ذلك المكتومُ في الغيب وذلك الذي اللّيالي حُبلى به، ويصوَّر. ذلك لأنّ الحقّ ـ جلّ جلالُه ـ في هذه الدنيا وفي تلك الدنيا، سيخلق لكلّ فكرةٍ لا تراها العينُ صورةً تراها العينُ، لائقةً بتلك الفكرة، وسيقرنُ تلك الصورةَ بالمفكّر الذي فكّر بهذه الفكرة: «إن كان كريمًا أكرمَه، وإن كان لئيمًا أسلَمَه». وإنّ مِلِك الأمراء ـ أدامَ الله علوَّه ـ بحمد الله تعالى عرَفَ تلك القضيةَ واعتقد بها. وصار كلّ فِكْره حقًّا تعظيمَ أَمْرِ الله والشفقةَ على خَلْق الله؛ كلُّ سَمْعِه متوجِّهٌ إلى أنين المظلومين، وكلُّ بصره بكاءٌ على المعتدى عليهم، ابتغاءَ أن يداوي جراحَهم ويمدّ يدَ العون لهم. زاده الحقّ تعالى كلَّ يوم وكلّ لحظة توفيقًا على توفيق وتأييدًا على تأييد! آمين، يا ربّ العالمين.

الابنُ العزيزُ المعتقِدُ المتعبِّد، أخي محمّد ـ أعزه اللهُ ـ من الخُدّام القدماء والدّاعين والمريدين لتلك الحضرة، وهو ربيبُ تلك الرّحمة ورضيعُ تلك النّعمة، وقد توجّه إلى

حضرتكم على أمَلِ تلك الرّحمة الملكية. والمؤمَّلُ أنّه بعد اليأس التامّ والحيرة والحرمان ومحنة فراق ذلك العظيم، إذ كان مغضوبًا عليه، يُشرَّفُ ويحيا بعفو ذلك العزيز وفَضْله ويُقبلُ دعاؤه بـ ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، لدى حضرة الكريم [المتحلّي بوصف] ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، أدامَ الله علوَّه. ومن جديد يصل إلى حَلْقة الخُدّام، ويغدو من مجاوري كعبة ذلك الإقبال، التي كثيرون من أمثاله عاشقون لها وهائمون بها.

كأنّا من بشاشتِنا ظللْنا ... بيومٍ ليس من هذا الزمانِ

وهو الآنَ لا يعلمُ ولا يريد ملجأً وملاذًا غير هذا المحلِّ للملاطفة والإكرام.

أيّها السّاقي، من تلك الخمرة التي أعطيتنيها في الأوّل،

أعطني رطلًا أو رطلين، وزدِ السّرور

[١٨٦] فإمّا أن لا تذيقني البتّة

وإما أن تجعلني ثمِلًا وخربًا، إذ فتحت الدّنّ

ربطَ محبةَ تلك الحضرة بأذُنِ الرّوح، وسَحبَ كُحْلَ الأملِ في عين الحاجة، وها هو يأتي إلى تلك الحضرة وليس لديه هديةٌ سوى تلك الرّحمة التي لا منتهى لها بشفاعة هذا الدّاعي المخلِص، الذي لم يُردّ عن تلك الحضرة. والمؤمَّلُ من إحسانِ ذلك الذي هو فريدُ العالم وتفضُّلِه وملاطفتِه للدراويش التي لا حدود لها، أن يرتّب أحوالَه المبعثرة، ويحييه بالعناية والرّعاية، ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

أن تــستعبد حُــرًّا واحــدًا بإحــسانِك خــيرٌ لــك مــن أن تحــرّرَ ألْــفَ عَبْــد

الرّسالة الأولى بعد المئة

[إلى معين پروانه، توصية بشمس الدّين
وطلب تعيينه في عمل ديوانيّ]

أدامَ اللهُ السعادةَ المخلّدة والإقبالَ المؤيّد ميسَّرَيْن ومقيَّضَيْن لمِلك الأمراء، مغيثِ المظلومين، مؤنسِ الفقراء، ذي الهمم العالية والسّريرة الصّافية، المعظّمِ لأمر الله، المحِبّ لما يحبّ الله ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦]، العالِمِ العادل، الأكرمِ الأنجبِ الأسعدِ، وليّ الأيادي والنِّعَم، معينِ الدّولة والدّين، عُضُدِ الإسلام والمسلمين، الغ قتلغ [بالتركية بمعنى: العظيم المبارك]، دلكا بلكا ألب [بالتركية بمعنى: الفصيح العالِم المقدام]، التقيّ، پروانه بك ـ أدامَ الله علوَّه، وكبتَ عدوّه وأيّدَه ونَصَرَه وطريق الخير له يسّره. وجعَلَ كلَّ الخيرات التي يفعلُها ويضعُ لها الأساسَ وينويها مقبولةً ومبرورة ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ١٠٤]. آمين يا ربّ العالمين.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ والثناءَ من هذا المخلِص، ويعلَمُ أنّ الاشتياق للقاءِ مُكرِمِ الدراويش الحليمِ الكريم، الذي يحبُّ للناس ما يحب لنفسه، ويختار للناس ما يختار لنفسه، وهو أعظمُ عُرى الإيمان، غالبٌ وباعثٌ وشديد. يجعل الحقُّ ـ جلّ جلالُه ـ

جامعُ الشّتات ومحيي الأموات وسامعُ الأصوات [١٨٧] ومجيبُ الدّعوات، سببًا سريعًا للّقاء، إنّه مجيبٌ سميع.

رافعُ التحيّة، الابنُ المخلِصُ الكافي البارعُ، شمسُ الدّين ـ دامت سعادتُه ـ من أقرباء هذا الدّاعي، ومنذ وقتٍ وهو يؤمِّل أن يُشرَّفَ بخدمة ذلك الجناب بوسيلةٍ من الوسائل، ويكونَ من جُملةِ خَدَم تلك الحضرة وعبيدها ـ أجلّها الله؛ وكان يُبعدُ الإزعاج عن ذلك الجناب العالي، إلى أن وصل الاشتياقُ والمحبّةُ إلى غايتهما.

الصَّبرُ لا يقدر على الصمود أمام العِشْق
والعقلُ لا يقدِرُ على أن يكون مُعينا

المتوقّعُ من مكارم أخلاقِ شمسيّ الصّفة، عامٍّ المنفعة، متّصلِ العطية، أن يقبل هذه الشفاعةَ، لكي يدَّخر ثناءً من دون حدّ، ودعاءً من دون عدّ، وثوابًا من دون غاية.

وبرغم أنّ رحمةَ ذلك الكبير وسلطانَه لا يُرجِعان طالبًا محرومًا، لكنّه قد شُفع احتياطًا.

أعرفُ أنا أنّه لا يأتي خطأٌ منك، لكنّ قلوبَ العُشّاقِ سيّئة الظنّ

دمتَ مغيثًا للخلائق، آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثانية بعد المئة

[في الظاهر إلى السلطان عزّ الدّين
كيكاوس، في إجابة رسالة السلطان]

جعَلَ الله الإقبالَ والدولةَ، اللّذَيْن هما مقصودُ المُقبِلينَ الأبديّين والسّابقين السّرمديّين، الملازمَيْنِ والمناصِرَيْنِ والممازجَيْنِ للذّات الشريفة لفريد العالَم، فخرِ الملوك

والسّلاطين، افتخارِ آل داود، ذي المحامد الفاخرة، باذلِ الدنيا للآخرة، متعهّدِ قلوب الفقراء، أُسوةِ الأيامن والكبراء، مخلصِ الأرواح، سُرور الأشباح، مغيثِ أهل المِحَن، مَعْدِنِ كلّ حَسَن، ينبوعِ النفائس، أشرفِ النفوس، ذي النّور الفطريّ والأدب الغريزيّ - أدامَ الله علوَّه - مؤيّدَيْنِ(*) ومسدَّدَيْنِ له! أولياءُ تلك الدولة الباهرة دائمًا مسرورون ومنصورون، وأعداؤُها مبتورون ومقهورون.

سَـلامٌ عليكـمْ لا سـلامُ مـودِّعٍ ولكـنْ سَـلامٌ لا يـزالُ جديـدا

سـلامٌ عـلى أهـلِ نـاديكمْ ومَـنْ حـلَّ يومًـا بـواديكمْ

[١٨٨] أسـلّمُ عليـكَ لأنّـكَ في الـضّمير

وإذا كنتَ غائبًا عن العين، فأنتَ في القلـب حـاضر

فيا أيها الغائبُ عن العين، الحاضرُ في القلب

سلام على الغائب الحاضر

تُبعث أورادُ السّلامِ والتحية عن صِدْقٍ وصفاءٍ، ووفور ولاءٍ، وأسألُ دائمًا الصّادرَ والواردَ اشتياقًا وتوقًا عن أخبار كمالِ تلك الدّولة وإشراقِ ذلك الإقبال الذي هو ملجأُ الضعفاء، ومحلُّ ارتياح المظلومين والملهوفين، أدامَها الله سنين لا حصر لها، وأبحثُ وأتفحّص على أمَلِ أنّه على حين غِرّة يأتي مبشّر سارٌّ يحكي خبرَ الرّجوع

---

* المفعول الثاني لـ «جعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

المبارك والعودة الكريمة لتلك السّعادة ويوصَّله، ويُبهج أولئك المشتاقين. وإلى الآن لم يَطلعْ مِثْلُ هذا الصّبح الصّادق، لكنّه بالأراجيف الجميلة والصباحات الكاذبة، في شأن الإخبار بمجيء تلك الخلاصة الملكية والصفوة الإلهية، حصَلَ سرورٌ كبير «فعِدوني وأخلِفوا، بشِّروني ولا تفوا»، وقَنَع القلبُ.

هيّأ اللهُ اللقاءَ المفرِّحَ المشرِّفَ والاتصالَ الظريف الشريف ـ ضاعفه الله شرَفًا وعزًّا ـ في أسعد وقتٍ وأهنأ ساعة! وعلى الدّوام يُتلى ذكرُ إحسانِكم الملكيّ وعشقِكم السلطانيّ، وإنّ أصدقَ دليلٍ على هذه الدّعوى ملِكُ المشايخ، أمينُ القلوب، جُنَيد الزمان، أبو يزيد الأوان، خاصّةُ الله في الأرض، حُسام الحقّ والدّين، علَمُ الهدى واليقين ـ متّع اللهُ المسلمين بطول بقائه، وأنارَ قلوبَ العارفين بنور لقائه ـ فهو الرّفيقُ والمعينُ في طريق الدّعاءِ بالخير لكم واستزادةِ السّعادة والدولة لجنابكم. استجابَ اللهُ دعواتِ الخير في دوامِ ذلك الإقبال ومضاعفة تلك الدولة وفيضِ ذلك الفضل الإلهيّ والعناية السّماوية. واللهُ وليُّ الإجابة، ودعوةُ المخلِصين مستجابة.

من هنا، الصغارُ والكبارُ وجماعةُ الفقراء، الذين هم إخوانُنا، يدْعون لتلك الدولة حالَ الصّلوات والخلوات، سرًّا وجهرًا، ويسألون قاضيَ الحاجات ودافعَ السّيئات ووليَّ الحسنات ـ تبارك وتعالى ـ مزيدَ الدّولةِ وكمالَ الرّفعة؛ ابتغاءَ أن توصَلَ مُراداتُ فريدِ العالَمِ ـ أدامَ الله علوّه ـ وخُدّامِه وأحبّائه، بالحصول. إنّه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، صلّى الله على محمّد وآله.

يسلِّمُ عليكم العبيدُ والخدّام والمجاورون لذلك الذي هو جِوارُ العصمة، والمقيمون في ذلك الذي هو حريمُ الحماية، المشرَّفون بالظلِّ المبسوط. دمتَ مغيثًا

للخلائق وملجأً للفقراء، آمين، يا ربّ العالمين.

وقد وصلت مشرَّفةُ المكرَّمِ للقلب المعينِ للضعفاء، فزادت المسرّات ـ لا زال محسِنًا.

الرّسالة الثّالثة بعد المئة

[في الظاهر إلى السلطان عزّ الدّين كيكاوس في إجابة رسالة السلطان ورسالة محبّة].

[١٨٩] الله يجمع بينَنا ويرفعُ البعْدَ من بيننا

اللهُ الذي أظهرَ لنا طريقَ الهجران آمَلُ أن ييسّر طريقَ الوصال

—

رضينا من وصالِكَ بالكلامِ ويكفينا الإشارةُ بالسّلامِ
فيومٌ لا أراكَ كألفِ شهرٍ وشهرٌ لا أراكَ كألفِ عامِ

—

بالله الذي مُلْكُه من العظمة لا يتّسعُ له سقفُ السّماء،
إنّ كلامي لا يتّسعُ له فمي من الفراق والاشتياق

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ﴾ [هود: ٨٠]. لو كانت السّعادةُ مُعِينًا لي، أو كان لجسدي جَناحٌ مثل قلبي، لطِرْتُ بمئة جناحٍ إلى الجنابِ المستطاب للمولى، افتخارِ الملوك، تاجِ آل داود، عالي الهمّة، المستبصرِ للعاقبة، الخائفِ من الله، المهتمّ بالرعيّة، الحليمِ الكريم، المشتاقِ إلى لقاء ربّه، الرّوحِ العُلْويّ والضميرِ السّماوي ـ

أدامَ الله علوَّه ودولته.

لـوَ انّ الـرّيحَ تحملُنـي إليكـم   تـشبّثتُ بأذيـالِ الرّيـاحِ
وكـدتُ أطـيرُ مـن شـوقي إليكـم   وكيـف يطـيرُ مقـصوصُ الجناحِ

-

إن قدرتِ، أيّتُها الصَّبا، فمُرّي ليلًا بناحيته
وإن مررتِ فاحملي منّي رسالةً إليه
وإنْ رأيتِ قلبي هناك فقولي له: حَرامٌ عليك ريحُ الوَصْل
أنا هكذا مهجورٌ، وأنتَ دائمًا جليسُه

[١٩٠] الحقُّ عليمٌ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠] أنّ خيالَ ذلك الذي هو شمسُ الحسْن، نهارًا وليلًا، في اليقظة وفي المنام، في عين هذا الضعيف الدّاعية.

ومِـنْ طـولِ التفكّـرِ كـلَّ يـومٍ   رأيتُـك كـلَّ ليـلٍ في المنـامِ

أحسِدُ الصادرين عن تلك الحضرة الكريمة والواردين عليها، ونارُ الاشتياق لا تنطفئ بكتابة الرّسالة وإبلاغ السّلام.

أنـا لا أشـبعُ مـن الـشُّرْب   إلّا إذا ألقيتَنـي في نهـرِك

-

أعـانقُكمْ والـنفسُ بعـدُ عـشيقةٌ   إليكـمْ، وهـل بعْـدَ العِنـاق تـدانِ
كـأنّ فـؤادي لـيس يـشفي غليلَـه   سـوى أن يـرى الـرّوحَيْنِ يمتزجـانِ

اجتهدتُ كثيرًا وتضرعتُ كثيرًا لكي يتيسّر المجيءُ إلى حضرتكم من جهة الصورة، ثم يقضي حاكمُ التقدير بالتوقّف والتأخير.

إن بقيـــــتُ حيًّـــا خِطـــتُ ذيلَ الثّوب الـذي انـشقّ مـن الفـراق
وإن مـــــتُّ فاقبـــلْ عـــذري فما أكثرَ الآمالَ التي صـارت ترابـا

لا لا، فأنا مخطئ؛ لأنّ أمَلَ أهلِ الدّين والمعرفة، الذي يكون من أجل الله لا من أجل الهوى، لا يغدو ترابًا أبدًا، بل يغدو ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾[آل عمران: ٣٣- ٣٤].

تعـــالَ تعـــالَ، إلى متـــى ســـوءُ الطبـــع هـــذا،
عندما تكون أنتَ أنا وأنا أنت، إلى متى أنـا وأنـت؟

—

أنـــا وأنـــتَ جعلـــتِ الإنـــسانَ اثنـــيْنِ
ومن دون«أنا وأنتَ» تصيرُ أنتَ أنا وأصيرُ أنـا أنـتَ
ومتـــى انفـــصلتْ ذواتُنـــا
ذهب أنا وأنت، وبقي الله

[١٩١]﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣١- ٣٢].

وهكذا فإنّ أرواحَ أعزّائنا وأئمتنا ـ برغم أنها غابتْ عن أنظارنا ـ لم تصرْ عدَمًا، بل هي مثلُ النجوم، توارت اليومَ في نورِ شمس الحقّ، فهي موجودةُ الذّات معدومةُ الوصف. وليس لهذا الكلام نهايةٌ «مانفدتْ كلماتُ الله» أي الأرواحُ (مستوحى من الآية ١٠٩ من سورة الكهف) وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

ولو صارت بحارُ العالَمِ مِدادًا وأشجارُ الغابات كلّها أقلامًا وذرّاتُ الهواء كلّها كُتّابًا، لما استطاعت وصفَ لقائهم واتصالات أرواحهم الطّاهرة الرّبّانية وحكايات محبّتهم، ولم يتأتَّ ذلك لِقَلَم.

أيّهـا القلـبُ، لـن تغـدو خـاسرًا في العـشق
أنتَ من دون روح، فمن أين لـك أن تغـدو روحًـا
في البـدء جئـتَ إلى الأرض مـن السـماء
وفي النهايـة سـتذهبُ مـن الأرض إلى السّماء

أبعثُ بمئة ألف سَلامٍ ودعاء، على الدّوام والتواتر، صباحًا ومساء. أنشُد لحظةً آتي فيها أنا بدلًا من السّلام ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣]. وبرغم أنّه على اللّسانِ كلُّ شَرْحِ شُكْرِه، وفي العين كلُّ خيالِ وصاله، وفي القلب كلُّ ذِكْره والتفكير فيه، فإنّ الرّوحَ مُنْتسِقٍ للاشتياق إلى ذلك المولى، لا ترويه هذه. أمَلُ الواثق من خالق الدّنيا صانع المؤمِّلين أن ييسِّر ويهيّئ على العجل قبْلَ حلول الأجَلِ المشاهدةَ المنعشة السريعة لذلك المولى، نادرةِ الزمان، مُنوِّر الجَنان ـ أدامَ الله علوَّهم في دولةٍ صافية ونعمةٍ وافية وعصمةٍ كافية؛ إنه كان للدّعاء سميعًا ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

لا تقـنطْ، وأمّـلْ أيّهـا القلـبُ إنّ في الغيـب عجائـبَ كثـيرة، أيّهـا القلـبُ

—

لا تغتمَّ أيّها الرّوحُ، بسبب أن ظلّ الحبيـبُ بعيـدًا عنـك

فالزّمَنُ بـرغم أنّـه يكـون طـويلًا، يمـرُّ في الحَلْقـة

—

أحـــرِّمُ الكـــلامَ مـــع النّـــاس وعندما يـأتي حـديثُكَ أطيـلُ الكـلام

لا تتمُّ مناجاتُنا أبدًا ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩]. دمتَ قِبْلةً للحاجات ومَصْعَدًا للمناجاة، آمين، يا ربّ العالمين.

من هنا، جواريكم، اللّائي هنّ أخواتُنا وبناتُنا، يبعثْن بالتذلّل والطاعة وهنّ [١٩٢] متعطّشاتٌ للّقاء، والملازمون لتلك الخِدْمة يسلِّمون عليكم. وقد وصلت المشرَّفة [الرّسالة] الشريفة من ذلك الجناب المنيف إلى هذا الضعيف، فضاعفت نورَ العين وسرور القلب، مثلما أعاد قميصُ يوسف البصَرَ لعين يعقوب ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف: ٩٤].

الرّسالة الرّابعة بعد المئة

[إلى جمـال الـدّين[؟] في شـكر الفـضل والإحسان]

مدَّ اللهُ حياةَ الابنِ المكرَّم المخلِصِ المشفِقِ، المعتقِدِ الصّادقِ الصّديق، نادرةِ الزمان، العالي الهمّة، الملكيّ الصّفة، جمالِ الدّولة والدّين، في رفعةٍ تجعل الرأس فوق السماء والوجْهَ في المُلْك الخالد؛ وصقَلَ وجْهَ قلبه المشرق بالفضائل كلّها من غبار الوسوسة وغبار الغفلة؛ ليكون محلًّا للإلهام الرّبّاني وفيضِ الرّحمة السّماوية؛

آمين، يا ربّ العالمين.

يقرأ السّلامَ والدّعاءَ ويَعلَمُ الاشتياق، «ومن القلوب إلى القلوب رَوْزَنةٌ»

يقــال إنّ هنــاك رَوْزَنــةً مــن القلــب إلى القلــب

كيــف الرَّوزَنــةُ ولم يبــق أيــضًا جــدارٌ؟

زيّنَ الحقُّ تعالى قلْبَ ذلك الابن بسرورٍ وراء سرورِ العالَمِ الفاني، وأوصلَه إلينا بالسّلامةِ والمراد في أيمن الأحوال وأقرب الأزمان؛ إنّه على ذلك قديرٌ وبالإجابة جدير. الإخوانُ جميعًا يبعثون بالسّلام وهم مشتاقون. ويُبعَث بالسّلام والدّعاء إلى جناب آصِفِ الزمان، ملِكِ الوزراء، منشئ الخيرات، مغيثِ الخلائق، نظامِ مُلْكِ الز ان ـ أدامَ الله علوَّه ـ وإلى خاصّته. ويعلم بأنّنا مشتاقون وشاكرون للنّعم، فإنّنا لم ننسَ أفضالَه وإحسانه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦].

مثلما ظهرَ في المنام لذلك العزيز عندما قال له أحدُهم: كلُّ ما يظهر لكَ يأمرُك الله بأن تحفر [١٩٣] الأرضَ وتدفنه وتغطّيه، وفي الرّؤيا أيضًا تجاوزَ ذلك المكان، فرأى طستًا ذهبيًا في وسط الصّحراء كان يتلألأ ويلمع، فتذكّر تلك الوصية؛ وفي الحال حفرَ الأرضَ، ودفنه على عمق ذراعين تقريبًا، وهكذا مرّات. حتى عجز، فقال: أُمِرتُ بأن أفعلَ ذلك مرّة واحدة، وقد فعلتُ ذلك مرّاتٍ، فانتهى من تلك الرؤيا ومضى. فرأى ذلك الشخصَ الذي كان قد وصّاه. وفي الحال كرّر له ما حدث. فقال: اعلَمْ بأنّ تلك صورةُ الإحسان والفضل الذي يقوم به الإنسانُ من أجلِ الله،فإنّه كلّما أُخفي صار

واضحًا جليًّا. ولو مضت مئةُ سنة، برغم طول مدّة تغطية الأشياء، هذا الشيءُ لا يُغطّى، والحقُّ تعالى تفضّلًا منه يُظهره ويجلّيه. وإن كان لأحدٍ شكٌّ في ذلك فقل له انظرْ إلى المآذن العالية وأذانِ المؤذّنين والمنابرِ المرتفعة ووعظِ الواعظين ومدارسِ الأطفال وغيرِ ذلك، فإنّ هذه جميعًا آثارُ إحسانِ محمّد صلّى الله عليه وسلّم وسعيِه وصبرِه على أذى الكافرين وقصْدِهم إيّاه بالإزعاج، التي كان الحقّ تعالى قد وعده بأن يظهرها ويحفظها. وبرغم أنّه ليس لك [يا محمّدُ] وارثٌ، فإنّني أنا وارثُ المحسِنين ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٤ – ٥]، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

الإحسانُ الذي يكون من أجلِ الله خيرٌ من ضياء الشمس ومن نُور القمر. الجسدُ يمضي في القبر، أمّا النورُ فلا يمضي إلى أسفل القبر. جرّبْ: أدخِلْ نورَ الشمس في القبر، يرجع إلى الأعلى. وليس لهذا الكلام نهاية ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

زادكم الحقُّ تعالى توفيقًا فوق توفيق، وجَدًّا فوق جَدّ، وجذبةً فوق جذبة، ودعوةً فوق دعوة، وهدايةً فوق هداية!

أحـــرّمُ الكـــلامَ مـــع النـــاس　　وعنـــدما يـــأتي حـــديثُك أطيـــلُ الكـــلام

دمتَ طالبًا وعاشقًا! آمين، يا ربَّ العالمين.

الرسالة الخامسة بعد المئة

[إلى من اسمُه جمال الدّين - رسالةٌ عرفانيّة]

نظّمَ اللهُ حياةَ الابنِ المخلِصِ المعتقِدِ، نادرةِ العالم، طالبِ الحقّ تعالى، العالي الهمّة، المحترفِ الإحسان، المفكّرِ بالطاعات، اللّطيفِ الجوهر، الطّاهرِ العنصر، مؤنسِ الفقراء، محبّ الأولياء، جمالِ الدولة والدّين - أحسنَ اللهُ عاقبتَه - في اقتناءِ(*) أسباب السّرور، والاعتناءِ باكتساب السّيرة الحسنة، وتيسيرِ مقاصد [١٩٤] الدّولة العالية! ورقَّمَ له صحيفةَ السّعادة والتوفيق إلى الخير، الذي هو أصْلُ كلّ الرغبات، وكيمياءُ كلِّ المرادات، بأرقام الفضل الإلهيّ، ورفَعَ له أوجَ المعرفة والاعتقاد، وجمَعَ له فوجَ الاجتهاد والميل إلى عبادة ربّ العباد وحلاوة الطاعة، وقَرَنَ له الزمانَ المبارك، الذي هو رأسُ مالِ سعادةِ الدّنيا، والمُلْكَ الخارجَ عن الزمان، بنشاطِ العقل وتجدّدالإيمان.

عقلُ المسكين وروحُ كلّ مسكين متحيّران في النّظر إلى عجائب صُنْع الحقّ تعالى وتصريفه وتفريقه، فإنّ الأرواحَ مِثْلُ حَمام الكعبة قد اجتمعت على سَطْح الأمل في بيت الحق، مرفرفةً بأجنحتها. بعضُها يحرّك جناحَ الخوف، أي جناح الشُّكر والسُّكْر؛ وصُنْعُه، مثل اللّعِبِ بالحمام، يتمثّل في أنّه فوقَ هذا السّطح العالي، من دون إلهام وتفكير وتخويف ورجاء، يرسِلُ كلَّ حمامةٍ من حَمام الروح إلى ناحيةٍ مناسبة لجوهر تلك

---

* الجارّ والمجرور هنا متعلّقان بالفعل «نظّمَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

الحمامة، وتُرسَل إلى المُدُن. يرسِلُ بعضَها في طرقٍ غير آمنة فتصبحُ أسيرةً في مخلب الباز. فيسمعُ صياحَ الحمام قائلة: ابتُلينا بنكبة. فإذا كان قد تقدَّم منّا سوءُ الخدمة، فلن نفعل ذلك مرةً أخرى ولن نحرّك جناحَ الجراءة والوقاحة. يسمع مناجاةَ صياحها في مخالب الباز. يخلّص بعضَها، ويلقي في قلب الباز الهيبةَ والمرحمة، ويجيب بعضَها بالقول ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ [الفتح: ١٤]، أي إنّ أهلَ السّماء جميعًا يرتجفون، وكذلك أهلُ الأرض. مثلما حدثَ عندما سأل المصطفى جبريلَ عليهما السلام عن حاله، فقال: في ساعةٍ لا يتّسع الوجودُ كلُّه لجناحي، وفي ساعةٍ أخرى تحسبُني صَعْوةً من الهيبة والعظمة. فقال المصطفى صلّى الله عليه وسلّم: لماذا لديك خوفٌ وأنت عَقْلٌ صِرْفٌ ونورٌ مطلقٌ، ولستَ أسيرًا للنفس الأمّارة، ولستَ جارًا للطبيعة العنصرية؟ ـ قال: تلك العظمةُ لذلك الأعظم الذي هزَمَ عزازيلَ(*) بلعبة واحدة، وأنزلَ هاروتَ وماروت بفكرة واحدة من أوج الفَلَك وحبسهما في بئر بابل، وأتى بإبليس من زمزمةِ التسبيح إلى دمدمةِ الوسوسة، وألقى هاروتَ وماروت في لجلجة السّحر ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [القلم: ١٩].

* اسم ملَك يرد في التراث الصّوفيّ على أنّه ثالثُ هاروت وماروت حينًا، وعلى أنّه اسمٌ لإبليس قبلَ الضلال حينًا آخر [المترجم].

ذلك المكانُ الذي كان فيه المعشوقُ مع الأحبة في بستان

صار مكانًا للذئاب والثّعالب، غدا وطنًا للبوم والنسور

عصمَنا اللهُ وإيّاكم وأمَّننا من الفزع الأكبر، وجمع بينَنا ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]،إنّه يعطي النِّعَم قبلَ استحقاقها و ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ [الشورى: ٢٨].

الإخوانُ والأخواتُ واحدًا واحدًا يقرؤون عليكم السّلام؛ ومن هنا، جملةُ الإخوانِ والأخوات يسلّمون عليكم، وهم مشتاقون إليكم، والسّلام.

الرّسالة السّادسة بعد المئة

[إلى أحد الصدور ـ في التوصية
بشخص لم يُذكر اسمُه في الرّسالة]

[١٩٥] عندما بدأ موكِّلُ الضرورة والعجز بالتعجّب، وتحمّلَ القلبُ كثيرًا، ضاع رأسُ خيط الصبر والتهالك، وجلَبَ إزعاجًا كبيرًا لجناب ذلك المكرَّم الجليل. المرجوُّ، وفقًا لعادة إكرام الدراويش ورعاية المساكين وجَبْر كسْرهم، التي هي طبعُ الكبار والمقبولين والسّابقين والصادقين، ومعهودةٌ ومرسومةٌ في عهد ذلك الفريد أدامَ الله علوّه، أن يرسلَه إلى الدّاعي شاكرًا وذاكرًا. ويرغم أنّ إزعاج الدّاعي قد زاد وكثر، فإنّ التعامل ـ بحمد الله ـ مع العالي الهمّة، الأمرُ الذي تكون فيه هذه الوقاحةُ، ومئةُ ألفِ

فوقها، زورقًا أمامَ قلبه الواسع كالبحر. وإنّ استسقاء الأسماك لا يجعل لُجّةَ ذلك البحر مملولةً «حدّثْ عن البحر ولا حرَج». أدامَ اللهُ ذِكْرَ إحسانِه على كلّ لسان، وجعَلَ شُكْرَه الذي ليس له نهاية في كلّ روح.آمين، يا ربّ العالمين.

وبناءً على مقولة «الإناءُ يترشّحُ بما فيه» من غير العجيب مداومةُ ذلك الذي هو فريدُ العالم، رئيسُ الأكابر في الخيرات وإمامُ المحسِنين، ومنشئ الخيرات والكرامات، وملِكُ الأمراء والأيامن، لكي ينتشر إخلاصُه المِسْكيُّ الرّائحة في العالم، ويحرّض الآخرين ويرغّبهم بأعمال البرّ ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم ﴾ [الصف: ١٠]. وإذا ما حدَثَ سهوٌ ـ والعياذُ بالله ـ في المسابقة إلى الخيرات استيقظتِ الهمّةُ العاليةُ سريعًا ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وأمسكت سريعًا بتلابيب القلب وتعلّقت تعلّقًا قويًّا بأذيال الندامة والاستغفار، وأخذت تتفحّص عن سبب ذلك التغافل والتكاسل، وعن مصدر ذلك الإمهال والتثاقل في طاعة ذي الجلال، فسدّت تلك الثُّلْمةَ وتداركت ذلك الكمينَ من كمائن الشيطان؛ لكي تكون دارُ المُلْك آمنةً من مثل هذه الفتنة. وعندما عقَدَ العبدُ [يريد نفسَه] عقْدَ الأمَلِ بتلك الحضرة، ووضعَ الأساسَ لخدمة جابر الكسْر وطاعته على أمَل أن يظفر بالكمال، وانتطقَ بنطاقِ الخدمة ـ النطاق الذي يُتخَذ وسيلةً تثمر نتائجَ القبول، عندما ضعف هذا النطاقُ الذي انتطق به المتعبّدُ، لا بدّ من أن يقع الخوفُ، ولا بدّ من تدارك ذلك.

إذا طـرَفٌ مـن حَبْلِـكَ انحـلّ عَقْـدُهُ تـداعى وشـيكًا بـانحلالِ مرائـرهْ

يحصلُ تهاونٌ في السُّنّة فيطمع الشيطانُ في الفرائض، ويحصل تهاونٌ في الفرائض

فيطمع الشيطانُ في الإيمان.

[١٩٦] فاحذَرْ صِغارَ الشرِ قبلَ كبارِهِ إنّ الكبارَ بدا بهنّ صِغارُ

—

بَدْءُ المنارة من آجُرّةٍ واحدة فإهمالُك الآجُرّةَ شيءٌ قبيح

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]. ولا بدّ من تدارك الأمر قدرَ الإمكان لكي يُحكم من جديد نطاقُ الخدمة على الوسَط، هذا برغم أنّ تلك الخدمة أكثرُ في الفضيلة، إلى درجة أنك لو عقدتَ مئة نطاقٍ مثل خيمة التُّرْك [الفقراء]، لبقيتَ مقصِّرًا؛ ولو غدت كلُ شعرةٍ لسانًا لبقيتَ مقصِّرًا في الشكر والثناء.

ولوْ أنّ لي في كلّ منبِت شَعْرةٍ لسانًا لشُكْرِ منك كانَ مقصِّرا

زيّن اللهُ تعالى صدْرَ ذلك الصَّدْر، والضميرَ المنير لذلك الأمير ـ أدامَ الله علوَّه ـ بنور الإخلاص، الذي أخفاه وهّابُ الإخلاص ـ جلّ جلالُه ـ للمخلِصين لحضرته في خزانة الغيب، وجعلَ قضاءَ حقوقه التي لا حدّ لها، وهو فرضُ عينٍ وعينُ الفَرْض، إكرامًا للفقراء، لكي يبقى دائمًا في مجازاة ذلك الاصطناع والإحسان الذي لن يُجازى بالمجازاة.

وهذا دعاءٌ لو سكتُّ كُفيتُه ....

وقد وصلت رسالةُ ذلك العزيز واحترامُه لي في الغيب إلى هذا الدّاعي، فحصل من ذلك السّرور.

أراحَهُ اللهُ، فمنه الراحةُ للخَلْق

ولا يمكن للخلق راحةٌ إلّا من روحٍ طاهر

وقد طبخ مئةَ ألفِ قِدْرٍ حلوى ذلك اللطيفُ الفَعّال

وأخذ منه المغتمّ مئةَ ألفِ كأس خمرة

الرّسالة السابعة بعد المئة

[إلى تاج الدّين معتزّ في التوصية بجلال الدّين، في الظاهر في شأن دَين]

اللهُ يجمع بينَنا، ويرفع البُعْدَ من بيننا. قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ لله عبادًا أمجادًا [١٩٧] محلُّهم في الأرض كمحلّ المطر: إن وقع على البَرّ أخرج البُرّ، وإن وقع على البحر أخرج الدّرّ». «الخلقُ عيالُ الله، فأفضلُهُم عند الله أنفعهُم لعياله». الحمدُ لله، اليومَ في هذا الدّور، المُشارُ إليه في نَفْعِ العباد وإكرامِ الفضلاء والعناية بالفقراء وإنشاء الخيرات تقبّل ـ الله منه ـ هو ملِكُ الأمراء، الدستورُ الأعظم، نظامُ المُلْك، فخرُ خراسان والعراق، اللّطيفُ الفَعال والأخلاق، الأميرُ التقيّ، وليُّ الأيادي والإنعام، الذّابُّ [الخصيم] عن حريم الدّين وبيضة الإسلام، تاجُ الحقّ والدّين ـ أدام اللهُ علوَّه، وأكرمه وأحسنَ عاقبته، وتقبّل حسناتِه، وتجاوز عن سيّئاتِه، وأمّنَه من الفزع الأكبر،آمين، يا ربّ العالمين.

أبعثُ بالسّلام والدّعاء، اللذين هما من الواجب، والاشتياقُ إلى لقاء الحقائق غالبٌ وباعث. يسّرَ اللهُ الميسّرُ لكلّ عسير، والمسهّلُ لكلّ صعب، والمعطي النِّعَمَ قبْل استحقاقها، القديمُ الإحسان ـ جلّ جلالُه ـ أسبابَ اللّقاء على أحسن وجه،

إنهّ على ذلك قدير.

معلومٌ لدى الرأي العالي أنّه إن ناسبَ الاشتياقَ والارتباطَ أن تُكتب رسالةٌ، كَتبتُ كلَّ يومٍ على التجديد رسالةً جديدة. لكنّه اجتماعُ الحقائق والتقاءُ القلوب، ولا أريد أن أزعج ذلك العزيزَ بقراءة الرّسالة؛ لكنّه مثلما يَطلبُ الأعزّاء، أكتبُ لتلك الحضرة تذكرةً، وهو في ذلك أيضًا معذورٌ فإنّ «المشربَ العَذْبَ كثيرُ الزّحام».

الابنُ العزيزُ المخلِصُ، سيّدُ المدرّسين، تاجُ الخطباء، العالمُ الفاضلُ المتفنّن، جلالُ الملّة والدّين، الإمامُ ابنُ الإمامِ ابنِ الإمام ـ رضي الله عنه وعن أسلافه الكرام ـ دائمًا شاكرٌ وذاكرٌ لإحسان ذلك العظيمِ وتربيته وإكرامه، وهو رطْبُ اللّسان بشُكركم. ويُعلَم الآن أنّه قريبُ هذا الدّاعي وعزيزٌ عليه جدًّا. وكلُّ مزيدِ إحسانٍ وعنايةٍ ونظَرٍ ملكيّ في شأنه، يكون هذا الدّاعي ممتنًّا له، بل إنّ ذلك الإحسانَ على الحقيقة يكون قد وصَلَ إلى هذا الدّاعي. وإنّ الصّدْرَ الكبير، المرحومَ مَلِكَ الأفاضل، ركنَ الدّين ـ تغمّدَه الله برحمته ـ له حقوق متنوّعة على هذا الدّاعي. تقبّل اللهُ منه ومنكم ومن كلّ محسِن، واللهُ لا ينسى من أحسنَ عملًا، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[هود: ٣]، «الدنيا مزرعةُ الآخرة». طوبى لمن اغتنمَ وزرَعَ وأقرضَ الله قرضًا حسَنًا فيضاعفه له. وإنّ يقظةَ قلْبكم وانتهاضَ همّتكم العالية وشغفكم بالخيرات مستغنيةٌ عن تلك التحريضات.

ولكنْ رأيتُ السّيفَ من بعد شَحْذِهِ إلى الهزّ محتاجًا وإن كان ماضيا

دمتَ محسِنًا، وحباكَ اللهُ توفيقًا فوق توفيق، وتسديدًا فوق تسديد، وقبولًا فوق قبول. آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة الثامنة بعد المئة

[إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء،
طلب تفويض خانقاه أخي گهرتـاش إلى
الشيخ جمال الدّين]

[١٩٨] بسطَ اللهُ ظلَّ عَدْلِ مَلِكِ الوزراء، آصِفِ الزّمان، نظامِ المُلْك الحقيقيّ، الصّاحبِ الأعظم، دستورِ العالَم العادل، المفضِّلِ الكريم، منشئ الخيرات، منبع الكرامات، الموفَّق من السّماء، المؤيّد من الرّضا، فخرِ الحقّ والدّين ـ أدامَ الله علوَّه وأحسنَ عاقبته، وتقبَّل حسناتِه، وتجاوز عن سيّئاته، وأيّده ونصَرَه، ولليسرى يسَّره، إنّه كريم مجيب.

يُبعث بالسّلام والدّعاء، اللذين هما فرضُ عينٍ وعينُ الفَرْض، والاشتياقُ إلى لقائه العزيز متوافر، وإنّني على الدوام مستنشِقٌ ومتنسِّمٌ للأخبار السّارّة. وعندما يترامى إلى سمعي أنّه في كلّ يومٍ أكثرُ حرصًا على الخير والإحسان، وأكثرُ رغبةً في الأعمال الصالحة، وأكثر يقينًا بحقائق الدّين، أغدو مسرورًا، وأطلبُ له من مجيب الدّعوات ـ جلّ جلالُه ـ مزيدَ التوفيق والتأييد والرّضى والقبول. استجابَ اللهُ لذلك.

أريد أن أسجّل شكرَ إحسانكم؛ ولأنّ القلَمَ عاجزٌ عن الكتابة، أحلتُ مكافأةَ ذلك إلى الحقّ تعالى ـ جلّ جلالُه ـ إنّه خيرُ مُجازٍ ومكافئ.

حاملُ الرّسالة، الابنُ العزيز، الشيخُ الصّالحُ القانع المتنسّك، جمالُ الدّين ـ أيّدَه الله ـ درويشٌ عزيز، مشتغلٌ بالأوراد والخلوات. ولمدّةٍ مديدة عاش في قِلّةِ منالٍ وكثرة عِيالٍ، حتى جعلَ الصّبرَ حرفتَه، والقناعةَ قِبلتَه، مثلما كانت سيرةُ الدراويش المتقدّمين،

رضي الله عنهم، إلى درجة أنّ الخانقاه الذي كان في عهدته، أخذَه منه الآخرون، ولم يراجع أحدًا ولم يدافع عن نفسه، من فرْط قناعته. والآنَ ازداد عيالُه، وليس لديهم الطّاعةُ والقناعةُ والصّبر. وأنتظرُ من رحمة ملِك الوزراء أنّه، على عادة ملاطفته للدّراويش، يزاول سلطنتَه ويسلّم خانقاه أخي گهرتاش ـ رحمه الله ـ إلى الشيخ جمال الدّين؛ لكي يتفرّغ هو وعيالُه لخدمة الحقّ وطاعته ويدعوا لكم. ودعاؤه لتلكم السّعادة والدولة أمرٌ حسَنٌ ومستجاب؛ وستكون على هذا الدّاعي مِنّةٌ عظيمة، إذ يكونُ قد فعَلَ ذلك الإحسانَ لمصلحة هذا الدّاعي، ويكونُ قلبُ الدّاعي دائمًا متطلّعًا إلى أحواله، وتستحقُّ أفعالهُ الحسنةُ وأخلاقُه أن تكون الخواطرُ متعلّقةً بمساعدته وعونه. وقد كان ملِكُ الوزراء دائمًا متفقّدًا للدراويش والمستحقّين، وتحت ظلّ شجرة مَلِك الوزراء استراح كثيرٌ من أهل الخير. والمؤمَّلُ أن يكون الشيخُ العزيزُ جمالُ الدّين شاكرًا وذاكرًا لذلك الإحسان. دمتَ ملاذًا لأهل الخير، آمين، يا ربَّ العالمين.

الرّسالة التّاسعة بعد المئة

[إلى شمس الملّة والدّين، في إظهار شكر السيّد الأجلّ لإحسانه]

[١٩٩] زاد اللهُ كلّ يومٍ مسابقَةَ الأمير الأجلّ، العالمِ العادلِ، الملَكيّ الخِلْقة، الناظرِ إلى العاقبة، الكريمِ الأخلاق، الطّاهرِ الأعراق، الحريصِ على الخيرات، الرّاغبِ إلى الحسنات، شمسِ الدولة والدّين، ضياءِ الإسلام والمسلمين ـ أدام اللهُ علوّه ووفّقه

وسدّده ـ على تقادم الأدوار، ومسارعتّه ومنافستّه ومبادرتّه(*) إلى الخيراتِ والحسناتِ وطلَبِ مرضاة ربّ السّماوات! يسّرَ اللهُ له اليسرى وجنّبه العُسرى. وأبعثُ بالسّلام والدّعاء.

سَـــلامٌ عليكُـــمْ لا ســـلامُ مـــودِّعٍ ولكـــنْ سَـــلامٌ لا يـــزال جديـــدا

يترامى إلى أسماعنا أنّ توجُّهَه إلى الله تعالى وتبتّله وفعله للخيرات تزداد كلَّ يوم، فيزداد السّرور، إلى أن وصلت المشرّفةُ العزيزة متضمّنةً أنواع المواساة واللطائف، فاستُقبلت بالروح والقلب، وعلِمْنا بالعزم المبارك؛ وإن شاء الله تعالى يوفّق إلى كلّ ما هو أجملُ وأحسنُ وأنفع أولًا وآخرا. نستجيرُ اللهَ تعالى، إنّه خيرُ هادٍ وأحسنُ مرشد.

ومعلومٌ أنّ الدّاعي لم ينس إحسانكم؛ فإنّ «شُكْرَ المنعِمِ واجب»، وأشكالُ المواساة التي قُدّمت للفقراء وأهل الخير ستكون شفيعًا لكم لدى حضرة الحقّ تعالى؛ ذلك أنّ الحقّ تعالى يعطي كلَّ عمل من أعمال الخير صورةً حسَنةً ويجعلُها مستغفِرةً وداعيةً لذلك الشخص الذي فعَلَ ذلك الخيرَ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

وإنّ السيّدَ الأجَلَّ التقيّ، الحسيبَ النّسيبَ، الموفّق إلى الخيرات ـ أدامَ الله بركته ـ شكَرَ حضرتَكم وتحدّث عن حسْن سيرتكم واجتهادكم في الخيرات والنّيات الصالحة والمقاصد الطّيبة، ونعْمَ القرينُ هو؛ فازداد سرورُنا وقدّمْنا الشّكر. جعل اللهُ ذلك في ازديادا!

* هذه الكلماتُ معطوفة على «مسابقة» في مطلع الفقرة [المترجم].

الرّسالة العاشرة بعد المئة

[إلى واحدٍ من الصدور في تخفيف غرامة
السيد فخر الدّين يوسف]

مدّ اللهُ حياةَ المجلسِ العالي الملكيّ، في اقتناءِ أسباب السّرور والاعتناءِ باكتساب الذّكر الحسَن [٢٠٠] وتيسير مقاصد الدولة على التمام، عددَ ما لا يُحصى من السّنين. وجعلَ سِلْكَ المعالي منظومًا بوفور الدّولة العالية، وصحيفةَ السّعادة مرقومةً بأرقام الفضل الإلهيّ، وأوجَ الحشمة مرتفعًا، وفوجَ النعمة مجتمعًا، والعهدَ المبارك مقرونًا بالنشاط والسّعادة.

وإنّ الدّاعي متحيّرٌ ومتفكّر جدًّا في الكيفية التي يشرح بها الاشتياقَ إلى لقاء وليّ الإنعام والأيادي، وفي اللغة التي يمهّد بها شُكْرَ تلك المواهب الجسيمة والاعتذارَ لتلك اللطائف العميمة التي فاضت عليه من الجناب الكريم، «فيا لها قصّة في شرحها طولُ».

ولكن لأنّ شَرْحَ ذلك يعجز عنه البيانُ والبنانُ، يرى أنّ كفَّ اليد عن ذلك والانشغالَ بالدّعاء للدّولة العالية أقربُ إلى الصواب. زاد اللهُ تعالى تلك الذاتَ الشريفة، التي هي طرازُ كسوةِ المعالي وزينةُ الأيّام واللّيالي، علوًّا.

وبعْدَ إيراد السّلام والدّعاء يُعرَض أنّ جماعةً من الدراويش الأعزّاء ـ الذين دعاؤهم للحضرة مستجاب ـ التمسوا من هذا الدّاعي المخلِص شفاعةً في شأن السّيّد فخر الدّين يوسف، الذي هو غريقُ نِعَم مِلِك الوزراء وعتيقُ كرمه منذ القديم. فإنّه بسبب جور الأيّام تأذى كثيرًا ولحق به ضررٌ كبير، وقد خجل من حضرتكم في شأن

الغرامة، وإنّ صدقاتِ مِلك الوزراء ومواهبَه ـ أدامَ الله علوَّه ـ تصل الآن إلى أهل الدنيا. والمؤمَّل أن يُخفَّف ما في ذمّته ويُتغاضى عنه؛ لكي تصلَ مكافأةُ ذلك الإحسان من ربّ العالمين أضعافًا مضاعفةً، وتكونَ منّةً على هذا الدّاعي، وينضمّ ذلك إلى الأفضال السابقة. والسّلام.

الرّسالة الحادية عشرة بعد المئة

[إلى سيف الدّين والي بك، في التوصية بنظام الدّين]

جعَلَ اللهُ حياةَ المجلس العالي للأمير الأجَلّ العالِمِ العادلِ، مؤسّسِ الخيرات، مقدِّم الحسنات، قامِعِ الظَّلَمَة، مُعينِ المظلومين، مربّي العلماء، محبّ الفقراء، سيفِ الدولة والدّين، الغ قتلغ [بالتركية بمعنى: العظيم المبارك]، التقيّ العالي الهمّة، والي بك أدام اللهُ علوَّه ـ قرينةَ(*) الإقبال والدولة والسّعادة والتوفيق والسّرور! كان اللهُ تعالى، في السّفَر والحضَر، موفّقًا له ومسدِّدًا وناصِرًا ومُعِينًا، بحقّ محمّد وآله.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ والثناءَ عن صدقٍ وولاءٍ ووفورِ محبّة وهوى، ويعلم أنّ الاشتياق إلى لقائه المبارك وافر. هيّأ اللهُ أسبابَ اللقاء على أيمن حال وأحسن فال.

عندما أسمعُ عن حرص ذلك العزيز على الخيرات والصّدقات والصّلوات أُظهِرُ السّرورَ [٢٠١] وأطلبُ من الحقّ تعالى مزيدَ ذلك التوفيق وأن يكون النجاحُ الكليّ

* المفعول الثاني للفعل «جعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

حاصلًا لذلك الحبيب المخلِص. زاده اللهُ يُمنًا وكرامة.

إنّ حاملَ التحيّة، الابنَ العزيزَ المخلِصَ، نظامَ الدّين ـ نظّم اللهُ أمورَه ـ شكَرَ حضرتكم ودعا لكم. وأثنى على مواساتكم ورعايتكم للمظلومين أضعافًا مضاعفة. ومعلومٌ لديكم أنّ خاطرَ الدّراويش متعلّق جدًّا بحالة نظام الدّين. وكلُّ ما هو موجودٌ لدى نظام الدّين هو فداءٌ للفقراء. ومنذ الطفولة إلى زمان الناس هذا هو ابنٌ للفقراء. وكلُّ ما يُقدَّم له يكون قد فُعل من أجل الفقراء، خصوصًا في هذا الوقت الذي صار فيه الأذى أنواعًا، ومن كلّ ناحية أُمِّل النفعُ ظهر الضّررُ وراء الضّرر؛ وبرغم هذا فإنّ لكلّ انخفاضٍ ارتفاعًا، ووراء كلّ عُسْرٍ يُسْرًا:

فـلا تحـسبَنْ أنّـا عـلى الـدهرِ ضُـيَّعٌ ... فللـدّهرِ مـن بعـد العِثـار نُهـوضُ

—

هكذا كان شأنُ العالَمِ منذ أن كان: ... راحةٌ بعد عناء، وسرورٌ بعد غمّ

لكنّه ليس لدى كلّ إنسان قدرةٌ على أن يصبرَ إلى أن ياتي الفرَجُ إليه، وهو يؤول إلى الفَرَج؛ الصعوبةُ في هذا. ولكن طوبى لذلك الإنسان الذي، مثل الأمير التقيّ العظيم والي بك ـ أدامَ الله علوَّه ـ يُساعدُ المساكينَ والجازعين ويلاطفهم، من أجل الله تعالى. أؤمّل أن تُكملوا اللّطفَ الذي بدأتموه في شأن نظام الدّين وترفعوه من هذه الحال؛ لتكون مِنَنٌ على هذا الدّاعي، ويَسُرَّ اللهُ أحبّاءكم ويُعمي أعداءكم ويجعل دولتكم في الآخرة، لكي تكونَ أميرًا في هذه الدنيا وفي تلك الآخرة.

الله الله، فهذا أوانُ رقّةٍ، ووقتُ شفقةٍ، وقد وصَلَ السّكينُ إلى العظم. في هذه السّاعة يكون الواحدُ ألفًا، ويكون الثوابُ من دون حساب، وينضمُّ إلى الإحسان

السابق ـ وفّقه اللهُ وسدَّده وأيّده وكلأه ورعاه، ومن الخير لا أخلاه. ونحن أيضًا مستعدّون للدّعاء له، وأحبّاؤنا وإخوانُنا مستعدّون للدعاء له بالخير.

فخرُ المشايخ، جُنَيدُ الزّمان، حسامُ الحقّ والدّين، يبعث إليكم بالسّلام والدّعاء، وهو مشتاقٌ إليكم. والسّلام.

الرّسالة الثانية عشرة بعد المئة

[إلى الأمير بهاء الدّين أمير السّواحل، في
طلب المساعدة لأمير العالم چلبي]

[٢٠٢] أدامَ اللهُ أيّامَ الأميرِ التقيّ العالي الهمّة، الرّوحانيّ الرّبّاني، المتقي لله، المكرِمِ للدراويش، المغيثِ للمظلومين، مختصّ الملوك والسّلاطين، ملكِ السواحل، أمينِ الرّواحل والمراحل، المتأمّلِ للعواقب، الحليمِ الكريم، «المعظّم لأمر الله، المشفِقِ على خَلْق الله»، بهاءِ الدّولة والدّين، ظهيرِ الإسلام والمسلمين ـ أدامَ الله علوَّه ـ في بَسْط[*] الخير، ورعايةِ المظلومين، وخشيةِ الله، ومجالسة خاصّة الحقّ. أولياؤُه منصورون وأعداؤُه مقهورون. والحقيقةُ أنّ وليَّنا هو عقلُنا وعدوَّنا هو نفسُنا الأمّارةُ بالسوء. ومعلومٌ أنّ الإنسان ـ في الدولة والرفعة ـ على مثال التّراب الذي تختطفه الرّيحُ وتحمله إلى الأعالي ساعةً، إذ «الدّنيا ساعة»، ثم تُنزله بحضيض الأجَل إلى الأرض. فطوبى لذلك التُّراب الذي عندما يرتفع إلى الأعلى على مركب الرّيح لا ينسى نفسَه، ويعلم أنّه ما يزال تُرابًا

* الجارّ والمجرور هنا متعلّقان بالفعل «أدامَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

لا يدَ له ولا قَدَم، وأنّ هذا الارتفاعَ وهذه الرّيح عارِيَةٌ.

شعر

فـــوقَ الـــرّيح ألقيـــتَ بنـــاءَ العمــر كلّـــه،

ومــن أيــن للبنــاء أن يكــون ثابتًــا فــوق الــرّيح؟

فطوبى لذلك التّراب الذي وهو في هذا الارتفاع يكون عارفًا نفسَه ويقول: يا ربّي، أنا عينُ التّراب، لم أخطئ في نفسي وأعلَمُ أنّك ربٌّ والارتفاعُ لك؛ وأنا في هذا الارتفاع ذليلٌ وعبدٌ لك؛ لا أُتعِبُ أيَّ عينٍ بترابي قَصْدًا. وعندما يكون كذلك، عندما ينزل هذا الترابُ عن مركب الرّيح ويغدو ماشيًا يجعله الحقُّ تعالى ممتطيًا جوادَ نوره، ويعطيه، بدلًا من مركب الرّيح، نُورَ الإرشاد، ويهمس في أذنه: إنّ قُرْطَ تلك الدولة هو ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٣].

يقرأ السّلامَ والدّعاءَ، ويعلّمُ الاشتياق. جمَعَ اللهُ بيننا، ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٩].

إنّ أميرَ العالَم، الابنَ المخلِصَ، من الدّاعين والشاكرين والذّاكرين لإحسان ذلك الفذّ. شَكَرَ كثيرًا الخدمةَ التي قدّمها ذلك المِلِكُ والإكرامَ. نرجو من جناب [القائل] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠] أن يدّخر مجازاة ذلك الإحسان ﴿ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠]. ولا شكّ في أنّ الحقّ تعالى قد خلَقَ أميرَ العالَم من أجل العبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] [٢٠٣]، لكنّه على سبيل الامتحان وقع

في العبوديّة، مثلما وقع يوسفُ الصّدّيقُ ـ عليه السلام ـ لعدّة أيّام في هذه العبوديّة وعبْدَ غير الحقّ وخدَمَ المخلوق. كان ذلك امتحانًا، ثم عاد إلى أصله وإلى خدمة الحقّ تلك، وترَكَ المخلوقاتِ فإنّ «كلّ شيء يرجع إلى أصله». ولأنّه غريبٌ وضَيفٌ لديكم لعدّة أيّام، مثل عزيز مصر، توصون به أركانكم وأعيانكم وعمّالكم ومحبّيكم خيرًا ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾[يوسف: ٢١]. والحقّ تعالى بعد عدّة قرون يحكي شكرَ عزيز مصر لهذا اللّطف الذي فعَلَه في حقّ يوسف الصّدّيق ـ عليه السّلام ـ إذ وصّى به قائلًا «أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ». ويؤمّل من مكارم أخلاق ذلك الفذّ وحُسْنِ إشفاقه وعبادته لله وملاطفتِه للدراويش أن يستعملَ السلطانَ ويبسطَ ظلّ اللّطف السّياديّ والأبويّ فوق رأس أمير العالَم، لكي يغدو في شمس القيامة ظلًّا من الرحمة فوق رأسه. دمتَ مُكْرِمًا للضعفاء.

الرّسالة الثالثة عشرة بعد المئة

[إلى الأمير مهذّب الدّين الديلمي، والـد
پروانه، طلب توظيف شمس الدّين]

جعَلَ اللهُ مداركَ الضّمير المنيرِ المقترِنِ والمنصورِ بالإلهامات الرّبانية في الصّدر المبارك للأمير الأجَلّ، العالِمِ العادلِ، المحسِنِ الأمجدِ الأسعد، مهذّبِ الدّولة والدّين ـ أدامَ الله علوّه ـ كلَّ يومٍ أصفى وأنور. وجعَلَ السّعادةَ الأبديّة المساعِدةَ، وتصاريفَ

الزمان المضاعِفةَ للسّرور، ونواصيَ أعداء الدولة، مذلَّلةً ومسخّرةً في قبضة إقباله وسعادته. وجعَلَ التوفيقَ إلى الخيرات، الذي هو أعظمُ نعمة وأسنى كرامةٍ، مدرارًا لا ينقطع من حضرة الفعّال.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ والتحيّةَ والثّناءَ من هذا الدّاعي، ويعلَمُ بأنّني مشتاقٌ إلى ذلك الوصال؛ «والحريصُ محرومٌ»، ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]. يسِّر الباريُ تعالى أسبابَ الملاقاة وأدواتِ الموافاة وقيّضها؛ إنّه وليُّ الإجابة، ودعوةُ المشتاقين مستجابة.

حاملُ الرّسالة، الابنُ العزيزُ الكافي، المعتقِدُ الفاضلُ الحسَنُ الأخلاق، شمسُ الدّين ـ دامت سعادتُه ـ من أقرباء هذا الدّاعي وأبنائه. وقد عقد نطاقَ الخدمة، ويريد أن [٢٠٤] يكون من جُملة خُدّام تلك الحضرة. وإنّ سُلطانكم وإحسانكم لم يردّا راجيًا خائبًا ومحرومًا، ولا يليقُ ذلك بأياديها وحاشَ عن ناديها. المؤمَّلُ أن يُبسَطُ عليه ظلُّ الرّحمة وإكرامِ الفقراء ورعايةِ الضّعفاء؛ لكي يفاخرَ إخوانه وأقرانَه ويباهيهم. وقد ثبت بالتجربة أنّه جَلْدٌ في الأعمال والخدمات، وهناك اختلافٌ كبير بين خدمته وخدمات الخَدَمة الآخرين. فالأمَلُ أن يغدو مقبولًا لدى ذلك القبول. و «ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء» يعود شاكرًا وذاكرًا، مثلما أنّ آلافَ المؤمّلين شاكرون وذاكرون لإحسانكم، «الخَلْقُ عيالُ الله وأحبُّ النّاس إلى الله أنفعهم لعياله»، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ويكون بذلك مِنّةٌ على الدّاعي. دمتَ محسِنًا!

الرّسالة الرّابعة عشرة بعد المئة

[إلى مُعين الدّين پراونه، توصية بإسناد عمل إلى شمس الدّين]

يسَّرَ اللهُ السّعاداتِ السّماوية والكراماتِ الرّبّانية وقيّضها للرأي العالي المزيّن للعالَم ملِكِ الأمراء والخواصّ، المخصوصِ بالقُرْب والإيناس، صاحبِ الدّولتين، وليّ السّعادتين، ناشرِ العَدْل والإحسان، ظهيرِ الملّة المحمّدية، قامعِ البِدْعة الدّنية، مؤنسِ الفقراء، مربّي العلماء، المؤيَّد بالتوفيق والتسديد ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، مُعينِ الحقّ والدولة والدّين ـ أدامَ الله علوَّه، وأيّدَه ونصَرَه وكلأه ورعاه، ومن الخير لا أخلاه، وأحسنَ آخرته وعقباه. يطالعُ السّلام والدّعاءَ الكثير من هذا الدّاعي المخلِص، ويعلَمُ أنّ الاشتياق إلى كراماته وسعاداته العزيزة ـ جعله اللهُ دائمًا من دون انقطاع محفوظًا بحفظه تعالى ومستبشِرًا ـ غالبٌ وباعث. ويسَّرَ اللهُ وهيّأ التوفيقَ إلى لقائه بالأسباب التي تُيسِّرها حضرةُ مَنْ كلُّ عسيرٍ عليه يسيرٌ، ولا يحتاج إلى البيان والتفسير. وإنّ الألطافَ والأفضالَ الملكية وحفظَ الغيب التي يتفضّل بها في مواساة هذا الضعيف، لا يستطيع قلَمٌ شرْحَها ولا تستوعبها لهجاتُ لسان. وشُكرُ ذلك ومكافأته موكولانِ ومفوّضان لحضرة خير الناصرين، ونعم المجيبُ القريبُ، القديمُ الإحسان، المعطي النِّعَم قبل استحقاقها؛ فما ظنّك به بعد استحقاقها ـ جزاه الله أفضلَ ما جزى به محسِنًا. آمين، يا ربّ العالمين.

إنّ حاملَ الرّسالة، الابنَ العزيز الكافي، الفاضلَ المعتقِدَ، الكاملَ الكفاية، شمسَ

الدّين ـ دامت سعادتُه ـ متوجِّهٌ إلى حضرتكم، وهو مُعيلٌ ومستحِقٌّ وصِفرُ اليدين، وحسَنُ الأخلاق، وكَفِيٌّ وجَلْدٌ [٢٠٥] في الخدمة. وهو يريد أن يظفر بشَرف ذلك القبول، وأن يُشرَّف بخدمة ذلك الفذّ، ويُعَدّ من جُملة خَدَمة تلك الحضرة، ويفاخر إخوانَه وأقرانَه ويباهيهم. وإنّ الكرَم الملكيّ لذلك العظيم ـ أدامَ الله علوَّه ـ متهضٌ لإنجاز حاجات المحتاجين والرّاجين. المرجوُّ أن يتفضّل عليه بإنعامٍ ملكيّ وإكرامٍ سلطانيّ؛ فيكون ذلك منّةً على هذا الدّاعي، ويُضمّ إلى الإحسانات القديمة ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]. دمتَ مغيثًا للخلائق!

الرّسالة الخامسة عشرة بعد المئة

[في الظاهر إلى معين الدّين پروانه،
توصية بطفل مظلوم اسمُه سعْدُ الدّين،
وطلب مسند القضاء لتاج الدّين]

جعَلَ اللهُ سعادةَ الدّارينِ قرينةَ زمانِ ملِكِ الأمراء وليّ الإنعام ـ أدامَ الله علوَّه . وجعلَ الإكرامَ والألطافَ ودقائقَ المواساة والإحسانَ إلى الدراويش التي يتفضّل بها مقبولةً مبرورةً لدى حضرة القائل: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧]، وعن قريب تصل ثمراتُ تلك الخيرات ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

رافعُ الرّسالة، الابنُ المخلِصُ، سَعدُ الدّين، من أقرباء هذا الدّاعي، وهو طفلٌ

مظلوم. وقد اشترى نصفَ بستانه أطفالُكم والمتعلّقون بكم. المؤمَّلُ أن يوصَّى الخَدَمةُ بأن يُنظَرَ إليه بلُطف ويُعدّ من خَدَمتكم. والآن تصلُ عنايتُكم ولُطفُكم الملكيّ إلى أهل الدنيا، وقد ادّخر الحقّ لكم ما يناسبُ ذلك الإكرامَ ويليق بذلك الإفضال من الطّيبات والخِلَع، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]. والدّاعي، حيثما كان، استعدّ لهذا الدّعاء، وهو مدينٌ بالدّعاء بالخير لذلك العزيز وشاكرٌ لإحسانه. مدينٌ، أينما ذهب ووُجد، يظلّ مدينًا ويكون قضاءُ تلك الحقوق بالدّعاء واجبًا عليه. ولي جسدٌ غيرُ ملائم أُبعِدُ عن الجناب العالي إزعاجَه، لكنّني أبعثُ لِخدمته الضميرَ والقلبَ الخفيف.

إنْ رأيتَ قلبي هناك فقلْ له: حرامٌ عليك ريحُ الوَصْل،
أنا مهجورٌ هكذا، وأنتَ دائمًا جليسُه

دمتَ مرتديًا حُلَلَ التوفيق ومغيثًا للخلائق وقرينًا لبستان الحقائق! آمين، يا ربّ العالمين.

لا تظنّ أنّني أراكَ قليلًا
أراكَ في كلّ لحظةٍ، ولكن من دون إزعاج العَيْن

[٢٠٦] ومع هذا، لأنّ عنايتكم وإكرامَكم لهذا الدّاعي قد صارا مشهورَين، يتشفّع لدى الدّاعي الإمامُ الأجلّ العالِمُ خيرُ القضاة، تاجُ الدّين أدامَ الله فضلَه ـ أن يُكرَم مرّةً أخرى، ويسلَّم إليه منصبُ القضاء؛ لأنّه لا ملجأ ولا مخلصَ لأهلِ الخيرِ اليومَ غير ذلك العظيم، أبقى الله له المعين. وسيكون ذلك مِنّةً عظيمةً على هذا الدّاعي، تُضمُّ إلى المنن السّابقة، إن شاء الله تعالى.

الرّسالة السّادسة عشرة بعد المئة

[إلى معين الدّين پروانه، طلب
إصلاح حال نظام الدّين السيّئة]

الحقُّ تعالى عليمٌ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠] ـ بأنّني في غاية الخجل بل في أكثر من الغاية، من إزعاج المكاتبات لحضرة مَلِكِ الأمراء، المشرَّفِ بالعِلْم، المزيَّن بالحِلْم، الحسَنِ الخَلْق، اللطيفِ الخُلُق، المقتدي بسيرة النبيّ، قاهرِ الشيطان الأبيّ، سراجِ القلوب، ساترِ العيوب، سائس الشاردين، ساقي الواردين، منبعِ الأدب، مُنجِحِ الأرَب، ارتياحِ الفؤاد، ينبوعِ الوداد، وليّ الإحسان، خلاصةِ نَسْل الإنسان، مُعينِ الدولة والدّين ـ أدامَ الله علوَّه، وخلّدَ في سلامة الأيّام رفعتَه، وحرَسَ من الغير دولتَه، وظاهرَ عليه إحسانَه ونِعَمَه، ومواهِبَه وقِسَمَه، وزاد فيها خوّلَه، وختمَ بالحسنى عملَه، وأعطاه من خير الدّارَين سؤلَه وأمَلَه.

أطـــالَ اللهُ عمْـــرَكَ في سُرورٍ وعـاد عليـكَ عيـدُكَ ألـفَ عـامِ
ولا زالــتْ نفـوسٌ مــن أنـاسٍ تحمّــلُ عنـكَ محـذورَ الحِمامِ

يطالعُ السّلامَ والتحيّةَ، واشتياقًا كاشتياق الحبيبِ إلى حبيبه، والعليلِ إلى طبيبه، وتوَقانًا إلى رؤيته و أخلاقه المرضية لا يمكن كتمانُه، ولا تُقاومُ أشجانُه. يسَّر الباريء تعالى اللقاءَ بأسرع الزّمان وأيمن الأحوال. ليس عندي صفةُ المرآة في اللطافة، لكنّه لديّ تمامًا وجْهُ المرآة في الوقاحة والإزعاج. وآملُ، لأنّه من أجل الله ـ جلّ جلالُه ـ خالصًا مخلّصًا، أن لا يأتي على الخاطر العزيز الشّريف ثقيلًا مزعجًا؛ وإذا ما جاء

كذلك، يسبكه [٢٠٧] بأمَلِ خفّة الرّحمة الإلهية ومجازاة الثواب غير المتناهي؛ إنّه موفّق من ربّ التوفيق.

يُعْرَض، مرّةً أخرى، حالةُ الابنِ المخلِصِ نظامِ الدّين ـ نظّم الله أموره ـ الذي ابتُلي بالاتفاقات السيّئة التي لا تستطيع العقولُ بتدبيرها أن تسْلَم من مخالبها ـ ولو كان ممكنًا بتدبير العقل الاحترازُ من الضّرر لما قال خالقُ العَقْل لسُلطان العقلاء وسُلْطان العقل: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وعندما تكون الشمسُ عاجزةً ومضطربةً في النفع والضرّ في ذلك الجناب، ماذا تقول الذرّةُ وماذا تدّعي؟

المتوقَّعُ من مكارم الأخلاق الفِطريةِ الأصيلةِ لا المستعارةِ المصطنَعةِ بل ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]، بتأثير ميراث صفة الكرَم والرّحمة والاعتماد على فضل الحقّ والتوكّل عليه، تقديمُ الخيرات الذي هو متوارثٌ للذرّيات الطّيبة من أصولها الطّاهرة ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، وأن يُمَدّ نظَرُ العناية الملِكية في شأن أحواله المضطربة المزعجة؛ لكي يكون في ذلك إحياؤه، وتكون على هذا الدّاعي مِنّةٌ عظيمة؛ لأنّ الابنَ العزيز له حقوقُ الخدمة وحقوقُ البُنوّة منذ الصّغر. أتطلّعُ إلى أن يجعله كرَمُ ذلك العظيم مستغنيًا بعد هذا عن الأشخاص الذين لا يرون الإحسانَ من أجل الله فعّالًا ﴿يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ [التوبة: ٩٨]؛ ليكونَ في بقية العمر مرفَّهًا متخلّصًا من الغرامات المتواصلة، وتحوَّلَ له الغراماتُ إلى عنايات وكرامات من

ذلك الوليّ للنِّعَم، وليَختمَ العمر بالدّعاء لكم بسعادة الدّارين مع الدّاعين الآخرين.

وقد مرّ وقتٌ على إرادة إيصال رسالة الطّلَب هذه إلى جناب منبع المكارم - لا زال قِبْلةً للآيبين - وتوقّف ذلك إلى أن ترجع الرّكابُ المباركة - صاحبتُها السّعاداتُ السّماوية - باليُمْن والسّعادة.

والحمدُ لله، صار رجوعُ ذلك العزيز مبشّرًا للقلوبِ والأشباح ومفرّحًا للعقول والأرواح.

الحمـــدُ لله عــــلى فَـــضْلِهِ قـــد رجَـــعَ الحـــقُّ إلى أهلـــه

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]

الرّسالة السابعة عشرة بعد المئة

[إلى واحد من رجال الدولة، طلب تفويض التدريس في المدرسة الكبيرة أو مشيخة الخانقاه الكبير إلى سراج الدّين]

الحمدُ لله تعالى الذي جعَلَ التوفيقَ إلى الخيرات وتوفيرَ الصّدقات وإكرامَ الدراويش وعبادةَ الله [٢٠٨] والنظرَ إلى العواقب والتفكيرَ في الخير، قرينةَ القلبِ الطّاهر لذلك الفريدِ في هذا العصر، الكريمِ المحسِن، وليّ الأيادي والإكرام - زاده الله.

يبلّغكم الدّاعي المخلِصُ السّلامَ، وهو منشغلٌ بالدّعاء لكم بالخير والكرامة والسلامة، حالةَ الصلوات والخلوات. وأنا في غاية الخجل مما تفضّلتم به من الإيثار

والصّلة والإحسان. والحقيقةُ أنّ هذا الدّاعي لم يشأ إزعاجَ أولئك الأعزّاء ـ تقبّل اللهُ منهم، وعوّضهم أضعافًا مضاعفةً من خزينته الإلهية، وجعَلَ المزيدَ والمدَدَ في الدّين والدّولة والدّنيا والآخرة لأولئك الأعزّاء ﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

ويُعْلَم كذلك أنّ الابنَ العزيزَ المخلِصَ، العالِمَ الزّاهدَ العابد، العارفَ وليّ الله، سراجَ الدّين ـ أدامَ الله بركتَه ـ في صدد أن يكون مدرّسَ المدرسة الكبيرة أو شيخ الخانقاه الكبير، لكنّ غَيْرَةَ الحقّ شغلتْه بطاعته، فانقطع عن الدنيا. ولكن لأنّ جسم الإنسان ضعيفٌ كالشجرة الضعيفة، خاصّةً أنّ ثمار العلم والمعرفة والموارد الغيبيّة تتنزّل عليه، يُخشى أن تتكسّر أفرعُ تلك الشجرة، وهي محتاجةٌ إلى دعاماتٍ لكي تظلّ قائمة. وكلُّ عبدٍ لله يظفر بالتّوفيق إلى خدمة شجرة السّعادة هذه ورعايتها بالإسناد بالدعائم ومعالجتها، يكون عبدًا مقبِلًا، وذلك الخيرُ يكون فوق الصّلاة والصّيام والحجّ والصّدَقات الأخرى؛ ذلك لأنّ الصّدقةَ كالسَّقْي بالماء. فأن تأتي بالماء إلى أرض روضٍ مليء بالأزهار خيرٌ من أن تأتي بها إلى أرضٍ شَاكةٍ، برغم أنّ الشوكَ ضروريٌّ أيضًا، لكن هناك فرق كبير. ولذلك المقامِ الكبير مصلحةٌ بإعطاء الشّيخ الأعزّ سراج الدّين ـ دامت بركتُه ـ لكي تظهرَ منّةُ ألف راحة ورحمة وقبول، ويكونَ هذا الدّاعي ممتنًا. والسّلام.

الرسالة الثامنة عشرة بعد المئة

[إلى مظفَّر الدّين أمير العالَم چلبي، في
رعاية احترام حُسام الدّين چلبي]

جعَلَ اللهُ رأسَكَ أخضرَ وشفتَك ضاحكةً على الدوام
وجعَلَ قلوبَ أهل الدنيا مسرورةً بك على الدّوام

السّرورُ الذي ليس معه عِثارٌ، والسُّكْرُ الذي ليس معه خُمارٌ، ملازمانِ للابنِ العزيز، فخرِ البنين، مظفَّرِ الدّين، أظفره الله على [٢٠٩] كلّ عدوّ من الجِنّة والنّاس، وأيّدَه وسدّدَه وأرشدَه ووفّقه لما يُحبُّ ويرضى.

يقرأ السّلامَ والتحيّة، ويعلَمُ بأنّني مشتاق، ويعلَمُ أنّ الابنَ العزيزَ الوفيّ الحَسَنَ العهد، حُسامَ الدّين، له عليّ وعليك حقٌّ كثير في الخدمة والإعانة «والبادئُ بالخير لا يكافأ». وقد سُمع أنّ ذلك الابنَ يتناقشُ معه في قول أصحابِ الأغراض ولا يحسب بعضَ الأشياء ولا يسمعُها؛ وإنّ حُسامَ الدّين أمينٌ ومعتمَدٌ وهو ابنُنا «والقولُ قولُ الأمين مع اليمين». ومن أجل قَلْبِ هذا الأبِ يُواسيه ويَعِدُه بخِلْعة ويهدّئ باله، وذلك اللّطفُ يكون قد فُعِل مع هذا الوالد. ومعلومٌ لكم أنّ حُسامَ الدّين قد شبّ في كنفنا، وهو يعرف سوءه وحُسْنَه جيّدًا. فإذا كان ظنُّكم وإذا كان قولَ إنسانٍ آخر، فعلى الأحوال جميعًا مستبعدٌ منه أن يكون قد قصّر في النصيحة والإرادة الطّيبة؛ فلا تقيسوا هذا القياسَ ولا تظنوا هذا الظنّ ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وذلك الظنّ من قبيل الظنون التي تجعلك تندم وترى الإثم.

ستعرفني إذا جرّبتَ غيري وتعلمُ أنني لَبِقٌ نَصوحُ

الله الله، أن لا يَعُدّ هذه الوصايا في شأنه من قبيل التكلّف والمبالغة، بل هذا قليلٌ من كثير وواحدٌ من الألف. وكلُّ زيادةٍ في هذه المطالبة والمناقشة مطلوبةٌ لهذا الابن ومطموعٌ بها، ما هي على الحقيقة خسارةٌ وضرر، لكي يكون معروفًا. وهذا مِثْلُ ما قيل من أنّ الملِكَ أعطى لمقاتلٍ جُرِحَ جوادُه جوادًا خاصًّا كان خيرَ خيول الاصطبل، فركب المقاتلُ هذا الجواد. وعلى حين غِرّة جُرِحَ أيضًا الجوادُ الثاني. فما كان من الملِك إلّا أن قال: واأسفاه. وفي الحال نزَلَ المقاتلُ عن الجواد، وبرغم أنّ الملِك قدّم له جوادًا آخر رفضَ قبولَه وقال: أنا لم أضنّ بروحي العزيز في نُصرة إرادتك ولم أقل: واأسفاه؛ وأنتَ من أجل دابّةٍ أعطيتَني إيّاها قلتَ واأسفاه؟ سأذهبُ لخدمة مِلِك يعلم قدْرَ روحي، وأحملُ هذا الجوهرَ إلى خبير بالجواهر. وأمّا الدعاءُ لكم بالخير والسّعادةِ واستقامة الأمور وحصول ذلك من حيث لا تتوقعون ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٣]، فذاك علينا، والإجابةُ من الله، والغوثُ والعون بلا كيفٍ ولا كيفيّة حوالينا.

رضيتُ بما قسَمَ اللهُ لي وفوّضتُ أمري إلى خالقي
لقدْ أحسنَ اللهُ فيما مضى كذلك يُحسِنُ فيما بقي

---

[٢١٠] كلُّ شدّةٍ عليكَ هي من غُرورك
وإلّا فإنّ حياةَ المتساهِلِ تمضي سهلةً

خفّفوا يخفّف اللهُ عليكم. والسّلام. وإذا لم أسمع من حسام الدّين شُكْرَكم فسأتألّم ألمًا عظيمًا.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

الرسالة التاسعة عشرة بعد المئة

[إلى تاج الدّين معتزّ، في شكر إحسانه،
والتوصية بشمس الدّين]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]. أدام اللهُ قلبَ الدولة الجديدة وروحَ الإقبال الضاحك للمساعي المباركة والاهتمامات الملكية للصاحِبِ الأعظم، الدستورِ المكرّم، المشهورِ في الآفاق، وليّ الأيادي والإشفاق، المحمّديّ الأخلاق، العابدِ الربّانيّ، العالي الهمّة، الوافرِ الرّحمة، تاجِ الملّة والدّين، الحسيبِ النّسيب، الأصيلِ الجميل ـ أدامَ الله علوَّه . وعلى مرّ الأيّام وتقادم الأعوام تكون أمدادُ التّوفيق في ازدياد وتضاعف، والأولياءُ والأحبابُ مسرورون ـ بحقّ محمّد وآله، أهلِ الهدى والنّور.

يُبعَث بالسّلام والتحية والثناء على التجديد، والاشتياقُ إلى اللّقاء المبارك لا حدّ له. يسّرَ جامعُ الشّتاتِ وسامعُ الأصواتِ أسبابَ اللّقاء بأسرع زمن وأيمن وقت. وجعَلَ العوارضَ التي امتحنتِ الذّاتَ المباركة، سببًا للدّرجات ووسيلةً للنجاة، ومستجلِبةً للثواب الأيّوبيّ والخلاص اليعقوبيّ.

حاملُ التحية، الخادمُ القديمُ ورضيعُ لِبانِ نعمتكم، الابنُ العزيزُ المقبِلُ المعتقِدُ شمسُ الدّين ـ دامت سعادتُه ـ توجّه مرّةً أخرى إلى كعبة الآمال ومعْدِن الأفضال ومحطّ رحال الرّجال، وقد استعدّ لتلك الخدمة.

والمشْرَبُ العذْبُ كثيرُ الزّحام

وإنّ الصّاحبَ الأعظمَ هو من ذلك الأصل الذي عندما يعود الخُدّامُ إلى حضرته حين لا يجدون ملاذًا آخر يردّدون «الرّجوعُ إلى الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطل»؛ وهم يعفون عمّا مضى، ويبدؤون تاريخَ الإشفاق على المرؤوسين من جديد؛ والصّاحبُ الأعظم من ذلك الأصل:

[٢١١] وحقٌّ على ابنِ الصّقر أن يُشبِهَ الصّقرا

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٦]. المتوقَّعُ من الإكرامِ الوافرِ، المجموعِ من المكتسَبِ والموروث، أن يبذلَ مرّةً أخرى ظلَّ المرحمة ونظرَ العاطفة في شأن هذا الرّاجي ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٥].

إن كان لا يرجوكَ إلّا مُحْسِنٌ فبِمَنْ يلوذُ ويستجيرُ المجرِمُ

فعلتُ ذلك من جهلٍ، مثلما يليقُ بي

وأنتَ كريمٌ، فافعلْ ما يليقُ بالكريم

وفّقكَ الله دائمًا إلى الخيراتِ والحسنات والأعمال الصّالحات وما يرضى به ربّ السّماوات. آمين، يا ربّ العالمين.

أنواعُ الإحسانِ التي قُدّمت وتُقدَّم لا يقدرُ على شكْرِها تحريرُ قلَمٍ وبيانُ لسان، ولا تُتصوَّر مكافأتُها إلّا من حضرة مَنْ ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢]،

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]. جعَلَ الباريُ تعالى مكافأةَ ذلك الفريد من تلك الأنوار التي ادّخرها في الخزانة التي لا نهاية لها من أجل المقبولين لديه! ﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

الرّسالة العشرون والمئة

[إلى معين الدّين پروانه (مجد الدولة والدّين) في التوصية بتاج المدرّسين مجد الملّة والدّين]

طلَعَ صبحُ السّعادةِ على الدّنيا ووصَلَ مُلْكُ سليمانَ إلى سليمان

-

أنتَ الأميرُ وإنْ لم تؤتَ منشورا فالأمرُ دونكَ إنْ لم تؤتمنْ شورى

أمدادُ البركاتِ والكراماتِ والعصمةِ الإلهيّة والتوفيقِ والتأييدِ الذي لا ينتهي، مفيّضةٌ لمرام الصّدر الكبير المعظّم سيّدِ الوزراء، آصِفِ الزمان، نظامِ المُلْك، معدِنِ العَدْل والإنصاف، شريفِ النّعوت [٢١٢] والأوصاف، العالِمِ العادلِ المحسِن، مؤنسِ الفقراء، مربّي العلماء، صاحبِ الدولتين، مجْدِ الدولة والدّين، علاءِ الإسلام والمسلمين، أبِ الملوك والسّلاطين، علَمِ الهدى واليقين ـ أدامَ الله علوَّه وإقبالَه، وحقّق مرجوَّه وآمالَه، ولا زال السّعدُ له ناصرًا وعين الكمال عن جلاله قاصرًا [كذا]. كلأه الله ورعاه، ومن الخير لا أخلاه، وأتمّ مكارمَ دينِهِ ودنياه.

يُطالعُ السّلامَ والتحيّة من هذا الدّاعي المخلِصِ المشتاق، ويعلمُ أنّ الاشتياق إلى

اللقاء المبارك والمشاهدةِ السعيدة، التي هي هلالُ عيد المحتاجين والمظلومين وشمعُ جَمْع الفاضلين، غالبٌ ومحرّض. جمَعَ اللهُ بيننا أكرمَ جَمْع في أيمن ساعةٍ يمتدّ إلى الأبد، اجتماعًا في الله ولله، فإنّه لا ينقطع. قال الله تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]، يعني الذين تخاللوا وجالس بعضُهم بعضًا وتآخوا لله تعالى، كالمهاجرين تآخوا مع الأنصار، فتلك الصّحبةُ لا تنقطعُ لا في الدّنيا ولا في الآخرة؛ لأنّ سببَها لا ينقطعُ، فتدوم بدوام سببها. قال النبيُّ عليه السّلام: «كلُّ نسَبٍ وسببٍ ينقطع إلّا نسبي وسببي؛ أي سببٌ وضعتُه أنا، ونسبٌ وأخوّة وضعتُها أنا، بإذن الله لا تنقطع. الصّاحبانِ في الله يُعين أحدُهما صاحبَهُ على الخيرات غَيبةً بخياله، وحضورًا بمقاله. فإذا خرجا من الدّنيا تلاقى روحاهما، فكلّم أحدُهما صاحبَه بلسان الرّوح، كما يتكلّم الرّوحُ في المنام، بل وأظهر. لأنّه في النوم يتجرّد الروحُ الشريفُ عن الجسمِ الكثيفِ الناسي الثقيلِ الجماديّة المظْلِم، فيقول الرّوحُ لروح صاحبه: نِعْمَ الأخُ والصّاحبُ لي أنتَ في الدنيا والآخرة .. إلى آخر ما يقولان. «والعاقلُ تكفيه الإشارةُ، وحفنةٌ تكفي لتعريف البيدر».

حاملُ التّحيّة، الابنُ المخلِصُ، الإمامُ الفاضلُ المتفنّن، الحسيبُ النسيب، تاجُ المدرّسين، مجدُ الملّة والدّين ـ أدامَ الله فضلَه وأيّده بروح منه ـ ولا حاجة إلى تعريفه لحضرتكم، لأنّ النظر العالي مطّلعٌ على ضمائر الغرباء «اتّقوا فِراسةَ المؤمن فإنّه ينظر بنور الله، خاصّةً أحوالَ حبيبه وخليله ومُحِبّه والدّاعي له ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكلماتُه في لَحْنه تدلّ على خصاله الشّريفة الكريمة ـ زاده اللهُ قربًا إليكم،

ولا فرّق بينكم ظاهرًا وباطنًا ـ كان متوجهًا(*) إلى حضرتكم. وقد جاء بهذه المباركة معه، جعلها اللهُ مستجابةً ومستدامةً على مرّ الأيّام. آمين، يا ربّ العالمين. ولأنّ حاملَ الرّسالة من المخلصين القدماء لتلك الحضرة ومن أهل البيت، يُكتفى بهذا المختصر المكتوب؛ والباقي يُعرض على الحضرة مشافهةً. والسّلام.

الرّسالة الحادية والعشرون والمئة

[إلى مجد الدّين في زمان وزارته في
التوصية بصَدر الدّين بن حُسام الدّين]

[٢١٣] جعَلَ اللهُ دائمًا أيّامَ مِلِكِ الوزراء، آصِفِ الزمان، نظامِ المُلْك، الدستورِ الأعظم، أبِ الملوك والسلاطين، ناشرِ العَدْل والفضل والإحسان، مجدِ الدّولة والدّين، علاءِ الإسلام والمسلمين، مغيثِ المظلومين، قامعِ البُغاة والمتمرّدين ـ أدامَ الله علوّه ـ مستغرَقةً(**) ومصروفةً بالخيراتِ والحسنات و«تعظيمِ أمر الله، والشّفقةِ على خلق الله» والحبِّ لله والبغضِ لله والإعطاءِ لله والمنعِ لله والإخلاص لله. أولياءُ تلك الدّولة وذلك الإقبالِ منصورون، وأعداءُ الحضرة مقهورون. والله ـ جلّ جلالُه ـ صاحبٌ وحافظٌ ومرشِدٌ ومسدِّدٌ وغفورٌ وشكور في الأفعال والأحوال كلّها وفي الحضر والسّفَر ـ بحقّ محمّدٍ وآله.

---

* هذه الجملة في موقع الخبر لـ «حامل» في مطلع الفقرة [المترجم].

** المفعول الثاني للفعل «جعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

يطالعُ السّلامَ والخِدمة، ولا يملّ من تكثير المراسلات من أجل حوائج الخَلْق فإنّ

المشْرَبَ العذب كثيرُ الزحام

جعلَهُ اللهُ دائمًا وأبدًا المشارَ إليه بالبَنان في اللّطفِ والإحسان والإجمال وكعبةَ الرّكبان والرُّجّال.

إنّ حاملَ التحيّة، الابنَ المخلِصَ المتفنّن، صدْرَ الدّين - شرحَ اللهُ صدرَه - ابنَ سيّدِ المشايخ جُنَيدِ الزمان، أبي يزيد الوقت، أمينِ القلوب، شمسِ الحقائق، حُسامِ الحقّ والدّين - أدام الله بركتَه ومتّع المسلمين بطول بقائه - متوجّهٌ إلى حضرتكم. والأمَلُ من اللّطف الميسور والكرَم المشهور لملِك الوزراء، على عادته في ملاطفة الدراويش ووفقًا لعنصره الشريف الظريف، أن تُقدِّم المعاونةُ الملكيّة والملاطفةُ السّياديّة إلى الابن صدر الدّين - شرَحَ الله صدرَه - لكي يحصلَ الدّعاءُ والشكرُ من صميم القلب والرّوح، ويكونَ على هذا الدّاعي المخلِصِ امتنانٌ كبير، فإنّه لهذا الدّاعي في هذه المدينة ضياءٌ ومؤنسٌ في اللّيل والنهار ومزيلٌ للغمّ وقريبٌ وقبيلة. الأمَلُ أن يعود من الحضرة شاكرًا وذاكرًا، لكي يحصل الثناءُ الجميلُ والثوابُ الجزيل والمجازاة والمكافأة ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[البقرة: ٢٦١]. ولا يوضَعُ هذا الإحسانُ إلى جانب أنواع الإحسان الأُخَر ولا يُعَدّ مثلَ أنواع الرعاية الأُخَر وأنواع إكرامات الدراويش الأُخَر «شتّانَ بين محمّد وجَدَنْدَلٍ»؛ ذلك لأنّه من نوادر أسرارِ الله في الأرض، أن يأتي في كلّ خمس مئة عامٍ واحدٌ من أمثال هذا العبد. ولا بدّ من اغتنام مثل هذا الخاطر. «إذا أحببتُ عبدًا كنتُ له سَمْعًا وبصرًا ولسانًا حتّى بي يسمع، وبي يبصر،

وبي ينطق، وبي يبطش»، ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت: ١٨]. دامتِ الفِراسةُ الطّيبةُ لملِكِ الوزراء المؤيَّدةُ بتأييد «المؤمنُ ينظر بنور الله»، المدرِكةُ لحقائق الحِكم [٢١٤] السّماوية ودقائقها وحدائقها. ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[البقرة: ٢٦٩].

الرّسالة الثّانية والعشرون والمئة

[إلى أكمل الدّين الطبيب،
في التوصية بأمير العالم چلبي]

أدامَ اللهُ جواهرَ بحر المعرفة نثارَ الروح السّبّاح السّيّاحِ لملِكِ الحكماء، افتخارِ الأطبّاء، جالينوسَ الفضل، أفلاطونَ التدبير، نادرةِ الزّمان، طالبِ الرّحمن، أكملِ الحقّ والدّين ـ أدامَ الله علوَّه، وجعَلَه في مهيعِ ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧] مهتديًا وسابقًا وسائقًا، وبالمرادات والغنائم والأرباح الروحانية لاحقًا ـ بمحمّد وآله.

يُبلِّغ السّلامَ والدّعاءَ؛ وحفظُ الغَيْب والألطافُ التي يتفضّلُ بها تباعًا تصل إلى هذا الدّاعي ـ جزاه اللهُ خيرَ ما جزى به محسِنًا:

كلُّ مَنْ يذكرُنا بالخير ... جعلَ اللهُ ذِكْرَه في الدّنيا بالخير

من ديوانِ «من جاء بالحسنة له [كذا]، من ذكرَني في نفسه ذكرتُه في نفسي، ومن ذكرَني في ماله ذكرتُه في مالي، ومن ذكرَني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منه؛ أنا الدّيّانُ أجزي

بالحسنة وأعفو عن السيّئة». كلُّ بذرةٍ طاهرةٍ يزرعها وكلُّ فسيلةِ خيرٍ يغرسُها جعلها اللهُ مستكمَلَةً ومثمرةً ومستوية. برغم أنّني خجلٌ من تواتر الإزعاجات لتلك الذات الحسَنة الصفات التي تجاوزت الحدّ، ولكنْ: المَشْرَبُ العذبُ كثيرُ الزّحام، وحاتِمٌ أولى بالبَذْلِ والإكرام.

يُعْرَض أنّ الابنَ العزيز، أميرَ العالَمِ ـ أسعده اللهُ ـ ينتظر من لطفكم أن تُقترَح عنايةٌ ومعونةٌ في شأن معيشته على حضرة ملِكِ الأمراء، نظامِ مُلْك العَدْل، آصِفِ الكفاية، افتخارِ الأيامن، ناشرِ الإحسان، شريفِ الأفكار، زكيّ الأسرار، الكبير العالي الهمة، العابدِ، معاذِ العالَمِ، پروانه بك ـ أدامَ الله علوَّه وجعَلَ عقباه خيرًا من أولاه، وآخرتَه خيرًا من دنياه. وتُعرض من هذا الدّاعي أنواعُ الشّكر والعُذْر التي يعرفها؛ برغم أنّ ذلك عصيٌّ على العَرْض، «وما لا يُدرَك كلُّه لا يُترك كلُّه». المنتظَرُ أن تُنجز مهمّةُ أمير العالَمِ بسعيكم المبارك وبيَدِ [٢١٥] ملِكِ الأمراء السخيّة المتلطّفة بالدراويش، صاحبِ السّعادتين، مَكينِ الدولتين ـ أدامَ الله علوَّه ـ فقد صار ذا عيالٍ وكثر إنفاقُه؛ وذلك لكي يتلو الدّعاءَ لتلك الدولة بفراغ بال، في الخلوات والصّلوات. «الخَلْقُ عيال الله فأفضلُهم أنفعُهم لعياله».

لم يكــن فريــدونُ المبــارَك مَلَكًــا لم يكـن مجبـولًا مـن المِسْك والعنـبر
وببذْلِــه أدركَ ذلــك الجــال فابـذْل أنــتَ بذْلَـه تكـنْ فريـدون

«السّخاءُ شجرةٌ في الجنّة أغصانُها متدلّيةٌ في الدّنيا، فمن استمسك بغُصْنٍ من أغصانها رفعَه إلى الجنّة».

فــأدِّ زكــاةَ الجــاهِ واعلَــمْ بأنّهــا كمِثْـلِ زكــاةِ المــالِ تــمّ نــصابُها

وبرغم أنّ الإحسانَ شعارٌ لأولئك الموالي، والإكرامَ دثارٌ، وهم غير محتاجين إلى الوصية،

ولكنْ رأيتُ السّيفَ من بعْدِ شحْذِهِ إلى الهزّ محتاجًا وإن كان ماضيا

هذه هي السُّنّةُ «في الحركات بركاتٌ»، ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٥].

نُذكَّرُ بالرّقاعِ إذا نُسينا ونكتبُ حين يمطُلُنا الكِرامُ

فإنّ الأمّ لم تُرضِعْ غلامًا على الإشفاق مُذْ سكتَ الغلامُ

ولهذا قال ربُّنا تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥]، ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ [الأنعام: ٤٣]. دمتَ محسِنًا.

الرسالة الثالثة والعشرون والمئة

[إلى شمس الدّين گنجني(؟)
في التوصية بتاج الدّين ريخته گر]

أدامَ اللهُ سعادةَ الدّارَين وإقبالَهما نِثارًا لزمان الأميرِ المحسنِ المنعِمِ المُكرِم، الحسَنِ السّيرة، الطّاهرِ الاعتقاد [٢١٦]، المفكّرِ بالخير، المحترفِ للإحسان، المجيرِ للفقراء، المعينِ للمظلومين، عزيزِ الملوك والسّلاطين، شمسِ الدّين - أدامَ الله علوَّه وأحسنَ عاقبته وأيّدَه بروحٍ منه، وزاد توفيقَه إلى الخيرات، التي هي خيرُ السّعادات، وأسمى

الكرامات.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ من هذا الدّاعي المخلِص، ويعلَمُ بشديد الاشتياق، «سلامُ من غاب شخصُه وحضَرَ ذِكْرُه».

أسلّمُ عليكَ لأنّكَ في الضمير
وإذا كنتَ غائبًا عن العين، فأنتَ في القلب حاضر

يسِّر البارئُ تبارك وتعالى، الجامعُ للشّتات والسّامعُ للأصوات والقاضي للحاجات، أسبابَ اللّقاء على أحسنِ الحال وأكرم الآن؛ إنّه وليُّ الإجابة.

يُعلَمُ أنّ حاملَ التحيّة، السّيّدَ العزيزَ المنعِمَ المكرِم، تاجَ الدّين، فخْرَ التجّار، رِيخته گر ـ أدامَ الله علوّه وصانه عن مكاره الزمان ـ يأتي إليكم بأدوات نحاسية. فإذا كانت مرغوبةً لدى حضرات أولئك الملوك ـ أدامَ الله علوَّهم وأيّدَهم ونصَرَهم في الدّارَين ـ واشتُريت، فالمؤمَّلُ أن يُعجّل في إيصال أثمانها ولا يُتأخّر. تَسْعَون السعيَ الجميلَ وتُظهرون الكرمَ واللّطفَ من أجل أن يصل إليه ثمنُها سريعًا من دون تأخير، لكي يعود بمراده ويدعو لتلك الدولة.

ومن هنا، الأبناءُ جميعًا يسلّمون عليكم ويسألون عنكم. أبناؤكم الأعزّاء يقرؤون عليكم السّلام، ويُعلِمون بالاشتياق ـ اللهُ يجمع بينَنا ويرفع البُعْدَ عن بيننا ويجعلُنا ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. جمعنا اللهُ وإيّاكم على موائد الخلد خالدين ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

اجتهدْ من أجلِ أنّه عندما يُسرِعُ الأجَلُ
تصل رائحةُ روحِك إلى ناحيته

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧]،«الدّنيا مزرعةُ الآخرة». كلُّ من يتكاسَلُ ويضعفُ إبّانَ الزّرع، يندَم إبّانَ البيدر والحصاد، ولا تفيدُ الندامة عندئذ. والآن إذ الأمورُ بيدكَ، لا تتوانَ واغتنم؛ فإنّ كلَّ نَفَس من أنفاسك كنزٌ وكيمياء، فاصرفه في ذكْرِ الحقّ وطاعته على قدر المستطاع، ولا تقنط ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]. زادَكَ اللهُ كلَّ يومٍ ضياءً وسعادةً وتوفيقًا.

الرّسالة الرّابعة والعشرون والمئة

[إلى علَم الدّين قيصر، رسالة مودّة وموعظة]

[٢١٧] أدامَ اللهُ حياةَ الابنِ المخلِصِ المعتقِدِ الحسَنِ السّيرة، النّقيّ السريرة، فخرِ الأولاد، علَمِ الدّين ـ دامتْ سعادتُه وأيّدَه بروحٍ منه ـ في سرور وانشراحِ صدرٍ وتوفيقٍ إلى الطّاعة وإلى الصراط المستقيم، وبسطَ ظلَّ الفضل الإلهيّ على أحواله في الدّارين!

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ من هذا الدّاعي، ويعلَمُ بالاشتياق. هيّأ البارئ تعالى أسبابَ الملاقاة وشرائطَ الموافاة على أحسنِ الحال وأيمَنِ الفال. علاماتُ قبول الطّاعات أن تستتبعَ الطّاعاتِ الأخرى وتجتذبَ الحرصَ على الخيرات على التّالي ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾

[آل عمران: ١٣٣].

قبْـلَ أن يأخـذَ الأجَـلُ الموهـوبَ

لا بدّ من أن تُعطيَ كلَّ عطيةٍ جـديرة بالعطـاء

الدّنيا سوقٌ حاميةٌ للخيرات ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم ﴾ [الصف: ١٠]. وفي سوق الدنيا، أيُّ تجارةٍ من أجلِ سوق الآخرة لا ندامةَ فيها. السّوقُ حاميةٌ. ومن لا يشتري متاعَ الخير نادمٌ، ومن يشتري نادمٌ، [قائلًا] لماذا لم أشترِ أكثر.

في الـدّنيا حسناءُ فاتنةٌ ونحنُ متفرّغون

وفي القَـدَحِ جرعـةٌ ونحـنُ صـاحون

ومـن الآن فـصاعدًا، سـنظلّ ممسكين بالحبيب

ومن الآن فصاعدًا، ستظلّ حَلْقةُ الحبيب في أُذُنِنا

هيّـا انهـضْ لنُزيـلَ عنّـا الحيـاءَ والخجـل

فـإنّ ريـحَ هـذه الأرض غـدّارةٌ

نكـرّ ونفـرّ، نُغـيرُ وننكفـئ

إنّ للـنّفس الزنجيِّـةِ المـزاجِ سُـوقًا

والسّلام عليكم.

سَـلامٌ عـلى أهـلِ نـاديكمُ ومَـنْ حـلّ يومًـا بـواديكمُ

آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة الخامسة والعشرون والمئة

[إلى سوباشي بك، في إجابة
رسالته، وشكر إحسانه]

[٢١٨] «خيرُ الناسِ من ينفعُ الناسَ»، كلامٌ مكتوبٌ على ناصية إقبال الأميرِ الأجَلّ الكبير، العالِمِ العادلِ المؤيّد، المنصورِ المجاهد، فلانِ الدّين، ناصرِ الهدى واليقين، ناشرِ الخيرات في العالمين، مربّي العلماء، مؤنسِ الفقراء، قامعِ البُغاة، زعيمِ الجيوش والغزاة، نصيرِ المجاهدين، عضُدِ الملوكِ والسلاطين، المباركِ الكبير البطلِ الأعظم، سوباشي بك ـ أدامَ الله علوَّه، وكتَبَ على قلْبكم المقدَّس المطهَّر الموفّق ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وجعلكم موسومينَ بذلك. وهو يعلمُ حقًّا أنّ دولةَ الدّنيا هذه آلةُ صيدٍ للآخرة. ويجتهدُ ويظفرُ بصيدِ الخيرات ليلًا ونهارًا نفسًا ومالًا مخلِصًا في ذلك لوجه الله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] من أجل أنّه عندما يؤخَذ منه المنصِبُ والمالُ، اللذان هما آلةُ الصّيد، لا يتحسّر عليه قائلًا ذهَبَ الفَخُّ ولم أظفر بالصّيد. ولا شكّ في أنّ الطّاعة هي خيرُ الأشياء، لكنّ ما سيظفر به عوضًا عن الطّاعة خيرٌ من الطّاعة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩]. أعطِ الشَّبَهَ(*) تظفرْ بالدُّرّ؛ وأعطِ الفاني تأخذِ الباقي؛ وأعطِ الميتَ تأخذِ الحيَّ. الحمدُ لله أنّ العنايةَ الالهية العظمى قرينةٌ لذلك الفريد في

* النّحاسُ الأصفر.

العالَمَ. زادَها اللهُ دومًا! الناطقون يدْعون لكم، والصّامتون يدعون لكم: «يقول المالُ: كنتُ فانيًا فأبقيتَني، وكنتُ ضائعًا فأدّيتَني». وصلَتِ المشرّفةُ [الرّسالةُ من العِلْية] الشّريفةُ، والإحسانُ الذي تفضّلتُم به مناسبٌ جدًّا للوقت. جعلَه الله مقبولًا ومبرورًا،آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة السّادسة والعشرون والمئة

[إلى جلال الدّين قرطاي أو مستوفي، في طلب تسليم خانقاه ضياء الدّين إلى حسام الدّين]

صرَفَ اللهُ قدومَ الأميرِ الأجلّ وإقدامَه وقَدَمَه ونَفَسه المبارك، هذا الصدرُ الكبيرُ، العالِمُ العادلُ، المتّقي لله، المفكّرُ في المآل، العالي الهمّة، الشّاملُ الرّحمة، صاحبُ الألقاب الشريفة العالية، طالبُ الأوصاف الباقية الدّائمة ـ وحقًّا لديه لقَبٌ حسَنٌ هو أنّه يُلحّ على اللّقَبِ الباقي ويخجلُ من اللّقب الفاني ـ الأخُ الأعزّ، فلان في المهالك، المستوفي وذو الفضل المستوفى ـ أدامَ اللهُ فضلَه وعلوّه ـ دائمًا [٢١٩] ليلًا(*) ونهارًا، في الخيراتِ والباقياتِ الصّالحاتِ المباركاتِ الطّيبات؛ لكي تظلّ آثارُ تلك الخيرات وثمراتُها ونتائجُها إلى أبد الآبدين تطوفُ حولَ روحه الطّاهر خادمةً، قائلةً: أيّها الروحُ الطّاهر، طُفتَ حولَنا بقَدَمكَ في تلك

* الكلامُ بدءًا من هنا متعلّق بالفعل «صرَفَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

الصّورة وكنتَ طالبًا لنا، وسنؤدّي نحن في هذه الصّورة إلى الأبَد حقّ ذلك.

يطالعُ السّلامَ والدّعاءَ من صحيفة ورَقنا، بل من صحيفة قلبنا الصّافي، التي هي محلّ كتابةِ ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وإنّ التقصير الذي يحصل في رسوم الزيارة يعلَمُ عالمُ الأسرار أنّه ليس ناشئًا عن نسيانٍ وكسَلٍ، ولم تُنس الحقوقُ السّابقة ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

وفي هذا الوقت فإنّ خانقاه ضياء الدّين الوزير ـ رحمه الله ـ مفوَّضٌ إلى الشيخ الأجَلّ الكبير، أمينِ القلوب، جُنَيدِ الزمان، وليّ الله، حُسامِ الحقّ والدّين ـ أدامَ الله بركتَه ـ ومعلومٌ أنّ الخانقاه وأبنيةَ الخير التي تُبنى في الدّنيا إنّما تُبنى من أجل أنّ عبدَ الحقّ لا عبد الدّقّ، ورفيقَ الخاصّة لا رفيق القصعة، وعاشقَ الوصال لا عاشق المال، والدّرويشَ القويّ لا الدّرويش الآكل للخبز، يمرّ يومًا مصادفةً لحسن الحظّ بهذا البناء، فيطمع بأن يقيم فيه. والآنَ عَلِم هذا الدّاعي بأنّ ضياءَ الدّين المرحوم قبِلتْ نيّتُه في أن فُوّض هذا المشروعُ الخيريّ إلى مثل هذا العبد، وهناك حيث يكون روحُه يعلَمُ ربُّ الأرواح كم هو مسرورٌ بهذا، ولو كان يعلَمُ لوضَعَ في موضع كلّ لبنةٍ لبنةً من ذَهَب. والآنَ فإنّ بعضًا من قِصار النظر يتحكّمون في ذلك المكان، ولا يرضون بحكم ضياء الدّين؛ لأنّه لا طاقةَ لديهم على التعامل مع حكمه. والمؤمَّلُ أنّه عندما يطالع الحُكْمَ يكفُّ أيديَهم عن ذلك الرجل من رجال الحقّ أخوّةً ومحبّةً. ذلك لأنّ هؤلاء المزوِّرين كانوا خاضعين لأهل التزوير. نسألُ الله أن يتحقّق ما يرضى به قلبُه ويُسَرّ. وهذا الدّاعي ضامنٌ أنّ ضياءَ الدّين وربَّ ضياء الدّين سيرضيان عن هذا. لتكونَ من ذلك مِنّةٌ على هذا الدّاعي وعلى جماعة الأصحاب. ويؤخَذُ من حضرة سُلْطان الوقت ـ

عظّم اللهُ دولتَه ـ حُكمٌ وفقَ هذا المقتضى. ويكون ثوابُ هذا كلّه لكم ويُضمّ إلى المِنَن السّابقة، ويكون ذخيرةً ليوم الجزاء ـ إن شاء اللهُ تعالى.

الرّسالة السابعة والعشرون والمئة

[في الظاهر إلى القاضي سراج الدّين
شكرٌ وإظهارٌ للمودّة]

شرَحَ اللهُ صدْرَ مولانا، قاضي القُضاة الذي استحقّ الصّدْريّة بشَرْح الصّدْر وإشاعة الفَضْل [٢٢٠] والخير، العالِمِ الفاضلِ العادلِ المتّقي، البارعِ الوَرِعِ، منبعِ الحكمة، قامعِ البدعة، محيي السُّنّة ـ أدامَ الله علوَّه وفضلَه وأتمّ مرادَه، وقضى حوائجه، وأحسنَ عاقبتَه، وأكرمَ في الدّارين منزلتَه ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم: ١٥].

يَقبلُ السّلامَ والاحترامَ من هذا الدّاعي. والله إنّني دائمًا مشتاقٌ لزيارة حضرتكم والاستفادة منها، لكنّ أعذارَ هذا الدّاعي معلومةٌ لدى مولانا «ويقلّبها كيف يشاء» ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾ [الطارق: ٤]، ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا ﴾ [مريم: ٦٤]. لكن حقًّا، على هذا التلاقي والفراق، القلبُ ليس خاليًا من محبّته، واللّسانُ ليس خاليًا من ذِكْره، والعينُ ليست خاليةً من خياله المبارك. وحقوقُ النِّعَمِ التي وصلت قبلَ هذه، من العنايات والألطاف السّيادية، لا تُنسى أبدًا.

جَعَلَ البارئُ تعالى ثوابَ ذلك وأجرَهُ ومكافأته من أوفر الأعواض والأجور، ويزيد من لدنه فضلًا عظيمًا.

الرّسالة الثامنة والعشرون والمئة

[كُتبت إلى سيدة في طلب الشفاء لها من مرض]

صحّةُ فلانةٍ، الحسنةِ الأخلاق، الملَكيّة الصّفات، الحيّةِ القلب، المشرقةِ الضمير، فخرِ العُبّاد، زَيْنِ الزّهّاد، العارفة لله، النّاظرة إلى العاقبة، المعينة للفقراء ـ أدامَ الله عصمتَها وزاد كرامتَها ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠]، أسألُ الحقّ ـ جلّ جلالُه ـ أن يُرسِل من صيدليةِ اللّطفِ الدّائم ومن خزينة كرَمه الإلهيّ الذي لا نهاية له إلى تلك الفريدة العزيزة شَرْبةَ شفاءٍ ودواءٍ لصحّة الجسد والقلْب والدّين؛ ذلك لأنّ وجودَها العزيز مؤنسٌ للفقراء وملجأ للدراويش وإرشادٌ لسالكي الطّريق الصحيح بالنصيحة والموعظة والعون. فقد سعت بالنّفَس والقدَم وما كان في وسعها دائمًا في الخيرات والطّيبات والصّلَوات والخلَوات والمناجاة. في حضرة من لا يَضيعُ عنده نَفَسٌ، لا يُنسى مثقالُ ذرّة عند جنابه أبدًا، ويجعلُ ذرّة الحسناتِ جبَلًا، وجبلَ التقصير ذرّةً، إذ يقول: جئتُ بالخلائق من العدَم إلى الوجود وأعطيتُهم العمرَ والعقلَ والأسباب، ولم أُعطِهم لكي أنتفع منهم في تجارة الأعمال الصالحة والأعمال غير الصّالحة وزراعتها؛ ذلك لأنّني منزّهٌ عن الانتفاع؛ بل خلقتُهم من أجل أن ينتفعوا منّي

ويظفروا بالسّيادة ويحصلوا على السّعادة الأبدية. والحمدُ لله أنّ هذه المعاني قد ظهرت [٢٢١] لتلك السيّدة الفريدة، ووقفتْ أمامَ عينيها عِيانًا من دون حجاب. وما هو عند الآخرين تقليدٌ وظنٌّ من دولة الآخرة، هو عندها تحقيقٌ ويقين. لكنّه عندما تُبلى السّرائرُ وتعُرَضُ البضاعةُ على الله، يأتي ذلك إليها في صورة أحسن.

وإنّ سببَ عدم كتابة الرّسالة لكم معلومٌ؛ ذلك لأنّ المقادير كلّها بيد الله، ومن دون إذن حضرة الحقّ لا يكون حتّى نفَسٌ ممكنًا. وإنّ مثالَ الخَلْق في بحر التقدير مثالُ السّفن المضطربة، مسخّرةٌ بيد الرّيح، متحيّرة. تصرخُ أنتَ: أيّتها السفينةُ، امضِ في هذه الوجهة؛ فتجيب السفينةُ بلسان الحال: أنا محكومةٌ بحُكْم ريح البحر، تأتي من جهة اليسار أو من جهة اليمين، أو من جهة الأمام أو من جهة الخلف. وإذا أنتَ لم تصدّق بعجزك فانظر إلى آلاف الأمور التي تجري على عَكْس مرادك. فمِنْ نافذة عجزك انظرْ إلى عَجْزِ العالم كلّه. ومن نافذةِ أنواع العجز انظر إلى القادر على الإطلاق. ذلك لأنّ المِلِكَ يجذبُ الزّمام كلَّ لحظةٍ لكي يفهم الجوادُ أنّ على متْنِه فارسًا وضَعَ زمامَ العجز على رأسه. دمتِ يقِظةً وصحيحةَ الجسم وصحيحة النظر.

الرّسالة التاسعة والعشرون والمئة

[إلى أحد السلاطين، رسالةُ
مودّة متضمّنة نكات عرفانية]

يُقرأُ السّلامُ والدّعاءُ والشكرُ والثناء، ويُعْلَم بأنّ الاشتياق غالبٌ، ويُقبل الاعتذارُ، فلو أنّ عِنانَ الاختيار ليس بيد التقدير الإلهيّ لجئنا لزيارة جنابكم؛ لكنّ

سُفَنَ المراداتِ في خضمّ البحر أسيرةٌ للرّيح، والبيادرَ في وسط الصحراء تنتظر الرّياح.

لـــو أنّ محـــوّلَ أحـــوالِ العبـــادِ لـــيس الله
لما كانت مجاري الأحوال على خلاف الأهواء
بـلى، إنّ الله هـو الجـاذبُ لعِنـانِ خـير النّـاسِ وشرّهـم
ولهـذا الـسبب فـإنّ تـدابير الخَلْـق كلّهـا خطـأ

تدور الأمورُ مثلما يصرِّف ريحَ التقدير السّماويّ؛ فليس في أيدينا إلّا آهاتُ الاشتياق وزفراتُ المحبّة. والوصالُ والفراق بحكم المَلِك الخلّاق، وهذه المعاني وهذا الرَّتْقُ والفَتْقُ والكَوْنُ والفسادُ خفيّةٌ على أغلب الخَلْق. يرون أحوالَهم ولا يرون محوِّل أحوالهم. يرونَ [٢٢٢] ما خالفَ مرادَهم، ولا يرون مَنْ يجعلهم لا يدركون مرادَهم. ليتَهم مرّةً واحدةً يظنّون ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ [المطفّفين: ٤]. وبحَمْدِ الله فإنّ الرّائحةَ الطيّبة لهذا العِلْم وأثرَ هذا الاعتقاد يأتيان من ناحية حضرة العظيم العالي الهمّة الملَكيّ الأخلاق. وليس لديّ وصفٌ أصفُ به ذلك المِلِكَ النّيرَ القلب، المنوّرَ الروح، الحليمَ الكريم، فخْرَ الملوك والسّلاطين ـ أدامَ الله علوَّه ـ فقد استُعملت الألقابُ في الوضيع والرّفيع في الرّسائل والمخاطبات، هذا برغم أنّ البحر لا يُستعمل حقيقةً في الشخص، مثلما يقول القائل:

إنّ لُطفَكَ هو عِذلُ السُّكّر، وهو محلٌّ لطَعْنِ الخصوم من الـذُّباب
فمتى يخفـضُ ذلـك الـذّبابُ قيمـةَ عِـدْل الـسُّكّر؟

تمسَّكَ بمحلّ ذلك الإقبال القديم وبعتبة بابه. الله الله، قوّةٌ مُحكمةٌ، تُمسِك بإحكام، وليس في مقدور أحدٍ إبطالُ هذه القوّة. وكلُّ من تمسَّك بهذه القوّة، أُمسِكَ بيده، ورُفع

إلى الأعلى، وجُعِل مُعينًا للعالم كلّه. بارك الله همّتَكَ وباركَ نظَرَك لأنّك في هذا العالَم المليء بالإزعاج وفي هذا البحر لم تُسْلِم نفسَك إلى كلّ أمواج الهوى والهوس، بل أمسكتَ بسفينةِ نُوح وتعلّقتَ بها بإحكام. زادك اللهُ دائمًا قوّةً على قوة، وتوفيقًا على توفيق، ومددًا على مدد، ورحمةً على رحمة. وهذا الدّعاءُ فرْضٌ علينا عَقِبَ كلّ صلاة من الصّلوات الخمس، بل إنّ عملَنا تجاوزَ الخَمْسَ والسّتّ.

مـــرورُكَ بإنـــسانِ عينـــي ضرورةٌ   وخَـبَرُك بحركـة هـذا القلـب ضَرورة

المأمولُ أن تُخبرَ؛ لأنّك طالبٌ لذلك الخبر. ذلك المطلوبُ لا يُرجِعُ أيَّ طالب محرومًا ـ تعالى وتقدّس. وإذا لم تُفهَم كلماتُنا فإنّ تَمامَ ترجمانها العشقُ؛ وإذا لم يُعلَمْ ضميرُنا فإنّ غَمّازَه الدّالُّ عليه الوجهُ الأصفرُ والدّمعُ؛ ولكنّ ذلك الدّمعَ لا يُظهَر لكلّ عين خشيةَ الحسد، وذلك الشّراب لا يُسقى لكلّ رأس.

أحـــرّمُ الكـــلامَ مـــع النّـــاس   وعندما يـأتي حـديثُك أُطيـلُ الكـلام

يطيلُ الإنسانُ الكلامَ لأنّ مقصودَه يعزّ إظهارُه باللّسان؛ وأيُّ لسانٍ وفمٍ يستوعب ذلك الكلامَ الذي لا تتسع له لا الأرضُ ولا السّماءُ «ما وسِعَني سمائي ولا أرضي».

في وقتٍ من الأوقات وجدَ عزيزٌ شجرةً، رأى أفرعًا وأوراقًا عجيبة، ورأى فاكهةً عجيبة. كلُّ من سألَهم من البستانيّين عن نوع هذه الشجرة ونوع هذه الفاكهة، لم يعرفوا هذه الشجرةَ ولم يعلموا اسمَها ولا جنسها. قال: إذا كنتُ لا أعرف هذه الشجرة فإنّني أعرفُ أنّني ما دمتُ أنظرُ إلى هذه الشجرة يظلّ قلبي وروحي نَضِرَيْنِ مشرقَيْنِ، فهيّا لأجلسْ في ظلّ هذه الشجرة.

[٢٢٣] ماذا أقولُ، وماذا أكتب؟ ـ سأقتصر على الدّعاء، والدّعاءُ أيضًا ليس له نهاية؛ ذلك لأنّ الدّعاءَ هو طلَبُ الرّحمة؛ ولأنّ رحماتِه مختلفةٌ، متعدّدةُ الألوان، جاذبةٌ للقلب، يثير ذلك اللّطفُ في كلّ لحظةٍ دعاءً جديدًا من صميم الروح. الدّعاءُ لا يتوقّف، والدّاعون لا يتوقّفون. ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢]. والإنسانُ الذي يسمع صوتَ ذلك المنتهى الذي لا منتهى له ويستقرُّ في روحه كالفَصّ في وسط الخاتَم، يكون مِثْلَ المِلك سائلًا وباحثًا ومقدّمًا للنّثار ـ ضاعف اللهُ التوفيقَ، إنّه كريم مجيب. ويقرأ ضميرُه المشرقُ الملكيّ الباقيّ غيرَ المكتوب ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن: ١ - ٢].

جعلَه اللهُ سفَرًا مباركًا، وجعَلَ العودةَ من السّفَر أكثر بركةً ونفعًا، ويسّر مُراداتِ القلب ورغباتِه الكثيرة. وما ترجونه يحصُل من دون مِنّة الخَلْق، بفضل الحقّ؛ ويحصلُ ما لا ترجونه ولم يمرّ بخاطركم ولم تره عينٌ ولم تسمع به أذنٌ ولم يصل إليه أيّ مخلوق وفهمُه.

وصَـــلَ القلَـــمُ إلى هنـــا فانكـــسرَ رأســـه

وَوصـــلَ الطـــيرُ إلى هنـــا، فانكـــسرَ جناحـــه

ما دامت لنا معرفةٌ بك، فإنّ معرفةَ الآخرين صارت حقيرةً في نظرنا؛ وما دمنا نرى لطفَك ووفاءك، فقد صارت ألطافُ الأحبّة الآخرين ووفاؤهم كاسدةً عندنا، وما دام اعتقادُكم ويقينكم يعطي نورًا، فإنّ اعتقادات الآخرين هَوسٌ ولعِب. تلك الفضيلةُ التي أعطاها اللهُ بشارةٌ لكم ستكتمل ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ

ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾ [الطلاق: ٣].

وصلتِ المشرّفاتُ [الرّسائل] العزيزةُ وقُرئت وحدَثَ الشّكرُ، وعوملتْ معاملةَ التعاويذ والرُّقى. برغم أنّه قبْلَ ذلك كانت الرّسائل غيرُ المكتوبة تصل، وتُنقَل الرّسائل عن أحوالكم المباركة حالةً حالةً؛ لأنّه «من القلب إلى القلب رَوْزَنةٌ». يجعل الحقُّ تعالى سببًا سريعًا للّقاء؛ إنّه كريمٌ لطيفٌ، لقاء لا ينقطعُ أبدَ الآبدين من إكرامه ـ تبارك وتعالى.

الرّسالة الثّلاثون والمئة

[إلى حُسام الدّين چلبي، طلب قبول
دعوة أحد خاصّةِ الأصحاب]

سَــلامٌ لاحَ كالبَــدْرِ الـسّنيّ ... سَــلامٌ فــاحَ كــالوَرْد الطّــريّ

[٢٢٤] سَــلامٌ رقّ نــشْرًا كــالخُزامى ... سَــلامٌ طــابَ كالرُّطَــبِ الجنِــيّ

الحقُّ تعالى علّامُ الغيوب أُشهده، برغم أنّني أعلمُ بوَعْد ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٨] أنّه من دون إشهادي يشهد عل كلّ شيءٍ في وقته، خاصةً في الأُذن المليئة بالنّورِ لذلك السّميعِ اللّطيفِ اليقظِ الذكيّ الكامِلِ العِلْم، الكامل العمل في أقواله وأفعاله وأحواله، السّامع اللامع، المضيءِ المشْرِق، الحليمِ الكريمِ، الشّريفِ الظريف، الحاضرِ الناظر، الأبَدِيّ الأحَدِيّ، الذي هو ابني وأبي معًا، نوري وبصَري معًا، منظوري ونظري معًا، حُسامِ الحقّ والدّين ـ أدامَ الله بركتَه ومتّع العالمين بطول

عمره وعلوّ أمره ـ آنني(*) صباحًا ومساءً من دون انقطاع أبعثُ بالسّلام والتحية وعَرْض الاشتياق إلى الرؤية بيَدِ النَّسيم والصّبا.

بـــاللهِ الـــذي عِـــزُّه مـــن عظَمَتِـــهِ لا يتّـــسعُ لـــه ســـقفُ الـــسّماء،
إنّ إشـــــاراتِ الاشـــــتياق لا يتّـــسع لهـــا بيـــانُ البنـــان

لكنّ مركَّبَ الجسم هذا المليءَ بالعِلَل، يكون حينًا مريضًا وحينًا حزينًا، حينًا نَمِرًا وحينًا حمارًا أعرج، لا يمشي وفقًا لمراد القلب أبدًا. حينًا جَمَلًا قصيرَ القوائم وحينًا جوادًا سريعًا، حينًا قِبلةً وحينًا دِبْرةً. لا يموتُ، ولا يقبل الصحّة. وأريدُ أن أبعث بالسّلام على الدّوام، وأبدي العذرَ الذي يتجدّد؛ ولكنْ طمعًا في أن أظفر بالفرصة وبسبب طبعي العاجز، آتي بنفسي ليلًا وفجرًا، وأحضِرُ سِلعةَ سلامي بنفسي.

ومـــا غَلُظَـــت رقـــابُ الأسْـــدِ حتّـــى بأنفُـــسِها تولّـــت ماعناهـــا

وبحمدِ الله تعالى فإنّه في المجيء وفي السّلام، بسبب آفة الأيّام وغَيرة ربّ الأنام، يحصلُ مدّةُ تأخيرٍ، وليس هناك تمهيدٌ لعُذرٍ يحرّف الحالَ. وإنّ ضميرَه المنير مطّلعٌ من وراء التقليد ومن وراء الاستدلال؛ ذلك لأنّ اتصالَ الأرواح وامتزاجَها واتّحادها واختلاطها، الذي هو من دون كَيْف ومن دون شكل، وراء أشكال الاتصال. ونحن واثقون، من فضل الحقّ تعالى، بأنّ سيفَ الموت، القاطعَ لكلّ الأسباب، لن يقطع ذلك الاتصالَ ولن تُبليه ظُلمة اللّحد بفضل الأحَد، ولن يُخرّبه طوفانُ القيامة، فقد لقّبها خالقُ الأسماء والألقاب [فقال]: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: ٤٦].

---

* متعلّق بقوله «أُشهِدُ» في مطلع الرّسالة [المترجم].

في هذه الأيّام تسمعون بأنّ مُخلصًا كان يدعو؛ وبرغم أنّ ذلك العزيزَ يفرّ من حضور الدّعوات، رقّةً ولطفَ مزاجٍ، لكنّني ما كنتُ أريد أن يكون من دون حضوره المبارك «لا صلاةَ إلّا بحضور القلب».

[٢٢٥] أنا عبدٌ لذلك الذي هو جميلٌ من دونِ وجودِنا
قرينٌ لغمّ ذلك الذي هو وحدَه جميل
يقال: أيّةُ لذّةٍ في وفائه؟
لا عِلْمَ لي بذلك، إنّ جفاءه جميل

أيُّ محلّ للجفاء في ذلك الذي هو معْدِنُ الصّفاء والوفاء، الذي كان يفي ما دامت القوّة موجودةً في بدنه وجسمه، وظلّ يعاونُ هذا الضعيفَ ليلًا ونهارًا. واليومَ، إذ وهَنَ العظمُ منه واستقوى روحُه المبارك على هذه الصّفة التي يقول فيها القائل:

إنّه فصلٌ غدا مباركًا مِثْلَ وصْلِ الحبيب
ومن موتِ الجسَد، أضاء مصباحُ القلب

وإنّه بتأييد روحِ القُدُس، تصلُ مساعدتُهُ لهذا الضعيف ومعاونتُه وألطافُ معاونته. «شكرُ المنعم واجب».

كنتُ أصطنعُ المعاذيرَ والتّعِلّاتِ لصاحب الدّعوة، وأقولُ: غدًا وبعْدَ غدٍ، على أمل القدوم المبارك؛ ابتغاءَ أن يحصلَ السرورُ بحضور صورتكم المباركة وتكونَ تلك الدعوةُ سائغةً بحضوركم وتبسّمكم الحُلْو العذب. فلم يكن هناك نصيبٌ، وعندما كثرت المعاذيرُ والتّعلّات انكسر قلبُ ذلك الحبيب واتُّهِمت المعاذير.

وعندما طالَ الأمرُ، كان لا بدّ من أن نقنع بالخيال اللّطيف الظّريف الشّريف

لذلك العزيز.

رَضينا ببعضِ العيش إنْ عزّ كلُّه ... ومَنْ لم يجدْ ماءً طَهورًا تيمّما

إنّ صورتكم خيالٌ لتلك الحقيقة العظيمة. وقد قنعنا نحن بخيال ذلك الخيال، أبقى اللهُ هذا الخيالَ أبدًا دائمًا. وقد كُتبت هذه الكلماتُ القليلةُ التي لا قلبَ لها ولا يد، وليست صاحيةً ولا ثمِلة. ولا حاجةَ إلى الاعتذار؛ لأنّه لديّ في ضميره المبارك شخصٌ حاضرٌ هناك من دون واسطةٍ يعتذر لي، وهو أفضلُ منّي وأفصحُ وأصدقُ وأقلُّ اتهامًا.

اللهُ يجمعُ بيننا وراءَ الجَمْع جَمْعًا من عنده، فعنده وراءَ كلّ جمعٍ جَمْعٌ أعلى من الأوّل وأسنى وأحلى إلى ما لا نهاية له ولا غاية. آمين، يا ربّ العالمين. ولولا آفةُ الإزعاج وخوفُ الإملال لكتبتُ في وَصْف أحوالِ القلب المذاب كالهلال؛ فلتقرأ غيرَ المكتوب بتأييد ونُورِ سُبحاتِ وجه ذي الجلال، فكن قارئًا أبدًا.

الرّسالة الحادية والثلاثون والمئة

[إلى حُسام الدّين چلبي، رسالة عرفان ومودّة]

[٢٢٦] يُعْرَض على حضرةِ مولاي المعلّى والمتّصلِ بروحي وقلبي، أنّه البارحةَ ثنى ضعْفُ الجسد عِنانَ العَزْم عن المقصود. كان العزْم منعقدًا ومؤكّدًا ولكن

... ... تجري الرّياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ

ومعلومٌ أنّ ناصية كلّ مخلوق في قبضة الخالق ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾[هود: ٥٦]. وفي قبضة قدرته أيضًا عِنانُ الشّمسِ، وكذلك عِنانُ كلّ ذرّة يمكن أن يكون وفقًا لمجاري الإرادة. واليومَ أيضًا أثرُ ذلك الضّعف ما زال موجودًا. لكنّه في مزاجِ المودّة وجوهرِ المحبّةِ والاتحادِ والتعلّقِ والاندماجِ بتلك الذات الشّريفة الظريفة اللطيفة ـ لا زال ممتَّعًا بالكرامات السّماوية والعطايا الإلهية ـ لم يكن هناك بحمد الله أيُّ فتورٍ وضعف، ولن يكون؛ لأنّه عندما يكون الدّماغُ والحقيقةُ محروسَيْنِ من الآفات، فإنّ كلّ ضعفٍ يصيب الظّاهرَ يعود إلى الصّحة من شعاع الدّماغ وقوّته. لا سمَحَ اللهُ بأن يدخل خلَلٌ في صميم حقيقة الدّاعي وضميره، الذي هو منزلُ محبّة ذلك المحبوب؛ وبعد ذلك لا أريدُ الحياةَ ولا أقبلُ الدّنيا.

المقــــصودُ مــــنَ العـــالَمِ آدَمُ والمقــصودُ مــن آدمَ ذلــك الــنَّفَس

المقصودُ من الجسم أن يكون قِوامًا للرّوح؛ والمقصودُ من الرّوح انتظامُ الجوارح والحواسّ؛ والمقصودُ من الجوارح والحواسّ كمالُ القلب؛ والمقصودُ من القلب مودّةُ ذلك المخلِص ـ مدّ اللهُ علوّه وضاعفَ سعادتَه ومتّع العالمين بطول بقائه وبارك في أنفاسه. وما أُوصي به من إخفاء الأخبار عن كلّ مَنْ يمكن إخفاؤها عنه، أرى هذا الإخفاءَ لا زمًا. أمّا عن ذلك الشخص المطّلع على شؤوني، فإنّ المكابرةَ معه إغراءٌ له بزيادة الإظهار، إذ يجدّ في الإظهار؛ أي: اعلَمْ بأنّني مطّلعٌ، اعلَمْ أنّ إخفاءك عنّي غير ممكن. ويظنّ أنّه إذا تساهل سيثبت عليه الجهلُ، وأنّه ضُحِك عليه، وأُخفي عنه. وأغلبُ الخَلْق يساومون في الأمور ليس من أجل العُملة المزيّفة، بل من أجل أن لا يُغلَبوا، ولا يُغبنوا في العقل والذّكاء. وهذا أيضًا شُحُّ نَفْسٍ وليس لديهم عِلْمٌ؛ ذلك

لأنّ العقلَ شيء آخر، وإذا لم تتخلَّ عن هذا العقلِ والذّكاء، فلن يظهر ذلك العقلُ. ومادمتَ لستَ جاهلًا في هذا فستكونُ جاهلًا في ذلك. وهذا معلومٌ للرأي العالي. والآن فإنّ هذا كافٍ للاعتذار. ومعَكم، أقلُّ من هذا كافٍ أيضًا؛ فإنّ لديّ في ضميركم شخصًا يعتذرُ، من الدّاخل، أحسنَ منّي. وكلُّ من لديه، في داخل الحبيب، مقيمٌ ومراقبٌ يعتذر له، لا يفيدُه العذرُ الخارجيّ. دمتَ محسِنًا.

الرّسالة الثّانية والثّلاثون والمئة

[إلى الصّاحب الأعظم (؟)في الشكوى
من أهل الزمان ومن الصوفية المرائينَ]

[٢٢٧] اكتملَ فراغُ القلب، وذهبَ القلقُ، وتجدّد اجتماعُ الخاطر بألطاف مِلكِ الوزراء ـ عظّم اللهُ ألقابه ـ الذي قال إنّ اهتمامي وعنايتي معكم؛ فأفرِغوا القلوبَ من مَكْرِ الأعداء وحسَدهم. وغدا واجبًا الدّعاءُ لدولة الدستور الأعظم بلسانٍ آخر وبتضرّعٍ آخر في الخلوات والصلوات. وما أُظهِرَ من أنّ الدّاعي ليس مقيمًا هناك، برغم الملازمة الشديدة التي قام بها الدّاعي في هذه المدّة، فقد كنتُ في أغلب الأيّام من الضحى حتى المساء مراقبًا هناك، وفي وقت صلاة العصر أيضًا كنتُ أخرج، هو أيضًا من حسَدِ نفرٍ من عُبّاد بطونهم، الذين لا عِلْمَ لديهم بلذّة الحقّ ويَعدّون الجميعَ مثْلَهم ولذلك ينظرون بحقد. وتلك الملازمةُ التي قمتُ بها في هذه المدّة يُسألُ عنها الشيوخُ الذين كانوا في ذلك المقام قَبْلي: إن كانوا فعلوا نصفَ ذلك أو رُبْعَه. ولكن لأنّه كان

بعضُهم من جنس بعضٍ، لم يكن شيء من هذا الكلام. وبرغم هذا كلّه فالدّاعي نفسُه ملازمٌ؛ لأنّه ليس لديّ في الدّنيا أيُّ عمل وشاغل؛ وشاغلي معي ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[الحديد: ٤]، دكّاني معي، وفي كلّ يوم أؤدي الصّلواتِ الخمس كلّها جماعة وعشرين وِرْدًا آخر، وكذلك يرون أنّهم لا يكفّون عن المماطلة والتعلّل ويدبّرون المكايد والمصائد؛ لكي تعلموا أنّ مقصودهم شيءٌ آخر. يريدون منهم أن يعبدوهم، وعِبادُ الحقّ لا يستطيعون عبادتّهم ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الكهف: ١٠٢].أولئك الجهَلةُ يريدون أن يخدعوا عبادي، وأن يلوّثوهم بصُحبتهم. فكيف يخدعونهم؟ فقد خدعتُهم بسلطان الأبد(*) . وإذا كنتُ أميلُ في مقامٍ إلى ناحية اجتماع أهل الصلاح، فذلك لكي يجتمعَ رفاقُ الخير ويكونَ بعضُهم مددًا لبعض.

مـــا أجمـــلَ مـــا قـــال الأذكيـــاء: الطّريـقُ للمنـزلِ، والرّفـاقُ للطريـق

وكلّما عظُم الطّريقُ ازدادت الحاجةُ إلى كثرة عدد الرفيق. مثلما أنّ طريق الحجّ أعظمُ وأصعبُ فكان لا بدّ من قافلة كبيرة ورفاقٍ كثيرين وأميرٍ للحَجّ. وهكذا حتّى بيتِ الله مثلُ هذا الطّريق ومِثْلُ هؤلاء الرّفاق، حتّى حضرةِ الله؛ لأنّ هناك حجبًا كثيرة وصحراء وجبالًا وقطّاعَ طريق. فكيف يلزمُ الرفاقُ وكلُّ رسولٍ له تعاملٌ مع الحقّ؟. قيل: لا، امضِ واطلبِ الأصحابَ والرّفاق، دَعِ الخلوة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدثر: ١ - ٢]، ومن أجل ذلك كان يَفتحُ الحصونَ ويحاصرُ مكة، لا من أجل المُلْك.

* من منتهى الآية إلى هنا شرحٌ من مولانا لمدلول الآية بضمير المتكلم للحقّ سبحانه [المترجم].

ومهما يكن فإنّ مُلك السّماء أكثرُ من مُلك [٢٢٨] الأرض. وقد عُرض عليه مرّاتٍ كثيرة: اقبَلْ، فلم ينظر﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[النجم: ١٧]. هناك فرقٌ بين إنسانٍ يطلب بقعةً وزاويةً طمعًا بلُقمة الخبز، اليومَ يُحمل إلى السّقاية وغدًا إلى القبر، وبين إنسانٍ يطلب بقعةً لكي يجتمع فيها أهلُ الخير، ويقطعوا طريقَ الآخرة بقوّة بعضهم بعضًا، ويتخلّوا عن الخبز والرّوح. ولولا خشيةُ ملالِ الخاطر لشرحتُ هذا. وهذا القدرُ أيضًا كُتب اعتمادًا على كمالِ الاعتقاد النقيّ لدى الصاحب الأعظم ومَيْلِه ورغبته وشوقِه إلى أحوال أهل الحقّ. دمتَ مُعينًا ومربّيًا لأهل الحقّ. آمين، يا ربَّ العالمين.

الرّسالة الثالثة والثلاثون والمئة

[في الظاهر إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء في أثناء أتابكيّته، في موضوع زواجه من حرم شمس الدّين يوتاش]

جعَلَ اللهُ الرّحمةَ والفضلَ والعنايةَ الرّبانية قرينةً لعهد مِلِكِ الأمراء والخواصّ، الأتابكِ الأعظم، أبِ الملوك والسّلاطين، مغيث الإسلام والمسلمين ـ أدامَ الله علوَّه . وجعَلَ سراجَ الهداية وشَمْعَ الرّشاد رفيقَ فِكَره وتدابيره المباركة؛ لتكون كلُّ فِكَره وتدابيره محمودةَ العواقب مسعودةَ الخواتيم.

يتقبَّلُ السّلامَ والاحترامَ من هذا الدّاعي المخلِص، ويقبلُ الاعتذار عن الإضجار. وإنْ شاء اللهُ ستصلُ ثمارُ كلّ سَعيٍ وتبجيلٍ يقوم به عن قريب إلى دولته، لا مقطوعةً ولا ممنوعة.

وإنّ الدّاعي قبْلَ أن يكون الركابُ الميمونُ قد وصَلَ من السّفر إلى انكورية (أنقرة)، سَمعَ أنّ مِلِك الأمراء قد عقد مصاهرةً وقرابةً واتصالًا بحَرَم المرحوم شمس الدّين يوتاش، تغمّده الله برحمته. وقد سُررتُ بهذا النّبأ، فإنّهم أبناءُ الدّاعي، وقد كان نسَبُهم وأصلُهم الملوكَ العادلين - رحمهم الله - «والأصْلُ لا يخطئ». والحمدُ لله، هم على تلك الصّفات الطيبة المحبوبة التي يرتضيها مِلِكُ الأمراء ويحبُّها؛ وفي العفاف والطّهارة والتقوى وعلوّ الهمّة والوفاء والسّمعة الطيبة والعقل والزهد، يعزّ وصفُهم. وكلّ من يتحدّثُ بخلاف ذلك حسدًا، عليه دِيةٌ حقًّا، والبحرُ لا يتلوّث بلسان الكلْب. ولكنّ الحسودَ لا يتخلّى عن نفسه، ولو تخلّى عن نفسه لما نال من الأنبياء الأطهار. بل طعنوا في الأنبياء ونسبوا إليهم أشياءَ كانوا بعيدين عنها. ومن يبصق على السّماء [٢٢٩] لا ينزل بُصاقُه إلّا على وجهه. فلا شكّ في أنهم قد محوا أنفسَهم من الوجود وأحرقوا سرّهم. ولو اقتصر الأمرُ على الأنبياء لكان سهلًا، فقد بلغ حسَدُهم أن افتروا على الخالق ذي الجلال أشياءَ لكي يُسيء محبّو الله وعبادُه الظنَّ بخالقهم. وأولئك الحسّادُ نوعان: الأوّل أناسٌ ظاهرون من أبناء آدم تخرجُ النارُ من أفواههم. وأناسٌ آخرون متوارون، شرُّهم ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤ - ٥]، يُلقون في القلب فِكَرًا لكي يسيء أحبّةُ الدّين بعضُهم الظنَّ ببعض، بَعُدَ ذلك عن الرأي العالي لمِلِك الأمراء. فقد سألتُ الله، بالإلهام الملكيّ والعناية الملكية، نهارًا وليلًا، أن يكون حافظًا لقلب مِلِكِ الأمراء وخاطره وعينه وأُذنه، ذلك المنشغل بالخير المنمّي للطاعة، لكي يكون في أمانٍ من كلّ الوساوس والآفات

الخارجية والدّاخلية ـ إن شاء الله تعالى.

وعندما سمعتُ أنّ هذه المصاهرة المباركة تأخّرت، انزعجتُ؛ إذ يقول المصطفى صلّى الله عليه وسلّم: «الخيرُ لا يؤخَّر»؛ فإنّ في التأخير آفات. وإنّ مَلِكَ المشايخ والأبدال، البارعَ الورِعَ التّقيّ، مفخرَ الزّهّاد والعُبّاد، جُنَيدَ الزمان، حُسامَ الملّة والدّين ـ أدامَ الله بركته ـ يأتي إلى جنابكم للتحقّق من هذا الخبر. وقد شاء الدّاعي المجيء معه، ولكن لأنّ مَلِكَ الأمراء قال للدّاعي مرّاتٍ من فَرْط تواضعه وتديّنه: لا أريد أن تُتعب نفسَك، وإذا كان هناك أمرٌ ادعُني، وليس في وسعي أيضًا الوصولُ إلى هذا الحدّ، أوضحتُ في مناسبات كثيرة لحضرته أنّ كلَّ ما يقولُه مَلِكُ المشايخ حُسامُ الدّين، هو قولي، وكلَّ ما يفعلُه هو فعلي، لا فرق بيننا. كلُّ مَنْ رآه يكون قد رآني؛ وكلُّ من جلَس معه يكون قد جلس معي؛ وكلُّ من نال منه أو أعزَّه أو أحسَن إليه، حقيقةً حقيقةً، يكون قد فعَلَ ذلك معي. وإذا استمع مَلِكُ الأمراء بسَمْع القبول إشاراتِه المباركة في كلّ شأن وعَدّ ذلك خيرًا في الأوّل والآخِر وسببًا لسعادة الدّارَيْن، فإنّ ذلك يكون من حساب الصدقات، ومن حساب الصّلوات والمناجاة؛ إذ يقول المصطفى صلّى الله عليه وسلّم: «من خدَمَ عبدًا من عباد الله يومًا فكأنّما عبَدَ اللهَ سنةً». ابتغاء أن يكونَ ذلك سببًا لمزيد سعادة الدّارين وحصول الأماني فيهما، ويكون مَلِكُ الأمراء قد عَدّنا صادقين وناصحين له وحسَني الاعتقاد. دمتَ مؤيّدًا بنور التوفيق. آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة الرّابعة والثّلاثون والمئة

[إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء،
في التوصية بقوام الدّين من عشيرة
حسام الدّين،وقد أصابه بعض الضّرر]

[٢٣٠] جعَلَ اللهُ العنايةَ السّماويّةَ واللّطفَ الربّاني نثارَ الأتابكِ الأعظم، عمدةِ السّلطنة، عمادِ المملكة، أبِ الملوك والسلاطين، ناشرِ العَدْل في العالمين، ملاذِ المظلومين، مربّي الفقراء والمساكين، فخرِ الدولة والدّين ـ أدامَ الله علوّه وأكرمَه في الدّارَيْن، وجَعَلَ السّعادةَ والإقبال مُلازمين لحضرته المباركة في كلّ حال. وجعل أحبّاءَ دولته مسرورين، والمبغضين لدِينه ودنياه مقهورين، بحقّ محمّد وآله.

يطالعُ السّلامَ والاحترامَ والدّعاءَ ويعلّمُ الاشتياق. وإنّ سبب التقصير معلومٌ لكم؛ فإنّ التقدير الرّباني حاكمٌ لآمالنا ورغائبنا، ونحن محكومون لهذا التقدير. والاختلافُ يتمثّل في أنّ بعض المحكومين لا يَعدّون أنفسَهم محكومين، برغم أنّهم يقولون بألسنتهم: إنّنا محكومون. الطّائرُ الذي يعلم أنّه محكوم وأسيرٌ لِفَخّ الحُكْم، تكون أحوالُ ذلك الطائر في ذلك الفخّ ظاهرةً لطيور الجوّ، التي من دون خوفٍ وعجزٍ تكون محلّقةً بحُرّيّة: يُجعَل في قفص أو يُحمَلُ إلى مكان. الطائرُ الأسيرُ لا يقول أبدًا إلى أين أذهب وإلى أين أطير بل يقول إلى أين أُحمل؟ ـ أكرم البارئ تعالى، الحاكمُ المطلقُ لطيور أرواح البشر، الأحبةَ باليقظة لهذا الفخّ وبالتوفيق. إنّه رؤوف بالعباد.

تُعْرَضُ أحوالُ الابنِ العزيز الجليل، الحسيبِ النسيبِ، الفاضلِ الكافي الطاهرِ الاعتقاد، قِوامِ الدّين ـ حصّل اللهُ مرادَه ـ فإنّه من المحتاجين والمخلصين لملِك الأمراء،

ومنذ أن كان، كان شاكرًا وذاكرًا لكرَمكم. وقبل أن يصل إلينا ركابُكم الميمون كان الابنُ قِوامُ الدّين دائمًا يشكركم ويُثني على أخلاقكم من أعماق قلبه وروحه. وقد كان لديه كلّيةُ الرجاء والاعتماد، بعد فضلِ الله تعالى، على رحمةِ مِلِك الأمراء - زِيدَ علوًّا - وعاطفتِه ورعايتِه للمظلومين. وفي هذا الوقت قُطعت إقطاعتُه، ولكنّه غيرُ مغتّم، لأنّه برغم أنّ ذلك البابَ قد أُغلق، يظلّ بابُ إحسان مِلِك الأمراء ومرحمتِه وعنايتِه مفتوحًا دائمًا للمحتاجين والمحبّين، فإنّ «عَدْلَ المَلِكِ العادلِ يُغني الناسَ عن الخصب». يقول الرسولُ صلواتُ الله عليه إنّه عندما يكون المَلِكُ عادلًا ورحيمًا لا يضرّ النّاسَ قحطُ السّنة وانعدامُ البُرّ؛ فإنّ رحمةَ المَلِك أنفعُ للناس من السحاب الممطر والأرض المنتجة. أدامَ البارئُ تعالى هذه الرّحمةَ على الخَلْق وأرسل النُّصرةَ والتأييد، بمَنّه وجُودِه.

المتوقّعُ من رحمة مَلِك الأمراء أن يتفضّل بالعناية والمرحمة في شأن الابن قِوام الدّين، ذلك لأنّ الخِدْمةَ التي يقوم بها والنصيحةَ والفضلَ وإحسانَ الخِدْمة لا تأتي من الآخرين، خاصّةً أنّه قريبُ سيّد المشايخ، نادرةِ الزمان، أمينِ القلوب، خاصّةِ الله في الأرض، حُسامِ الحقّ والدّين [٢٣١] أدام اللهُ فضْلَه وبركته. وما يتفضّل به في شأنه يكون قد تفضّل به في شأن الدّاعي المخْلِص، ويتواصلُ مع المِنَن وضروب الإحسان الأُخَر التي تفضّل بها. فقد حدث للابنِ قِوام الدّين أذى كثير، برغم أنّه لا يُطلع حضرتكم عليه خجلًا منكم. دمتَ مغيثًا للمظلومين، آمين، يا ربّ العالمين.

الرّسالة الخامسة والثلاثون والمئة

[إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء، في شأن مصادرة أموال صدر الدّين، ابنِ حسام الدّين]

جعَلَ اللهُ الخيراتِ والصّدَقاتِ وحسْنَ الاعتقاد التي يؤدّيها الأتابكُ الأعظم، مِلِكُ الأمراء، الأميرُ العالِمُ العادلُ، الزّاهدُ العابدُ المتّقي، الرّاعي للرّعية، الحليمُ الكريمُ، المفكّرُ في العاقبة، المقوّي للإسلام، الملاذُ لأهلِ الإسلام، فخرُ الدّولة والدّين ـ أدامَ الله علوَّه وأحسَنَ عاقبتَه وأيّدَه بروح منه ـ مقبولةً(*) لدى حضرة القائل ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾[الأنعام: ١٦٠]، وجعَلَ العنايةَ والنّورَ الذي لا نهاية له هاديًا لفكره المبارك ورأيه وتدبيره وحالًّا لعُقَده وقيوده؛ لكي يرى كلَّ شيء صحيح دونها خطأً، ولكي لا يأتي في الآخِر نادمًا [قائلًا]: لماذا نظرتُ خطأً، لماذا لم أكمل النظر.

أبعثُ بالسّلام والدّعاء وأسمعُ من الأحبّة ألطافَ الأمير الوَرِع، التي يتفضّل بها على هذا الدّاعي، وأعلَمُ أنّه يتفضّل بتلك الألطافِ والأفضالِ من أجل رضى الحقّ. يسّر اللهُ حاجاتِه ومراداتِه في هذه الدّنيا وفي تلك الأخرى. وهذا الدّاعي أينما حلّ في الخلوات والصّلوات مشغولٌ بالدّعاء بالخير.

* المفعول الثاني للفعل «جعَلَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

وقبْلَ هذا التُمِس أن يُعتنى بأمر الابنِ المقبِلِ الكافي الفاضل المتورّع، صَدْرِ الدّين بلّغه اللهُ الدّرجات، فإنّه من دون جُرمٍ ومن دون تقصير قُطعت مواردُه. ومنذ مدّة وهو ينتظرُ الرّحمة الملكية للأمير الورع.

المرجوُّ من ناحية صَدَقةِ الجاه والدّولة ومن جهة دوام الأمن والأمان وذخيرة الآخرة، أن يُطيِّب خاطرُه؛ لكي يحصلَ من ذلك مِنَنٌ كثيرة؛ لأنّه لا أحَدَ في هذه المدينة أعزُّ منه لدى هذا الدّاعي ولا أقربُ ولا أدنى، من هذه الساعة إلى الأبَد. وكلُّ ما يتفضّلُ به عليه يَعْلَمُ يقينًا أنّه إنّما يتفضّلُ به على هذا الدّاعي. وفي ذلك اليوم الذي جئتُ فيه لزيارة الأمير التّقيّ ـ أيّدَه اللهُ ـ إنّما جئتُ قاصدًا هذه التوصيةَ. ولم أجد فرصةً إلّا بالقدر الذي قلتُ: نحِّهِ جانبًا فإنّه من أعزّ الأعزّاء. قال الأميرُ: عندما رأيتُ شهِدَ قلبي، ولو لم يكن قلبُ الأمير منوَّرًا [٢٣٢] لما تصوّر أولياءَ الحقّ. والآن جعَلَ اللهُ مئةَ ألف رحمةٍ على قلب الأمير التّقيّ الرّاعي للدراويش الملكيّ الصّفة الذي شهد هذه الشهادة التي هي حقّ. آملُ أنّ كلّ ما يعرضُه الشيخُ الأجَلُّ الأكملُ العالمُ العارفُ، جُنَيدُ الوقت، حُسامُ الدّين، وليّ الله في العالمين ـ أدامَ الله بركته ـ عن الأحوال يقولُه ثانية أو يبعثه في رسالة، ويَعُدُّه قولًا ورسالةً لهذا الدّاعي، بل يَعُدّه قولًا ورسالة من الحقّ ـ تعالى وتقدّس. وليس للدّاعي هدفٌ في هذه الشهادة إلّا سعادة ملِك الأمراء ـ أيّده اللهُ بأنوار التوفيق. وكلُّ من يقولُ لحضرتكم خلافَ هذا يكون قد قام بقَطْع طريق الدّين بسبب الحسد. وفي هذا الوقت الأميرُ هو نائبُ الحقّ، فوجَبَ تعريفُه بأهل الحقّ لكي لا يبقوا مستورين عنه؛ ذلك لأنّ الإحسان إلى الأولياء كالإحسان إلى جناب الله من دون وسيط؛ فإنّ الحقّ تعالى اختار هؤلاء القومَ من بين الخَلْق وقال: مَنْ رآكم فقد

رآني؛ مَنْ أعزّكم فقد أعزّني؛ من آذاكم فقد آذاني. جعَلَ الله هذه الكلماتِ نافعةً لِملك الأمراء، «والسّلامُ علينا وعلى عباد الله الصّالحين».

أحـــرّمُ الكـــلامَ مـــع النّـــاس   وعندما يـأتي حـديثُك أطيـلُ الكـلام

« مَنْ أحبّ شيئًا كثّر ذِكْرَه»، يُكثر العطشانُ ذِكْرَ الماء؛ خاصّةً مِثْلَ هذا الذي هو ماءُ الحياة الأبديّ الأزَليّ الباقي المنعِش الذي لا نهاية له الذي لا ينقطع عن أحبّاء الحقّ. والذين يتعلّقون بأذيال أحبّاء الحقّ يصلون إلى ذلك الإقبال ـ إن شاء الله تعالى.

الرّسالة السادسة والثلاثون والمئة

[إلى تاج الدّين معتزّ في التوصية
بشخصٍ لم يُذكر اسمُه]

صان اللهُ إقبالَ الصّاحب الأعظمِ، مِلِكِ الوزراء، مشهورِ الآفاق، الشريفِ الأخلاق، الطّاهر الأعراق، الناشرِ الإحسان، معْدِن الإيثار والإيقان، كعبةِ الآمال، وليّ الأيادي والأفضال، مربّي العلماء، مؤنسِ الفقراء، مؤسّسِ الخيرات، مُغيثِ الأنام، فخْرِ خراسان، تاجِ الدّولة والدّين ـ أدامَ الله علوّه ـ من عين(*) الحسَد ومن نوائب العالم الغدّار. أولياءُ دولتِه منصورون ومسرورون، وأعداءُ دولته والخائنون لها ومنتقدوها مهزومون ومخذولون ومقهورون ـ بحقّ محمّد وراياتِه والقرآن وآياته.

* الجار والمجرور هنا متعلّقان بالفعل «صانَ» في مطلع الفقرة [المترجم].

السّلامُ ودُعاء الخير، اللّذان هما واجبان على الدّاعي، أتعهّدُ بهما، وأتنسّم الأخبارَ السّارّة من [٢٣٣] الصادر والوارد. وعندما أسمع أخبارَ انتظامِ تلك الدولة وانهزامِ المبغضين والخائنين أبتهجُ وأفرح. وأشكرُ البارئ تعالى؛ فإنّ «الشّكرَ قيدٌ وصيدٌ للنِّعَم»، «إذا سمعتُ صوتَ الشّكر تأهّبتُ للمزيد»، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. زادَ الله تلك السّعادةَ دائمًا، وأهلكَ الأعداء، ووفّقك إلى الخيرات في كلّ الأوقات؛ ذلك لأنّ المقصود من بطء حركة العالَم وتقليب اللّيل والنهار وتوالي الشتاء والصيف، اغتنامُ الخيرات والجِدّ في زراعة بذور الخير، مثلما هو معلومٌ لذلك العظيم، زادَ اللهُ عينَ يقينه نورًا؛ لكي يجعل قلبَه مستغرَقًا بهمّ الآخرة، ابتغاءَ أن تتحقّق مراداتُه من دون كُلفة فإنّ «مَنْ جعَلَ الهمومَ همًّا واحدًا كفاه الله سائرَ همومه». إنّ الابنَ، فلانًا، متوجّهٌ إلى حضرتكم، والمشرَبُ العذبُ كثير الزّحام.

برغم أنّني أنوي أن لا أضايق ذلك الجنابَ العالي بالرّقاع، ولكن لأنّ الحقّ تعالى جعَلَ حُسْنَ خُلُقه ولطفَه الملكيَّ قِبلةَ الحاجات لا مناص للمصلِّي من التوجّه إلى القِبْلة. مثلما قالوا للمجنون: تُبْ وتمسّكْ بحَلْقة الكعبة، فإنّ الدّعاء مستجابٌ في هذا الوقت. قال: ارفعوا أيديَكم وقولوا: آمين، حتى أطلبَ التوبة، وأدعو. بعد ذلك رفع أقاربُه أيديَهم، فقال المجنون:

إليكَ أتوبُ يا رَحْمانُ ممّا ... جَنيتُ فقدْ تكاثرتِ الذّنوبُ

وإلّا عن هوى ليلى وحُبّي ... زيارتَها فإنّي لا أتوبُ

يقول منادي الأمَل:

ليست توبتي صحيحةً، فاصمتْ اكتفِ مِنّي بقلبٍ كسير

ما الحِيَلُ والتدابيرُ التي لم يقمْ بها ذلك الوقِحُ

لكي يصرف قلبي عن محبّتك؟

بعزّة عزّة اللهِ لن أفرّ من بلائه

فلمْ يفرَّ عطشانُ قطّ من ماءِ الحياة

جعَلَ اللهُ اعتقادَه الطاهرَ وصفاءَ إدراكه، اللذين هما بنيانٌ مرصوص وبرهانٌ مخصوص، أثبتَ وأرسخَ كلّ يومٍ في طريق الدّين، بتوفيق ربّ العالمين، آمين، يا ربّ العالمين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[النساء: ٤٠]. اختطفَ الذّئبُ ابنَ أحد الأشخاص. [٢٣٤] وفي هذه المعمعة قدَمَ درويشٌ، وطلبَ رغيف خبز. فما كان منه إلّا أنْ قدّم للدرويش رغيفَ خبز ساخن من التنّور، في سَنة قحط وجدب. وبعدئذ توجّه نحو الجبَل لعلّه يجد الذئبَ قد ترك عظامَ ابنه، فيدفنها في مكان ويعمل له قبرًا يبكي عنده. وعندما تقدّم، رأى ابنَه الذي كان يهبط من الجبل سالمًا. فصرخ وغاب عن الوعي. فأخذَ الابنُ يفرُك قدَمَي والده. وعندما صحا أخذَ يسأل الولَدَ عن أحواله. فقال: أتى بي الذئبُ إلى قارعة الطريق ورماني سالمًا وقال: لقمةٌ بلُقمة، وانصرف. والمستيقَنُ أنّه لا تضيعُ في طريق الدّين ذرّةُ خير. طوبى لمن لا يستبدّ به اليأس أمامَ هذه العتبة، مثلما أنّ العنصرَ النقيّ والعقل الدرّاك لذلك الأمير التقيّ ساعٍ إلى الخير في كلّ الأحوال.

الرّسالة السّابعة والثلاثون والمئة

[إلى معين الدّين پروانه، رسالة مودّة
وإظهار السرور بدعوته]

رفَعَ اللهُ راياتِ جيوش أهل الإسلام بعزم مِلِكِ الأمراء في العالَم، قِبلةِ الأكابر والأعاظم، نظامِ المُلك، نادرةِ الزمان، أعجوبةِ الدّوران، ملجأ الخلايق، مشرق الحقائق، صاحبِ الدولتين، جامعِ السّعادتين، كاملِ العقل والعِلْم في الدّين، مُغيثِ الضّعفاء والمساكين، البحرِ الزاخر والكنزِ الفاخر والطّودِ الرّاسخ، معينِ الدولة والدّين، عامرِ أركان الإسلام والمسلمين، پروانه بك ـ حفظه الله من مكاره الزمان وطوراق الحدثان، ونصَرَه على أعدائه وأيّدَه لأوليائه ـ إلى انقراض الزمان وطيّ بساط الدنيا، وجعلَه عظيمًا ومنصورًا. وجعلَ عينَ العقل والرّوح مزيَّنةً ومنوّرةً بأشعّة شمس عَدْله ومرحمته، ومشامَّ الأرض والسّماء مشرَّفةً ومعطّرةً بفوائح لُطفه ومكرمته.

لا زِلْــتَ في دولــةٍ عمّــتْ محاســنُها   بــين الأنــامِ وفي ديــنٍ بــلا خَلَــلِ

تُحفُ الدّعاء والثناء وباكورةُ بستانِ خلوةِ السّحر التي تنمو في عَرْصة ربيع الصّدر، المنزَّهة عن صرصر خريفِ ﴿ يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٥]، تُرسَل إلى تلك الحضرة المعلّاة والعتبة الشبيهة بالسّماء، بيَدِ بريد القلب السّريع الذي لا تعوقُه الجبالُ والقفارُ والبحار، ولا يمنعُه فقدانُ الزاد والمطية.

يـــسافرُ الرّجـــالُ في الآفـــاق، مثـــل القلـــب
غـــيرَ مقيّـــدين بالمنـــازل والأسرجـــة والجِـــمال

[٢٣٥] كلُّ من يُلقي عليه هُما(*) القَلْبِ ظلَّه لا بدّ من أن يكون مصونًا ومحروسًا من ضياء شمس الآفات، ومحروزًا من عِقاب مِخْلب عُقاب الحوادث، وكلُّ من يُعرِض عن قلب صاحب القَلْب لا بدّ من أن يغدو مقهورًا ومنكوبًا. ذلك لأنّ الحقّ ، جلّ جلالُه ـ قد غيَّر الجنّة والنّار بشُعاع قهْرِ القلب ولُطْفه، وإنّ حديث المصطفى ناطقٌ بهذا المعنى: «جُزْ يا مؤمنُ؛ فإنّ نورَكَ أطفأ ناري».

إنّ جنّتَــكَ ونـــارَكَ معَـــكَ، فـــانظرْ في أعماقــك

لكي تجدَ النّيرانَ في كَبِدك، وترى الجِنانَ في جَنانِـك

وفي هذا الزمان، فإنّ الذّاتَ الموصوفةَ بمحبّة أهل القلوب هي ذلك الذي هو يوسفُ مصر البشريّ وسليمانُ عرشِ الدّين والدولة أيّدَه الله بروح القُدس، وأعانَه وحفِظ شأنَه عمّا شانَه. ولا شكّ في أنّ مثل هذا الوجود لا يحيط به شرْحُ العقل وضبْطُه، ووصفُه لا نهاية له. ويقينًا اختُصِرَ وفقًا لمبدأ «لاتتمّ مدائحُه أبدًا»، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

عـــدوُّكَ مـــذمومٌ بكـــلّ لـــسانِ وإن كـــان مـــن أعـــدائِكَ القمـــرانِ

الحمدُ لله أنّ أهْلَ الإسلام ابتهجوا بعودة ركابكم الميمون وموكبكم المبارك، ونُفِض غُبارُ الفتنة عن بساط الزمان بمكنسة العَدْل والإنصاف.

المَلَـكُ الـذي اضـطربَ صـار مـن الـشؤم شـيطانًا

---

* الهُما طائرٌ خرافيّ عند الفُرس، كلُّ من يقعُ عليه ظلُّه يصبحُ مَلِكًا ويُسمّى «البُلَح» أيضًا [المترجم].

ومن جديدٍ صار في تصرّف سليمان، جعلَه الله دائمًا كذلك

الرسالة الثامنة والثلاثون والمئة

[إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء،
رسالةُ مودّة وحثّ له على الكرَم
والإحسان]

شرّفَ الله وكرّمَ وزيّنَ دائمًا مَسْنَدَ ديوانِ الوزارة وأريكةَ إيوان السّيادة باتكاء الصاحبِ الأعظم، الدّستورِ المعظّم، ناشرِ الخيرات، مُظهِرِ الحسنات، حاتمِ الزمان في الكرَم، خاتَمِ الوزراء المقدَّم، معْدِنِ العَدْل والإنصاف، بحْرِ المكارم والألطاف، آصِفِ الزمان، نظام الملْك، فخرِ الحقّ والدولة والدّين، أبِ الملوك والسلاطين ـ أيّدَه اللهُ بتوفيق سرمديّ وعُمْرٍ أبديّ ودولةٍ كاملة وحِكْمةٍ شاملة ـ كما زيّنَ العينَ بالنّور، والصّدْرَ بالسّرور. وصانَ مشْرَبَ إحسانه وكرَمه العَذْب، الذي هو زمزمُ مُحْرِمي كعبةِ الآمال وغيرةُ عين الماء الزّلال، من قذى الفتور وكدَر القصور؛ بمحمّد وآله.

[٢٣٦] أنـتَ الـذي بالمعـالي مفخـرُ الأمـمِ
في العَـدْلِ واللّطـفِ والإحـسانِ والكـرَمِ

يُبعثُ السّلامُ والدّعاءُ اللذان لا انتهاء لهما، والتحيّةُ والثناءُ الكثيران من عالَم القلب والروح لا من اللّسان، إلى ذلك الذي هو معدِنُ الإحسانِ ومنبعُ الدّين والدولة من دون نقصان؛ ويُطْلَبُ من الحقّ ـ جلّ جلالُه ـ في الخلأ والملأ، ترقّي العظمةِ والمقام والرّفعةِ والجاه لتلك الحضرة. وفي الحقيقة تحصلُ الرفعةُ والعظمةُ للإنسان عندما يقدّم

الرّعايةَ والحمايةَ لأهل الدّين واليقين، ويبذرُ حبوبَ الأنفاس والأفعال والأخطار في تربة الخير والطّاعة ويكونُ مع الأصحاب اللائقين بالامتزاج والاختلاط الرّوحانيّ. قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «عظّموا العلماءَ، وخالطوا الفقراء». لكي لا يندمَ ويخسر إبّانَ النموّ ولا يعضّ يدَ التحسّر والتّغابن ويقول: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٨].

والحمدُ لله، فإنّ ذلك الوجودَ مليءٌ بالوجود، والذّاتَ الشريفةَ موصوفةٌ ومنعوتةٌ ومبعوثةٌ بهذه الأوصاف الصافية، وقد بُسِط بساطُ العَدْل والكرَم ورعايةِ الدّين في البسيطة:

كـلُّ بـذرةٍ زرعتَهـا سـتنبت وتنمـو   فازرعْ هـذا البَـذْرَ بقـدر مـا تـستطيع

الرّسالة التّاسعة والثّلاثون والمئة

[إلى إحدى السيّدات، دعاء بالخير لها]

الحرَمُ ذو الحُرمة، وقصْرُ الدّين والدّولة، ملِكةُ الآفاق، الرفيعةُ القدْر، الوسيعةُ الصّدر، الحليمةُ الكريمةُ، المشتاقةُ إلى لقاء ربّها، العاليةُ الهمّة، المفكّرةُ في العاقبة، المتّقيةُ لله، الرّاعيةُ للدّين، فاطمةُ العَصْر، خديجةُ الدّوَران(*)، مريمُ الزمان ـ أدامَ اللهُ علوّها،

---

* أي دوران الدهر والزمان [المترجم].

وزاد سموّها، فجعلَها للخيرات قِبْلةً، وللطاعاتِ كعبةً، لأنّها مسجدُ الرّوحانيّين وقلعةُ السّماويّين، جعَلَها اللهُ إلى أبد الدهر في أمانٍ من فَتْك حوادث الزمان ـ بمحمّد وآله.

الرّسالة الأربعون والمئة

[إلى سعد الدّين بك في إجابة رسالته، وإظهار الشوق إلى لقائه وشكر إحسانه]

[٢٣٧] جعَلَ الخالقُ تباركَ وتعالى ـ الذي تجري شمسُ الإقبال في سماءِ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] بأمره وحُكمه ـ سيفَ قَهرِ أعداء الدّين المحمّديّ وإعزازِ مِلّةِ أحسنِ المِلَل ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] قرينَ(*) غزَواتِ وغدَواتِ وحَزْمِ وعَزْمِ وعِنانِ الركابِ المباركِ للأميرِ القائدِ المعظَّم الموقَّرِ، المظفَّر المنصور، المجاهدِ الأصيلِ الجميل، معدِنِ السّخاء والكرم، وليّ الأيادي والنِّعَم، سَعْدِ الدّولة والدّين، نظامِ الحقّ واليقين، الغ قتلغ بلكا [بالتركية بمعنى: العظيم المبارك العالِم] العالي الهمّة، المتّقي لله، الرّاعي للدراويش، صاحبِ الدّين، بك ـ أدامَ الله علوّه ـ في مشارق ومغارب ﴿وَتُعِزُّ مَن

* المفعول الثاني للفعل «جعَلَ» في مفتتح الرسالة [المترجم].

تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٢٦]، على تقدّم الأدوار وتجدّد الأطوار.

وصلَتِ المشرَّفةُ الشريفة، والملاطفةُ اللّطيفة، إلى هذا الدّاعي المخلِص. فضاعفت السّرورَ والابتهاجَ آلافًا مؤلّفة. ويعلم أنّ الاشتياقَ إلى لقائه المبارك الميمون صادقٌ وغالبٌ، كاشتياق المريض إلى الشّفاء، والسّمك إلى الماء، والعاشق إلى اللقاء.

أَلَــذُّ مــن الــصّهباءِ والمــاءِ ذِكْــرُه   وأحــسَنُ مــن يُــسْرٍ تلقّــاهُ مُعــدِمُ

البارئُ ـ تبارك وتعالى ـ الذي هو الصانعُ والجامعُ ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣]، إذ الجامعُ للرّميم والرّفُات ومُحييه وناشرُه وحاشرُه هو ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [يس: ١٢]، ومُلبِسُ خِلعة التقديس لأرواح الأوفياء هو، ومُلبِسُ لباسِ التدنيس لأرواح الطّغاة هو، من أجل إظهار الفضل والعَدْل «كنتُ كنزًا مخفيًّا فأحببتُ أن أُعرَف»، قضى أنّ كلَّ ذرّة تسعى في الوفاء له يجعلُها جَبَلَ قاف الرحمة، ويجعلُ صاحبَ ذرّة الخير تلك السّيمُرْغَ(*) المجتازَ للعالَم ويوصلُه إلى جَبَلِ قاف القُرْب. وكلُّ من سرق سُمَّ الكفر والنّفاق بمكرٍ خفيٍّ يعبِّئه في مداهنته البشرية، سيجعلُ اللهُ مرارةَ ذلك السُّمّ في عاقبة الأمر شوكةً في حَلْقه، ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾ [القيامة: ٢٦]؛ لكي يعلم أهلُ الدنيا أنّنا لسنا بغافلين عن ذرّة الإحسان تلك ولسنا جاهلين تلك القشّة من الطغيان، لكنّنا أمهَلْنا لكي يُظهِرَ العِبادُ المخلِصون كلَّ الفنون، ويرتكبَ المغرورون كلَّ جورهم. فإنّنا لو كشفْنا الغطاءَ لتوقّف المحسِنون بسبب

* طائرٌ خرافيّ في الأساطير الفارسيّة، يعيش في جبَل خرافيّ اسمُه «قاف»، ويقابله العنقاء في ثقافتنا العربيّة [المترجم].

السرُّور والشُّكر عن الإحسان، ولتوقّف الطّاغون بسبب المهابة والسياسة عن الإساءة. جعل الباريُ تبارك وتعالى أصدقاءَكم وأحبّاءَكم موفّقين في تلك الآخرة وفي هذه الدنيا.

الرّسالة الحادية والأربعون والمئة

[إلى بدر الملّة والدّين (بدر الدّين كهرتاش) في التوصية بفلان الدّين]

[٢٣٨] يسّرَ اللهُ وقيّضَ السّعادةَ التي هي وراء صورةِ السّعادة الفانية، والإقبالَ الباقي والخالد، للأميرِ الأجلّ، الحسيب النسيبِ، العالمِ العادلِ، مقدّم الجيوش، أسدِ الوغى، ذي الشّرَفيْن، بَدْرِ الملّة والدّين، ضياءِ الإسلام والمسلمين ـ أدامَ الله علوّه. وكان اللهُ في كلّ المضايق والنّوازل والأخطار، حافظًا وناصرًا وميسّرًا ومسهّلًا، بحقّ محمّد وآلِ بيته الطيّبين الطّاهرين.

يُبعثُ السّلامُ والدّعاءُ من فرْط الوَلاء ووفور الهوى، والاشتياقُ غالبٌ «صَداقةُ الآباء قرابةُ الأبناء». أنتم لنا ذكرى عزيزةٌ من الصّدْر الأجلّ، السّعيدِ الشّهيد ـ تغمّده الله برحمته. أبقى اللهُ هذه الذكرى على وجه البسيطة سنينَ لا يأتي عليها الحصْرُ في التوفيق إلى الخيرات ونَشْرِ الحسنات والاستعداد ليوم المعاد ـ آمين، يا ربّ العالمين.

رافعُ الرّسالة، فلانُ الدّين، قضى اللهُ حاجتَه، شكَرَ حضرتَكم شكرًا كثيرًا للأفضال السابقة التي تفضّلتم بها في شأنه. وهو اليومَ مضطرٌّ، و يؤمّلُ من ذلك المكرِّم الذي تفضّلَ بالعون وترحّم في البدء، أن يتفضّل في الانتهاء أيضًا بالموهبة؛ فإنّ «إتمامَ

المعروف خيرٌ من ابتدائه».

«الخيرُ يَشرعُ فيه كلُّ أحَدٍ ولا يُتمّه إلّا اللّيوث». فالهلالُ، برغم أنّه جميلٌ ومباركٌ وممتدٌّ ولألاء وحسَنٌ ومشارٌ إليه بالبنان وهو مبدأُ الحساب، عندما يكتملُ ويغدو بدرًا كاملًا يكون الواحدُ منه بألفٍ، ويظفرُ برونق عجيب. وإنّ عملَ الخير والمرحمة عندكم على هذا المثال، في البداية يكون عند الحقّ تعالى مقدّرًا وعزيزًا ومشكورًا ومذكورًا، ولكنّه عندما يُكمَّل ذلك الخيرُ يكونُ كالبَدْر ﴿ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ ﴾ [الأحقاف: ٢١]، يومَ لايكونُ نورُ الشّمسِ ولا نورُ القمر ولا نورُ السّراج، لا يكون إلّا نورُ العمل ﴿ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ ﴾ [القيامة: ٨-١٠]. ﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم: ٨].

المتوقَّعُ والمرجوُّ أن تُقبل هذه الشفاعةُ؛ ليُدّخرَ ثوابٌ وثناءٌ لا حدّ لهما، ويكونَ على هذا الدّاعي مِنّةٌ عظيمة. دُمتَ محسِنًا. آمين، ياربَّ العالمين.

الرّسالة الثّانية والأربعون والمئة

[إلى ملك الوزراء (؟) في التوصية بصدر الدّين بن حسام الدّين چلبي]

[٢٣٩] يتقبّلُ السّلامَ والاحترام. وقد جعلْتُ الدّعاءَ لدولته وِرْدًا وتهيّأتُ لشُكْر أياديه وإنعامه، لأن «شُكْرَ المنعِم واجب»، خاصّةً إنعامَه وإكرامَه المتلطّف بالضعفاء المستمرّ من دون ملال، الذي هو خالصٌ لله تعالى. ولاجَرَمَ هو لله. وقلبُه الصّافي

كالسّماء لا يملّ من تواتر الإزعاج وكثرةِ عَرْض الحوائج، ولا يُظهِر أثرَ الملالة. جزاه اللهُ أحسنَ ماجزى به مُحسِنًا، وشكَرَ سعْيَه، وصانَ إقبالَه، وضاعفَ دولته، وأحسنَ عاقبتَه بفضله القديم ـ تعالى وتقدّس ونِعْمَ المسؤولُ والملتمَس. يُعْرَض على رأي القاضي للحاجات الحالّ للمشكلات المزيِّن للعالَم، ملِكِ الوزراء، الصّاحبِ الأعظم، مشيِّدِ الخيرات ـ أعلى اللهُ ذِكْرَه ـ أحوالُ رافعِ الاحترام والخدمة، قرّةِ العيون، الابنِ المقبِل المتفنّن، صدْرِ الدّين ـ بلّغه اللهُ مُناه ـ ابنِ فخر المشايخ، جُنَيدِ الزمان، أمينِ أسرار العرش، حجّة الحقّ على الخَلْق، إمامِ التُّقى، حُسامِ الحقّ والدّين، شَمسِ الهدى واليقين، المستغنيةِ فضائلُه عن هذا التعريف، «جلّ عمرٌو عن الطّوق» ـ أدام اللهُ ظلَّه وبركتَه وأنفاسَه ـ الذي هو دائمًا مشتغلٌ بالتفريد في الخلوة،وبعُلُوّ همّةٍ وتعفّفٍ وإباءٍ امتنعَ عن طلَب الحظوظ والمناصب، وكان في زاوية قناعةِ مَنْ قال: ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[يونس: ٧٢] ومعتزَلها أنيسًا للطاعة وجليسًا للبراعة بإخلاصٍ، ومنشغلًا بالدّعاء للدولة ولم يتحوّل عن ذلك، كما مضت سُنّةُ مشايخ السَّلَف ـ رضي الله عنهم. لكنّ الابنَ العزيزَ صدْرَ الدّين الذي هو في صدد طلَب التحصيل ولا غنى لطالب العِلْم عن الكفاية، والحمدُ لله اليومَ الصّغيرُ والكبيرُ جميعًا نالوا منالًا وكفايةً في ظلّ إحسان ملِكِ الوزراء ـ ضاعفَ الله علوّه ـ لعلّه(*) هو أيضًا يظفر بلطف تلك العناية ويستظلّ. وبرغم أنّ تلك الإقطاعة التي طلَبَها قليلةٌ نسبةً إليه، فإنه عندما يظفر بعناية

---

* تتمّة قوله: «لكنّ الابن العزيز...» [المترجم].

ملِكِ الوزراء ويشرَّف يكون ذلك كثيرًا. «قليلُكَ لا يُقال له قليلُ». وإنّ عطاء الأكابر يُطلَب للشّرف لا للعلَف. دُمتَ قاضيًا للحاجاتِ وقاسمًا للأرزاق، مثل لطف الباريء وكرمه، آمين يا ربَّ العالمين.

الرّسالة الثالثة والأربعون والمئة

[إلى سعد الدّين في جواب رسالته وشكره]

[٢٤٠] رسالة أخرى

اللهُ يُغلق الأمرَ، والله يفتح.

أنتظرُ من مقاليد السّماوات والأرض نظرةً واحدةً ومئةَ ألفِ عناية، إذ يأتي وقتُ ذلك النظر.

وصلَتْ مشرَّفةُ العزيزِ الكريم الابنِ المخلِص، فخرِ الأمراء والخواصّ، الحسيبِ النسيب، أسَدِ الوغى، زعيمِ الجيوش، المجاهدِ في سبيل الله، سَعدِ الدّولة والدّين ـ أدام اللهُ علوَّه. ومعلومٌ فَرْطُ التديّن والرّحمة والشّفقة لدى ذلك الفذّ «ارحَمْ من في الأرض يرحَمْكَ مَنْ في السّماء». خلَقَ الحقُّ تعالى بعنايته الرأفةَ والرحمةَ ورعايةَ المساكين في ذاتكم وفي ذوات آبائكم وأجدادكم، وأودعَها فيكم. وإنّ علامةَ السّعادة والدّولة في الآخرة أن يُعطي المولى للعبد رحمةً بالضعفاء، والرّحمةُ هي أن يرى الذنوبَ الكبيرة من المجرمين صغيرةً، ويرى الخدمةَ القليلةَ والوفاءَ القليل كثيرَيْن.

الرّسالة الرابعة والأربعون والمئة

[إلى نظام الملك (أحد الوزراء) في التهنئة
بالنصر وهزيمة الطغاة]

يسّرَ اللهُ التوفيقَ إلى الخيرات والحسنات المقبولة ورغّبَ بها الخاطرَ الأشرفَ المفكّرَ في الخير العالي النظر للأميرِ، ملِكِ النّوّاب، نظامِ المُلك، صاحبِ الدولتين، المخصوصِ بخصائص الفَضل والعَدْل والإحسان ـ أدام اللهُ علوّه وتقبّل حسناته. ولأنّ الأحوالَ اللّطيفة والعَدْلَ وبَسْط الخيرِ والعِلْمِ وتدبيرَ إصلاح المُلْك مقصودٌ بها راحةُ الدّراويش ودَفْعُ العنَتِ عن الضعفاء، إذ «كلّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيّته»، فإنّ كلَّ سعْيٍ وفكرةٍ ونومٍ في الصحراء يقوم بها الرّاعي من أجل الحفاظ على الرّعيّة تُقابَل عند الله تعالى بطاعات أهل الخافقَيْن؛ ذلك لأنّ تلك الطّاعات ومظاهرَ الأمان يمكن القيامُ بها بفَضل سعيه وحراسته ودفعه المتسلّلين والطّاغين. تقبّلَ اللهُ تعالى تعبَ أكابرنا وعناءَهم في هذا السَّفَر وفي السّعي للحفاظ على الثغور والأطراف.

[إلى بـدر الـدّين كهرتـاش في التوصـية
بتاج الدّين]

الرّسالة الخامسة والأربعون والمئة

[٢٤١] يَقبلُ الصَّدْرُ وابنُ الصّدر الأميرُ الأجَلُّ الكبير العالِمُ العادلُ العالي الهمّة، العارفُ بالله، الناظرُ إلى العاقبة، مربّي الفقراء، ملاذُ الضّعفاء، سيّدُ المستحفَظين، بَدْرُ

الدولة والدّين ـ أدام اللهُ علوّه ـ السّلامَ والتحيّةَ من هذا الدّاعي المخلِص والمحبّ القديم، فإنّ «صداقَةَ الآباء قرابةُ الأبناء»، و«الحُبُّ يُتوارث والبغضُ يُتوارث»، ويَعلمُ أنّ الاشتياقَ غالبٌ وباعثٌ وصادق. يجعل البارئُ تعالى للّقاء سببًا سريعًا، إنّه مجيب سميع.

الأخبارُ السّارّةُ والسّيرةُ الحسَنةُ وإحياءُ خصال الخير، التي أُصلِحت بها أسبابُ سعادة الآخرة، و «هو التعظيمُ لأمر الله والشّفقةُ على خلْق الله»، نسمعُها متواترةً خيراتٍ لكم، «والخيرُ لا يخفى»، ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾[لقمان: ١٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] ـ زاد اللهُ توفيقَه ـ فنفرحُ بحصول ذلك. زادكم اللهُ توفيقًا.

حاملُ التحيّة، الابنُ العزيز، تاجُ الدّين ـ أعزّه الله ـ من محبّي تلك الدولة والمتعلّقين بتلك الحضرة. وقد ارتدى رداءَ إحرامِ كعْبةِ الكرَم والإحسان، وجَعَلَ الدّاعيَ وسيلةً إلى ذلك الجناب العالي. ويؤمّل أن يُتطلّع له بنظَرِ العنايةِ والإحسانِ، وتربية الفقراء واللّطفِ بالضعفاء، التي هي من الأخلاق القديمة والجِبلّة الأصليّة لذلك العزيز، مثلما يتفضّل على الصّادرين والواردين الآخرين القاصدين لذلك الجناب؛ ليكون ذلك موجِبًا للثّواب الجزيل والثّناء الجميل. «ارحَمْ من في الأرض يرحَمْك من في السّماء»، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[البقرة: ٢٤٥].

المقـــصودُ مـــن العـــالَمِ آدَمُ   والمقــصودُ مــن آدَم ذلــك الــنَّفَس

المقصودُ من سُوق هذه الدنيا ليس المشاهدةَ وحْدَها، ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠]، المقصودُ هو التجارةُ ببَذْل المالِ والنَّفْس لكي تصلَ الأعواضُ الشريفةُ من مشتري ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ ﴾ [التوبة: ١١١] من دون نهاية، وتكونَ منّةٌ كبيرة على هذا الدّاعي، وينضمَّ ذلك إلى ضروب الإحسان الماضية، لأنَّ «إتمام المعروف خيرٌ من ابتدائه»، والهلالُ وإن كان أنيقًا، إذا تمّ وكمُلَ وصار بدْرًا كان أحسنَ وأجمل. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ [الأحقاف: ١٣] زاد اللهُ أمدادَ التوفيق عليكم وعلى محبّيكم كلَّ يومٍ ـ آمين يارَبّ العالمين.

الرسالة السادسة والأربعون والمئة

[إلى شمس الدّين التبريزيّ، دعوة مجدّدة له]

[٢٤٢] أيُّها النّورُ في الفؤادِ تعالَ   غايةَ الجِدِّ والمرادِ، تعالَ
أنتَ تدري حياتُنا بيديكَ   لا تضيِّقْ على العبادِ، تعالَ
أيّها العشقُ، أيّها المعشوقُ   حُلْ عن الصدِّ والعنادِ، تعالَ
يا سليمانُ، ذي الهداهدُ لك   فتفضَّلْ بالافتقادِ، تعالَ
أيّها السّابقُ الذي سبقتْ   منكَ مصدوقةُ الودادِ، تعالَ
فمنَ الهجْرِ ضجّتِ الأرواحُ   أنجزِ العَوْدَ يامعادُ، تعالَ

استرِ العيبَ، وابذلِ المعروفا هكذا عادةُ الجوادِ، تعالَ
وماذا يكونُ الفارسيّ ؟ تعالَ فإمّا تعالَ وإمّا أنصفْ، تعالَ
إن أتيتَ فما أجلّها من سعادةٍ ومُراد ! وإن لم تأتِ، فما أعجبَه من كسادٍ، تعالَ
يا فَتْحَ العرب، يا قُباذَ العجم فتحتَ قلبي بذكراكَ، تعالَ
يا مَنْ داخلي يقول لك: تعالَ ويا مَنْ من وجودِك جاء الوجودُ، تعالَ
طفتُ فيكَ البلادَ يا قمرًا بي محيطًا وبالبلادِ، تعالَ
أنتَ كالشّمسِ إذ دنتْ ونأتْ ياقريبًا على البِعادِ، تعالَ

الرّسالة السابعة والأربعون والمئة

[إلى شمس الدّين التبريزيّ،
في المحبّة والعشق]

[٢٤٣]يا ظريفَ العالَم، سلامٌ عليكَ إنّ دائي وصحّتي بيديكَ
ماذا يكونُ دواءُ عِلّةِ العَبْدِ، قلْ قُبلةٌ لو رزقتُ من شفتيكَ
إن لم أصلْ إلى جنابكَ ببدني إنّما الروحُ والفؤادُ لديكَ
وإن لم يصلْ إليكَ خطابٌ من دون حرف فلماذا صار العالَمُ مليئًا بلبّيكَ؟
النّحسُ يقولُ لك: بذّلني والسّعْدُ يقولُ لك: ياسعدَيْكَ
منكَ آتي إليكَ أيضًا بنفيرٍ آهِ، المستغاثُ منك وإليكَ

الرّسالة الثّامنة والأربعون والمئة

[إلى شمس الدّين التبريزيّ، في المحبّة والعشق]

عاش الصّدرُ العالي كان اللهُ حافظًا وكالي
[٢٤٤] كلُّ نسيئةٍ سرورٌ لأهل الإقبال جعَلَ اللهُ عندَه نَقْدَ الوقتِ والحال
مجلسُه الدّافئُ المليءُ بالحلاوة أخلاه اللهُ من النّديمِ البارد
الجانُّ المطْلقةُ عند باب الغيب جعلها الله عندَه مقيّدةً كرسوم السجّاد !
عن يمينهِ ويسارِهِ الإقبالُ جعَلَه الله أيضًا في جنوبه وفي شماله
الولايتانِ المسمّاتانِ الجسمَ والرّوحَ جَعَلَه اللهُ مليكًا وواليًا عليهما
إنّ شمسًا التبريزيّ إقبالٌ نَقْدٌ وهو كافٍ، جعَلَه اللهُ مآلًا لغيره

الرّسالة التّاسعة والأربعون والمئة

[إلى شمس الدّين التبريزيّ، ألمُ قلبِ العاشق]

أُقسِمُ بالله الذي كان في الأزَل حيًّا وعليمًا وقادرًا وقيّومًا
أشعلَ نورُه شموعَ العِشْق حتّى صارت منهُ ألفِ سِرّ معلومةً
منْ حُكْمِ واحدٍ له امتلأ العالَمُ بالعاشقِ والعِشْقِ والحاكم والمحكوم
في طِلّسْماتِ شمسِ التبريزيّ صار كنزُ عجائبه مكتومًا

[٢٤٥]فإنّـه مـن لحظـةٍ أن سـافرتَ   أُبعِـدْنا عـن الحـلاوة كالـشّمع
نحـترقُ كـلَّ ليلـةٍ كالـشّمع   مقترنين بنـارِهِ ومحرومين مـن العسَل
وفي فـراقِ جَمالـه صـار لنـا   جِسْمٌ خَـرِبٌ والـروحُ فيـه كـالبُوم
فاجـذبْ ذلـك العِنـانَ إلينـا   وأغلـظِ الخرطـومَ لِفيـلِ العـيش
من دون حضوركَ لايكونُ السّماع حـلالًا   وقد صار الطرَبُ مرجومًا كالـشيطان
لم يُقَـلْ غـزَلٌ واحـدٌ مـن دونـكَ   إلى أن وصلتْ تلـكَ المـشرَّفةُ المفهومـة
ولكـنْ بوَجْـد سَـماعِ رسـالتك   نُظِـمَ خمـسُ غزليـاتٍ وسِـتٌّ
جَعَـلَ اللهُ ليلَنـا بـكَ صبحًا مـشرقًا   يا مَنْ بكَ فخرُ الشّام والأرمن والـرّوم

الرّسالة الخمسون والمئة

[إلى صلاح الدّين زركوب، في الدّعاء لـه بالشفاء]

أتذكّرُ مِلِكَ القَلْبِ ومِلِكَ أهلِ القَلْب، قطبَ الكونَيْن، صلاحَ الدّين ـ مدّ اللهُ ظلَّه ـ الذي يشكو من تلك المادّة التي تمكّنت في أظافره المباركة مرّاتٍ عديدة ـ عافاه اللهُ تعالى، ففي معافاته معافاةُ المؤمنين أجمعين.

[٢٤٦]واحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عنى.

أيُّها السَّرْوُ المتبختِر، لا وصـلتْ إليـكَ ريـحُ الخريـف
يـا عـينَ العـالَم، لا وصـلتْ إليـكَ أعـينُ الحاسـدين

يـــا مَـــنْ أنـــتَ الـــرّوحُ للـــسّماءِ والأرض
لا وصـــلَ إلى روحِـــكَ إلّا الرّحمـــةُ وإلّا الرّاحـــةُ

خُـبِّرتُ بـأنّ ممـرّضي قـد مَرضـا أستأهلُ أن أكـونَ عنـه عِوَضـا
أسألكَ، إلهـي،أن يكـون المرضـا[كـذا] بَـرْدًا وسـلامًا ونعـيمًا ورِضـا

أبعـدَ اللهُ عنـكَ ألَمَ الجـسد،يامَنْ أنـتَ الرّاحـةُ لأرواحِنـا
أبعدَ اللهُ عنكَ عينَ الحسد، يامَنْ أنتَ عينُنـا البـصيرة
إنّ صِـحّتكَ صـحّةٌ لـروحِ العـالَمِ، أيّهـا القمـرُ
لـتكنْ صـحّةُ جسمِك، أيّها القمـرُ، سـماءَ لنـا
أعطـى اللهُ العافيـةَ لجسمِكَ،يا مَـنْ جـسمُك لـه صـفةُ الـرّوح،
لا أنقـصَ اللهُ ظـلَّ لُطفِـك مـن فوقِنـا
نـضّرَ اللهُ روضـةَ ورْدِ خـدّكَ إلى الأبـد
فإنّهـا مرعـى للقلْـبِ، وخـضرةٌ وصـحراءُ لنـا
جَعَـلَ اللهُ الألَمَ الـذي في جسدك في أرواحنـا،لا كـان في جسدِك
لكـي يكـونَ ذلـكَ الألَمُ كالعَقْـلِ المـزيِّن لأرواحِنـا

الأشخاص الذين ذكروا في الرّسائل

١ـ اختيارُ الدّين (الإمام):

[٢٤٧]يتحدّث الأفلاكيُّ عن هذا الشّخص بعبارات: «الملَكِ المصوَّر، الفلَك المنوَّر، الوليّ الخفيّ، جوهر بحر اللامكان» (١، ص٣٧٩ و٥٧٠)، ويجعلُه بين الأصحاب الكبار (ص٤٣٧)، وينقل عنه رواياتٍ (الصفحات نفسها، والصفحتين ١٤٠ـ١٤١). ويبجّله بلقَب «مولانا الإمام» (ص٣٢٥). اختيارُ الدّين هذا، في آخر اعتلالٍ لمولانا وفي آخر يوم في حياته، كان عند رأسه، حتّى إنّ مولانا قد اتكأ عليه. وقد نُقل عنه أهمُّ الخواطر المرتبطة بآخِر لحظات حياة مولانا (ص٥٨٧ـ٥٨٩). وقد غَسَل مولانا (ص٥٩١). والدّعاءُ المندرجُ اليومَ بين أدعية المولويّة مبنيٌّ على رؤيا لاختيار الدّين (ص٣٨٠).

ويظهر من رواية اختيار الدّين خواطرَ عن مرحلة صِبا سُلْطان ولَد، أنّه من المتعلّقين بسُلْطان العلماء، أبِ مولانا. وفي أثناء الارتحال، في لارنده، كان مرافقًا لسلطان العلماء.

ونجد مولانا في الرّسالة الثالثة والسّتّين، التي كُتبت إلى معين الدّين پروانه، قد أطلعَه على أنّ الدراهمَ القليلة المرتَّبة لاختيار الدّين وعماد الدّين، المشتغلَيْن بالتَّحصيل العلميّ، قد قُطعت، وطلَبَ المساعدة. ويظهر من هذه الرّسالة أنّه في الشّطر الأوّل من حياة مولانا، كانَ اختيارُ الدّين في سنيّ التحصيل والشّباب. ويبدو أنّه في وقت هجرة سُلْطان العلماء والدِ مولانا، كان حدَثًا، أو أنّه كان يجتاز عنفوانَ الشباب. وإذ كان محلَّ عناية مولانا واهتمامه، ربّما يكون بين الأشخاص الذين صحبوا سُلْطانَ العلماء في الهجرة.

هل عمادُ الدّين شقيقُ الإمامِ اختيار الدّين ؟ في كتاب «مسامرة الأخبار» ذُكِر عمادُ

الدّين الزّنجانيّ (ص١٤٠). ولمّا كان هذا الشخصُ قد عُيِّنَ في إدارة أمور الأوقاف، [٢٤٨] فلا بدّ أنّه كان من العلماء. فهل هو الشّخصُ نفسُه الذي ذُكِر في الرّسالة ؛ ليس في المقدور إظهارُ رأيٍ قَطْعيّ في هذا الشأن.

٢ـ أخي گهرتاش:

هذا الشّخصُ لا يمكن أن يكون ذلك المسمّى أخي بَدْر الدّين الذي ذُكر اسمُه في مراسم تشييع رجلٍ من العِلْية. ذلك لأنّ بدْرَ الدّين هذا لم يُقَل إنّه گهرتاش (مناقب العارفين،١، ١٧٣).

ونجد مولانا في الرّسالة الثامنة والمئة، التي كُتبت إلى فَخْر الدّين صاحبِ العطاء، قد طلَبَ تسليمَ خانقاه أخي گهرتاش إلى الشيخ جمال الدّين.

وقد كُتبت الرّسالة الحادية والأربعون والمئة إلى «الأميرِ الأجَلِّ الحسيبِ النّسيبِ العالمِ العادِل، مقدَّمِ الجيوش، أسَدِ الوغى، ذي الشرفَيْن، بدْر الملّة والدّين...». وفي هذه الرّسالة عُرِّف بدْرُ الدّين بأنّه من أحبّة والد مولانا ودُعي تذكارًا من «الصَّدْر الأجلّ السّعيد الشهيد»، وقد أوصى مولانا أحدَ الأشخاص به، ولكنّ اسمَه لم يُذكر.

في الرّسالة الخامسة والأربعين والمئة يكتب مولانا: «صداقةُ الآباءِ قرابةُ الأبناءِ، الحبُّ يُتوارث»، ويطلبُ مساعدةً لشخصٍ اسمُه «تاجُ الدّين» قال إنّه: «ابنٌ عزيز».

ولا شكّ في أنّ بدْرَ الدّين الصّديقَ الأبويّ هذا هو بدْرُ الدّين گهرتاش (گوهرتاش) دزدار الذي هو مربّي السّلطان علاءِ الدّين كيقُباذ (٦١٦ـ٦٣٤هـ/ ١٢١٩ـ١٢٣٦م). وفي البلاط كان منشغلًا في خدمة التعليم، وله صلةٌ بسُلْطان

العلماء، والدِ مولانا، وبنى له مدرسةً، ووقّفَ هذه المدرسةَ لأولاده (الأفلاكيّ،١ ، ص٤٣ـ٤٤). وإذا ما صحّت روايةُ الأفلاكيّ في شأن خِتان سُلْطان ولَد وعلاء الدّين چلبي بيد بَدْر الدّين، عُلِم أنّ بَدْر الدّين تعرّف سُلْطانَ ولَد في لارندة (قَرَمان)، وربّما كان له أيضًا ارتباطاتٌ في قَرَمان (ص٣٠٣).

كذلك ينقلُ الأفلاكيّ عن فاطمة خاتون، ابنةِ صلاح الدّين زركوب، التي هي زوجةُ سُلْطان ولَد وأمُّ أولو عارف چلبي، أنّه إثْرَ استشهاد شمس رآه سُلْطانُ ولَد ليلًا في المنام وهو يقول: أنا نائمٌ في موضع كذا. فجمع طائفةً من خُلّص أصحابه وفي منتصف اللّيل أخرج جسَدَه من البئر، ودفنَه في مدرسة مولانا، إلى جانب باني المدرسة، الأميرِ بَدْر الدّين گهرتاش (ص٧٠٠ـ٧٠١). لكنّ هذه الرواية تنطوي على إشكالية لا غنى عن رفعها:

لأنّ بَدْر الدّين گهرتاش كان منحازًا إلى عزّ الدّين كيكاوس، نجده بعد أن فرّ عزُّ الدّين كيكاوس في سنة٦٥٩هـ/ ١٢٦٠ـ١٢٦١م إلى إستانبول، في عداد الكبراء الذين ذهبوا من جهة مُعين الدّين پروانه إلى ألنجاق نوين، قائد جيش المغول. وقد قُتل هؤلاء الكبراءُ [٢٤٩] جميعًا. (الأوامر العلائية، طبعة أفست، ص٦٤٢؛ ابن بي بي، نشرة هوتسما، ص٢٩٩؛ دائرة المعارف الإسلامية، ذيل مادّة كيكاوس الثاني، الجزء ٦٣، ص٦٤٢ـ٦٤٥). ومن هذه الوجهة، إذا كان جسَدُ بَدْر الدّين قد أُرسِل إلى قُونِيَة، فقد دُفِن إلى جانب شمس.

إنّ گهرتاش، باني الخانقاه، الذي ذُكِر في الرّسالة الثامنة والمئة، والأميرَ بدْرَ الدّين، الذي وجُّهت إليه الرّسالتان: الحادية والأربعون والمئة، والخامسة والأربعون

والمنّة، لا بدّ أن يكون عينَ بَدْرِ الدّين گهرتاش.

ويظهرُ من قصيدةٍ من خمسة عشر بيتًا لسُلْطان ولَد أنّ بَدْر الدّين گهرتاش كان قد وقَفَ قريةَ «قرا أرسلان» للمولويّة، ثم بعد ذلك غَصَبها «نجيب»، وعِقابًا على عمله وقَعَ في الأسْر، ونَجد سُلْطانَ ولَد يطلب إعادةَ هذه القرية من تاج الدّين معتزّ (ديوان سُلْطان ولَد، ص٢٦٦). ونحسبُ أنّ «نجيبًا» الذي ذُكِر في هذه القصيدة، هو نجيبُ الدّين مستوفي الذي، بعد اعتلاء ركن الدّين قليج أرسلان سريرَ السلطنة، قُتِل بصحبة جماعة من الكبراء. (مسامرة الأخبار، ص٤٠و٧٢).

٣ـ أكملُ الدّين (الطبيب):

ليس لدينا اطّلاعٌ كافٍ على حياة هذا الشّخص، الذي سُمِّي «أكملَ الدّين الطبيب» بسبب عمله في الطّبابة. وقد مدَحَه سُلْطانُ ولَد في قصيدةٍ من واحدٍ وأربعين بيتًا. ويتضمّن اثنان وعشرون بيتًا في بداية هذه القصيدة صَنْعةَ التوشيح، أي إنّ اسم أكمل الدّين مؤيّد النخجواني يُحصل عليه من حروف بدايات هذه الأبيات الاثنين والعشرين. (الديوان، ص ٢٣٠ـ٢٣٢). ونحن نعلم أنّه كان من أهل نخجوان وكان يُدعى «سلطانَ الأطبّاء»، و «مِلِكَ الأطبّاء» (سلاجقة تركية، عثمان توران، ص١٥١ـ١٧٥).

ويتبيّن من كتاب «فيه ما فيه» [لمولانا] أنّه كان من المرتبطين بمولانا، وكان يذهب لزيارة مولانا دائمًا (ص٣٠٩).

وقد كتبَ أكملُ الدّين شرحًا على كتاب القانون لابن سينا (مقدّمة مناقب العارفين بالتركية، ص ثلاث وستين ـ أربع وستّين).

وينقلُ سپهسالار عنه فضيلتين (طبعة مدحت بهاري١١٤ـ١١٥) وقد جاءت هاتان الفضيلتان عينُهما أيضًا في مناقب العارفين للأفلاكيّ (١،١٢٢ـ١٢٣و٣٣٧).

يكتب سپهسالار قائلًا: عندما كان مولانا مريضًا، ظلّ أكملُ الدّين وطبيبٌ آخر اسمُه غضنفري، ملازِمَيْنِ له (ص١٥٤مدحت بهاري). وفي صلاة الجنازة، عندما عرّف المعرِّفُ صدرَ الدّين بلَقب ملِك المشايخ، قال أكملُ الدّين: ارعَ الأدبَ، [٢٥٠] ليس ملِكُ المشايخ إلا مولانا (ص١٥٥ـ١٥٦).

ويكتب الأفلاكيّ قائلًا إنّ أكملَ الدّين كان يشترك في مجالس سَماع مولانا (ص٣٩٩) وكان يجيء لزيارة مولانا (ص٤٠٤ـ٤٠٥و٤٧٢). ويُستفاد من كتاب الأفلاكيّ أيضًا أنّه كان مهتمًّا بابن سينا، لكن علاقته بمولانا لا يمكن مقارنتُها بعلاقاته الأُخَر. وتتّفق روايةُ الأفلاكيّ مع ما قيلَ من أنّه ألّف شرحًا على «قانون» ابن سينا (ص٥٠٠). ويُعلَم من هذه الرّواية أنّه أيضًا عاش بعد ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، الذي هو عام وفاة مولانا.

رسالةُ مولانا الرابعة عشرة جوابٌ لرسالة أكمل الدّين.

الرّسالة الثالثةُ والتسعون تتضمّن طلَبَ أن يعيِّن أكملُ الدّين شخصًا اسمُه أفصحُ الدّين مدرّسًا لمدرسة قرطاي. وأفصحُ الدّين هذا، حسب الأفلاكيّ، شخصٌ انضمّ إلى مريدي مولانا عقب رؤيا رآها. وينبغي أن يكون هذا الشّخصُ عينَ أفصح الدّين المعيد (١،ص٢١٠).

الرّسالة الثانية والعشرون والمئة أيضًا موجَّهةٌ إلى أكمل الدّين في شأن إصلاح معيشة ابن مولانا، أميرِ العالَم چلبي، ويذهب أكملُ الدّين مرسَلًا من مولانا إلى مُعين

الدّين پروانه، ويُنهي هذه المهمّة.

٤ـ أميرُ العالَم چلبي = عالَم چلبي:

الابنُ الأصغرُ لمولانا جلال الدّين. فإنّ مولانا، بعد وفاة زوجه الأولى جوهر خاتون، تزوّج في قُونيَة من كرّا خاتون، ووُلِد له من هذه المرأة أميرُ العالَم چلبي ومِلِكة خاتون. لا نعرف العامَ الذي وُلد فيه أميرُ العالَم، ولكنّنا نعلم أنّه توفّي بعد أربع سنوات من وفاة أبيه، أي في اليوم السادس من جمادى الثانية عام٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م (انظر: المولوية بعد مولانا، ص٣٥٦ النقش الحجريّ لمزاره). وإذا ما تذكّرنا أنّ والدته توفّيت بعد خمسة عشر عامًا من وفاته، أي في الثالث عشر من رمضان عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م (الكتاب نفسه، والصفحة نفسها)، استطعنا أن نحكم بأنّه لم يعمَّر طويلًا.

يروي الأفلاكيّ أنّه عندما ولَدت كرّا خاتون مظفَّرَ الدّين أميرَ العالَم چلبي (٢، ٩٩٥) نظمَ مولانا غزلًا مطلعُه هكذا:

تعالوا أيُّها العشّاق، فقد جاء ذلك المحبوبُ القمريُّ الوجه

استعدّوا للسّرور والابتهاج، فالحبيبُ بين الأحضان

استمرّ مجلسُ السّماع لسبعة أيّام، وجُمعت هدايا كثيرة (نفسه،١، ٤٨٨ـ٤٨٩). ويكتب الأفلاكيّ أيضًا قائلًا إنّ أميرَ العالَم چلبي عملَ في خدمة الحكومة واشتغل خازنًا(١، [٢٥١] ١٩٩؛٢، ٧٨٩).

وقد دُفنَ مظفّرُ الدّين أميرُ العالَم چلبي في القسم الأماميّ من ضريح مولانا.

والكتابة العربيّة على قبره هي:

هذه تربةُ شمسِ المشارق المعالي تاجِ المفارق الأعالي مظفَّر الدّين أمير العالَم ابن مولانا سلطان المحبوبين، جلال الحقّ والدّين، محمّد بن محمّد بن الحسين.

القسمُ الآخر من حجر المزار، الذي يتوضّع في أقصى الأسفل ويُكمل اللّوحة السّابقة، على هذا النحو:

البَلْخيّ، قدّس اللهُ سِرّهم، نُقِل من دار الغرور إلى دار السّرور في السّادس من جمادى الأولى سنة ستّ وسبعين وستّ مئة، غفرَ الله لمحبِّهم (المولويّة بعد مولانا، ص٣٥٦).

وقد كُتبت الرّسالة الحادية والثلاثون إلى مُعين الدّين پروانه في موضوع مساعدة أمير العالَم چلبي.

ويكتب مولانا في هذه الرّسالة قائلًا إنّه «كان دائمًا في ظلّ العناية والشفقة والرّعاية»، ويطلب أن يُعتنى به من جديد، فقد ظهرت في تصريف معاشه معاناةٌ وصعوبة.

الرّسالة الثانية عشرة والمئة أُرسلت إلى الأمير بهاء الدّين، من أجل مساعدةِ لأميرِ العالَم. وقد ذُكِر في هذه الرّسالة أنّ أميرَ العالَم زارَ ذلك الأميرَ وظفِر من جنابه بنصيب. وذُكِر كذلك أنّ اللهَ قد خلق أميرَ العالَم من أجل عبادته، لكنّه أخيرًا واجه صعوبةً في العيش.

المخاطَبُ في الرّسالة الثامنة عشرة والمئة هو مظفَّر الدّين أميرُ العالَم چلبي . ويتبيّن من الرّسالة أنّ أميرَ العالَم چلبي لسبب من الأسباب جادلَ حُسام الدّين

چلبي وأزعجه قليلًا. وقد أكّد مولانا منزلةَ حُسام الدّين چلبي العظيمة وفضلَه عليه هو وعلى أمير العالَم، وطلَبَ من عالَم چلبي أن لا يُجادل حسامَ الدّين وأن يكسب مودّتَه، وإلّا فإن مولانا سينزعج منه.

على أنّ الرّسالة الرّابعة والخمسين، التي كُتبت إلى مجد الدّين، أهمُّ رسالةٍ تقدّم لنا معلوماتٍ في شأن حياة أمير العالَم چلبي. وفي هذه الرّسالة، التي تُعَدّ جوابًا لرسالة مَجْد الدّين، بُشِّر بأنّ أميرَ العالَمَ أعرض عن الدّنيا ولبس خِرْقةَ الصّوفيّة وحَلَق ودخَل في زِيّ الدراويش، ويبلّغ سلامَه لمجد الدّين. لكنّ هذه الرّسالة، مثلما قُلنا قبْلُ، ليست لمولانا نفسِه، لأنّه مكتوبٌ فيها: «عُرِض سلامُكم على حضرة مولانا».

[٢٥٢] وهكذا يُستنبط أنّ أمير العالَم چلبي في حياة مولانا، ربّما في أخريات أدوار حياته، تركَ الأعمالَ الحكوميّة وسلَكَ طريق السّالكين لطريق الحقّ.

٥- أمينُ الدّين ميكائيل:

أمينُ الدّين ميكائيل، الذي احتلّ منصبَ الاستيفاء الذي يعني أنّه كان يحقّق في الأمور المالية، وقد رُقّي في زمان سَلْطنة عزّ الدّين إلى منصب نيابة السلطنة، وبقي في ذلك المنصب إلى سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م. وعندما تُوّج غياثُ الدّين كيخسرو ملِكًا في سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، ظلّ محتفظًا بمنصبه. وقد وُصف أمينُ الدّين بأنّه «جبَلٌ في الحِلْم والوقار» وعُدّ ملجأَ الأحرار الخيّرين ومرهمَ القلوب المكلومة وعلاجَ أسقام الناس ومُنجدَ المبتلَيْن، وأُثني على أخلاقه الطيّبة. وقد سعى

هذا الشخصُ في أثناء عصيان القَرَمانيّين إلى أن يمنع الفتنة، ولكنّه لم يوفّق. وعندما زحفَ بيبرس إلى الأناضول، لم يلتحق به، وانصرف إلى التفكير في العاقبة، وتأمّل في نهاية الأمر، واحتفظ بوقاره. وفي عام ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، عندما دخل جَمْري قُونيَة، أُسِر أثناء فراره إلى تُوقات وخضع للتعذيب، فدلّ على مكان أمواله كلّها، وقُتِل (مسامرة الأخبار،ص ٤٣ـ٤٤، ٨٩، ٩٧، ١١١ـ١١٢، ١١٥، ١٢٤؛ ابن بي بي ٤، ص٣١٠و٣٢٥).

وفي كتاب «فيه ما فيه» لمولانا، أُثبتت أحاديثُه مع مولانا (ص ٤٣ و ٤٧).

ويذكر الأفلاكيّ أنّه كان يأتي لزيارة مولانا مع كبار القوم (١، ص ١٣٣). وكانت زوجُه تدعو مولانا إلى مجالس النّساء، وكان مولانا يتحدّث معهنّ ويؤدّي السّماع، وكانت هذه السيّدةُ تضع الوَرْدَ على رأس مولانا (٤٩٠ ـ ٤٩١). ويُروى أنّ النائبَ قد التقى شمسَ الدّين التبريزيّ أيضًا (ص ٧٨٢).

ويصف مولانا، في الرّسالة الثامنة عشرة، مخاطَبَه بألقاب «مَلِك الأمراء والخواصّ، مُغيث المظلومين، ينظر بنور الله، النّائب...». ونظرًا إلى هذه الأوصاف، لا بدّ من أن تكون هذه الرّسالة قد كُتبت من أجل أمين الدّين.

الرّسالة السّتون أيضًا كُتبت أيضًا إلى أمين الدّين ميكائيل. وفي هذه الرّسالة ذُكِر شخصٌ اسمُه جمالُ الدّين، جعله منشغلًا بالعلوم الدينية منذ طفولته وقد دعاه مولانا «ابنَه». وفي «مناقب العارفين» ذُكِر اسمُ تاج الدّين خروس الذي في طفولته [٢٥٣] طلَبَ العِلْم في مدرسة قرطاي (ص ٥١٠)، وكذلك اسمُ تاج الدّين بن النقيب الذي مدَحَه أولو عارف چلبي في رباعيّة له (٢، ٨٣١)، وكان مُعيدًا في المدرسة الأتابكية

(نفسه، ٨٤٤)، وكان في لاذيق مرافقًا لأولو عارف چلبي (٨٦٧). و تاجُ الدّين الموجودُ في الرّسالة قد يكون أحدَ هذين الشخصين.

الرّسالة الحاديةُ والسّتّون كُتبت أيضًا إلى النّائب. ويُحتمل أن يكون جمالُ الدّين الذي جاء اسمُه في هذه الرّسالة وتُحدّث عن ترتيب أمره عَيْنَ جمال الدّين قمريّ [أو جمال الدّين المعيد] الذي ذُكر في «مناقب العارفين» في زمرة العلماء (٢، ٧٨٤).

٦ ـ بهاء الدّين:

كَتبَ مولانا رسالتَه الثانية عشرة إلى شخصٍ يسمّيه «مَلِك الأمراء»، ثمّ إنّه، بعد إظهار الاهتمام به، طلَبَ منه أن يرتّب أمرَ شخصٍ اسمُه بهاء الدّين. وهو يرسلُ الرّسالة أيضًا بيد شخصٍ اسمُه بهاء الدّين ويقول: أرجو أن يكونَ محلَّ عناية، ويعودَ راضيًا وشاكرًا.

ولم نجد في المصادرالتاريخيّة حديثًا عن بهاء الدّين الذي يحتاج أمرُه إلى ترتيب. وبين أسماء بهاء الدّين الموجودة في أعلام مناقب العارفين، هناك شخصان اسمُ كلّ منهما بهاءُ الدّين، يحتمل أن يكونا مشمولين بهذه التّوصية:

أحدُهما بهاءُ الدّين بحري الذي بسبب نَسْخه أشعارَ مولانا عدا المثنويّ، يُسمّى باسم «كاتب الأسرار». وقد ذكر الأفلاكيّ هذا الشخصَ، الذي هو واحدٌ من رواة حكاياته، في أحد عشر موضعًا (انظر: باب الأعلام، ٢، ص ١١٨٤). كذلك يُعْلَم من كتاب الأفلاكيّ أنّ هذا الشّخص كان يعرف اليونانيّة، وفي الأدوار اللاحقة عُيِّن إمامًا للضريح (١، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣، ٤٤٢).

الثاني هو بهاءُ الدّين الخيّاط الذي عمل خادمًا في الضّريح في زمان أولو عارف چلبي (٢، ص ٥٩٨).

لعلّ بهاء الدّين الذي كتبَ مولانا رسالةً في التوصية به أحَدُ هذين الشخصين.

٧ ـ بهاء الدّين مِلِك السّواحل:

يُستفاد من الألقاب الموجودة في بداية الرّسالة الثانية عشرة والمئة «مختصّ الملوك والسّلاطين، ملك السّواحل، أمين الرّواحل والمراحل» أنّ هذه الرّسالة قد وُجِّهت إلى مِلِك السّواحل.

[٢٥٤] وُلّي بهاءُ الدّين هذه المهمّةَ بعد جلوس ركن الدّين قليج أرسلان على عرش السلطنة. وبعد أن خُنق ركنُ الدّين في سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م، في ثورة جَمْري والقَرَمانيّين، أُعدم في قُونيَة (مسامرة الأخبار، نشرة عثمان توران، ص ٧٢، ١٢٢؛ ابن بي بي، نشرة هوتسما، ص ٢٦، ٣٢٤، ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

ويذكر الأفلاكيّ هذا الشخصَ أيضًا بين الكبراء الذي جاؤوا لزيارة مولانا (١، ص ١٣٤).

٨ ـ تاج الدّين (القاضي):

الرّسالة الثالثة والثلاثون من رسائل مولانا خطابٌ لهذا الشخص. ويتحدّث الأفلاكيّ عن تاج الدّين قلمشاه، الذي تولّى في قُونيَة منصبَ القضاء، لكنّ هذا الشخص عاش في زمان أمير عابد چلبي (٧١٩ ـ ٧٣٩ هـ / ١٣٢٠ ـ ١٣٣٨ م).

ولأنّه كان قاضيًا في قُونِيَة لا يمكن أن يكون المخاطَبَ في رسالة مولانا (مناقب العارفين، ٢، ص ٩٨٨).

وفي كتاب «مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار»، ذُكِر القاضي تاجُ الدّين خويي، الذي كان في زمان غياث الدّين كيخسرو الثالث، الذي اعتلى عرش السلطنة في عام ٦٤٤ هـ/ ١٢٦٥ ـ ١٢٦٦ م، قاضيًا في قراحصار (نشرة عثمان توران، ص ٩٠). وفي الكتاب نفسه ذُكر القاضي نفسُه مرّةً أخرى بعبارة: «الشمسُ من دهشة مجلسه عَرِقت وهي فوق الفلك الرّابع» (ص ١٢١).

ونظنّ أنّ مولانا كتبَ رسالتَه إلى تاج الدّين خويي. مكتوبٌ في الرّسالة أنّه قبل هذا، حدّثتُ حُسامَ الدّين چلبي عنكم، وما قلتُه قَطْرةٌ من بحر. وبعد ذلك يطلبُ منه أن يفي بوعدٍ كان قد أعطاه في شأن چلبي.

٩ ـ تاج الدّين (معتزّ):

هو ابنُ محيي الدّين طاهر، قاضي القُضاة جلال الدّين خوارزمشاه. أنفذه المغولُ إلى الأناضول من أجل جباية الخراج لأداء ديون السلاطين السّلاجقة، ولكن لأنّ السّلطان عزّ الدّين كيكاوس الثاني لم يستقبله استقبالًا لائقًا وقال له إنّه: في طريقكم السّلطانُ ركنُ الدّين لماذا لم تبدؤوا المطالبةَ به، ذهب تاجُ الدّين بصحبة مبعوثَيْن آخرين إلى ركن الدّين قلبج أرسلان الرّابع. فاستقبلَ معينُ الدّين پروانه، الذي كان عند ركن الدّين، تاجَ الدّين والمبعوثَيْن باحترام. وقد هزمَ جندُ المغول، الذين كانوا قد جاؤوا إلى الأناضول، أتباعَ عزّ الدّين، وفرَّ عزُّ الدّين إلى إستانبول. وعيّن قليج أرسلان، الذي

[٢٥٥] كان سلطانًا بغير منازع، تاجَ الدّين في إدارة الأمور المالية في قسطمونية وأنقِرة، وأصبح أحدَ الرّجال المقتدرين في أعمال الحكومة أيضًا. ثمّ بعد فترة، اصطدم بقليج أرسلان، فاتّحد هذا مع مُعين الدّين لعَزْل تاج الدّين. وفي ثورة ولَد خطير، انحاز إليه. وبرغم أنّه اتُّهم في مسألة مجيء الجيش المصريّ إلى الأناضول، بُرّئت ذمّتُه من ذلك. وقد صُرّح في كتب التاريخ أنّه ساد الهدوءُ والاستقرار في البلاد التي تولّى تاجُ إدارتَها. ويُثنى على إدارته وعدالته. وكان تاجُ الدّين أيضًا بين الأمراء الذين رافقوا أباقا في سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨ م، أثناء مجيئه إلى الأناضول. وقد رافق الخانَ حتّى أرزنجان وهناك مرض، ثم بعد انصراف أباقا وافته المنيّةُ (مسامرة الأخبار، ص ٦٥، ٦٦، ٨٩، ٩٩، ١٠٢ ـ ١٠٥، ١١٨).

ويذكر ابنُ بي بي أنّ والد تاج الدّين معتزّ كان من خوارزم (ابن بي بي، طبعة هوتسما، ص ٣٠٢).

وفي مناقب العارفين، يُذكر تاجُ الدّين معتزّ في مناسبات مختلفة. يذهب بصحبة پروانه إلى مجالس مولانا (ج ١، ص ١٠٠)، وهو من جملة الأمراء الذين كانوا يذهبون للقاء مولانا (ص ١٣٣)، ومولانا مهتمّ به وكان يدعوه «مُواطني» (ص ٢٣٩)، ويريد أن ينشئ «دار العشّاق» من أجل محبّي مولانا، لكنّ مولانا يرفض ويُنشد غزَلًا في هذه المناسبة (كلّيّات شمس، ج ٤، ص ٥٠، الغزَل ١٧١٢). وبعدها يبني هذا الشخصُ، بطلب سُلْطان ولَد، عدّةَ حُجُرات في ظهر المدرسة (مناقب العارفين ص ٢٤١ ـ ٢٤٢). وبين الفينة والفينة كان يرسل لمولانا بعضَ النقود (٢، ص ٧٥١)، وكان حاضرًا في مراسم تعيين حُسام الدّين چلبي شيخًا لخانقاه ضياء الدّين (ص ٧٥٤).

كذلك يتبيّن لنا من كتاب الأفلاكيّ أنّ تاج الدّين معتزّ قد أنشأ مدرسةً في قيصَريّة من أجل شرف الدّين المدرّس.

الرّسالة الثانيةُ والعشرون من رسائل مولانا مرسَلةٌ إلى تاج الدّين معتزّ في شأن طلَب مساعدة لنظام الدّين، صِهرِ حُسام الدّين چلبي. وفي هذه الرّسالة يلقّبه مولانا بـ «فخر خراسان والعراق».

وفي الرّسالة الثامنة والخمسين يسمّيه «الصّاحبَ الأعظم»؛ ولكنه من عبارة «فخر خراسان والعراق» يُعْلَم أنّ المخاطَبَ بالرّسالة تاجُ الدّين معتزّ. وفي هذه الرّسالة نجد مولانا يطلب المساعدة لشخص [٢٥٦] اسمُه السيّد شرف الدّين.

الرّسالة التاسعة والخمسون مرسَلةٌ في شأن طلَب المساعدة لنظام الدّين، صهر حُسام الدّين چلبي. الحكايةُ الموجودةُ في آخر الرّسالة كأنّها طلب عفو.

الرّسالة الخامسة والسبعون طلَبُ تفويض خانقاه ضياء الدّين وخانقاه آخر (لعلّه أيضًا موقوف لضياء الدّين) إلى حُسام الدّين چلبي.

في الرّسالة الثامنة والثمانين يُطلب تسليمُ الإمامة والوعظ في مسجدِ قرا أرسلان، الموقوفِ لأسرة شمس الدّين الخجندي، إلى صدر الدّين. ويتحدّث عن صدر الدّين بوصفه «الابنَ العزيز». وهذا الشخصُ هو ابنُ حسام الدّين چلبي. ابنُه، حسامُ الدّين حسن، مدفونٌ في تربة مولانا. وهو متوفّى في التاسع والعشرين من شوال عام ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢م (عبد الباقي گلبينارلي، المولويّة بعد مولانا، ص ٣٥٨).

في الرّسالة المئة يُطلب العفوُ عن شخص اسمُه «أخي محمّد». وفي مناقب العارفين يُذكر «أخي محمد ديوانه»، تلميذُ الشيخ أسَد الدّين المتكلّم الذي كان مقيمًا في سيواس

(ج ٢، ص ٦٧٣). عاش هذا الشخصُ إلى زمان أولو عارف چلبي، وكانت تُرتَّب له مجالسُ السّماع. كان له صداقةٌ مع أسرة مولانا، وكان مهتمًّا بأفراد تلك الأسرة (ص ٨٥٥ ـ ٨٥٦ و ٨٦٣). ويحتمل أن يكون «أخي محمّد» الشخصَ نفسَه.

الرّسالة السابعة بعد المئة طلبُ جلال الدّين مساعدةً للعلماء.

وفي الرّسالة التاسعة عشرة والمئة يوصّي بشخص اسمُه شمسُ الدّين.

الرّسالة السادسة والثلاثون والمئة طلبُ مساعدة لحامل الرّسالة.

١٠ ـ جلال الدّين قرطاي:

هذا الشخصُ يونانيُّ الأصل ومن الغلمان الذين أعتقهم علاءُ الدّين كيقباذ الأوّل. في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م، إثر وفاة علاء الدّين، عيّنه غياثُ الدّين كيخسرو الثاني في منصب الخزانة الخاصّة والخدمة في الطشت خانه*. بعد معركة كوسه طاغي ووفاة غياث الدّين عَمِلَ في إدارة أمور السّلطنة بصحبة بدر الدّين يوتاش. في عهد عزّ الدّين كيكاوس الثاني وصلَ إلى منصب نائب السّلطان وأمّن السلطنة المشتركة لعزّ الدّين وأخويه. وإنّ جلال الدّين قرطاي، الذي أخمد فتنة خانات «أوج»، توفّي في قيصرية في عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٤م.

---

* في زمان السلاجقة، يطلق اسم الطشت خانه على المكان الذي كان السلطان يغسل يديه فيه قبل تناول الطعام وبعده، وكان يُحفظ فيه سيفُ السلطان ولباسه وحذاؤه ولوازمه الأُخَر. والشخص الذي كان يتولّى أمور الطشت خانه يسمّى الطشت دار. [المحقّق الفارسيّ].

[٢٥٧] ولأنّه كان رجلًا متديّنًا، كان يوقّع تحت الأوامر: «وليُّ الله في الأرض» (مقدّمة مناقب العارفين بالتركية، الصفحات من ٦١ إلى ٦٣).

يذكره الأفلاكيّ بألقاب «وليّ السّيرة، الطّاهر السّريرة»، ويكتب قائلًا إنّ مولانا كان يكنّ له احترامًا كبيرًا، وكان يخاطبه بـ «قرطاينا»، ويضيف أنّه بعد وفاته أيضًا ذهب مولانا لزيارة تربته (١، ص ٢١٨).

الرّسالة الثالثة والعشرون من رسائل مولانا، مثلما يظهر من العنوان أيضًا، مكتوبةٌ إلى جلال الدّين مستوفي. وفي رسائل مولانا طبعة طهران، أثبتها يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين خطأً لقرطاي (طبعة طهران، ٢٨٦).

الرّسالتان الثالثة والثمانون والثالثة والعشرون لهما نفسُ عنوان الرّسالة السادسة والعشرين والمئة. وفي هذه الرّسالة، يصف مولانا مخاطبَه بأنّه «مختار سيّد الأمراء، مفخر الكبراء، عالي الهمم، ملكيّ الأخلاق، كرّوبيّ الأوصاف، مَعْدِن الخير والإنصاف، مختصّ الملوك والسلاطين، ملجأ الضّعفاء، جلال الملّة والدّين...»، ومن بين هذه الأوصاف والألقاب نرى أنّ وصفَ «ملكيّ الأخلاق وكرّوبي الأوصاف» خاصّةً، لائقٌ بجلال الدّين قرطاي.

وقد طلَب مولانا في هذه الرّسالة أن تُدفع بقيّةُ ثمن البستان الذي اشتراه ورثةُ صلاح الدّين زركوب.

١١ ـ جلال الدّين مستوفي (الأمير):

تولّى جلالُ الدّين محمود في زمان السلطان غياث الدّين كيخسرو منصبَ

الاستيفاء. وفي عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م، ذهب إلى قيصَريّة بصحبة غياث الدّين كيخسرو. وفي تلك الأيّام انتفض ولَدُ خطير. فأُسِر في هذا التمرّد، ولكنّه حُرِّر بمساعده جيش المغول. واختير جلالُ الدّين، الذي كان قد ذهب للقاء حاكم المغول، نائبًا للسلطان بطلب من المغول. وقد وصفه المؤرّخون بالصّدق في القول والاستقامة في العمل، وأضافوا أنّ الأمور الماليّة قد ظفرت في زمانه بالتنظيم والترتيب (ابن بي بي، طبعة هوتسما، ص ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٣، ٣٣٤؛ مسامرة الأخبار، ص ٩٧، ١٠٠، ١٠٢).

ذُكِرَ في كتاب الأفلاكيّ اسمُ جلال الدّين محمود، بين أسامي الأشخاص الذين ذهبوا إلى لقاء مولانا (١، ص ١٣٣). وقد جاء في الموضع نفسه أنّ مولانا أيضًا حضرَ في مجلس الضيافة الذي كان قد أعدّه (ص ٥٦٥).

[٢٥٨] ونعلم أنّه أحدُ الأشخاص الذين كانوا منشغلين بتعلّم الحديث عند صدر الدّين القونيويّ، ويظهر من المصدر الذي ينطوي على هذا الخبر أنّ والده كان «أميرَ الحاج» (مقدّمة رسائل مولانا، بقلم نافذ أوزلوق، ص ١٧، رقم ٦).

الرّسالة الثالثة والعشرون من رسائل مولانا أُرسلت إلى جلال الدّين المستوفي، وقد طُلب فيها أن لا يأخذ المالَ الذي طُلب من نظام الدّين.

وإن كانت الرّسالة السادسةُ والعشرون والمئة قد كُتبت إلى المستوفي، فقد أُثبتت كلمةُ «فلان» في موضع الاسم الأصليّ. ومن المحتمل أنّ هذا القسم تُرك خاليًا في المسوَّدة، ثم في الاستنساخ، بعد ذلك، كُتبت كلمةُ «فُلان» في الموضع الخالي. وفي هذه الرّسالة طُلب إزالةُ مضايقة الأشخاص الذين يضعون العراقيل أمام تسليم زاوية

ضياء الوزير إلى حسام الدّين چلبي.

١٢ ـ جمال الدّين:

لم نستطع تعيين الهويّة القَطْعيّة لهذا الشخص. ومن جهة أنّه ذُكِر في الرّسالة بأوصاف «فخر الأئمة والمعيدين»، يبدو أنه كان عالِمًا، وكان يُعدّ واحدًا من المدرّسين. وفي هذه الرّسالة، أُبلغ سلامُ القاضي سراجِ الدّين أيضًا، وكُتِب أنّ الفقهاء والدّراويش يرغبون في لقائه، وجاء حديثٌ عن الفراق الطويل جدًّا.

الرّسالتانِ الرابعةُ والمئة والخامسةُ والمئة أيضًا أُرسلتا إلى شخص اسمُه جمالُ الدّين. وفي الرّسالة الرابعة والمئة أيضًا عُرِض أمرُ الاشتياق إلى اللقاء. لكنّه في هذه الرّسالة يُبلَّغ السَّلامُ بطريق المخاطَب إلى الوزير ورجاله أيضًا. وفي الرّسالة الخامسة والمئة عُرِض سلامُ الإخوان على صاحب الرّسالة. ولكن، لأنّه لم يأت في أيٍّ من الرسالتين حديثٌ صريح عن تدريس جمال الدّين، لايمكن قطعًا قولُ إنّ الرّسالتين الأخيرتين أيضًا قد كُتبتا إلى جمال الدّين نفسه.

في عهد عزّ الدّين كَيْكاوس الأوّل، كان هناك قاضٍ اسمُه جمالُ الدّين فَرُّخ؛ ولكن، من وجهة نظرٍ زمانية، لا يمكن جمالَ الدّين أن يكون هذا الشخصَ، لأنّه لم يُشَر إلى سيادته، وبناءً على ذلك فإنّ هذا الشخص ليس السيّدَ جمال الدّين، ولا يمكن في حالٍ أن يكون جمالَ الدّين الخُتَنيّ و جمالَ الدّين الشّكاريّ. ولا نُقدّر أن يكون جمالَ الدّين المعروفَ بابن الفلكيّ، الذي انشغل في [٢٥٩] أنطالية بنَسْخ كتابٍ (في شأن هؤلاء الأشخاص ارجع إلى: سلاجقة تركية، ص ٤٥، ٥٦ ـ ٥٧، ١٤٨).

لا يمكن أن يكون هذا الشخصُ جمالَ الدّين المستوفي الذي وهو في سنّ المئة

سجَنَه رجالُ إيرنجين نُويان وعذّبوه ونهبوا أمواله، وهو نفسُه الذي كان مشهورًا بالشّيخ جمال الدين خواجه خاموش (مسامرة الأخبار ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

وفي كتاب الأفلاكيّ، هناك شخصٌ اسمُه جمالُ الدّين قمري من أصحاب مولانا. ويكتبُ الأفلاكيّ قائلًا إنّ عزّ الدّين كَيكاوس الثاني جاء يومًا زائرًا مولانا، ولم يُعر مولانا السلطانَ اهتمامًا كبيرًا. وسأل السّلطانُ مولانا أن يعظه. فقال مولانا: أيُّ موعظة نعظُك بها، قالوا لك: كنْ راعيًا، فصِرتَ ذئبًا؛ عيّنوك حافظًا وحاميًا وأنت تمدُّ يدَكَ في السّرقة؛ جعَلَك الرّحمنُ مِلِكًا، وأنت تعملُ بكلام الشّيطان. فخرج السلطانُ باكيًا من المدرسة، وفي باب المدرسة الذي خرج منه تاب عن أعماله السّابقة. ينقلُ الأفلاكيّ هذه الروايةَ عن جمال الدّين قمري ويلقّبه بـ «خُلاصةِ الأصحاب، مَظْهَرِ النّور». ولأنّه بعد ذِكْر اسمِه يترحَّم عليه، يظهر أنّ الشيخ جمال الدّين تُوفّي قبل وقتٍ طويل من اشتغال الأفلاكيّ في تأليف كتابه، أي عام ٧٥٤ هـ/ ١٣٥٣ م (١، ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

كذلك يروي الأفلاكيّ عنه نفسِه أنّ الأتابكَ أرسلاندغمش بنى مدرسةً ضخمة، وشَرَط في كتاب وَقْفها أنّ الأحنافَ وحدَهم ينبغي أن يدرّسوا فيها، وأن لا يكون للشافعيّة سبيلٌ إليها. فرفضَ مولانا هذا الشّرطَ وقال: إنّ وجوهَ الفائدة المرتبطة بهذا الشّرط غير مقبولة. كذلك طلَبَ مُعين الدّين من مولانا أن يعظه، فقدّم مولانا الوعْظَ له ولأصحابه (نفسه، ٤٤٤ ـ ٤٤٥).

كذلك يذكرُ الأفلاكيّ أنّ شجارًا وقع بين سُلْطان ولَد وزوجته. ولهذا كتَبَ مولانا رسالةً لفاطمة خاتون وأرسلَها بوساطة جمال الدّين قمري. وقد نقلَ الرّسالة

أيضًا، وهي الرّسالة السادسةُ والخمسون في هذا الكتاب (٢، ٧٣٤ ـ ٧٣٦). وهذه الرّسالة في طبعة أوزلوق هي الرّسالة ذاتُ الرقم ٥٤.

يذكرُ الأفلاكيّ جمالَ الدّين قمري في زمرة «رؤساءِ الأصحاب والعلماءِ ذوي الألباب» ويقول إنّه عاش في إبّان طفولة سُلْطان ولَد.

وقد ألّف الأفلاكيّ كتابَه «مناقب العارفين» بين ٧١٨ و ٧٥٤ هـ / ١٣١٨ و ١٣٥٣م (مقدّمة تحسين يازجي، ١، ص ٩). والرّسالةُ التي أُرسلت إلى فاطمة خاتون كُتبت بعد وفاة صلاح الدّين زركوب، أي بعد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

[٢٦٠] وجمالُ الدّين هذا من الأشخاص الذين رأوا عهدَ طفولة سُلْطان ولَد. ويظهر من مجموع هذه التآليف أنّ جمالَ الدّين قمري لم يدرك مرحلةَ خلافة سُلْطان ولَد. وإن يكن أدرك هذه المرحلةَ فقد توفّي بعد مدّةٍ قصيرة. ولايوجد في كتاب الأفلاكيّ أيّةُ رواية عن هذا الشخص في شأن سلطان ولَد؛ وتؤيّد هذه القضيةُ الفكرةَ السابقة. ونحن نرى أنّ مخاطَبَ مولانا هو الشخصُ نفسُه.

وقد طلَبَ مولانا في الرّسالة التي كتبها إلى فخر الدّين علي صاحب العطاء أن يسلّم خانقاه أخي گهرتاش لهذا الشخص.

١٣ ـ حاجي أمير:

الرّسالة التاسعةُ والأربعون أرسلت إلى حاجي أمير. وفي «مناقب العارفين» أيضًا قيل عن شخصٍ اسمُه حاجي أمير إنّه كان من أهالي قُونيةَ ومن المحِبيّن الحقيقيّين لمولانا ومن أصحاب الثراء. وفي الرّسالة لم يُشَر إلى عمل المخاطَب في التجارة. وقد

وصفه مولانا بـ «حسَن العهد ومجاهد». وبناء على ذلك لايمكن أن يكون المخاطَبُ في هذه الرّسالة حاجي أمير المذكور في «مناقب العارفين». وفي مُسامرة الأخبار ذُكِر حاجي بابا بين رجال عهد عزّ الدّين كيكاوس الثاني. وهذا الشخصُ أحدُ الأشخاص الذين فرّوا إلى القسطنطينية بصحبة عزّ الدّين. وعندما لجأ ذلك الملِكُ للمرّة الثانية والأخيرة إلى القسطنطينية، كان هذا الشخصُ أيضًا معه (نشرة عثمان توران، ص ٤٢ و ٧٢).

يذكر سُلْطان ولَد أنّ حاجي أخي أمير يسكن في قيصَرية أو أنه انتقل إلى قيصَرية في أعقاب اضطراب وأنّه من محبّي مولانا (الديوان، ص ٤٥٣، البيت ٩٤٤٤). ولعلّه يكون هذا الشخصَ نفسَه.

وقد تحدّث مولانا في رسالته عن الفراق والاشتياق إلى اللّقاء. ومن هذه الوجهة يمكن افتراض أنّ هذه الرّسالة أرسلت إلى بيزنطة.

١٤ ـ حسام الدّين چلبي:

هو أحبُّ مريدي مولانا إليه وخليفتُه. عرّفه مولانا، بعد وفاة صلاح الدّين، لمريديه بأنّه خليفتُه. نظَم مولانا المثنويَّ تحقيقًا لرغبته ومن أجله. بعد وفاة مولانا بايعه ابنُه سُلْطان ولَد وإلى زمان وفاته رأى فيه الأصحابُ مولانا. [٢٦١] توفّي حُسام الدّين چلبي يومَ الأربعاء الثاني عشر من شعبان عام ٦٨٣ هـ/ ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٢٨٦ م، وأُودعَ الثرى في مقبرة مولانا (اقرأ سيرتَه في كتاب مولانا جلال الدّين ص ١٩٥ ـ ٢١٠، وكتاب المولوية بعد مولانا، ص ١٩ ـ ٢٨).

رسالةُ مولانا التاسعة والسبعون خطابٌ له. وفي هذه الرّسالة أبرز مولانا علاقتَه

به ومحبّته له وبيّن اشتياقَه للقائه. كان مولانا يذهب في كلّ سنة مرّةً إلى ماء إيلغين الساخن. ولعلّ هذه الرّسالة كُتبت في أثناء هذا السّفَر والفراق القصير الأمد.

الرّسالتانِ الثلاثون والمئة والحادية والثلاثون والمئة أيضًا موجّهتان إلى حُسام الدّين. في الرّسالة الأولى أخبرَ مولانا عن مرضه، وقد أشار ضمنًا إلى أنّ أحد الخُلّص دعاه وطلَب منه أن يحلّ ضيفًا عليه، وبيّن أنّه منتظرٌ اليومَ وغدًا على أمَلِ أن يذهب إلى هذه الضّيافة بصُحبة حُسام الدّين. وفي النهاية عندما يئس ذهبَ إلى الدّعوة، وقنَعَ مضطرًّا بصُحبة خياله. وهذه الرّسالة من جهة العمق وأسلوب الكتابة غايةٌ في الرّوعة. وفي رسالة أخرى أيضًا بيّن مولانا ارتباطَه به بصورة أخرى.

١٥ ـ حميد الدّين (الشّيخ):

الرّسالة الثامنة والستّون أُرسلت إلى مُعين الدّين پروانه بيد هذا الشخص. وهذه الرّسالة التي تتضمّن سلامَ حسامِ الدّين چلبي أيضًا يُطلب فيها تسليمُ خانقاه نُصْرت الدّين إلى حسام الدّين.

ونُصْرت الدّين هذا ابنُ صاحب العطاء فخر الدّين عليّ (انظر: فخر الدّين علي صاحب العطاء). وفي زمان عزّ الدّين كَيْكاوس الثاني، كان قد عُيّن بصحبة أخيه تاج الدّين أميرًا على إمارة كوتاهية وآق شهر وتوابعها. والأخوانِ كلاهما قُتلا في أواخر عام ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ ـ ١٢٧٨ م، في فتنة القَرَمانيّين وحكّام «أوج» (مسامرة الأخبار، ص ٧٤ و ١٢٢).

ويذكر الأفلاكيّ أنّه كان عند نُصْرت الدّين الوزير خانقاهُ في قُونية. وقد أثبت في

موضعين أنّه قد عُقد في هذا الخانقاه اجتماعٌ للصّوفية (٢، ص ٦٤٧ و٦٩٤).

كذلك يتبيّن من كتاب الأفلاكيّ، نقلًا عن سُلْطان ولَد، أنّه كان هناك شيخٌ اسمُه الشيخُ حميدُ الدّين كان شديدَ الارتباط بمولانا. ويقول سُلْطان ولَد إنّني قلتُ لوالدي: ما دمتَ تحبُّ هذا الشيخَ إلى هذا الحدّ فلنأخذْه معنا إلى قُونِيَة. فقال مولانا: يوجد في قُونِيَة الشيخُ صلاحُ الدّين، وأسَدانِ لا يجتمعان في إقليم واحد (٢، ٧١٤). ولأنّه جاء حديثٌ [٢٦٢] عن دمشق، يتراءى أنّ لقاء مولانا هذا الشخصَ حصَلَ بعد شهادة شمس، يعني بعد عام ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م، إذ كان قد ذهبَ إلى دمشق للمرّة الأولى أو الثانية. وإذا كان الشيخُ المعنيُّ هو الشخصَ نفسَه وكان قد جاء إلى قُونِيَة بعد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، أي بعد وفاة صلاح الدّين، فإنّ هذه الرّسالة تكون قد أُرسلت إلى مُعين الدّين پروانه بعد التاريخ المذكور. وفي رأينا أنّ هذا الرأي صحيحٌ، لأنّ سَلام صلاح الدّين أيضًا قد أُدرج فيها.

ومن المحتمل أنّ الشّيخ حميدي الذي أُدرج اسمُه بين مشايخ مسامرة الأخبار هو الشخصُ نفسُه (ص ٩١).

١٦ ـ خواجه جهان:

الرّسالةُ الرابعة والسّبعون خطابٌ لخواجه جهان. ومعلومٌ أنّ خواجه جهان ليس اسمًا خاصًّا أو تخلّصًا(*) لشخص، بل هو لقَبٌ اشتُهر به. وتوجد اليومَ، في ضواحي

* التخلّص في الشعر الفارسيّ مصطلَحٌ يُراد منه الاسمُ الشعريّ للشّاعر؛ إذ لكلّ شاعر اسمٌ شعريّ يتخلّص به،

=

قُونِيَة، قريةٌ اسمُها «خواجه جهان»، لأنّ قُبّة خواجه جهان موجودةٌ في تلك القرية. ولكن ليس لتلك القبّة تاريخٌ ولا يُرى في داخلها ضريحٌ أو صندوق.

يكتب مولانا في هذه الرّسالة قائلًا إنّ خواجه جهان دائمًا في إكرام وإحسان، ويذكره موصوفًا بأنّه «السّلطانُ الصّافي الرّوح، فخرُ السلاطين، مهديّ آخر الزمان، صاحب طالع عنايةِ الله ونظر الرّجال...». وهذه فقط رسالةٌ مسجّعة بين رسائل مولانا وكُتُبه المنثورة الأخرى، وهذا النّثرُ مثالٌ محصور في فرد. ومن هذه الرّسالة يظهر أنّ خواجه جهان كان رجلًا عالِمًا وأديبًا.

وفي مناقب العارفين للأفلاكيّ لم يرد اسمُ خواجه جهان؛ ولكن ذُكِر شخصٌ ثريّ وخيِّر اسمُه خواجه مجد الدّين المراغي كان في مجالس السّماع يقدِّم صناديق مليئة بالألبسة والعمائم والأحذية... نثارًا للعارفين والمنشِدين (١، ٢٥٧). فهل خواجه جهان هو الشخصُ نفسُه؟.

هناك كتابٌ عنوانه «رغائبُ المناقب» كتبه أمين دده في عام ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م. وقد قُصد من تأليف هذا الكتاب تسجيلُ مناقب الشّيخ صدر الدّين، ولكن جُمعت فيه، أكثر من أيّ شخصٍ آخر، مناقبُ مولانا في رسالة سپهسالار ومناقب العارفين للأفلاكيّ، التي لها ارتباطٌ بصَدْر الدّين. وفي هذا الكتاب ذُكر اسمُ خواجه جهان.

و خواجه جهان هذا شخصٌ ثريّ جدًّا وعاش في عهد علاء الدّين. وعنده [٢٦٣] ابنٌ واحد: علي جان. اسمُ أمّه أسمهان. وعلي جان مصابٌ بمرض الصّرَع.

=

مثل: رودكي، خاقاني، معزّي [المترجم].

ويُظهِر الأطباءُ عجزًا عن معالجته. فيذهب خواجه جهان إلى الشّيخ صدر الدّين ليعالجه. فيدعو صدْرُ الدّين للطّفل ويكتب له تعويذة ويخيطها على عَضُد الطفل. فيصحّ الطفلُ. فيُخلي خواجه جهان منزلًا واسعًا في داخل بستانٍ كان يمتلكه ويعطيه لصَدْر الدّين، إكرامًا له. واليومَ فإنّ المكان الذي يضمّ قبر صدر الدّين وخانقاهه هو نفسُه منزلُ خواجه جهان (المخطوطات التّركية في جامعة إستانبول، رقم ٤١١١، a ٧ ـ b٨؛ وهذه النسخة التي تنطوي على ٢١٢ ورقة نسخةٌ جديدة. وهناك نسخةٌ قديمة من هذا الكتاب في مكتبة متحف مولانا في قونية).

فقط المخطوطةُ التي حصلنا عليها في شأن خواجه جهان هي هذه النسخة نفسُها. وإذا ما اعتمدنا هذه المخطوطةَ، استنادًا إلى رسالة مولانا، فإنّ علاء الدّين الذي حكَمَ من سنة ٦١٦ إلى سنة ٦٣٤هـ/ ١٢١٩ ـ ١٢٣٦م، هو علاءُ الدّين كيخسرو الأوّل.

١٧ ـ سراجُ الدّين:

دُعي هذا الشخصُ في الرّسالة الثالثة «الإمامَ الفريد، الأخَ الأعزّ، سراجَ الدّين المجاهدَ الطالبَ للحقّ»، وفي الرّسالة السابعة عشرة والمئة «الابنَ العزيزَ المخلِصَ، العالمَ الزاهد العابد، العارفَ، وليّ الله، سراج الدّين». والمخاطَبُ بالرّسالة، الذي ذُكِر في مناقب العارفين بأوصافٍ مختلفة وسُمّي «مِلِكَ المدرّسين» و «فقيهَ تلك الناحية»، ينبغي أن يكون سراجَ الدّين التّتري (وهذا هو حَدْسُ الأستاذ تحسين يازجي أيضًا، ترجمة مناقب العارفين، المقدّمة، ص٧٢. ورأيُ يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين خطأٌ، ص ٢٨٨).

وبرغم أنّ الأفلاكيّ يصفُ سراجَ الدّين المنشِدَ للمثنويّ [مثنويخان - بالفارسيّة] بأوصافِ «الوليّ الخفيّ، العارفِ الصّمداني» لا يشير إلى تدريسه (١، ص ١٦٢ - ١٦٣، ٢٢٢، ٥٨٣؛ ج ٢، ٥٩٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٥، ٧٥٢، ٧٦١، ٧٧٣، ٧٩٠، ٨٢٩، ٨٣٢، ٨٨٠).

وسراجُ الدّين التّتريّ من المقرَّبين عند مولانا. وكان مولانا يذهب إلى حجرته ويتحدّث معه عن شمس. وفي آخر مرَضٍ لمولانا، لم يبتعد سراجُ الدّين عن فراشه. فهو من المحبّين للغاية لحضرة مولانا (ج١، ١٩٠ - ١٩١، ٢٢٠، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٤٦؛ ج٢، ٥٩٧، ٦٢٥، ٧٨٤). وكان الأفلاكيّ كلّما ذكره استعمل في شأنه العبارةَ الدّعائية «أعلى اللهُ درجاته» (ص ٨٢٦). وبناء على ذلك يكون سراجُ الدّين التّتري قد توفّي قبلَ عام ٧١٩ هـ/ ١٣١٩ - ١٣٢٠م.

[٢٦٤] وقد أبلغ مولانا في رسالته الثالثة سلامَ سراج الدّين إلى المخاطَب. ويكتب في الرّسالة السابعة عشرة والمئة أيضًا أنّ سراج الدّين كان في صدد أن يكون مدرّسًا في المدرسة الكبيرة أوشيخًا للخانقاه الكبير، ولكنّ غَيرة الحقّ شغلته بذاته العليّة فقطعته عن الدنيا. ويريد مولانا أن يعيّنه مدرّسًا في المدرسة الكبيرة، التي لم يُذكراسمُها.

١٨ - سراجُ الدّين الأُرْمَويّ(القاضي):

كان القاضي سراجُ الدّين محمود في زمان مولانا أحدَ كُبراء قُونِيَةَ وعلمائها. وقد جاء في كتاب مسامرة الأخبار أنّه تولّى منصبَ القضاء في قُونِيَة. وفي هذا الكتاب ذُكِر

بعباراتِ «بحر الفضائل، وشمس سماءِ الشريعة، ومركز محيط الحقيقة والطريقة، ومختطف قصَب السَّبْق من علماء العالَم في المعقول والمنقول» (طبعة عثمان توران، ص ٩٠ و ١٢١). وفي ثورة جمري، أثار الناسَ عليه واشترك في محاكمته أيضًا(ابن بي بي، طبع هوتسما، ص ٣٢٩). وتوفّي في عام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م.

ويتحدّث سپهسالار عنه في كلّ مناسبة (ترجمة مدحت بهاري، ص ١٢٠، ١٣٣ ـ ١٣٤، ١٤٦ ـ ١٤٧). وبرغم أنّ مولانا كان قد أوصى بأن يؤمّ الشيخُ صَدْرُ الدّين الناسَ في صلاة جنازته، فإنّه عندما أُغمي عليه صلّى في النّاس القاضي سراجُ الدّين. وينقلُ الأفلاكيّ رواياتٍ إضافية في شأنه زيادةً على ما نقَلَهُ من روايات سپهسالار (ج ١، ص ١١٩، ١٦٥ ـ ١٦٨، ٢٧٤ ـ ٢٧٥، ٣٠٥ ـ ٣٠٧، ٣٢٥، ٣٣٩، ٣٧٠ ـ ٣٧١، ٤١٠ ـ ٤١١، ٤١٢، ٤٦٤؛ ج ٢، ص ٥٩٤ و ٧٩٢). ويُستفاد من مجموع هذه الرّوايات، خاصةً من الرّوايات التي يسمّيه فيها الأفلاكيُّ «الشافعيَّ الثاني»، أنّ سراجَ الدّين كان في أوّل أمره في صحبة الشيخ صدْرِ الدّين، مخالفًا لمولانا، ولكنّه بعد ذلك ارتبط بمولانا ارتباطًا شديدًا. وبرغم أنّ الأفلاكيّ لم يُثبت أنّ سراجَ الدّين صلّى في النّاس في جنازة مولانا، لا بدّ من أن نقبل رواية سپهسالار من وجهة التقدّم الزمانيّ.

ويكتب الأفلاكيّ قائلًا إنّه بعد وفاة مولانا، جاء القاضي سراجُ الدّين لزيارة تربة مولانا، ووقفَ أمامَ ضريحه وتلا هذين البيتين:

في ذلك اليومِ الذي شاكتْ شوكةُ الأجَلِ قدَمك،

ليتَ يَدَ الدّنيا ضربت رأسي بسيف الهلاك !

[٢٦٥] لئلا تكونَ عيني في ذلك اليوم رأتِ الدّنيا من دونك

فها أنذا على رأس تُربتِكَ أنثرُ الترابَ على رأسي

ويكتبُ الأفلاكيّ أيضًا قائلًا إنّ القاضي سراج الدّين له ابنٌ اسمُه القاضي عماد الدّين، وقد كان هو وابناه مُريدينَ لحسام الدّين چلبي(ج ٢، ٧٦٣ ـ ٧٦٥).

وأُضيفُ أنّ كونَ الأُرْمَويّ هو القاضيَ سراج الدّين بيّنه الأفلاكيّ على هذا النحو، وذلك أنّه في يومٍ من الأيّام سأل حُسام الدّين چلبي مولانا: كيف هو مواطنُنا القاضي سراج الدّين؟ ـ فقال: إنّه رجلٌ طيّب، يدور حولَ الحوض، ومتوقّفٌ على رَكْلةٍ واحدة. والمرجوّ أن لا ييأس، بل يجدِّد الأمَلَ(ج ١، ص ٤١١ ـ ٤١٢).

الرّسالة الثانية والثلاثون من رسائل مولانا موجَّهةٌ إلى القاضي سراج الدّين في شأن ميراث ابنه علاء الدّين چلبي. وقد طلبَ سراجُ الدّين رأيَ مولانا في شأن طريقة تقسيم الميراث وقد استفسَرَ عن عقيدته في هذا الشأن. فخاطب مولانا سراجَ الدّين بأن قال له «مولانا» تقديرًا لفضله، وكتَبَ إليه قائلاً إنّه ليس لديّ رأيٌ في هذا الشأن، أُريد فقط حفظَ حقّ الأيتام. ويُستفاد من ذلك أنّه كان ضيِّقَ الصّدر إزاءَ علاء الدّين. ويُشار ضمنًا إلى أنّ علاء كان لديه أبناء. كذلك يروي الأفلاكيّ أيضًا أنّ أولو عارف چلبي، الذي توفّي في الثالث والعشرين من ذي الحجة عام ٧١٩ هـ/ ١٣٢٠م، كان في يومٍ من الأيّام يتجادلُ مع شخص اسمُه علاءُ الدّين قيرشهريّ. وكان علاءُ الدّين القريبُ يقول إنّني أيضًا من نَسْل مولانا فلماذا تراني غريبًا؟ إنّه لا معنى لترك الاهتمام بالابن بسبب ذنب الأب. فأجابه چلبي: ليس لك أيّةُ علاقة بحضرة مولانا، وأنتَ من هذه الأسرة في حُكْم العضو الميّت، وقد قُطِعَ فَرْعُك عن تلك الشّجرة المباركة. فأجاب علاءُ الدّين: من أنتَ حتّى تعرّفني وتنشُد الترجيحَ عليّ؟ ـ فقال چلبي: أنا

سيفُ مولانا. فقال علاءُ الدّين: لا، أنت سيفُ شؤم. فقال چلبي: لا، أنا السّيفُ الثالثُ [سوّم - بالفارسيّة] (ج ٢، ص ٩١٢ - ٩١٣).

علاءُ الدّين هذا لا يمكن أن يكون ابنَ مولانا؛ لأنّه كما يتبيّن من حَجَر مزار علاء الدّين أيضًا، توفّي في أواخر شوّال عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م، في حياة أبيه. وقد عدّه تحسين يازجي في فهرست أسامي مناقب العارفين أخا سُلْطان ولَد، وقد أخطأ في ذلك(ج ٢، ص ١١٩٩). ومصدرُ هذا الخطأ أنّ الأفلاكيّ سمّى علاءَ الدّين چلبي، ابنَ مولانا، أيضًا علاءَ الدّين قيرشهريّ(ج ١، ص ٤٤٨). ويبدو أنّ الشخصَ الذي جادل أولو عارف چلبي هو ابنُ علاء الدّين چلبي، بل الاحتمالُ الأصَحُّ أنّه حفيدُ علاء الدّين؛ فالأكثرُ أنّ الحفيدَ يأخذ اسمَ جدّه. كذلك فإنّنا، نظرًا إلى أنّ الأفلاكيّ [٢٦٦] وصَفَ علاءَ الدّين چلبي بأنّه «قيرشهريّ»، نظنّ أنّه قد كان لعلاء الدّين ارتباطٌ بـ «قيرشهر»، وهكذا يُعلَم أنّ أسرتَه قد ذهبت إلى قيرشهر.

الرّسالة السّابعة عشرة أيضًا خطابٌ إلى قاضٍ، وكُتبت بقَصْد التوصية بشخصٍ اسمُه مجدُ الدّين. ولأنّ مجدَ الدّين خُوطب بـ «الابن»، يكون قد كان من المرتبطين بمولانا. وهذا الشخصُ أحدُ مَنْ أسماؤهم «مجد الدّين» الذين ذُكِروا في كتاب الأفلاكيّ. ولعلّ مجدَ الدّين هذا أخو الشيخ أميره بيك الذي يبدو أنّه كان من خلفاء مولانا(ج ٢، ص ٨٩٢ - ٨٩٣)، أو مجدُ الدّين المراغي الذي كان من التجّار (ج ١، ٢٢٩، ٢٥٦ - ٢٥٧، ٣٧٦، ٥٥٠ - ٥٥٧). ولم يُكتب اسمُ القاضي المخاطَبِ بالرّسالة.

الرّسالة الثانية والسّتون تبدأ بعنوان: «أقضى القضاة، أستاذ الأفاضل». ولأنّ هذه

الألقاب قد أُثبتت في الرّسالة الثانية والثلاثين وخُوطب المخاطَبُ بالرّسالة بـ «مولانا»، كما هي الحالُ في الرّسالة السابقة، ندرك على نحو واضح أنّ هذه الرّسالة أيضًا كُتبت إلى القاضي سراج الدّين. وقد أوصى مولانا في هذه الرّسالة القاضيَ بشخصٍ اسمُه أبو بكر، وطلب إعادةَ حجرته إليه، وقد أُخذت منه ظلمًا. وفي كتاب الأفلاكيّ ذُكِر أبو بكر جولقي نيكساري وهو من المهتمّين القريبين جدًّا بمولانا(ج ٢، ص ٥٩٦). وفي الدّيوان الكبير [ديوان شمس تبريز لمولانا جلال الدّين] أيضًا أُثبت اسمُ أبي بكر الرّبابي(مثلًا: كلّيّات شمس، ج ١، البيت ٩٢٥، والبيت ١٠١٨). ويُحتمل أن يكون أبو بكر أحدَ هذين الشخصين.

وعنوانُ الرّسالة التاسعة والستّين، وهو «مفخرُ الصّدور»، يُشير في ظنّنا إلى أنّ هذه الرّسالة أيضًا موجّهةٌ إلى القاضي سراج الدّين.

ولو رُئيت عُنوانات الرّسالة السابعة والعشرين والمئة، لأمكن احتمالُ أن تكون قد وُجّهت إلى القاضي سراج الدّين. ولأنّ مولانا لم يستطع الذّهاب للقائه ما نجده قد اعتذر له.

١٩ ـ سيف الدّين(الأمير):

لم نستطع أن نعرف على نحو قاطع المخاطَبَ في الرّسالة الحادية والسّتين، الذي هو الأميرُ سيفُ الدّين(انظر: فهرست أعلام ابن بي بي، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

٢٠ ـ سيف الدّين حمّاء(أمير العالَم):

ليس معلومًا مَنْ هو الشخصُ المخاطَب برسالة مولانا الخامسة عشرة. وقد كتب مولانا في رسالته إنّ أبناء الأمير سيف الدّين حمّاء أمير العالَم قدّموا طلبًا في شأن صدور عفوٍ عن أبيهم، [٢٦٧] وأنّ مولانا لا يريد أن يؤذي خاطرهم. ولذلك يُطلِع على طلَب أبناء الأمير سيف الدّين. وفي الوقت نفسه يُطلع المخاطَبَ برسالته على أنّ حُسام الدّين چلبي تحمّل نفقةً كبيرة في تعمير حائط بستانه، وهو يطلب المساعدةَ لحُسام الدّين.

وفي الرّسالة السّادسة عشرة، بمناسبة العفو عن الأمير سيف الدّين، يُبلِغ مولانا الأميرَ پروانه شكرَ أبناءِ ذلك الأمير وأسرته، ويضيف مولانا أنّ خاصّة ذلك الأمير يرغبون في أن يشاهدوا ذلك اللّطفَ الملكيّ والإحسانَ الذي لا حدود له برأي العين. وبالنّظر إلى محتوى هذه الرّسالة ربّما لا يكون هناك خطأ إذا ما قيلَ إنّ الرّسالة الخامسة عشرة كُتبت أيضًا إلى معين الدّين پروانه.

٢١ ـ شجاع الدّين:

لم نستطع تحديدَ هويّة هذا الشخص، الذي كان فيما يبدو سپهسالار(*). فهل هذا الشخصُ، المخاطَبُ في رسالة مولانا العشرين، هو عينُ شجاع الدّين عبد الرّحمن بن القزويني الذي ذُكر في كتاب ابن بي بي (طبعة هوتسما، ص ٢٧، ٢٦٧، ٢٧٧)؟ ـ أو هو شجاعُ آيناسي الذي جاء إلى والي قَرَمان وكان صاحبَ ركاب السّلطان ركن

* قائد الجيش.

الدّين؟(تاريخ آل سلجوق في الأناضول، نشرة فريدون نافذ أوزلوق، الروسم ص٦٦، الترجمة ص ٤٤).

الرّسالة التاسعةُ والعشرون أيضًا، التي تتضمّن طلَبَ مساعدةٍ لنظام الدّين صهر صلاح الدّين، موجّهةٌ إلى هذا الشخص.

وقد عَدّ يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين هذا الشخصَ مؤسّسًا لأسرة شعبه لر كوچك، وهو خطأ تامّ(رسائل مولانا، طبعة طهران، ص ٢٨٢). فالأسرةُ المذكورة أسّسها شجاعُ الدّين خورشيد في عام ٥٩١هـ / ١١٩٤ ـ ١١٩٥م (الدول الإسلامية، ص ٢٥٤).

٢٢ ـ شرفُ الدّين(السيّد):

في كتاب الأفلاكيّ يُذكر السيّدُ شرفُ الدّين، الذي هو من أكابر قُونِيَة. كان لديه ولَدٌ صاحبُ جمالٍ وحُسْن. وكان ذلك الولَدُ متعلّقًا جدًّا بمولانا، وكان يقول إنّني إذا لم أنضمَّ إلى جماعة مريدي مولانا فسأقتلُ نفسي. وإذ ذاك يرتّب السيّدُ شرفُ الدّين مضطرًّا مجلسَ سماعٍ. وبعد السّماع يصبح الولَدُ مريدَ مولانا. الوالدُ أيضًا، الذي يشاهِدُ عظمةَ مولانا، ينضمُّ هو نفسُه إلى مريدي مولانا(ج ١، ص ١٢٧ ـ ١٢٨).

عدا ذلك، لدينا سيّد شرفُ الدّين آخر مخالفٌ لمولانا(١، ص ١١٩ و [٢٦٨] ٤٨٣ ـ ٤٨٤). وهذا الشخصُ لا يمكن أن يكون شرفَ الدّين المذكور في الرّسالة.

والتوضيحُ الذي جاء في تعليقات يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين في رسائل مولانا، طبعة طهران، ص ٢٨٩ غيرُ مصيب من الوجهة التاريخية.

٢٣ ـ شمس الدّين:

ربّما يكون شمسَ الدّين گنجئي، نائبَ تاج الدّين معتزّ، الذي في أواخر حياته تخلّى عن الأعمال الحكوميّة وانتظم في سلك التصوّف. ولكن لأنّه اتُّهم في حياته في فتنة ابن خطير بالمشاركة مع تلك الجماعة والشاميّين، فقد استُشهِد في حدود عام ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م (مسامرة الأخبار، ص ١٠٢ و ١٠٤).

ونظنُّ أنَّ الرّسالة التاسعة والمئة وجُهت إلى هذا الشخص. والظاهر أنّ الرّسالة الثالثة والعشرين والمئة خطابٌ له أيضًا.

٢٤ ـ شمسُ الدّين:

الرّسالةُ الثامنةُ والتسعون خطابٌ لهذا الشخص. ونظنّ أنّه شمسُ الدّين يوتاش بيگلر بيك(انظر: فخر الدّين عليّ صاحب العطاء، توضيحات الرّسالة الثالثة والثلاثين والمئة، وهذه الرّسالةُ يمكن أن تكون قد وجُهت إلى تاج الدّين معتزّ؛ لأنّه كُتِب في الرّسالة سلامٌ له).

٢٥ ـ شهاب الدّين:

الرّسالة السادسةُ والعشرون من رسائل مولانا موجّهةٌ إلى مُعين الدّين پروانه، وقد طلَبَ مولانا فيها أن يُعفى شمسُ الدّين، الذي ذهب إلى سيواس للتجارة، من

دفع الضريبة.

ويقول الأفلاكيّ إنّ هذا الشخصَ هو زوجُ ملكة خاتون ابنة مولانا. ويظهر أيضًا مما كتبه الأفلاكيّ أنّ شهاب الدّين، برغم أنّه كان رجلًا غنيًّا جدًّا، كانت فيه خِسّةٌ في الطبع(ج ١، ص ٣٢٣). كذلك يخبر الأفلاكيّ بأنّ مولانا وأصحابه كانوا يجتمعون في منزل شهاب الدّين(١، ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

٢٦ ـ صلاح الدّين:

الرّسالتان الرابعة والخامسة والستّون في خطاب هذا الشخص. في الرّسالة الرابعة يُثني عليه بعبارات «الابن المخلِص المضيء القلب، المتفنّن الرّوحاني، الواسع الصّدْر، الرّفيع القدر، افتخار العلماء و [٢٦٩] العارفين» ويَعدّ أيّامَ الفراق في شدّتها وكراهتها أطولَ من السّنين، ويطلب مجيئه. في الرّسالة الخامسة والستّين يمدحه بعبارات «الأخ الأعزّ الأجَلّ الأفضل الأكرم، سيّد الصّدور، المحقّق المدقّق، مفخر الأئمة، تاج أهل الصُّفّة، صاحب الدولتين...». وهكذا يُستنبط أنّ الرسالتين كلتيهما وُجّهتا إلى شخصٍ واحدٍ إذ إنّ هذا الشخصَ من إخوانه في الطريق ومن أبناء عقيدته، وبناءً على ذلك هو من الصوفيّة وفي الوقت نفسه من العلماء.

من رواة الأفلاكيّ شخصٌ اسمُه بهاءُ الدّين بحري، ولأنّه ذُكِر بلَقَب «كاتب الأسرار» فلا بدّ تبعًا لذلك أن يكون كاتبَ كلام مولانا وأشعاره. اسمُ ابنه صلاحُ الدّين(١، ٥٩٣). ونرى أنّ مخاطَبَ مولانا في الرسالتين المذكورتين لا يمكن أن يكون هذا الشخصَ لأنّه صغير نسبيًّا. تحدّث الأفلاكيّ أيضًا عن صلاح الدّين الملَطيّ وذكرَه

بصفات «زبدة الفضلاء، ينبوع المعاني، مولانا صلاح الدّين». ويقول إنّ مولانا كان يخاطبه بـ «صديقنا الحميم بهاء الدّين» ويضيف أنّه في العربيّة سيبويهُ الزمان، وكان أستاذَ عارف چلبي(١، ٢٢٩). ويذكره بصفة «ملك الأدباء»(ص ٣٥٥ و ٣٥٩). ويصفه مرّةً أيضًا بصفة «مالك أزمّة الفضلاء»(ص ٥٦٢). ويقول عنه إنّه في فنون الحكمة بديعُ الزّمان، ويقول إنّ عارف چلبي عندما كان في سنّ السادسة كان يتعلّم القرآن عند صلاح الدّين(ج ٢، ٨٣٧). كذلك ذكرَه بصفة «أكمل الأصحاب» ويقول إنّه ذهبَ برُفقة عارف چلبي إلى ولاية منتشا(ص ٨٥١). وصحِبَ چلبي أيضًا في السّفَر إلى أرضروم(ص ٩١٦).

ونرى أنّ مخاطَبَ مولانا هو الشخصُ نفسُه. وإذا ما وضعنا في الحسبان أنّ مولانا دعاه «الأخَ الأعزَّ الأجلّ»، فإن هذه العزّة والجلالة بقدر ما يمكن أن تشير إلى رفعة منزلته يمكن أن تدلّ أيضًا على تقدّمه في السّنّ. وإذا ما سلّمنا بهذه القضية، فالظّاهرُ أنّه عُمّر طويلًا، وكان في أسفار أولو عارف چلبي في سنين متقدّمة جدًّا من سنيّ العمر.

ونظرًا إلى أنّ مولانا في الرّسالتين كلتيهما قد تحدّث عن الفراق وطلَبَ الوصال، يُعْلَم أنّ هذا الشخصَ في زمان مولانا أيضًا كان مهتمًّا بالسَّفَر.

٢٧ ـ ضياء الدّين:

في الرّسالة السابعة، تُحدِّث عن موضعٍ اسمُه «خان ضياء» [بالفارسية: كاروانسراى ضيا] (انظر توضيحات فلان الدّين). في الرّسالة السّادسة والسّبعين

طُلب من فخر الدّين عليّ صاحب العطاء أن تُسلَّم مشيخةُ الخانقاه الذي انتقل عنه الشيخُ صدْرُ الدّين إلى حُسام الدّين چلبي(راجع: فخر الدّين عليّ صاحب العطاء). في الرّسالة السّادسة والعشرين والمئة، يبيّن مولانا أنّ خانقاه [٢٧٠] ضياء الدّين الوزير سُلِّم إلى حُسام الدّين چلبي، لكنّ بعضهم كان يريد أن تكون له سلطةٌ عليه، ويكتب مولانا قائلًا إنّه لو كان «المرحومُ» ضياءُ الدّين يعلم أنّ الخانقاه الذي بناه كان يجب أن يُسلَّم إلى حُسام الدّين چلبي، لكان صنَعَه من قرميد ذهبيّ، ويطلب أن يأخذ المخاطَبُ أمرًا من الملِك وأن يدفع مضايقة الأشخاص المزعجين.

يقول الأفلاكيّ في مناقب العارفين إنّه عندما توفّي شيخُ خانقاه ضياء الدّين، عُيّن حضرةُ چلبي شيخًا في ذلك الخانقاه (ج ١، ص ٥٥٨). ونقرأ في الكتاب نفسه أنّه في عهد مولانا كان هناك شيخٌ جَمَعَ بين مشيخة خانقاه ضياء الدّين وخانقاه آخر. وعندما توفّي ذلك الشيخُ، سلّم تاجُ الدّين معتزّ خانقاه ضياء الدّين إلى حُسام چلبي (ج ٢، ص ٧٥٤). كذلك يتحدّث الكتابُ نفسُه عن أنّ حُسام الدّين چلبي صار شيخًا في خانقاه ضياء وفي خانقاه لا لا باستقلال تامّ (ص ٧٥٨).

والخلاصةُ التي يُحصَل عليها من الرّسائل ومناقب العارفين هي الآتية:

الشيخُ صدر الدّين كان شيخَ خانقاه ضياء الدّين، وهو غيرُ الشيخِ صدر الدّين القونيويّ. وقد عُيّن حُسام الدّين چلبي بعد وفاة ذلك الشيخ في مشيخة الخانقاه المذكور. يضاف إلى ذلك أنّ ضياء الدّين توفّي قبلَ وقتٍ طويل من زمان حُسام الدّين چلبي وحتّى من زمان مولانا نفسه. وبناءً على ذلك، ليس هو ضياءَ الدّين بنَ خطير.

ويرى تحسين يازجي احتمالَ أن يكون هذا الوزيرُ ضياءَ الدّين قرا أرسلان الذي

كان، في عهد عزّ الدّين كيكاوس الأوّل ٥٠٧ ـ ٥١٦ هـ / ١١١٠ ـ ١١١٩ م، أميرَ الدّواة(*)(مقدّمة مناقب العارفين بالتركية، ص أربع وثمانين ـ خمس وثمانين).

٢٨ ـ ظهير الدّين:

الرّسالة الخامسة كُتبت شفاعةً لشخصٍ اسمُه ظهير الدّين. وهويّةُ المخاطَب بالرّسالة غير معروفة. ونظرًا إلى أنه أُشير إلى ممارسة المخاطَب الرّياضةَ الصوفيّة، يبدو أنّه ليس من الأمراء، ولعلّه من العلماء أو المشايخ، أو واحدٌ من المرتبطين بمولانا نفسه. ويظهر هذا الأمرُ أساسًا من مخاطبة المخاطَب بكلمة «الابن».

وقد جاء في مناقب العارفين أنّه في عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ ـ ١٣٢١ م، إذ استولى تيمور تاش بن چوبان على قُونِيَة وتوابعها، جعَلَه عددٌ من العلماء والقضاة قدوتَهم. ومن [٢٧١] بين هؤلاء العلماء جاء اسمُ ظهير الدّين، خطيب قَيْصَريّة، بوصف «المرحوم» أيضًا. ومن هذا الوصف يمكن استنباطُ أنّ ظهير الدّين كان على قيد الحياة في عام ٧٢٠ هـ وفي أثناء تحرير هذا الجزء من الكتاب وافته المنية. ونظنُّ أنّ الشخص الذي توسّط له مولانا هو ظهيرُ الدّين نفسُه. ومن المحتمل أن يكون قد عُزل من الخدمة ولذلك راجعَ مولانا.

ولا بدَّ أيضًا من تذكّر أنّه في التعليقات على رسائل مولانا، حدَسَ يوسف

* أميرُ الدّواة عاملٌ في البلاط كان يحمل الدّواةَ في الدّيوان الكبير ويكتب الأوراق الخاصة ويحفظها(حاشية ص ١٢٩٨، المجلّد الثاني من مناقب العارفين، الطبعة الثانية) ـ [المحقّق الفارسيّ].

جمشيدي پور وغلامحسين أمين أنّ المراد من ظهير الدّين هو ظهيرُ الدّين المتوّج(الرّسائل، طبعة طهران، ٢٩٣ ـ ٢٩٤). وليس هذا الحدْسُ بصحيح؛ ذلك لأنّ الشخصَ الذي جعَلَ مولانا شفاعتَه في الرّسالة عنوانًا ليس من الأمراء، ولا يمكن أبدًا أن يكون ظهيرَ الدّين إيلي پروانه، الذي ذُكر في جلوس عزّ الدّين قليج أرسلان على سرير السلطنة(٦٠٠ ـ ٦٠١ هـ/ ١٢٠٣ ـ ١٢٠٤م).

٢٩ ـ عزُّ الدّين(القاضي):

عُيِّن القاضي عزُّ الدّين القونيويّ في الوزارة في عام ٦٥٤ ـ ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٦ـ ١٢٥٧م، بعدَ أن تغلّب عزُّ الدّين كَيْكاوس الثاني على إخوته وأصبح السلطانَ. في عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م، جاء بيجو، قائدُ المغول، إلى الأناضول واقترب من حدود آق سراي. فشجّع عزُّ الدّين السّلطانَ على مواجهة المغول. وفي المعركة هُزم الجيشُ السلجوقيّ. وقُتِلَ عزُّ الدّين، وفرّ السلطانُ إلى إستانبول(مسامرة الأخبار، ص ٤٠ ـ ٤٢).

ويذكر الأفلاكيّ في مناقب العارفين أنّ عزّ الدّين له أيضًا مسجدٌ في قُونيَة(ص ١٧٧).

وفي الرّسالة الحادية والسّبعين يعيِّن مولانا صدرَ الدّين وكيلًا في شأن ميراثِ أختِ شخصٍ اسمُه فخرُ الدّين وترتيبِ أمره. وقد يكون فخرُ الدّين هذا فخرَ الدّين السّيواسيّ الذي يذكره الأفلاكيّ بعبارة «المرحوم» ويجعله من بين كتّاب الأسرار(ج ١، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨؛ ٣١٠ و٣٢٩). وصدرُ الدّين أيضًا الذي أُرسل للوكالة يجب أن

يكون ابنَ حُسام الدّين چلبي. وفي مناقب العارفين يُذكر أيضًا فخرُ الدّين لالا. وقد كان فخرُ الدّين هذا مُربّيَ أولو عارف چلبي. ويُحتمل أن يكون فخرُ الدّين الذي توفّيت أختُه عينَ فخر الدّين هذا.

الرّسالة الثالثةُ والسّبعون موجّهةٌ إلى فخر الدّين، أو إلى القاضي عزّ الدّين. ولأنّه في هذه الرّسالة [٢٧٢] تُطلب إعادةُ حقّ فخر الدّين، الذي أطلق عليه وصفَ «الابن العزيز»، ولأنّ موضوعَ الرّسالة أيضًا مشابهٌ لموضوع الرّسالة الحادية والسّبعين، لا يمكن أن يكون هناك شكٌّ في أنها موجّهةٌ إلى القاضي عزّ الدّين.

و يقول الأفلاكيّ إنّ القاضي عزّ الدّين بنى في قُونِيَة مسجدًا لمولانا (ج ١، ص ١٠٣ _ ١٠٤).

٣٠ ـ عزّ الدّين كَيْكاوُس الثاني:

في هامش الرّسالة الأولى في نسخة قُونِيَة كُتب: «رسالةُ السلطان عزّ الدّين في شأن ابن خُرّم».

هذه الرّسالة موجّهةٌ إلى مِلِكٍ ويسمّيه مولانا «الابن». ويُفهم ضمنًا أنّ هذه الرّسالة كأنّها جوابٌ لرسالة السّلطان المرسَلة إلى حُسام الدّين چلبي. وفي هذه الرّسالة يسمّي مولانا نفسَه «الأبَ»، وعلى هذا النحو أيضًا يخبرنا بأنّ هذا السلطان هو من المتّصلين به. وقد أُبعِد هذا السّلطانُ مدّةً عن التاج والعرش، وفي هذا يقول مولانا إنّ هذا قد حدَثَ من أجل أن يُدرك السّلطانُ غدْرَ الدنيا، وهو ليس أكثرَ من تجربة.

جلَسَ عزّ الدّين كيكاوس في عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م على عرش السّلطان بدلًا

من غياث الدّين كيخسرو. وفي عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م تقرّر أن يشترك مع أخويه ركن الدّين قليج أرسلان وعلاء الدّين كَيْقُباذ. ثم بعد وفاة جلال الدّين قرطاي، صمّم على أن يحرّر السّلطنةَ، ولتأمين ذلك صمّم على أن يقاتل المغول. ولكن بسبب وفاته، وقعت الحربُ بين عزّ الدّين وركن الدّين. ثم بعد هجوم المغول بقيادة بيجو، فرّ عزّ الدّين من الأناضول إلى أنطالية، ومن هناك لجأ إلى بيزنطة. وفي عام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م، أنشأ بمساعدة البيزنطيين، للمرّة الثانية، سلطنةً مستقلّةً في قُونِيَة. كان عزّ الدّين يحرّض النّاسَ على المغول، وابتغاءَ التخلّص من ركن الدّين الذي كان له نصيبٌ من مساعدات مُعين الدّين پروانه ذهبَ في سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ ـ ١٢٥٩م إلى هولاكو في بغداد، ولكنّه لم يوفَّق في تحقيق استقلال السلطنة. وقد قُسمت الأناضول على قسمين: من قَيْصَرية إلى أنطالية، وهي المنطقةُ التي مركزُها قُونِيَةُ، سُلّمت إلى عزّ الدّين؛ وولاية دانشمندية الممتدّة من سيواس إلى سينوب وسمسون، قد فُوّضت أيضًا إلى ركن الدّين. بعد هذا التاريخ، ترك عزّ الدّين قُونِيَةَ وانشغل بتمضية الوقت في أنطالية. وفي هذا الوقت جاءت الأخبارُ بأنّ المغول مرّة أخرى جاؤوا إلى الأناضول؛ ولذلك جاء إلى قُونِيَةَ وأرسلَ الصّاحبَ فخر الدّين إلى المغول. ولكن لأنّ الصّاحبَ فخر الدّين أيضًا انحاز إلى ركن الدّين، الذي كان في حماية المغول، فرّ مرّةً أخرى في عام [٢٧٣] ٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٦١ م، إلى بيزنطة. وهناك أيضًا لم يهدأ وكاتَبَ أمراءَ الحدود في تلك البلاد في شأن الظفر بحكم بيزنطة، وفي النّهاية أُلقي في السّجن بأمر حكومة بيزنطة عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ ـ ١٢٦٤ م. وهناك ضُغط عليه لاعتناق المسيحية، ولكنّه رفض، واستطاع في عام ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩م أن يفرّ من السّجن

ويذهب إلى القرم. وأخيرًا توفّي هناك عام ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م. وعندما كان مُبعَدًا في القرم وصلتْه مساعداتٌ من الصّاحب فخر الدّين(مسامرة الأخبار، ص ٣٦ ـ ٧٠؛ ابن بي بي، طبعة هوتسما، ص ٢١٣، ٢٥١ ـ ٣٠٠، ٣٠٤ ـ ٣٠٦، ٣٢٤، ٣٣٤ ـ ٣٣٥؛ مقالة عثمان توران في دائرة المعارف الإسلاميّة الجزء ٦٣، ص ٦٤٢ ـ ٦٤٥).

ويُستدلُّ من هذه الإيضاحات أنّ مولانا كتبَ هذه الرّسالة بعدَ عودة عزّ الدّين من بيزنطة إلى قُونِيَةَ وإنشاء السّلطنة المستقلّة، أي بعد عام ٦٥٥ هـ وبين سنتي ٦٥٥ و ٦٥٩ هـ. ومن وجهة أنّ مولانا قد بجّله بنوعٍ من السّيادة والملكية، يمكن القولُ قطعيًّا إنّ الرّسالة قد حُرّرت في الفترة بين ٦٥٥ ـ ٦٥٦ هـ. أمّا في شأن ابن خُرَّم الذي ذُكر اسمُه في الرّسالة، فليُنظرْ ما كُتب تحت اسم «نجم الدّين».

وبناءً على ما كتبه الأفلاكيّ في مناقب العارفين، كان عزُّ الدّين يُكنّ الاحترامَ اللائق لحضرة مولانا(١، ص ٧٩)؛ وكان يذهب لزيارته(ص ٢٥٤)؛ حتّى إنّه كان قد دعا مولانا إلى أنطالية ولكنّ الرسلَ لم يجدوا مولانا نفسَه في أيام إرسال الرّسالة. وعندما أُخبر مولانا بذلك، قال: ليس في وسعي الخروجُ من قُونِيَةَ (٢، ص ١٠٢٠).

وفي كتاب «فيه ما فيه» يقول مولانا: «يجب الذّهابُ إلى نواحي تُوقات لأنّ ذلك الإقليم دافئ. وبرغم أنّ أنطالية منطقةٌ دافئة، لكنّ جهرة الناس هناك من الروم. لا يفهمون كلامنا. برغم أنّه بين الروم أيضًا يوجد من يفهمون كلامنا» (فيه ما فيه، ص ٩٧ بتحقيق المرحوم فروزانفر). وفي الكتاب نفسه يتحدّث مولانا أيضًا في إحدى المناسبات عن أنطالية (ص ١١٥). ونظنّ أنّ بين الحديث عن أنطالية ودعوة عزّ الدّين مولانا إلى تلك المدينة يمكن أن تكون هناك مناسبة.

ويمكن احتمالُ أن تكون الرّسالة الثامنة والثلاثون موجّهةً إلى السّلطان عزّ الدّين؛ لأنّه في هذه الرّسالة تُحدِّث أيضًا عن الفراق وأُشير إلى فراق حضرة يوسف لأبيه. وفي هذه الرّسالة أيضًا دعا مولانا نفسَه «أبًا». وهذه الرّسالة أيضًا جوابٌ لرسالة السّلطان. [٢٧٤]. حتى إنّه في هذه الرّسالة قد أُشير إلى حقيقة أنّه غيرُ معلومٍ لدى خاصّة الحقّ سبحانه أيضًا من هو العبدُ الخاصّ، ويسألُ اللهَ أن ينوّر عينَ السّلطان وقلْبَه. ويُستفاد من مسألة أنّه في رسالةٍ سابقةٍ ذُكِر حُسامُ الدّين چلبي وأشير إلى أنّه هو الذي حرّر الرّسالة، احتمالُ أنّ الرّسالةَ الأخيرة كُتبت قبْلَ الرّسالة المذكورة.

وفي الرّسالة خاطبَ مولانا السّلطانَ بـ «افْتخار آل داود». ولا نجد هذا التعبير في مكاتبات ذلك العصر. أمّا كُتب تاريخ آل سلجوق المجهولة المؤلّف فقد ذكرت سلجوقَ بنَ لُقمان الذي هو أبو السلاجقة، وقالت إنّ هؤلاء كانوا أربعة إخوة انحدر منهم أربعةٌ وعشرون من أبناء الإخوة، الذين كان اسمُ أشهرهم أبا سليمان چغري بيك المسمّى داود (رسائل مولانا، طبعة الدكتور فريدون نافذ أوزلوق، ص ٨ من المتن، و ص ٣ من المقدّمة). ونجد خليل أدهم في كتابه «الدول الإسلامية»، وفي سِلسلة سلاطين السّلاجقة، بعد سليمان، تركَ بين سنتي ٤٧٩ و ٤٨٥ هـ / ١٠٨٦ و ١٠٩٢م خاليًا، وفي هذا الفراغ ذُكِر داود (طبعة إستانبول، ١٩٢٧م). ولا شكَّ في أنّ مولانا عندما وصف السّلطانَ بـ «افتخار آل داود» قصدَ داودَ هذا.

ويطلبُ مولانا في الرّسالة التاسعة والثلاثين أن تُغفر ذنوبُ شمسِ الدّين وابنه نور الدّين، وأن يُعادا مرّةً ثانية إلى الخدمة ويرجو أن تُقبل شفاعتُه. ولا ندري ما ذنبُ هذا الأب وهذا الابن.

ولأن الرّسالة السّابعة والخمسين تتضمّن العنوانات نفسها، ينبغي أن تكون قد كُتبت للسلطان نفسه. وفي هذه الرّسالة يكتب مولانا قائلًا إنّه دائمًا يسأل القادمَ والذاهبَ عن حال السّلطان ويتلقّى تحيّات الملِك وشُكْره، ويستفسر دائمًا عن وضع السّلطان، ويطلبُ منه أن يُدخِل «الابنَ العزيز» حُسام الدّين في خدمته. وإذا كان هذا الشخصُ هو حُسامَ الدّين چلبي، فإنّه يكون ذكَرَه طبعًا بأوصافه اللائقة به.

وفي مناقب العارفين ذُكِر حُسامُ الدّين بن آيينه دار السّيواسيّ ملقبًا بـ «ملِك الأدباء» (ج ١، ص ١٤١). وحُسامُ الدّين ولَد آيينه دار القونيويّ، الذي وُصِف بصفة «الشّيّاد النادر»، ينبغي أن يكون عينَ حُسام الدّين الذي تقدّمت أيضًا إشارةٌ إلى كونه شاعرًا. وقد عاش في زمان أولو عارف چلبي وكان يخاصم الأفلاكيّ(٢، ص٩٣٠). وبالإضافة إليه، ذُكر اسمُ الشيخ حُسامِ الدّين بگي، الذي كان من أعيان آماسيه وواحدًا من «كُتّاب الأسرار»، وكان أيضًا يعيش في زمان أولو عارف چلبي (٢، ص ٨٧٦). وهناك أيضًا حُسامُ الدّين آخرُ نرى اسمَه بين القضاة (ص ٩٧٧). ولأنّه جاء حديثٌ عن أصدقائه في الرّسالة، لا نرى أنّ حُسامَ الدّين الموجود في الرّسالة واحدٌ من هؤلاء [٢٧٥] المسمَّين حُسامَ الدّين. وبالإضافة إلى من ذكرناهم، ذُكر في كتاب مناقب العارفين حُسامُ الدّين دبّاغ ملقَّبًا بـ «الصاحب الرّبّانيّ والوليّ الخفيّ» (ج ١، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ و ٥٠٧)، وكذلك حُسامُ الدّين إسكندر (٢، ص ٧٨٤). وقد أُثبت اسمُ الشّخص الأخير في المخطوطة الأولى لمناقب العارفين، على أنّه جمالُ الدّين(ص ١٠٣٢). ويُحتمل أن يكون حُسامُ الدّين الذي ذُكر في الرّسالة واحدًا من هذين الشخصين.

الرّسالة الثّمانون أيضًا، من خلال عنواناتها، موجّهةٌ إلى عزّ الدّين كيكاوس. وفي هذه الرّسالة أيضًا دعا مولانا نفسَه «الأبَ» وبيّن أنّ الوالي يؤذي أصحابَ حُسام الدّين وطلبَ منه رفْعَ هذا الظّلم، ويَعرض في الرّسالة مسألةَ أنّ حُسامَ الدّين چلبي بسبب هذا الظّلم يريد أن يترك قُونِيَةَ، ويذهب إلى بلاد أخرى.

الرّسالة الثّانيةُ والتسعون أيضًا خطابٌ للسلطان. وفي هذه الرّسالة اعتذر مولانا عن عدم قدرته على مشاهدة السّلطان.

الرّسالة الرابعةُ والتسعون أيضًا موجَّهةٌ إلى السّلطان، ولأنّه سمّاه «الابنَ»، يبدو أنّها موجَّهةٌ إلى السّلطان عزّ الدّين كَيْكاوس الثاني. ويكتب في هذه الرّسالة إنّ أمير الأكادشة في سيواس يُفرط في مطالبة شمس الدّين، وهو من التّجار، بالضرائب. وليس في مقدورنا أن نبتّ في هويّة شمس الدّين هذا. وبين أسماء شمس الدّين التي جاءت في مناقب العارفين هناك فقط شمسُ الدّين عطّار الذي كان مشغولًا بالتجارة (ج ١، ص ٣٣٣ و ٥٦٧). و أميرُ الأكادشة كان أميرَ جامعي الجيش. ومعروفٌ أنّ كلَّ ولايةٍ فيها مِثْلُ هذه التشكيلات (مولانا جلال الدّين، حاشية ص ٢٨ ـ ٢٩).

المخاطَبُ في الرّسالة الخامسة والتّسعين هو الملِك أيضًا. وفي هذه الرّسالة بارك للسّلطان بالزّواج وبعث الرّسالة مع صَدْر الدّين بن حُسام الدّين چلبي، وفيها طلَبُ مساعدة لصَدْر الدّين.

الرّسالة الثّانيةُ بعد المئة موجَّهةٌ أيضًا إلى السّلطان. وفي هذه الرّسالة أُطلع السّلطانُ على أنّ حُسام الدّين چلبي أيضًا منشغلٌ بالدّعاء، والجميع منتظرون عودةَ السلطان.

الرّسالة الثّالثةُ بعد المئة جوابُ رسالةٍ وصلت من السّلطان.

٣١ ـ علاء الدّين چلبي:

هو الابنُ الثاني لمولانا جلال الدّين الرّوميّ. وهو وسُلْطان ولَد من أمّ واحدة. يقول الأفلاكيّ: «وُلِد سُلْطانُ ولَد وعلاءُ الدّين لتلك السيدة (گوهر خاتون) في سنة ثلاث وعشرين و [٢٧٦] ستّ مئة (٦٢٣ هـ)»(١، ٢٦). فهل هذا تاريخُ ولادة سُلْطان ولَد أو علاء الدّين چلبي؟ لم يُشَر إلى أنّهما توأمانِ. بل إنّ الأفلاكيّ كَتبَ قائلًا إنّ علاءَ الدّين كان أكبرَ من سُلْطان ولَد بسنةٍ واحدة(ص ٣٠٣). فإذا اعتبرنا سنةَ ٦٢٣ هـ سنةَ ولادة سُلْطان ولَد، فلا بدّ أن يكون علاءُ الدّين وُلِد في سنةِ ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م؛ ولأنّه توفّي في أواخر شوّال سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م، فقد كان عند وفاته في سنّ السابعة والأربعين أو الثامنة والأربعين(*).

وقد روى الأفلاكيّ أنّه لأنّ لعلاء الدّين هذا دَخْلًا في استشهاد شمس، لم يحضر مولانا جنازتَه ولم يصلّ عليه صلاة الجنازة(٢، ص ٦٨٦، ٧٦٦). وعندما ذهبَ مولانا لزيارة تُربة والده، كتب على قبر ابنه علاء الدّين البيت الآتي:

إنْ كـــان لا يرجـــوكَ إلّا مُحْـــسِنٌ ... فـــبِمَنْ يلـــوذُ ويـــستجير المجـــرمُ

وعندئذٍ أضاف البيتَ الفارسيّ الآتي:

---

* وقع المحقّق الفارسيّ في خطأ في هذا الأمر؛ إذ الواضح أنّه كان في سنّ السابعة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين [المترجم العربي].

پـس كجـا زارد، كجـا نالـد لئـيم گر تو نپذيرى بجز نيك اى كـريم؟

أي:

ولكنْ أين ينوحُ وأين ينتحبُ اللئيم إن كنتَ لا تتقبَّلُ إلا الطيِّبَ،أيهاالكريم؟

وهذا البيتُ موجودٌ في الجزء الثاني من المثنوي (٢ / ٣٣٥). ولأنَّ الجزء الثاني من المثنوي بدأ نظمُه في سنة ٦٦٢ هـ يكون مولانا قد كتب هذا البيتَ على قبر ابنه بعد سنتين من وفاته.

وقد نظمَ سُلْطان ولَد في مناسبة وفاة أخيه علاء الدّين مرثيةً في رباعية واحدة (ديوان سُلْطان ولَد، طبعة أوزلوق، ص ٥٧١). وذكَر ولَد في هذه الرّباعية بنُكتة دقيقة لوالده وذكرَها (مناقب العارفين، ص ٤٤٨). وله رباعيّة أخرى أيضًا في شأن وفاة علاء الدّين (الدّيوان، ص ٥٧٧).

يصفُ مولانا في الرّسالة السابعة ابنَه بعبارة «افتخار المدرّسين»، ويطلبُ منه أن يأتي إلى المدينة بأسرع مايمكن ويظلّلَ أبناءه وتلاميذَه والمتعلّمين عليه، ويقول إنّه لم يبق أيُّ حقدٍ.

ويبدو أنّ الرّسالة الرّابعة والعشرين أيضًا خطابٌ لعلاء الدّين چلبي. وفي تلك الرّسالة يقول أيضًا إنّ عليه أن لا يبقى في مكان آخر غير منزله، وأن لا يتّبع هواهُ، ويبيّن إيذاءه لنفسه. وفي هذه الرّسالة كذلك يأتي ذكرُ اسم الأمير سيف الدّين ويقول إنّه من أجل ابني رجوتُ رجالَ هذا الأمير وتضرّعتُ لهم.

ويُرى في تواريخ السّلاجقة عددٌ من الأشخاص أسماؤهم سيفُ الدّين. فأيٌّ منهم سيفُ الدّين هذا؟ [٢٧٧] ولماذا ذهب مولانا إليه؟ ـ وفعليًّا هذه القضايا غيرُ

واضحة. وفي «فيه مافيه» يأتي حديثٌ عن شخصٍ اسمُه سيفُ الدّين فرُّخ، يُحتمل أن يكون هذا الشخصَ نفسَه (فيه ما فيه، ٦٢).

الرّسالة السابعة والسّتون أيضًا ينبغي أن تكون قد كُتبت إلى علاء الدّين چلبي. لأنّه في هذه الرّسالة أيضًا استُعملت عبارةُ «فخر المدرّسين». على أنّ عبارة «محبوب الأوّابين» أيضًا جديرةٌ بالدقّة. يقول أيضًا: «هكذا ظنّ أنّ في تلك الحجرة هذا الأب»، ويعظه. فهل الشخصُ الجالسُ في تلك الحجرة هو شمسٌ؟ ـ هذا الاحتمالُ كبيرٌ جدًّا. ويضيف أنّ بعضَ الكلام أيضًا قيل شِفاهًا للسيّد مجد الدّين.

أما الرّسالة الثانيةُ والثلاثون فقد كُتبت بعدَ وفاة علاء الدّين في شأن ميراثه. وفي هذا المجال لم يوصِ مولانا بأيّ شيء.

هذه الرّسائلُ جميعًا تشير إلى أنّ مولانا كان منزعجًا جدًّا من ابنه هذا.

٣٢ ـ علَم الدّين قيصر:

هو واحدٌ من أمراء عصر غياث الدّين كَيْخسرو الثالث (٦٦٣ ـ ٦٨٢ هـ / ١٢٦٤ ـ ١٢٨٢م).وفي حركة عصيان جَمْري، قدّم مساعدةً كبيرة، وهو من الأشخاص الذين أخمدوا هذا العصيان (ابن بي بي، طبعة هوتسما، ليدن، ا . ج. بريل، ص ٣٣٣).

ويكتب الأفلاكيّ قائلًا إنّه عندما بُني ضريحُ مولانا، وضَعَ أساسَ الصّداقة مع بدر الدّين التبريزيّ المعمار (١، ٣٨٧). كذلك يقول إنّ الواعظ الذي كان يبالغ في الثّناء على مولانا لكَمَ في أحد الأيّام من غضبه شخصًا منكِرًا منزلةَ مولانا فقتَلَه، وفرّ إلى قُونِيَةَ ولجأ إلى بيت مولانا. فكتب مولانا رسالةً إلى علَم الدّين قيصر وخلّص ذلك

الواعظَ (نفسه، ٤٥٩). وكان يرتّب مجالسَ السّماع لمولانا في منزله (ص ٤٨٩). سُئل مرّةً أيّةَ كرامةٍ رأيتَ لمولانا؟ - فقال: أيّةُ كرامةٍ أعظمُ من أنّ كلَّ المِلَل والدّول تُحبّ مولانا(ص ٥١٩)؟ ويضيف الأفلاكيّ القولَ إنه كان له تأثير كبير في بناء ضريح مولانا(٢، ٧٩٢). وكان معينُ الدّين، بمناسبة افتتاح المدرسة التي بناها في قيصَريّة من أجل قُطب الدّين الشيرازي، قد أرسلَ علَم الدّين قيصَر لدعوة سُلْطان ولَد إليه (٢، ٨١١ - ٨١٢).

قُتِل في شوّال من سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م. ونظَم سُلْطانُ ولَد ثلاث مِدَحٍ باسمه، وقد أشار في إحداها إلى أنّ علَم الدّين بنى ضريحَ مولانا ومدرستَه. ومن الحروف الأولى الاثني عشر من الأبيات الأولى من المِدْحة الثالثة، نظفر باسم عَلَم الدّين قيصر، الأمرُ الذي يعني أنّ القصيدة المذكورة من نوع الموشّح(*) (الديوان، طبعة نافذ أوزلوق، ١٩٦١ م، ص ٩ - ١٠، ٨٦ و ١٢٥ - ١٢٦). وبالإضافة إلى ذلك [٢٧٨]، يثني عليه سُلْطانُ ولَد في إحدى رباعيّاته (ص ٦٠٦، الرّباعيّة ٣٧٥).

وبعد مقتله أيضًا نظمَ سُلْطان ولَد ترجيعًا(**) في مرثيته في ثمانية بنود أو مقاطع، وفيه عرّف علَمَ الدّين بأنه من المحبّين الحقيقيّين لحضرة مولانا وإمامُ أصحاب مولانا(ص ٣٧٦ - ٣٨٠).

الرّسالة الحاديةُ والعشرون من رسائل مولانا إجابةٌ لرسالة علَم الدّين قيصر.

---

* الموشّح عند الفرس شعرٌ ينشأ من جمع الأحرف الأولى لكلّ مصراع أو بيت فيه اسمُ شخص أو شيء [المترجم]

** شكلٌ من أشكال الشعر الفارسيّ حيث يتكرّر بيتٌ بعد كلّ مقطع، ولكلّ مقطع رويّ خاصّ [المترجم]

وتتضمّنُ هذه الرّسالة نصائح أيضًا. الرّسالة الرّابعةُ والعشرون والمئة أيضًا خطابٌ له، وقد سمّاه مولانا فيها «فخرَ الأولاد».

٣٣ ـ علي النّوّاح:

هذا الرّجلُ كان نَوّاحًا، وفي مراسم الحِداد كان يُنشِد المراثي. ويتبيّن من محتوى الرّسالة الخامسة والخمسين أنّ لقَبَ النّوّاح خُلِع عليه بسبب عمله. وليس بين أيدينا اطّلاعٌ كبير في شأنه. كذلك فإنّ المقصود من «محمّدنا» الذي ذُكر في هذه الرّسالة غيرُ معروف.

٣٤ ـ فاطمة خاتون:

الرّسالة السادسةُ والخمسون وجِّهت إلى فاطمة خاتون، ابنةِ صَلاح الدّين زركوب. ويكتب الأفلاكيّ إنّه كان قد برز اختلافٌ بين فاطمة خاتون وزوجها، سلطان ولَد. كتبَ مولانا هذه الرّسالة وأرسلها بوساطة جمال الدّين قمري إلى فاطمة خاتون، وقد أثبت الأفلاكيّ الرّسالة عينَها (٢، ص ٧٣٤ ـ ٧٣٦).

ومن أنّه يكتب في نهاية الرّسالة: «ببركتكم، يخلع روحُه الطّاهرُ من ذلك العالَم مئةَ ألفِ عنايةٍ على أهل الأرض»، يُعْلَم أنّ الرّسالة كُتبت بعد وفاة صَلاح الدّين، أي بعد سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م.

٣٥ ـ فخرُ الخواتين:

الرّسالة السادسةُ والأربعون كُتبت إلى سيّدة لها هذه الألقاب: «سعادة وليّة الإنعام والإكرام، الزّاهدة العابدة، فخر الخواتين وعصمتهنّ، الحسَنة الخلُق، العالية

الهمّة، المفكّرة في العاقبة، الباسطة للخير، الطيّبة الذّكر، سليلة الملوك، ابنة الأمير...».

ونحن على علمٍ بأنّ مولانا مقارنةً بالصوفيّة الآخرين كان يعطي للحياة الاجتماعية للمرأة الأهميةَ المناسبة، وكان ينحاز إلى حرّية المرأة، وكان لديه مريداتٌ كثيرات، بل كانت [٢٧٩] زوجةُ أمين الدّين ميكائيل تعقد مجالسَ خاصّة للسّماع من أجل السيّدات، وفي تلك المجالس كان يُنثَر الورْدُ على مولانا (مناقب العارفين، ١، ٤٩٠ ـ ٤٩١؛ مولانا جلال الدّين، ص ٣٣٧ ـ ٣٤١). ولدينا معلوماتٌ في شأن المرحلة الأولى من حياة المولويّة تذهب إلى أنّ هذا الطّراز من التسليك قد راج في تلك المرحلة أيضًا. فقد جمعت شَرَف خاتون، ابنةُ سُلْطان ولَد، بعضَ المريدات حولَها. وقد عملت العارفةُ «خوش لقاء»، وهي من خلفاء المولويّة، في تُوقات على إشاعة الطريقة المولويّة (المولويّة بعد مولانا، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧).

وقد عرّف الأفلاكيّ زوجةَ غياث الدّين كَيْخسرو الثاني، گرجي خاتون ابنة ملكة گرجي، بأنّها من خاصّة مريدي مولانا (فهرست الأعلام، ٢، ص ١٢٠٤). وهذه السيّدةُ كان لها يدٌ أيضًا في بناء ضريح مولانا (٢، ٧٩٢). وبالإضافة إليها فإنّ گوماج خاتون تُوقاتي، زوجَ ركن الدّين الرّابع، كان لها أيضًا علاقةٌ كبيرة بمولانا (فهرست الأعلام، ص ١٢٠٤).

ونظنّ أنّ الرّسالة المذكورة قد وُجّهت إلى واحدة من هاتين السيّدتين.

الرّسالة الثامنة والعشرون والمئة أيضًا خطابٌ لسيّدة كُتبت بمناسبة شفائها، وهي رسالةٌ للسّؤال عن مريض. ومن وجهة أنّ الألقاب فيها مشابهةٌ تقريبًا للرسالة السابعة، نظنّ أنها كُتبت للسيّدة نفسها.

وعلينا أن نُضيف هنا هذا الأمرَ وهو أن گرجي خاتون، التي من المحتمل أنها كانت تريدُ الهجرة إلى قيصَريّة بسبب هجوم المغول، لأنها لم تكن تتحمّل فراقَ مولانا، كلّفت عينَ الدّولة النقّاشَ بأن يرسم صورةً لمولانا من أجلها (مناقب العارفين، ١، ٤٢٥ ـ ٤٢٦). وعندما كان سُلْطانُ ولَد يريد أن يذكر اسمَ أحدٍ من أحبّة مولانا في قيصَريّة، كان يذكر هذه السيّدةَ أيضًا (ديوان سُلْطان ولَد، ص ٤٥٣).

كذلك كُتبت الرّسالة التاسعة والثلاثون والمئة إلى سيّدة وُصفت بـ «فاطمة العصر، خديجة الدّوران، مريم الزمان». ويُحتمل أن تكون هذه السيّدةُ، كما يظهر من الرّسالة الثانية والثمانين، هي السيّدةَ نفسَها التي كان لها المشيخةُ في خانقاه، وطلبَ مولانا في رسالته إخراجَ الأشخاص الذين كانوا قد دخلوا الخانقاه.

٣٦ ـ فخرُ الدّين أرسلاندغمش (الأمير):

كان فخرُ الدّين أرسلاندغمش بن سوينج في معركة كوسه طاغي حاملَ العلَم لغياث الدّين كَيْخسرو. [٢٨٠] وبعد الهزيمة في تلك المعركة، انتشل فخرُ الدّين السّلْطانَ وأنقذه من الهلاك بتغيير هندامه وسَمْته. ظلّ الأميرُ مدّةً في وظيفة مسؤول الخيل [ميرِ آخور ـ بالفارسيّة]. وقد أصلح بين عزّ الدّين كَيكاوس الثاني ورُكْن الدّين قليج أرسلان الرّابع. وعندما كان عزّ الدّين متنازعًا مع ركن الدّين، ذهب رسولًا إلى ركن الدّين، ومرّة أخرى ثبّت الصّلْحَ بين الأخوين، وحثّ هذين الاثنين على التصالح والمسالمة. وفي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م، وبعد معركة عزّ الدّين مع المغول، سعى وأجلسَ ركنَ الدّين الرّابع على عرش السلطنة، وكان له في إخماد ثورة خانات أوج

تأثيرٌ كبير (انظر في هذا الشأن مقدّمة مناقب العارفين بالتركيّة، ترجمة تحسين يازجي، ١، ١٩٥٣ م، ٧٦ ـ ٧٧؛ مسامرة الأخبار، ص ٦٦ ـ ٦٨).

ويقول الأفلاكيّ إنّ فخرَ الدّين أرسلاندغمش بنى في قُونِيَةَ مدرسةَ الأتابكية، واشتغل شمسُ الدّين الماريني في تلك المدرسة مدرّسًا (ج ١، ٣٠٦). ويقول أيضًا إنّ باني المدرسة كان قد شرَط أنّ المدرّسين في هذه المدرسة ينبغي أن يُنتخبوا من بين الأحناف فقط، ويضيف أنّ مولانا يقول إنّ الخيرات التي تكون مشروطةً بشرطٍ لا تكون خيرًا كاملًا (١، ٤٤٤ ـ ٤٤٥).

والمرجَّح أن تكون الرّسالة التي تحمل الرّقم سبعة وثمانين من رسائل مولانا قد كُتبت أيضًا لهذا الشخص (انظر: ما كُتب تحت «فخر الدّين صاحب العطاء»).

في الرّسالة الثالثة والتسعين ذكر مولانا هذا الشخصَ. ويطلب منه مولانا أن يعيّن شمسَ الدّين الماريني مدرّسًا في مدرسةٍ مُنشأة حديثًا، وأن يسلّم مدرسةَ قرطاي، بعد نقْل شمس الدّين، لأفصح الدّين (انظر: ما كُتب تحت «أكمل الدّين الطبيب»).

٣٧ ـ فخر الدّين علي (صاحب العطاء):

ذُكِر فخرُ الدّين علي بن حسين الرّوميّ كثيرًا باسم صاحب العطاء. وقد عمل قريبًا من خمسين سنةً في دولة السلاجقة في خدمات مختلفة. وفي كثير من المدن بنى مدارس وخانات قوافل، وخوانق [جمع خانقاه] وسُبُلًا [مشارب ماء]. وكان اشتغل في عهد عزّ الدّين كَيْكاوس بعمل القضاء، ووصل بعد ذلك إلى منصب نائب

السّلطنة. ومن أجل أن يمنع المغولَ من ابتزاز الأموال التي كانوا يأخذونها من النّاس دائمًا، وينظّم الأعمال الماليّة، ذهب إلى حاكم المغول، ثم بعد كسب موافقته عاد إلى الأناضول. ومن أجل إيجاد الصّلح بين ركن الدّين قليج أرسلان وعزّ الدّين كَيْكاوس، ذهب في سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩ م، بصحبة كيكاوس، [٢٨١] إلى هولاكو خان، ثم بعد العودة اختير للصّدارة. ومرّة أخرى من أجل إيجاد الصّلح بين هذين السلطانين، ذهب إلى ركن الدّين، وأوصله ركنُ الدّين إلى الوزارة. وبعد ذلك بقي فخرُ الدّين صاحب، الذي كان ظفر بلَقَب الصاحب الأعظم، بعد مقتل ركن الدّين أيضًا في المنصب نفسه. وإذ كان نهض مدّةً لمخالفة پروانه، سُجن في قلعة عثمانجوق. وبعد إطلاق سراحه، ذهب إلى حاكم المغول، وأصبح من جديد الصاحبَ الأعظم. في سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م أخذ ابنةَ ركن الدّين قليج أرسلان الرّابع، التي كانت قد أصبحت خطيبة وليّ عهد المغول، بصحبة مُعين الدّين، إلى أرغون خان المغول. وفي العودة صار، في الاضطراب الذي كان أحدثه ابنُ خطير، مأمورَ الحدود في البستان. في سنة ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م، سُلّمت نفقاتُ طعام المغول، الذين كانوا قد ذهبوا إلى أرزنجان للقاء المصريين، لعهدة فخر الدّين. ولم يقدّم الكبراءُ أيّة مساعدة مالية، وكانوا يقولون: إنّ الأوامر كلّها تُصدَرُ باسمه، الجيشُ أيضًا ينبغي عليه أن يتعهده؛ كلُّ إنسانٍ يأكلُ وحْدَه، يتقيّأ وحْدَه أيضًا. وعلى هذا النحو فإنّ الأموال التي كان فخرُ الدّين قد جمعها على امتداد خمسين عامًا صرفَها جميعًا. في سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م، جاء كيخاتو إلى سيواس ومن هناك بطريق سيواس جاء إلى آق سراي. المحافظةُ على جنوده أيضًا وقعت على عاتق فخر الدّين. وفي النهاية فإنّ فخر الدّين علي، الذي أنهى أيضًا كثيرًا

من الأعمال في فتنة جَمْري، نُحّي بيد رقيبه مجد الدّين، ووصلَ فخرُ الدّين القزويني إلى الوزارة. واختار فخرُ الدّين علي صاحب العطاء الانزواءَ في قرية نادر، قريبًا من آق شهر، ثمّ في سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م توفيّ في المكان نفسه (مقدّمة مناقب العارفين بالتّركية، ص اثنتين وتسعين ـ أربع وتسعين؛ مولانا جلال الدّين، ص ٥١، ٣٥٠ ـ ٣٥١، المولويّة بعد مولانا، ص ٣، ٥، ٦).

وقد مدحَ سُلْطان ولَد الصاحبَ الأعظم فخر الدّين علي في قطعة من واحد وعشرين بيتًا (الدّيوان، ص ١٨٢ ـ ١٨٣).

وقد عرّفت المصادرُ كلُّها فخْرَ الدّين علي بأنّه رجلٌ خيِّر، محترِفٌ للعَدْل، وحنون. وقد ذكره الأفلاكيّ في مناسبات مختلفة (ج ١، ص ١٣٠، ١٣٣، ٥٤٩، و ج ٢، ص ٨٨٥). وقد ذكَرَه في موضعين بلَقَب «أبو الخيرات» (ج ١، ص ١٣٠، ٥٠٢).

وفي الرّسالة السّادسة والثلاثين من رسائل مولانا يُثني عليه واصفًا إيّاه بـ «الأميرِ الأجلّ، المتديّن الحسَن الخُلُق، المتقي لله، المفكّر في العاقبة، الرّاعي للمظلومين»، ويخاطبه بـ «الأخ». ويكتب في الرّسالة قائلًا إنّ جماعةً من الأصحاب صاروا بمساعدته فارغي البال من المطالبات والمصادرات، لكنّ [٢٨٢] خمسةَ أشخاص أو ستة مايزالون حتّى الآن يُطلب منهم الإتاواتُ والخراج، وقد طلَبَ أن يُعفى عنهم.

في الرّسالة الرّابعة والأربعين أيضًا خاطبه بصفات «أب الملوك والسّلاطين وملك الوزراء». وفي نظرنا أنّ هذه الرّسالة التي كُتبت في التوصية بـ «الابن» أيضًا خطابٌ لفخرِ الدّين علي. ونظنّ أنّ الرّسالة الثامنة والأربعين أيضًا خطابٌ له.

في الرّسالة الثانية والخمسين أيضًا وُصِف المخاطَبُ بـ «الأميرِ الأجلّ، العالم

العادل، وليّ الأيادي والنّعَم المعظِّم لأمر الله، المشفق على خَلْق الله مختصّ الملوك والسّلاطين». ونحسب أنّ هذه الرّسالة أيضًا قد كُتبت لفخر الدّين صاحب العطاء. وفيها وَبّخ جماعةً ليس لديها اعتقادٌ بصلاح الدراويش ثمّ اشتكى من جماعة أخرى تُظهِر نفسَها صاحبةَ الحقّ. بل إنّ مولانا هدّد بأنّه عازمٌ على أن يترك قُونِيَةَ، ويذكُر بأنّ المخاطَب بالرّسالة لايسمح بذلك، ويبيِّن هذا المطلب بجمل فيها مرارة وغُصّة.

والظّاهر أنّ الرّسالة السادسة والسبعين أيضًا أُرسلت إليه. وقد طلَبَ مولانا أن يُسلِّم الخانقاهُ الذي انتقل عنه الشيخُ صدْرُ الدّين إلى حسام الدّين چلبي، الذي ساءت ظروفُ حياته.

الرّسالة الحاديةُ والثمانون كتبها مولانا في شأن مساعدة ماليّة لصَدْرِ الدّين، ابنِ حسام الدّين چلبي، وقد حملَها صدرُ الدّين نفسُه. تُوفّي حسام الدّين حسن، ابنُ صَدْر الدّين محمد، في شوّال من عام ٧٤٧ هـ / ١٣٤٧م، ودُفن في مقبرة مولانا (المولويّة بعد مولانا، ص ٣٥٨). ويُحتمل أنّ أباه أيضًا دُفن في المكان نفسه، ولكن لم يُنشأ له ضريح؛ أو أنّه دُفن قرب قبر أبيه، وبعد ذلك أُعدّ مدفنُ حُسامِ الدّين، ولكن لم يُهيّأ حجرُ قبرٍ لابنه.

الرّسالة السابعةُ والثمانون في طلَب عفو من المطالبات الماليّة عن عدد من الدراويش، وقد جاء فيها أنّه إذا لزم الأمرُ يؤخذ أمرٌ من الملِك في هذا الشأن.

الرّسالة التاسعةُ والثمانون تتضمّن الألقابَ التي استُعملت في فخر الدّين علي صاحب العطاء. ومن هذه الوجهة لا شكّ في أنّ هذه الرّسالة قد كُتبت له. أخذَ السيّدُ زكي من أموال السّلطان دكانًا؛ وفي أثناء استئجار هذا الدكان وعد الأصدقاءُ

بالمساعدة؛ أمّا في مرحلة العمل فقد تركوا السيّد زكيًّا وحيدًا. فيطلب مولانا من المخاطَب مساعدتَه. ونتصوّر أنّ السيّد زكيًّا هذا هو الشخصُ نفسه الذي ذُكر في مناقب العارفين باسم «السيّد زكي القوّال». وفي بستان كرامانا، تُرتّب مُرضعةُ سُلْطان ولَد مجلسَ سماعٍ، [٢٨٣] فيحضر زكي القوّال في هذا المجلس، ويبقى لثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ بصحبة الأصحاب، يُنشد الأشعار (ج١، ٣٢٠). في يومٍ من الأيّام كان العلماء في مجلس مولانا جلال الدّين يتحدّثون عن «فتوحات» ابن عربيّ ويقولون إنّه كتابٌ عجيبٌ، ولا يُعْرَفُ ما مقصودُه من تأليفه. وفي هذه الأثناء يدخل زكي القوّال فيأخذ في إنشاد الأشعار. فيقول مولانا: الآن فتوحاتُ زكيّ أرفع من فتوحات مكّيّ وينهض للسّماع (نفسُه، ٤٧٠).

والظاهرُ أنّ الرّسالة الأربعين باسمه أيضًا؛ ذلك لأنّ العناوين والألقاب متناسبةٌ معه تمامًا. ويطلب مولانا في هذه الرّسالة من شخصٍ مجهول بنى مدرسةً أن يعيِّن فيها حاملَ الرّسالة الذي لا نعرف هويّتَه أيضًا.

الرّسالة الثامنة والمئة في طلَب تسليم خانقاه أخي گهرتاش إلى الشيخ جمال الدّين (انظر: ما كُتب تحت «جمال الدّين»).

وإذا ما انتبهنا في الرّسالة الثالثة والثلاثين والمئة إلى العنوان «أبو الملوك والسّلاطين»، علمنا أنّها وجِّهت إلى صاحب العطاء فخر الدّين في زمان أتابكيّته، كذلك يُذكر في الرّسالة التي بعدها صراحة.

إنّ شمس الدّين يوتاش الذي ذُكِر في هذه الرّسالة هو أميرُ الأمراء [بيگلر بيگ - بالتّركية]. تصف المصادرُ التاريخية هذا الشخصَ وجلالَ الدّين قرطاي بـ «المتقي

المشفق على الضعفاء». وكان هذا الشخصُ وجلالُ الدّين قرطاي أوصلا عزَّ الدّين كَيكاوس وركنَ الدّين قليج أرسلان وعلاءَ كيقُباذ، أبناءَ غياث الدّين كيخسرو في سنة ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م، إلى السّلطنة. (مسامرة الأخبار، ص٣٦ ـ ٣٨).وفي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م، وأثناء حملة بيجو على الأناضول، استُشهد في المعركة (نفسه، ٤٢). وإثر وفاته أيضًا أُلغي منصبُ أمير الأمراء (ص٥٠)؛ ولكن ابن بي بي يقول إنّ شمس الدّين يوتاش لم يُقتل في ذلك التاريخ، وعندما كان ركنُ الدّين قليج أرسلان يجلس على العرش، كان هو مشغولًا في قلعة توقات بحماية القلعة (ابن بي بي، ص٢٩٢). ونقرأ في تاريخ بيبرس أنّه قُتِل في سنة ٦٧٥ هـ/ م ١٢٧٦ م، في ثورة ابن خطير، مع سَعْدِ الدّين يونس، ابن سعد الدّين مستوفي خال معين الدّين پروانه، وكبراء آخرين. وقد أُرسلت رؤوسُهم جميعًا إلى قُونِيَةَ (ترجمة شرف الدّين يالت قايا ص٩ و ٩١).

وقد استعملَ مولانا في رسالته عبارةَ «رحمه الله» بعد اسم شمس الدّين يوتاش. وتُشير هذه العبارةُ على نحو واضح إلى أنّ الرّسالة قد كُتبت بعد وفاته؛ بينما توفّي مولانا في سنة ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣ م. وبناء على ذلك أخطأ تاريخُ بيبرس. والمعلومةُ التي [٢٨٤] يقدّمها كتابُ مُسامرة الأخبار ينبغي أن تكون صحيحةً، وينبغي أن يكون مولانا كتبَ هذه الرّسالة بعد سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م.

وينصحُ مولانا فخرَ الدّين، الذي كان يريد أن يزوّج ابنَه من ابنة شمس الدّين، أن لا يلتفت إلى أقاويل النّاس، ذلك لأنّ كلامهم كلَّه قد نشأ عن الحسد،ويكتب قائلا: إنّني من أجل تحقيق هذا الخبر أُرسِلُ إلى جنابكم حُسامَ الدّين چلبي. ويظهر من هذه الأمور جميعًا أنّ مولانا يحبّ يوتاش حُبًّا جمًا.

الرّسالة الرّابعة والثلاثون والمئة أيضًا خطابٌ له. أمّا قوامُ الدّين الذي عزَلَه من الخدمة فيُحتمل أن يكون مشرّفَ المُلك قوامَ الدّين أشهر بن الحميد (مسامرة الأخبار، ص٤١). وقد اتُّهم هذا الشخصُ في فتنة القَرَمانيّين، وقُتِل في سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م (نفسه، ص٧٢). وإذا ما كانت الرّسالةُ خطابًا له، فإنها تشير إلى أنّه عُزِل مدّةً عن الخدمة، ولأنّه استُعمل في شأنه تعبيرُ «الابن»، يُعْلَم أنّه من أقارب مولانا.

الرّسالة الخامسة والثلاثون والمئة أيضًا كُتبت إلى الصّاحب فخر الدّين وفي زمان كونه أتابكًا(*). وقد حُرّرت هذه الرّسالةُ في موضوع مصادرة أموال صدر الدّين، ابنِ حُسام الدّين چلبي. ويكتب مولانا إلى الصاحب فخر الدّين قائلًا إنّني من أجل قضاء حاجة صدْر الدّين جئتُ إليكم شخصيًّا، ولكنني لم أجد فرصةً لأن أعرض الأمرَ عليكم، ويطلب منه مساعدةً في هذا الشأن.

الرّسالةُ الثامنة والثلاثون والمئة وجِّهت إلى فخر الدّين علي عندما كان في منصب الصّاحب الأعظم، وتتضمّن دعاءً وثناء ونصائح.

ونحسب أنّ الرّسالة الثانية والأربعين والمئة كُتبت له أيضًا. وفي هذه الرّسالة أيضًا طلَبَ إصلاحَ حال صدْرِ الدّين، ابنِ حسام الدّين چلبي، وأرسل الرّسالة معه هو.

ونظنّ أنّ الرّسالة العاشرة أيضًا موجَّهةٌ إليه (انظر ماكُتِب تحت عنوان: «نجم الدّين بن خُرَّم»).

---

* تعني أتابك بالتركية حرفيًّا: السّيّد الوالد. وتعني كذلك لقبًا يطلق على معلّم الأمير أو مربّيه في عصر السّلاجقة، وقد تعني أيضًا «معلّم» عمومًا. وفي عصر السلاجقة أيضًا تعني الوزير، أو رئيس الوزراء. [المترجم العربي].

٣٨ ـ فلان الدّين (؟):

لم يُصرَّح بالمخاطَب في الرّسالة السّبعين. هذه الرّسالة ذاتُ التهديدات الكثيرة والكلمات المزعجة غيرُ معروف لمن كُتبت. ولكن يتبيّن من مخاطَبة المخاطَب بـ «الابن العزيز» ومن تسمية مولانا نفسَه «هذا الأبَ»، أنها يقينًا كُتبت لشخصٍ من أتباع مولانا والمرتبطين بطريقه. ويُستخلص من عبارة: «ومهما يكن فإنّ أخاكَ أصغرُ سنًّا منك [٢٨٥] ووا أسفاه، كان مأذونًا له أن يحدّثكَ عن حاله» أنّ المخاطَبَ بالرّسالة له أخٌ أصغرُ غرق هو أيضًا في نزوات الشّباب وضروب الجهالة وترك نفسَه على قارعة هذا الطريق. وتشيرُ هذه الكلماتُ بوضوح إلى أنّ هذه الرّسالة كُتبت إلى علاء الدّين چلبي أو سلطان ولَد. وعلى هذا النّحو، كان هذا «الابنُ العزيزُ» واحدًا من أبناء طريق مولانا. ويُفهم من متابعة مولانا المسألَةَ بإلحاح كأنّ هذا المخاطَبَ كان من الأفراد الذين تربطهم بمولانا علاقةٌ قوية، وكان مولانا قد سمع كلامًا في شأنه أقلقه كثيرًا وطرد النّومَ عن عينيه.

أو أنّنا نقرأ في الرّسالة: «البيتُ الذي كان حَسَنَ السمعة ومشارًا إليه بالبنان مثل بيت الله الحرام، قريبٌ من أن يغدو مشهورًا مثل رباط ضياء الدّين [كاروانسراي ضياء الدّين ـ بالفارسيّة]. ويذكر الأفلاكيّ رباطَ ضياء الدّين هذا باسم «خان ضياء الدّين». وكان في ذلك الخان امرأةٌ غايةٌ في الحُسْن جميلةُ الثّياب اسمُها طاووس، وكان لديها أيضًا مهارةٌ في العَزْف على الرّباب. وكان الجميعُ مهووسين بربابها وجمالها. وفي يومٍ من الأيّام مضى مولانا إلى ذلك الخان. فدعت طاووسُ مولانا إلى حجرتها. فقبل مولانا دعوَتَها، وانشغلَ بالعبادة إلى وقت صلاة المغرب في حجرة تلك المرأة فأثّر وجْدُ مولانا

وحالُه في تلك المرأة.

في اليوم نفسه كان مسؤولُ خزينة السُّلطان يمرُّ بذلك المكان. ففُتن بتلك المرأة واقترن بها. وأصبحت طاووسُ في نهاية المطاف إحدى النّساء الفضليات. ويقول الأفلاكيّ إنّه في آخر الأمر صار ذلك الخانُ المبارك حمّامًا للمسلمين، وهو معروفٌ في هذا الزمان باسم حمّام نقشلو (١، ص٣٧٥ـ٣٧٦).

وبرغم كلمة «المبارك» التي استعملها الأفلاكيّ، معلومٌ أنّه كان يجري في ذلك الخان الفِسْقُ والفجور، مثلما أشار مولانا إلى ذلك.

٣٩ ـ كمال الدّين (القاضي):

الرّسالةُ الأربعون كُتبت إلى مولانا كمال الدّين في التماس العفو عن تقصير شخصين اسماهُما الإمامُ عمادُ الدّين والإمامُ مجدُ الدّين، اللذان يُستفاد من تعبير «الوالدان الأعزّان» كِبَرُ سنّهما. ويظهر من عنوان الرّسالة أنّ هذا الشخصَ كان «المولى العلّامة، المحقّق الرّبّاني»، وقد دعا له مولانا بالتّوفيق في إصابة فتاويه. ويقول مولانا في الرّسالة إنّه مشتاقٌ إلى أن يصل إليه بنفسه، ويريد أن يكون هو حاضرًا للشفاعة. ويضيف أنّه حتّى الآن لم يسلك هذا الطريق، وكلّما ذهب إلى مكانٍ لأجل هذا الأمر لم يستطع أن يُبيّن ما في ضميره، ولهذا السّبب تحدّث عن هذه الخصوصية الرّوحيّة له.

وفي مناقب العارفين ذُكر القاضي كمالُ الدّين كابي. وهذا الشّخصُ هو قاضي [٢٨٦] القُضاة في الأناضول. وقد سمّاه الأفلاكيّ «ملِكَ القضاة والحكّام». وعندما كان هذا الشّخصُ قد جاء إلى قُونِيَة رغّبه جماعةٌ من أصحابه بزيارة مولانا. ولكن لأنّه

كان ذا منصبٍ رفيع لم يُشَر إلى علاقةٍ بهذه الزّيارة. وفي النّهاية عندما حظي بزيارة مولانا صار هائمًا به، وجَعَلَ ولدَيْه، صدْرَ الدّين ومجْدَ الدّين أتابك، مريدَيْنِ لمولانا. فرتّبَ مجلسَ سماع ودعا مولانا لحضوره، وانشغل مولانا بالسّماع في ذلك المجلس من منتصف النهار إلى منتصف الليل، وأنشدَ هذه الرّباعيّة:

جـــاء منـــدفعًا ووَلِهًـــا وخفيفًـــا وسريعًـــا

متنسّمًا روحُـه عبـيرًا مـن روضـة ورْد الـصّواب

تقـدّم اليـومَ عـلى جُملـة القُـضاة في الجَـرْي

في البحـثِ عـن مـاءِ الحيـاة قـاضي كـاب

وبعدئذٍ طلبَ حضورَ كمال الدّين فقبّله على عينه ووجهه، وقال:

إذا لم تعرفْنـي فاسـألِ اللّيـالي اسـألِ الوجْـهَ الأصـفر والـشّفاه الجافّـة

(مناقب العارفين، ١، ١٧٩ ـ١٨٣).

وقد نظَم سُلطانُ ولَد في مدْح كمال الدّين غزَلًا من تسعة أبيات وقال إنّ مولانا اختاره؛ وبعد ذِكْر اسمه أشار إلى حضوره في مجالسه (ديوان سلطان ولَد، ٩٣ ـ ٩٤).

إنّ مجد الدّين أتابك الذي ذكر الأفلاكيّ اسمَه وقال إنّه ابنُ كمال الدّين، لا يمكن أن يكون الأتابكَ مجدَ الدّين علي معروف؛ ذلك لأنّ اسمَ والد هذا الأتابك محمّد حسين. وذكَرَه الأفلاكيّ مرّةً أخرى بلَقَب «قدوة الخلفاء»، وأضاف أنّه هيّأ السّلطنةَ للسّلطان علاء الدّين بن فرامرز بن عزّ الدّين كيكاوس الثاني (ج٢، ٨٤٨ ـ ٨٤٩). وبمساعدة كتاب الأفلاكيّ ظفرنا بمعلومات في شأن مجد الدّين أتابك هذا. ويكتبُ الآقسرايي قائلًا إنّ هذا الشخصَ هو الأتابكُ مجدُ الدّين القاضي القره حصاري الذي

كان في عهد علاء الدّين ٦٩٨ ـ ٧٠١ هـ/ ١٢٩٨ ـ ١٣٠١ م، في منصب الأتابك، ولم يكن السّلطانُ أبدًا يتمرّد على كلامه. ويضيف أنّه في النهاية أُخِذ بصُحبة السّلطان إلى غازان خان حاكم المغول. وبعد التعرّض للجَلْد، نجا السلطان، وتوفّي مجدُ الدّين أيضًا بعد مدّةٍ وفاةً طبيعيةً (مسامرة الأخبار، ص٢٧٩ ـ ٢٨٠؛ ٢٩٠ ـ ٢٩١؛ المولوية بعد مولانا، ص٧ـ٨).

ولأنّه جاء في الرّسالة أنّ كلًّامن الشّخصين، اللّذين طُلب العفو عنهما ونهض مولانا للشفاعة [٢٨٧] لهما، أي عماد الدّين ومجد الدّين، سُمّي «إمامًا»، يبدو أنهما أيضًا من أهل العِلْم. وفي مناقب العارفين، ذُكِر عمادُ الدّين القاضي وكذلك من العلماء ذُكِر عماد الدّين كردي، وكلاهما عاشا في زمان أولو عارف چلبي.ولم يُثبت الأفلاكيّ اسمَ أب أيّ منهما، ويُحتمل أن يكون عمادُ الدّين المذكور في الرّسالة واحدًا منهما (ج٢، ٨٧٦، ٩٣١ ـ ٩٣٢).

كذلك في كتاب الأفلاكيّ، ذُكِر مجدُ الدّين حافظ أخو سعد الدّين خطيب السّيواسي (ج٢، ص٩٣١)، وفي التّحرير الأوّل للأفلاكيّ ذُكِر مجدُ الدّين الفقيه (ج٢، ١٠١٩ ـ ١٠٢٠). ومن المحتمل أن يكون مجدُ الدّين الذي صادفْنا اسمَه في الرّسالة أحدَ هذين الشخصين.

الرّسالة السّابعة والأربعون كُتبت أيضًا إلى واحد من القضاة، وأُرسلت بوساطة شخصٍ اسمُه مجدُ الدّين، الذي أُطلق عليه وصفُ «ابن». وقد كُتب في الرّسالة أنّ حاملَ الرّسالة اعتمادًا على لُطْف القاضي وكرَمه سيتحدّث معه بضع كلمات في شأن الشفاعة. ونظنّ أنّ مجْدَ الدّين هذا هو الشّخصُ نفسُه الذي نصادف اسمَه في الرّسالة

التّسعين. والمخاطَبُ بالرّسالة أيضًا هو القاضي كمال الدّين نفسه.

٤٠ ـ مجدُ الدّين (أتابك):

هو مجدُ الدّين علي بن محمد حسين الأرزنجانيّ. وقد وُلِد هو نفسُه في أرزنجان. كان صِهْرَ مُعين الدّين پروانه. تولّى في عهد ركن الدّين قليج أرسلان الرّابع منصبَ الاستيفاء، أي وزارة المالية. وبعد خَلْع الصّاحب فخر الدّين من الوزارة سُلِّم إليه أمرُ الوزارة لمدّةٍ، ثمّ بعد أن تصالح فخرُ الدّين مع المغول وتولّى الوزارة مرّةً ثانية، وُلّي منصبَ الأتابك، ذلك لأنّ المنصبَ السابق كان يبدو لمجد الدّين منحطًا. كان الأتابكُ، إضافةً إلى الوزارة، شخصًا معتمدًا وقريبًا من السّلطان، وكان في الوقت نفسه يعمل في تربية الأمراء. يكتب سپهسالار قائلًا: إنّ السّيّد بُرهان الدّين محقّق الترمذيّ كان أتابكَ مولانا، أي مربّيه. وعلى هذا النحو يبيّن أنّ لقب «أتابك»، إضافةً إلى المعنى الخاصّ، كان يُستعمل أيضًا في معنى عامّ آخر (ترجمة مدحت بهاري، ص١٧ و ١٦٠). ومعلومٌ في تقليد آل عثمان أنهم كانوا يسمّون صدورَهم العظام: «لا لا» [أي مُربٌّ أو معلّم]، وهي عادةٌ بقيت من ذلك الزمان.

وعندما عجز مجْدُ الدّين عن أنْ يُخمد عصيانَ ابن خطير (٦٧٥ هـ / ١٢٧٧م) حُكِم عليه بالإعدام، لكنّ أصدقاءه أنقذوه من الموت بتقديم الهدايا الكثيرة. ثمَّ بعد مقتل [٢٨٨] مُعين الدّين پروانه، وأثناء العودة من مقابلة أباقا خان حاكم المغول، مرضَ في سيواس، ثم في سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م، توفّي في المكان نفسه. كان مجْدُ الدّين خطّاطًا مُبْدِعًا، ولديه اطّلاع كامل على أمور المحاسبة، وقد قرض الشّعرَ أيضًا

(مقدّمة مناقب العارفين بالتّركية، ص سبع وسبعين ـ ثمان وسبعين).

يكتب سبهسالار قائلًا: إنّ مجْدَ الدّين أتابك كان من أتباع مولانا، ويضيف أنّه بناءً على رغبته حثّه مولانا على الخلوة.

يقول الأفلاكيّ إنّ مجْدَ الدّين دعا مولانا إلى مجلس مُعِين الدّين (ص١١٨)؛ وذهبَ في زيارة مولانا بصُحبة فخر الدّين ومعين الدّين وأمراء آخرين (ص١٣٤). ويروي أنّ مجْدَ الدّين كان حاضرًا في المجالس التي حضر فيها مولانا (ص٣٠٥). والأفلاكيّ أيضًا، مثل سپهسالار، يقول إنّ مجد الدّين بناءً على طلَبه أكمل الخلوةَ في حُجرةٍ في مدرسة مولانا (ص٣٢٨ـ٣٢٩).

الرّسالة الثامنة من رسائل مولانا كتبها إلى مجد الدّين. ولكن لأنّنا نقرأ في الرّسالة قولَه: أوصلتُ سلامَ ذلك المخدوم ـ لا زال مخدومًا ـ لحضرة مولانا، يتبيّن أنّ مولانا لم يكتب هذه الرّسالة. هذه الرّسالة، التي هي مباركةٌ بمجيء مجد الدّين إلى قُونِيَة وجوابٌ لرسالته، ربّما تكون حُرّرت بتقرير مولانا بيد سُلْطان ولَد أو حُسام الدّين چلبي.

الرّسالةُ التاسعة أيضًا موجّهةٌ إلى هذا الشخص. هذه الرّسالة التي تُحدِّث فيها عن العدالة والإحسان والكرَم التي يتحلّى بها مجدُ الدّين، خاطبتْ مجدَ الدّين بأنّه «آصِفُ الزمان،نظامُ مُلْكِ الأوان، والصّاحبُ الأعظم». وتبعًا لذلك تكون قد كُتبت في زمان وزارة مجد الدّين. ولأنّ وزارتَه كانت في حدود سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م، يكون تأريخُ الرّسالة في أواخر حياة مولانا. وفي هذه الرّسالة طلَبَ مولانا المساعدةَ لنظامِ الدّين، صِهرِ صَلاح الدّين زركوب.

الرّسالة العاشرةُ خطابٌ للصّاحب الأعظم. ولأنّ هذه الرّسائل تنطوي على نوعٍ من النّظام، نعتقد أنّ هذه الرّسالة أيضًا كُتبت لمجد الدّين.

الرّسالة السّابعة عشرة أيضًا كتبها إلى مجد الدين، وطلَبَ منه فيها أن لا يطلب الضرائبَ من شخصٍ اسمُه كمال الدّين، بسبب فقره.

الرّسالةُالرابعة والخمسون كتبها أيضًا إلى مجد الدّين. وفي هذه الرّسالة التي حرّرها في زمان أتابكيّة مجد الدّين أبلغَه سلامَ الدّراويش وأمير العالَم جلبي، ابنِ مولانا، وأضاف أنّ أميرَ العالَم چلبي غسَلَ يديه من أمور الدنيا، وصار حليقَ اللّحية والشارب والحواجب وانتظم في سِلْك [٢٨٩] الدراويش. لكنّ هذه الرّسالة أيضًا، كالرسالة الثامنة، لم يكتبها مولانا نفسُه. لأنّه في هذه الرّسالة يرى المرءُ عبارةَ: «أوصلتُ سَلامَكم إلى حضرة مولانا». ومهما يكن، فقد يكون سُلْطانُ ولَد أو حُسامُ الدّين چلبي كتب هذه الرّسالة. ويُفهم ضمنيًا أنّ هذه الرّسالة قد كُتبت إجابةً لرسالة مجد الدّين.

الرّسالةُ السادسةُ والستّون أيضًا لا يمكن أن تكون رسالةً لمولانا. إذ نقرأ في تضاعيف الرّسالة: «إنّ حاملَ الرّسالة بهاءَ الدّين من أقرباء بيت مولانا...». وبهاءُ الدّين هذا ليس سُلْطانَ ولَد. ولو كان سُلْطانَ ولَد لما قال: «من أقرباء بيت مولانا»، ولكان قال: «ابن مولانا»، أو استعملَ تعبيرًا آخر. ولعلّ سُلْطان ولَد أو حُسامَ الدّين چلبي كتب هذه الرّسالة. وقد جاء عنوانُ الرّسالة هكذا: يصلُ مطلبُهم إلى اطّلاع الصّاحب الأعظم. وتبعًا لذلك حُرّرت الرّسالةُ عندما كان مجدُ الدّين مايزال في منصب الأتابكية. أمّا ألقابُ «تاج الأدباء، ذو الفنون، الحسيب والنسيب» فتدلّ على

أنّ مجد الدّين كان شاعرًا وأديبًا.

الرّسالة الحاديةُ والعشرون والمئة كتبها مولانا في إبّان وزارة مجد الدّين.

وفي كتاب «فيه ما فيه» يقول مولانا إنّ مجد الدّين «دائمًا مشغولٌ بالحقّ واعتقاده غالبٌ عليه» (تصحيح فروزانفر، ص٢٨). وفي هذا الباب أُثبت حديثُه مع الأتابك أيضًا (الصفحة نفسها وما بعد).

وقد نَظَمَ سُلْطانُ ولَد قصيدةً من ثلاثة وعشرين بيتًا من أجله، يُستخرَج من الحروف الأولى للأبيات الاثني عشر في مطلعها، إذ هي من فنّ الموشّح(*)، اسمُ «مجد الدّين عليّ بن محمّد» (الدّيوان، ص١٤٣).

٤١ ـ محمّد (أخي):

أوصى مولانا في الرّسالة الثامنة والتّسعين شمسَ الدّين يوتاش بهذا الشخص، وقد طلَبَ له المساعدة. الرّسالةُ المئةُ أيضًا أوصت الصّاحبَ الأعظم تاج الدّين بهذا الشخص نفسه (انظر في شأن هذا الشخص ما كُتب تحت عنوان: «تاج الدّين (معتزّ)»، وتوضيحات الرّسالة المئة).

* نوعٌ من النّظم الشعريّ عند الفرس، ينشأ من جَمْع الأحرف الأولى لكلّ مصراعٍ أو بيتٍ فيه اسمُ شخصٍ أو شيء [المترجم]

٤٢ ـ مُعين الدّين پروانه:

الرّسائلُ ذواتُ الأرقام: ٢، ١٦، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٥١، ٦٣، ٦٨، ٧٢، ٧٨، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٦، ٩٩، ١٠١، [٢٩٠] ١١٤، ١١٦، ١٢٠، ١٣٧، وجّهها مولانا إلى مُعين الدّين پروانه.

تُستعمل كلمةُ «پروانه»، فضلًا عن معناها المعروف، في معاني: رسول الخبر، طليعة العسكر،مفتّش، أيضًا. ويُقال لأحكام القضاة وأوامر السلاطين پروانه أيضًا.

وفي عصر السلاجقة، كان اسمُ پروانه يُطلق على الشخص الذي يضع الأراضي المزروعةَ من أجل تأمين المعاش في تصرّف الطالبين، ويُجري محاسباتها وكذلك يُهيّئ الحوالات للعَرْض.

ظفر مُعينُ الدّين سُليمان بن مهذّب الدّين علي بن محمّد بمنصب «الپروانية»؛ ومن هنا اشتهر بالأمير پروانه، و پروانه. وكلّما ذُكِر اسمُ «پروانه» خطر هذا الشخصُ في البال.

كان معينُ الدّين سُليمان من الدّيلم. وكان والدُه من نوّاب غياث الدّين كَيْخسرو الثاني. وكان پروانة قد تزوّج من ابنة غياث الدّين كَيْخسرو الثاني أيضًا. وبعد هزيمة كوسه طاغ ذهَب والدُه إلى بيجو حاكم المغول، وقرّر عقْدَ الصّلح معه. وقد اصطدم معينُ الدّين، وهو على رأس قيادة جيش أرزنجان، بطرمطاي واستفاد من معرفة أبيه الحاكمَ المغوليّ بيجو وعلاقته معه فهزم خصمه. ومهّدطريقَ السّلطنة لرُكْن الدّين قليج أرسلان الرّابع ووصلَ إلى منصب «الپروانية»، وبقي في هذا المنصب بين سنوات ٦٥٨ ـ ٦٧٥ هـ/ ١٢٥٩ ـ ١٢٧٦م. وفي النزاع بين عزّ الدّين كيكاوس الثاني وركن الدّين

قليج أرسلان، انحاز إلى ركن الدّين، فأُطلقت يدُه في كثير من البلدان التي كانت تحت تصرّف عزّ الدّين. سأل هولاكوأن يَقْسم الأناضولَ بين السُّلطانَيْن. وبعد مدّةٍ، نحّى عزَّ الدّين كَيْكاوس تمامًا عن السّلطنة، وأرسلَ الأمراءَ المؤيّدين له إلى حكّام المغول، وقُتلوا هناك. وكان بدْرُ الدّين گهرتاش، الذي بنى مدرسةً لمولانا وخصّص لها أوقافًا، بين الأمراء المذكورين. وسعى لسنتَيْنِ بمساعدة المغول فاستولى على سينوب، وحصل بعد ذلك على مُلكيّتها من رُكْن الدّين. وفي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م مكّن المغولَ من قَتْل رُكْن الدّين أيضًا، وأجلسَ مكانَه غياثَ الدّين كَيْخسرو الثالثَ، ابنَه ذا السنتين والنّصف أو الثلاث سنوات، وانفرد هو وحده بإدارة أمور المملكة. وسجنَ الصّاحبَ فخر الدّين في قلعة عثمانجوق، بسبب أنّه كتب رسالةً إلى عزّ الدّين كَيْكاوس وقدّم له مساعدات. وقد اتبع سياساتٍ ثنائيّة بالانحياز لبيبرس حاكم مصر وللمغول أيضًا. أخبرَ بيبرس في رسالةٍ بأنّه إذا جاء إلى بيره جيك فلن يمتنع عن مساعدته، وسيتّحد معه. الأشخاصُ الذين شوهدوا يحملون رسائلَه المرسَلة أسَرهم المغولُ [٢٩١]؛ ولكنّ پروانه ادّعى أنّ هذه مؤامرةٌ حيكت ضدّه فقتَلَ حَمَلَةَ الرّسالة. ومن وجهة أخرى نظّم من جديد تعهّدًا وأرسله إلى بيبرس. كان پروانه بين الأفراد الذين حملوا ابنةَ ركن الدّين قليج أرسلان الرّابع، التي كانت عروسَ ابن أباقا خان، إلى العريس. استاء پروانه من سُلوك أولاد خطير. وبرغم أنّه أمر بإفنائهم، أعلنوا العصيانَ قبْلَ أن يقوم بأيّ إجراء. أخمد پروانه، الذي كان عائدًا من عند أباقا، تلك الفتنةَ، ومباشرةً دعا جيشَ مصر إلى الأناضول. جاء بيبرس إلى قيصَريّة وطلَبَ من پروانه أن يمارس مهماته باسمه. فرفض پروانه قبولَ هذا الاقتراح وأخذ في التمهّل ودَفْع الوقت. ولأنّ جيشَ

مصر كان يضاعف التضخّمَ الاقتصاديّ في الأناضول، توجّه پروانه إلى المغول لإخراجهم من المملكة. وبعد ذلك أبدى المغولُ انزعاجَهم وقلقهم من پروانه. ووقعت الرّسائلُ التي كان پروانه قد أرسلها إلى بيبرس في أيدي المغول. فأحضرَ المغولُ مُعينَ الدّين پروانه ووبّخوه. فاعترف بأعماله واحدًا واحدًا، وفي النهاية قتلَه المغولُ في سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م.

ويمدحُ سُلْطانُ ولَد مُعينَ الدّين سليمان في قصيدة من واحد وثلاثين بيتًا بمناسبة المباركة له بالعيد (الديوان، طبعة أوزلوق، ٢٠١ ـ ٢٠٢). وبالإضافة إلى ذلك، له أيضًا رُباعيّتان في مَدْحه (ص٥٩٣ و ٥٩٩).

في سنة ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١ م أقام مُعِينُ الدّين علاقاتٍ مع بيبرس. وجاء بيبرس في سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م إلى الأناضول. ولا شكّ في أنّ التّلاعب السياسيّ الثنائيّ لدى مُعين الدّين ينبغي أن يكون قد حدثَ في حدود سنة ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١ م أو قبلَ هذا التاريخ. ويلومُه مولانا جلالُ الدّين لومًا شديدًا، بسبب اتحاده مع التّتار ومساعدتهم على إفناء الشاميّين والمصريين (فيه ما فيه، ص٥). ومعلومٌ تمامًا أنّ كلمات مولانا هذه كانت في أواخر حياته. وفي «فيه ما فيه» يقول پروانه لمولانا: الأصلُ هو العملُ. وفي إجابة مولانا إيّاه يذمّ مولانا نظرَتَه السطحيّة (فيه ما فيه ص٧٤). كذلك في هذا الكتاب، يعرّف مولانا العبوديّةَ لمعين الدّين (٢٢٠ من الترجمة التركية). كذلك نرى أنّ پروانه يذهب لزيارة مولانا؛ فيتركه مولانا ينتظر لمدّة (ص٣٧ من طبعة المرحوم فروزانفر). وفي مناقب العارفين أيضًا يُتحدّث عن هذه المسألة باختصار (١، ص٢٩٠ ـ ٣٠٠).

[٢٩٢] في كتاب «رسالة سپهسالار في مناقب خداوندگار» الذي ألّفه فريدون ابن أحمد سپهسالار قبلَ سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م، تحدّث عن مُعين الدّين پروانه. ولكن لأنّ مجْدَ الدّين، ابنَ فريدون سپهسالار، أضاف إلى هذا الكتاب سيرةَ سُلْطان ولَد وابنِه، أولو عارف چلبي، وخليفتِه وأخيه، شمسِ الدّين عابد چلبي، وبعضِ خلفاء المولويّة وأكمله بين السنوات ٧٢٠ ـ ٧٣٩ هـ / ١٣٢٠ ـ ١٣٣٨ م، [لهذه الأسباب]يمكن المرءَ أن يحدس بأنّ يد الإضافة أُعمِلت في مَتْن الكتاب أيضًا.

وبناءً على ما كُتب في هذه الرّسالة، رتّب مُعينُ الدّين مجلسَ سَماع وحضرَ مولانا في ذلك المجلس (طبعة طهران، ص٨٣). كذلك يظهر من الكتاب نفسه أنّه في مجلس سَماع السّلْطان رُكْن الدّين، كان مولانا وپروانه أيضًا بين المدعوّين (ص٨٦). وفي مجلس آخر أعدّه پروانه كان لمولانا حضورٌ (ص٨٧). ذهبَ السّلطانُ ركنُ الدّين لزيارة شيخٍ اسمُه بُراغو. فخاطبَ الشيخُ الملِكَ بلَفْظ «الابن». فعندما سمعَ مولانا ذلك قال: «إن ظهرَ له أبٌ وشيخ آخر، فنحن أيضًا نختار ابنًا آخر». وعندما سمعَ السّلطانُ هذا الكلامَ، انزعج. وبتمهيد پروانه، رُتّب مجلسُ سماع وطُلب من مولانا العمل؛ ولكنَّ مولانا لم يرقه ما كان من وَضع الأطعمة في آنية من الذّهب والفضّة، فتركَ المجلسَ (ص٨٥). ونُضيف أيضًا أنّ هذه الحادثة أُثبتت أيضًا في مناقب العارفين، إلا أنّ اسمَ الشّيخ ههنا: بابا مرندي.

وفي المجلس قال السّلْطانُ مخاطبًا المشايخَ والعلماءَ: جعلتُ هذا الشّيخَ أبي؛ فترك

مولانا المجلسَ (ص١٤٦ ـ ١٤٩)[1].

في مناقب العارفين نُقلت رواياتٌ أكثر في شأن علاقات مولانا بمُعين الدّين پروانه: يحضر پروانه في مجالس سَماع مولانا (ج١، ١٨١ ـ ١٨٢؛ ٢١٥ ـ ٢١٦)؛ يطلبُ أن يسمع كلامَ مولانا في خلوة (ص١٦٤ ـ ١٦٥)؛ يسأل مولانا عن طريقة الذّكر (ص٢٥٠)؛ يذهب دائمًا لزيارة مولانا (ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، ٣١٠، ٤١٧، ٤٣٩، ٤٤٥، ٤٥٤، ٤٦٧)؛ ذهبَ في إحدى زياراته بصُحبة الأمراء الكبار للقاء مولانا، تركَهم مولانا ينتظرون مدّةً طويلة (ص٢٥١ ـ ٢٥٣).

[٢٩٣] كان مولانا أيضًا يقبل دعواتِ مُعين الدّين پروانه ويشرّف مجالسَ السّماع التي كان ينظّمها (ص٩٩ ـ ١٠١، ١١٨، ١٢٢، ١٤٥ ـ ١٤٦، ١٥٤، ١٥٧ ـ ١٥٩، ١٨٣، ١٩١، ٢٨١، ٢٩٢، ٣٣٨، ٤٢١، ٤٥٧، ٥٠٣، ٥٤٢؛ ج٢، ص٧٦٩).

ولم يكن مولانا يأبى أن يوبّخ مُعينَ الدّين بالكلام. ففي يومٍ من الأيّام، مثلًا، طلبَ مُعين الدّين من مولانا أن ينصحه. فأطرق مولانا لبعض الوقت مفكّرًا ثمّ رفع رأسَه وقال: يا أمير مُعِين الدّين، سمعتُ أنّك قرأتَ القرآن. قال: نعم. قال: سمعتُ أنّك قرأتَ «جامع الأصول» في الحديث على الشّيخ صَدْر الدّين. قال: نعم. قال: أنتَ تقرأُ كلامَ الله وتقرأ حديثَ رسول الله، ثمّ لاتعمل بهما، ماذا ستتعلّم منّي ومن نصيحتي؟ (ج١، ص١٦٥).

وفي مناقب العارفين، وبمناسبة الرّسائل التي كتبها مولانا لمعين الدّين، تُحدِّث

١ـ في شأن الشّيخ بابا مرندي، انظر: مولانا جلال الدّين، الترجمة الفارسيّة، ص٣٩٢ـ٣٩٥.

أيضًا عن أسباب كتابة الرّسائل:

ـ يكتب مولانا إلى مُعين الدّين في الشّفاعة لقاتل. فيكتب مُعين الدّين في الرّد على هذه الجملة: هذه القضيةُ ليست كالقضايا الأخرى، إنّها حكايةُ دَم. فيقول له مولانا في الإجابة: يقولون للدّم إنه ولَدُ عزرائيل، فإذا لم يَسفك دمًا ولم يقتل ابنَ آدم، فماذا يفعل؟ فيدفعُ مُعينُ الدّين الدّيةَ ويُطلق سراحَ القاتل (ص١٥٥).

ـ في يومٍ من الأيّام ابتُلي أهلُ قُونِيَةَ بمصيبة، وابتغاءَ الخلاص منها تعلّقوا بأذيال سُلْطان ولَدْ سائلين إيّاه أن يطلب من مولانا كتابة رسالة إلى مُعين. فكتب مولانا رسالةً استجابةً لرغبة سُلْطان ولَد. وعندما رأى مُعينُ الدّين الرّسالة قبِلها ونفّذ مطلبَ أهل قُونِيَة (ص٢١٧).

ـ أُدينَ أحدُ موظّفي الحسابات، فاشتكى لمولانا، فكتب مولانا رسالةً إلى مُعين الدّين وأرسلها. فقال پروانه: هذا الأمرُ من اختصاص الدّيوان. فأجاب مولانا: الديوانُ في تصرّف سليمان، وليس سُليمانُ في تصرّف الدّيوان. فقبِّلَ مُعينُ الدّين (الذي يعلم أنّ اسمَه سُليمان) رسالةَ مولانا وأسقط دَينَ المدين.

ـ في رواية صلاح الدّين الملَطي الذي ينبغي وفقًا لألقاب «ملك الأدباء ومولانا»، التي استعملها الأفلاكيّ في شأنه، أن يكون شاعرًا ومنشئًا وفي الوقت نفسه من العلماء، كان مولانا يكتب يوميًّا عشرَ رسائل أو اثنتي عشرة رسالة في التوصية بالمحتاجين، إلى مُعين پروانه والآخرين (٣٥٥).

ـ لإنجاز عملِ شخصٍ، يقرّر مولانا كتابةَ رسالة. وكان حُسامُ الدّين چلبي يحرّر الرّسالة؛ وبعد ذلك تُرسل الرّسالة إلى مُعين الدّين پروانه في قيصَريّة بيد رسول.

فيسأل الرسولُ: إذا طلبوا منّي رسالةً شفهية، فبماذا أُجيب؟ ـ فيقول [٢٩٤] مولانا: أغلقْ فمَك، ما يمكن أن يقال نُبيّنه نحن (ص٤٠٣ ـ ٤٠٤).

ـ كان مولانا حاضرًا في مراسم تعزية أحد نُوّاب پروانه. وعندما حان وقتُ الصلاة، طلبوا منه إمامةَ الصّلاة. فقال: أنا إنسانٌ من الأبدال، حيثما أكونُ أجلس وأقوم، وأربابُ التصوّف والتّمكّن لائقون للإمامة وأشار إلى الشيخ صدر الدّين وقال: «مَنْ صلّى خلْفَ إمام تقيّ فكأنّما صلّى خلْفَ نبيّ» (ص٥٤٨).

ـ في مراسم تشييع مولانا كان مُعِينُ الدّين أحدَ الأشخاص الذين كان يطلبون مَنْعَ المسيحيين واليهود من الاشتراك في مراسم التشييع (ص٥٩٢).

ـ بعد رحيل مولانا، ذهبت جماعةٌ من العلماء إلى مُعين الدّين پروانه لمنع السّماع. فتحدّث مُعِين الدّين مع الشّيخ صَدْر الدّين في هذا الشأن. فقال الشيخُ: لا تتدخّلْ في هذا الشأن البتّة... (٥٧٨ ـ ٥٧٩).

ـ في «ليلة العُرْس(*)»، التي كان مُعين الدّين قد رتّبها بعد وفاة مولانا، في أثناء السّماع مزّقَ مِلِكُ الأدباء بدرُ الدّين يحيى ثيابَه عن جسده وقال هذا الرباعيّ:

أين العينُ التي لم تتبلّلْ بالـدمع حزنًـا عليـك؟

أو أيـن الجيـبُ الـذي لم يـشقّ في مأتمـك؟

قـسَمًا بمحيّـاكَ، إنّـه فـوقَ البـسيطة

* هي اللّيلةُ التي تُوفّي فيها مولانا جلالُ الدّين، وهي ليلةُ السّابع عشر من شهر كانون الأوّل. وتسميتُها بهذا الاسم مستوحاةٌ من كلام لمولانا، وكان يُحتفى بها في بقاع كثيرة من ديار الإسلام [المترجم].

لم يُـــــوارَ أحـــــدٌ مثلُـــــكَ الثّـــــرى

(ص٦٩٥).

- كذلك رتّبَ مُعينُ الدّين في منزله سَماعًا؛ وفي ذلك المجلس أنشد الشّيخُ صدرُ الدّين الرّباعيةَ الآتية:

مَــنْ ســواكَ يُخــبرُ عــن الآيــاتِ المنزّلــة؟

أو مَــنْ يفــرّق بــين الــصّحيح والمعتــلّ؟

وكلُّ دقيقةٍ ونكتةٍ تحـدث في طريـق التحقيـق،

أيْ كاشــفَ الأسرار، قُــلْ: مــن يحلُّهــا؟

(ص٦٠١).

- في بناء ضريح مولانا أيضًا، كان مُعِينُ الدّين وزوجُه من الأشخاص الذين قدّموا مساعدات مالية (ص٧٩٢).

[٢٩٥] تُشير هذه الرواياتُ إلى أنّ مُعين الدّين كان يُظهِر احترامًا لائقًا في شأن مولانا، وكان مولانا أيضا يحبّه. أما في كتاب «فيه ما فيه» فإننا إذا ما نظرنا إلى لوم مولانا وتوبيخه، علمنا أنّ مولانا لم يكن يمتنع وفقًا لمقتضى الحال عن توجيه الكلام المرّ إلى مُعين الدّين، وأشرنا إلى بعضٍ من هذا الكلام فيما تقدّم.

- في يوم من الأيّام، جاء مُعينُ الدّين بصُحبة الأمراء لزيارة مولانا، فامتلأ صحنُ المدرسة وصُفَتُها إلى حدّ أنّه لم يبق مكانٌ لأصحاب مولانا. وعندما ترك هؤلاء المجلسَ، قال مولانا: إن معارفَنا وأسرارَنا على الحقيقة حِصّةٌ للأصحاب، فعلينا أن ندعو ليكونوا عاملين على ضبط مصالح الخلق وأعمالهم، ولكي لا يزعجوا ويضايقوا

في أوقات الدّراويش (ج١، ص١٣٣ ـ ١٣٥).

ـ في يومٍ من الأيّام كان مجلسُ سَماعٍ في زاوية الشّيخ صدْر الدّين، حيث كان مولانا حاضرًا أيضًا. قال أميرُ الحفل، كمالُ الدّين، لپروانه إنّ جمهرة مريدي مولانا من العامّة وأصحاب الحِرَف ويقلّ التفافُ الفضلاء والعلماء حولَه؛ حيثما يكون هناك خيّاطٌ وبزّازٌ وبقّال يقبله مولانا مريدًا. فصاح مولانا في وسط السّماع: ألم يكن الشّيخُ أبو بكر البخاري نَسّاجًا، وذلك الكاملُ الآخرُ زَجّاجًا؟ ألم يكن منصورُنا حلّاجًا؟ أيُّ ضررٍ أدخلتْه حرفتُهم على معرفتهم؟ (ص١٥١).

ـ في يومٍ من الأيّام قال مُعينُ الدّين پروانه إنّ مولانا مِلِكٌ لا نظير له، ولستُ أظنّ أنَّ سُلْطانًا مثْلَه ظهر على امتداد القرون، ولكنّ مريديه أناسٌ غير مؤهّلين. وصلَ هذا الكلامُ إلى مسمع مولانا. فكتب رسالةً إلى مُعين الدّين يقول فيها: لو كان مريديّ جيّدينَ لصِرْتُ أنا مريدًا لهم (ص١٢٩).

ونختم هذا الحديثَ المفصَّل بالحكاية الآتية:

في يومٍ من الأيّام أخذ بعضُ الأصحاب يتحدّثون في حضور مولانا عن عدالة مُعين الدّين پروانه وخيراته، إذ بوجوده المملوء بالجود استفاد الناسُ وشاع أمنٌ عظيم ووفرةٌ وافرة؛ وفي زمانه عاش العلماءُ والمشايخُ والأفاضلُ في المدارس والخوانق مرفّهين ومتّحدين. فقال مولانا: يقولُ الأصحابُ الحقيقةَ، بل إنّ الموجودَ أكثرُ مما يتحدّثون عنه بمئات المرّات. لكنّ هناك شيئًا آخر أيضًا. وهذه الحكايةُ مثلُ حكاية ذلك الدرويش الذي ذهب مع الحُجّاج لزيارة بيت الله الحرام، فمرض جمَلُه في وسط الصحراء. وقد سعوا بكلّ ما أوتوا من قوة لإنهاضه فلم ينهض. فوضعوا حِمْلَه على

جَمَلٍ آخر وتركوه في الصّحراء. فتحلّقت الوحوشُ حولَ ذلك الجمَلِ، لكنّ أحدًا منها لم يتقدّم إليه. فاحتار الحجّاجُ متسائلين: لماذا لم تمزّقه الوحوشُ وامتنعت عن أكله. عاد شخصٌ من القافلة فرأى تعويذةً معلّقةً على رقَبة الجمَل. وعندما فتح تلك التعويذة وأبعدها، حملتِ الوحوشُ على الجمل ومزّقته إرْبًا إرْبًا. فاعلموا أنّ هذه الدّنيا مثلُ ذلك الجمَل، والعلماءُ و [٢٩٦] الأمراءُ والفقراءُ وغيرهم مِثْلُ قافلة الحجّاج تلك؛ ووجودُنا مِثْلُ التعويذة التي عُلّقت على رقبته. ما دامت التعويذةُ على رقبته يظلّ فعّالًا وتظلّ قافلةُ الدّنيا تسير بسعادة إلى أن تُحلَّ، وفقًا لقوله تعالى: «يا أيّتُها النفسُ المطمئنّةُ ارجعي إلى ربِّك راضيةً مرضيةً» (الفجر / ٢٧ ـ ٢٨)، التعويذةُ من رقَبة جَمَل العالَم، عندئذ انظروا كيف يغدو العالَمُ وكيف يفنى السّلاطينُ وأربابُ العَلَم والقَلَم.

ونحن أيضًا نتابع الأفلاكيّ ونقول:

إنّه لم تكن سَنةٌ واحدةٌ قد مضت على وفاة مولانا حتى رحلَ كلُّ سلاطين الدنيا وأساطينُ الدّين والأكابر والسّادة أحدهم بعد الآخر وبقي إقليمُ الرّوم يتيمًا ومن دون دولة، وانقلبَ عالي العالَمِ سافلَه... (ج١، ص١٠٧ ـ ١٠٩).

كذلك أصبح مُعينُ الدّين پروانه مريدًا لفخر الدّين العراقيّ، الذي توفّي في دمشق في سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٨ م، وبنى له خانقاه في تُوقات (مناقب العارفين ص٤٠٠، الترجمة التركية لنفحات الأنس ص٦٧٢). وقد مضى العراقيّ بعد مقتل پروانه إلى مصر ومن هناك ذهبَ إلى الشام، وتوفّي هناك.

وفي تُوقات، هناك مدرسةٌ لمعين الدّين أيضًا (مناقب العارفين، ٥٥٩). ويقول إسماعيل حقّي أوزون چارشيلي إنه كان يقال للمدرسة الزرقاء (گوگ مدرسه):

مدرسة پروانه أيضًا (كتيبه ها، ص٥٦ ـ ٥٧). والمدرسةُ التي ذُكرت في مناقب العارفين ينبغي أن تكون المدرسةَ نفسها. كذلك يتبيّن من مناقب العارفين أنّ مُعين الدّين كان له مدرسةٌ في قيصَريّة عُيّن قطبُ الدّين الشيرازيّ (٧١١ هـ / ١٣١١ م) مدرّسًا فيها. وفي مراسم الافتتاح ألقى سُلْطان ولَد خطابًا (ج٢، ص٨١١ ـ ٨١٤). ولپروانه في قُونيّة أيضًا خانقاه كان شيخُه شخصًا اسمُه تاج الدّين الأردبيلي (ج٢، ص٥٠٣). وفي تُوقات أيضا أنشأ مُعينُ الدّين بيمارستانَ (عثمان توران، سلاجقة تركية، ص٥٢).

(في شأن مُعين الدين انظر: التّرجمة التركيّة لمناقب العارفين، المقدّمة، ص٥٥ ـ ٦١).

الرّسالةُ الثانية شكرٌ باسم صَدْر الدّين، ابنِ حُسام الدّين چلبي (انظر ماكُتب تحت: «تاج الدّين معتزّ»).

الرّسالةُ الخامسة عشرة طلبُ مساعدة لحُسام الدّين چلبي الذي تحمّل نفقةً لبنائه حائطًا حول بستانه.

[٢٩٧] الرّسالة السادسة عشرة رسالةُ شكرٍ من أبناء أقرباء سيف الدّين بسبب العفو عنه.

الرّسالة السابعة والعشرون جوابٌ لرسالة پروانه. وفي هذه الرّسالة طُلب أن يفي مُعينُ الدّين بوعده.

الرّسالة الثلاثون كأنها شكرٌ على التحيات. الرّسالة الحاديةُ والثلاثون أرسلها مولانا في شأن تأمين معاش ابنه، أمير العالَم چلبي. في الرّسالة السابعة والثلاثين طُلب

العفوُ عن شخص. في الرّسالة الثانية والأربعين أُخبِر بمطالبة المغول بيَغْل. في الرّسالة الثالثة والأربعين طُلب العفوُ عن نظام الدّين (انظر ماكُتب تحت عنوان: «نظام الدّين»). الرّسالة الحادية والخمسون أُرسلت بطريق أحد «أقرباء» مولانا، كريم الدّين محمود، الذي وقعت عليه تُهمة، وطلَبَ فيها مولانا من پروانه أن يُعطي الحكمَ بالعفو عن هذا الشخص له هو. وقد رجَّح يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين، في التعليقات، أن يكون هذا الشخصُ كريمَ الدّين بَكْتَمَر (الرّسائل، طبعة طهران، ص٢٩٦).

يكتب سُلْطان ولَد، في ابتدانامه (= ولَدْنامه) قائلًا إنّه إثر وفاة حُسام الدّين چلبي في سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م، جلس كريمُ الدّين بكتمر في مقام القطب وظلّ لسبع سنوات بعد وفاة حُسام الدّين چلبي شيخَ العاشقين في تربة مولانا، وجعَلَه سلطانُ ولَد نفسُه شيخَه، ومثَّل في هذه السّنوات السّبع مولانا والمولويّة. أمّا في شأن حياته فليس فقط لم يُتحدَّث عنها مفصَّلًا، بل ليس لدينا اطّلاعٌ مجملٌ عنها أيضا. كتابة شاهدة قبر كريم الدّين، المدفون في تربة مولانا، هكذا:

«هذه التّربةُ الشّريفةُ لفخرِ الأصحاب العارفِ الفائق العاشق الصادق الشّيخ كريمِ الدّين بن الحاج بكتمر المولويّ رحمةُ الله عليه في تاريخ شهر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وستّمائة».

ويُفهم من الكتابة على شاهدة هذا القبر، أنّ كريم الدّين بكتمر كان من أتباع مولانا (المولويّة بعد مولانا، ص٣١ ـ ٣٣ و ٣٥٥). وههنا علينا أن نتذكّر أنّه لا في كتاب سُلْطان ولَد ولا في كتابة شاهدة قبر كريم الدّين، يصرَّح بأنّ اسم كريم الدّين

هو محمود.

وبالإضافة إلى ذلك، علينا أن نذكُر أنّ آق سرايي، مؤلّف مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار، كان أيضًا كريمَ الدّين محمودًا.

وكان كريمُ الدّين محمود، الذي ألّف في سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م «مُسامرةَ الأخبار» باسم تيمور تاش [٢٩٨] نُوين وتوفّي قبْلَ سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م، قد عُمِّر طويلًا. وقد أمضى الشّطرَ الأعظمَ من حياته في الأعمال الدّيوانية، وذهبَ مرّاتٍ عديدة إلى حكّام المغول، وعملَ في الشؤون المالية، وفي نِظارة الأوقاف، كما عمل مدّةً في رياسة مدينة آق سراي (أوزون چارشيلي، مقدّمة لتشكيلات التّاريخ العثماني، ١٩٤١ م، ص٥٥). (اقرأ سيرتَه في مقدّمة عثمان توران لمسامرة الأخبار، ص٣٢ـ ٤٠).

زار كريمُ الدّين محمود مولانا في مرحلة شبابه وحتّى عندما كان يمرّ بِسِنّ الكمال؛ ثمّ في سنيّ كماله أدرك محضرَ سلطان ولَد وأولو عارف چلبي؛ ثم في الكهولة أدرك عهدَ شمس الدّين أمير عابد چلبي. كان له بمولانا ارتباطٌ شديدٌ ووديّ. ويمدح مولانا بعبارات: «العاشق الرّبّاني، وصاحب الجذبة السُّبحانية وقطب الزمان» (ص٩١)، ويقول إنّ صيتَ كلامه شاعَ في أقطار العالَم (الصفحة نفسها). ويسمّيه «قُطبَ الزمان وفريدَ العالم» (ص١١٩). ولأنّ كريم الدّين محمودًا تولى أعمالًا مليئةً بالمسؤولية وعلى قدر كبير من الأهمية، يُحتمل أن يكون قد اتُّهم وهو في واحدٍ من هذه الأعمال. ولعلّ كريم الدّين محمودًا الذي جاء ذكرُه في رسالة مولانا هو الشخصُ نفسُه الذي أرسله مولانا بصحبة الرّسالة إلى پروانه.

الرّسالة الثالثةُ والسّتّون كُتبت في موضوع قَطْع مرتّب الفقيهين اختيار الدّين

وعماد الدّين (انظر ما كُتب تحت: «الإمام اختيار الدّين»).

الرّسالة الثامنةُ والسّتون أُرسلت مع حميد الدّين. وقد طُلب في الرّسالة تسليمُ خانقاه نُصْرت الدين الوزير لهذا الشخص. وفي هذه الرّسالة أيضًا أُبلغت تحياتُ حُسام الدين (انظر ما كُتب تحت: «حميد الدّين»).

الرّسالة الثانيةُ والسّبعون في موضوع مساعدة السيّد شرف الدّين. وفي بعض النسخ يكون المخاطَبُ بالرّسالة سَعْدَ الدّين. ومهما يكن فإنّ هذا الاختلافَ في النّسخ ناشئٌ عن خطأ الكاتب؛ لأنّ سَعْد الدّولة تولّى الوزارة في سنة ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م، وتولّى السيّدُ سَعْدُ الدّين السّاوجي الوزارةَ في سنة ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٨ م.

الرّسالة الثامنةُ والسّبعون في طلَب مساعدةٍ لحسام الدّين.

الرّسالة الثانية والثمانون في شأن سُكنى جماعةٍ من المرتبطين بمُعين الدين پروانه في خانقاه سيّدةٍ، وصُفت بـ «الأخت العزيزة الزاهدة»، وقد طُلب إزالةُ مضايقتهم للخانقاه.

كان لمولانا، فضلًا عن النساء المنتسبات إلى عائلات مرموقة وعن گرجي خاتون وگوماج خاتون ونساء الأكابر، مريداتٌ كثيراتٌ من بين سيّدات أخريات. وكان لمحمودة خاتون (مناقب العارفين، ١، ٤٤٨) علاقةٌ كبيرة [٢٩٩] بمولانا ولم تكن تنأى عن محضره. فخرُ النّساء، التي كانت تخدمُ الأصحابَ في بُستان حُسام الدّين چلبي (ص٢٨٧ ـ ٢٨٨، ٤٣٠ ـ ٤٣١)، وخليفتُها «خوش لقاء» القُونيوية، التي آثرت الإقامة في توقات وكان لها مريداتٌ كثيرات (٢، ٨٧٣، ٩٢٨ ـ ٩٢٩)، ونظام خاتون التي أرادت أن تبيع كفنَها من أجل ترتيب مجلسِ سَماع لمولانا وأصحابه (٢،

٦٠١)، [هؤلاء النّسوة جميعًا] من مجموعة النّساء اللائي ذُكرت أسماؤهنّ في الكتب واحتللنَ منزلةَ الصدارة. وتشير هذه الرّسالةُ إلى أنه إبّان حياة مولانا كان من المتسبين إليه سيّدةٌ مولوية كان لديها خانقاه. ولعلّه كان هناك سيّداتٌ أخريات أيضًا غيرها. وقد استمرّ هذا الفكرُ السّامي في طريقة مولانا إلى أواخر القرن العاشر الهجريّ / السادس عشر الميلاديّ (عبد الباقي گلبينارلي، المولويّة بعد مولانا، ص٢٧٨ ـ ٢٨١).

الرّسالة الرابعةُ والثمانون في طلَب المساعدة لشخصٍ وقد أُرسلت بوساطة شخص. الرّسالة الخامسةُ والثمانون في طلَب المساعدة لابن حسام الدّين چلبي. الرّسالة السادسةُ والثمانون تتضمّنُ طلَبَ مُساعدةٍ لعدد من الدراويش. الرّسالة السادسة والتسعون طلَبُ مساعدةٍ لنظام الدين، صِهرِ حُسام الدّين چلبي، وأُرسلت بوساطته هو. الرّسالة التاسعةُ والتّسعون طلَبُ وظيفةٍ لشخص اسمُه حسامُ الدّين. هذا الشخص الذي وصفه مولانا بـ «الابن العزيز»، إذا كان من المتسبين إلى مولانا أيضًا، ليس هو طبعًا حسامَ الدّين چلبي. ذلك لأنّ مولانا كلّما كان يذكر حُسامَ الدّين چلبي كان يُثني عليه بألقابٍ وأوصافٍ مثل «جُنَيد الوقت، بايزيد الزمان، أمين القلوب...». وبصَرْف النظر عن ذلك، لم يعمل حُسامُ الدّين چلبي في الأعمال الدّيوانية. وبين كبار الأصحاب يمكن أن نصادف حُسَام الدّين إسكندر (٢، ٧٨٤). وبالإضافة إليه، هناك الشّيخُ حسامُ الدين بگي الذي عاش في زمان أولو عارف چلبي، وكذلك حُسامُ الدّين بن آيينه دار القونيوي الذي كان قارئًا ماهرًا؛ وكذلك ذُكِر حسامُ الدّين الدّباغ (ج٢، ٨٧٦، ٩٣٠؛ ج١، ٤٢٦ ـ ٤٢٧ و ٥٠٧). ولعلّ المرادَ من حسام الدين أحدُ هؤلاء الأشخاص.

الرّسالة الحاديةُ والمئةُ توصيةٌ بشخصٍ اسمُه شمسُ الدّين. وربّما يكونُ هذا الشخصُ الأستاذَ شمسَ الدّين (ج٢، ٨٧٦) أو شمسَ الدّين العطّار (ج١، ٣٣٣ و٥٦٧) الذي جاء له ذكرٌ في مناقب العارفين.

الرّسالة السّادسةَ عشرة والمئةُ في طلَب مساعدة لنظام الدّين. الرّسالة العشرون والمئةُ توصيةٌ بشخصٍ اسمُه مجدُ الدين مدرّس، وُصف بـ «الابن العزيز». الرّسالة السّابعةُ والثلاثون والمئةُ خطابٌ لپروانه، إذ بارك له مولانا بالعودة من الحرب.

٤٣ ـ مهذّب الدّين (الأمير):

[٣٠٠] هو مهذَّبُ الدّين الدّيلميّ والدُ مُعين الدّين پروانه، الذي كان في زمان غياثِ الدّين كَيْخسرو الثاني، ابنِ علاء كيقُباذ الأوّل، وزيرًا ونائبًا للسّلطان. كان من الأشخاص الذين لم يشاؤوا خوضَ معركة كوسه طاغ، وكان يعتقد أنّ الجيش ينبغي أن يكون في حالة دفاع. وبعد الهزيمة في هذه المعركة انطلق إلى آماسيه واتّحد مع قاضي آماسية وذهب إلى بيجو وأمَّن المصالحة (ابن بي بي، طبعة هوتسما، ص٢١٩، ٢٣٨، ٢٤٣ ـ ٢٤٨).

الرّسالة الثالثةَ عشرةَ والمئةُ خطابٌ لهذا الشخص.

٤٤ ـ نجمُ الدّين (ابن خُرَّم):

في الرّسالة الأولى يُظهر مولانا سرورَه من أنّ السلطانَ قد جعَلَ نجمَ الدّين من مقرَّبيه، ويصفه بـ «الابن الأعزّ الأمير قائد الجيش... نجم الدّين». وتشير العبارةُ التي

تُرى في هامش الرّسالة، في القسم الأعلى، إلى أنّ هذه الرّسالة أُرسلت إلى السّلطان عزّ الدّين كيكاوس الثاني، وذُكر نجمُ الدّين أيضًا بلقب «ابن خُرّم» (انظر ما كُتب تحت: «عزّ الدّين كيكاوس الثاني»).

في الرّسالة العاشرة أيضًا يذكر هذا الشخصَ بألقاب «الابن العزيز نجم الدّين بن خُرّم چاوش» ويرجو أن يعفو السّلطانُ عن تقصيره بشفاعة الصّاحب الأعظم. ويُعلَم من هذه الرّسالة أنّه يضع في اعتباره ما كُتِب في أعلى الرّسالة الأولى. ولكن مَنْ نجمُ الدّين هذا؟ ـ لا يمكننا إبداءُ رأي قاطعٍ في هذا الشأن. وفي كتاب ابن بي بي جاء ذِكرٌ لـ «الإمام المعظّم نجم الدّين النخجواني» الذي تولّى الوزارة لمدّةٍ في زمان حكم السلطان عزّ الدّين كَيكاوس، ثم بعد أن شاهدَ أفولَ الأمور ترك الوزارةَ ويمّم شطرَ حلب (ابن بي بي ـ طبعة هوتسما، ٢٧٠ ـ ٢٧١). فهل هو الشّخصُ نفسُه؟ ـ لماذا سُمّي باسمِ ابن خُرّم؟

في كتاب «فيه ما فيه» كلامٌ في ذمّ ابن چاوش الذي أطلق لسانَه في النيل من صلاح الدين (طبعة فروزانفر، ص٩٥). ويمكن المرءَ أن يحدس بأنّ ابنَ چاوش هو عينُ نجم الدّين بن خُرّم چاوش (انظر كذلك توضيحات المرحوم فروزانفر، في ص٣٠٢).

ونظنّ أنّ الرّسالة العاشرة كُتبت للصّاحب فخر الدّين.

٤٥ ـ نظامُ الدّين:

الرّسالةُ التاسعة عشرة كُتبت في إجابة رسالة واحدٍ من الأمراء، كان قد وعد بأن

يقضي حاجةَ نظام الدّين. [٣٠١] ونعرف شخصين اسمُ كلّ منهما نظامُ الدّين. الأوّلُ زوجُ هديّة خاتون، ابنة صلاح الدّين زركوب؛ والثّاني صهرُ حسام الدّين چلبي. أمّا نظامُ الدّين الذي هو صِهْرُ صلاح زركوب فمشهورٌ بنظام الدّين الخطّاط. وهذا الشخصُ، الذي لا يُعرف وضعُه على الأقلّ في ابتداء أمره، أُمِّنت تكلفةُ زواجه بمساعدة الآخرين (مناقب العارفين، ٢، ٧٢٦ ـ ٧٢٨).

وقد كتب نظامُ الدّين الخطّاط في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م ديوانَ سُلْطان ولَد (مقدّمة ديوان سلطان ولَد، ص٨٨ ـ ٨٩).

ويَعُدّه سپهسالار من خلفاء مولانا (ترجمة مدحت بهاري، ص٢٠٨).

الرّسالة التّاسعة عشرة طَلَبُ مساعدةٍ لنظام الدّين، إذ كُتبت إلى شخص لقبُه «ملك الأمراء»، ونظرًا إلى هذا اللّقب ربما يكون مُعينَ الدّين پروانه؛ لكنّه غيرُ معلوم في شأن أيٍّ من هذين المسمَّيين نظامَ الدّين. الرّسالة الثالثة والعشرون أيضًا، التي كُتبت إلى جلال الدّين المستوفي، على هذا الغرار.

الرّسالتان الثالثةُ والأربعون والثالثةُ والخمسون كُتبتا إلى پروانه والأمير نور الدّين من أجل العفو عن تقصير نظام الدّين. الرّسالة السّابعة والعشرون أيضًا خطابٌ لپروانه إذ طُلب فيها الوفاءُ بالعهد والعفوُ عن ذنب شخص. ويُحتمل أن يكون هذا الشخصُ الذي طُلب العفوُ عنه نظامَ الدّين المذكور. الرّسالة الرّابعة والأربعون طلَبُ مساعدةٍ لشخصٍ وُصِف بـ «الأخ العزيز». ولكن أيُّ واحدٍ من هذين الشخصين هو نظام الدّين الذي ذُكِر في هذه الرّسائل؟ لعلّه نظامُ الدّين ثالثٌ أيضًا. لايمكن إعطاءُ رأي قاطع في هذا الشأن.

الرّسالة الثانية والعشرون كُتبت من أجل طلَب مساعدةٍ لصِهْر حسام الدّين چلبي. الرّسالة التاسعة والخمسون أيضًا مثلُها؛ ولكنّ حكاية فُضَيل في هذه الرّسالة أضفت عليها طابعَ طلَب المغفرة. الرّسالة الثمانون شكوى من أشخاص ظلموا نظامَ الدّين، صِهْر حسام الدّين. الرّسالة الحادية عشرة والمئة أيضًا طلَبُ مساعدةٍ لنظام الدّين، صِهْر حسام الدين، إذ كُتبت إلى پروانه. ويمكن استنباطُ هذا الأمر من سَلام حُسام الدّين. الرّسالة التاسعة والعشرون طلَبُ زيادة حقوق نظام الدّين الخطّاط، صِهْر صلاح الدّين. ويظهر من هذه الرّسالة على نحو ضمنيّ أنّ نظامَ الدّين كان قد عُيِّن في أعمال الطُّغْراء والإنشاء. الرّسالة الخامسةُ والأربعون أيضًا كُتبت إلى أحد الأمراء وطُلب فيها مساعدةٌ لنظام الدّين، صِهْر صلاح الدّين. [٣٠٢] نذكر هنا أنّ شخصًا اسمُه نظامُ الدّين هاجمه مولانا (مولانا جلال الدّين، ص١١١، الحاشية ٣). ويمكن إقامةُ علاقةٍ بين هذه الجملة وبين طلب العفو لنظام الدّين.

وعلينا أن نتذكّر أيضًا أنّ يوسف جمشيدي پور وغلامحسين أمين قد ارتكبا خطأً عظيمًا باعتبارهما هذين الشخصين شخصًا واحدًا (طبعة طهران، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩).

٤٦ ـ نور الدّين (الأمير):

كان نورُ الدّين ولد جاجا، في عهد رُكْن الدّين قليج أرسلان الرّابع، واليَ قِيرْ شَهْر، وكان له هناك مدرسة. مزارُه هناك أيضًا (مقدّمة مناقب العارفين بالتركية، ص٦٤).

يروي الأفلاكيّ أنّ نورَ الدّين ولَد جاجا كان يأتي لزيارة مولانا بصحبة الأمراء

(١، ص١٣٤) ويسمّيه «مريدًا مولويًّا مُخلِصًا» (ص٤٩٧). ووفقًا للأفلاكيّ فإنّ نور الدّين كان في البدء مُريدًا لحاجي بكتاش، ثم بعد ذلك انضمّ إلى مريدي مولانا (ص٤٩٧ ـ ٤٩٨).

في كتاب «فيه مافيه» سؤالُ ولَد جاجا (في فيه ما فيه كُتب اسمه: جيجه؛ وفي مناقب العارفين: جيجا) أثارَ حديثًا (فيه ما فيه، المرحوم فروزانفر، ص٣٢ والتوضيحات ص٢٦٠).

كتبَ مولانا الرّسالة الخامسةَ والعشرين لطلَب المساعدة لنظام الدّين، صِهْر حُسام الدّين چلبي؛ ومثلما يُفهم من آخر الرّسالة، أرسلها بوساطة نظام الدّين إلى نور الدّين.

الرّسالة الثالثة والخمسون أيضًا كُتبت إلى هذا الشخص. وفي هذه الرّسالة طلَبَ مولانا العفوَ عن جُرم نظام الدّين. وإذا ما وضعنا في الحسبان الرّسالة السّابقة، علمنا أنّ نظام الدّين المذكور في هذه الرّسالة هو أيضًا صِهْرُ حُسام الدّين. ويُحتمل أنّ نظام الدّين قد تولّى لبعض الوقت عملًا في أحد البلاد الواقعة تحت سُلْطان نور الدّين، وقصّر في أداء مستلزماته (انظر ما كُتب تحت «نظام الدّين»).

٤٧ ـ وَلَد (سُلْطان بهاء الدّين محمّد)

[٣٠٣] الرّسالة الخامسةُ من رسائل مولانا كتبها لولَده سلطان ولَد.

توفّي بهاءُ الدّين محمّد ولَد، ابنُ مولانا جلال الدّين محمّد، ليلةَ السّبت العاشر من رجب سنة ٧١٢ هـ/ ١١ ـ ١١ ـ ١٣١٢ م. ويكتب سپهسالار قائلًا: إنّه كان عند

وفاته في سنّ السّادسة والتسعين (ترجمة مدحت بهاري، ص٢٠٢). وتبعًا لذلك ينبغي أن يكون سُلْطان ولَد قد وُلِد في سنة ٦١٦ هجرية. ويقول الدكتور فريدون نافذ أوزلوق إنّ نظامَ الدّين ـ زوجَ هدية خاتون (أخت فاطمة خاتون، زوجة سُلْطان ولَد وابنة صلاح الدّين زركوب) ـ الذي نَسَخ ديوان سُلْطان ولَد، جعَلَ تاريخَ ولادته يومَ الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة ٦٢٣ هـ / ٢٤ ـ ٤ ـ١٢٢٦م. ووفقًا لذلك كانت سنُّ سُلْطان ولَد عند وفاته بحساب السّنة القمرية تسعًا وثمانين سنةً، وبحساب السّنة الميلادية ستًّا وثمانين سنةً. ومحلُّ ولادته هو قَرَمان (لارنده).

وقد اتّبع سُلْطانُ ولَد بعد وفاة والده حُسامَ الدّين چلبي؛ وعلى الحقيقة لم يُفسد نظامَ عهد أبيه. ثمّ بعد رحيل حُسام الدّين چلبي أيضًا برغم أنّه تولّى إرشاد أتباع مولانا، جعَلَ الشيخَ كريمَ الدّين بكتمر أوغلي مرشدَه وظلّ لسبع سنين يتعلّم عليه. وقد توفّي كريمُ الدّين في ذي الحجة من سنة ٦٩١ هـ / أواخر ١٢٩١م، أو أوائل ١٢٩٢م. وإثر وفاة كريم الدّين اختار مريدو مولانا جميعًا سُلْطانَ ولَد للقيام بمهمّة الإرشاد.

خدماتُ سُلْطان ولَد عظيمة. فبناء الضّريح جمَعَ محبّي مولانا في تنظيم، ومنَعَ ضياعَ آثار مولانا، ونشَرَ فِكرَ مولانا، وأضاء زوايا حياته. وأحبّاءُ مولانا جميعًا كانوا يعدّونه الوارثَ الصحيحَ لمولانا وجعلوه تاجًا لرؤوسهم (انظر في شأن حياته وآثاره وأعماله: المولوية بعد مولانا لعبد الباقي گلبينارلي، ص٢٤ ـ ٦٤).

كتب مولانا هذه الرّسالة إلى سُلْطان ولَد بقَصْد رعاية فاطمة خاتون، زوجة سلطان ولَد التي هي ابنةُ صلاح الدّين زركوب، والتحذير من إيذائها. وإذا ما لاحظْنا

طريقةَ البيان بدا لنا أنّ هذه الرّسالة كُتبت في الظاهر بعد أمدٍ قصير من زواج سلطان ولَد. ولعلّه بسبب الكدورة التي أبداها سُلْطان ولَد لزوجته كتب مولانا له هذه الرّسالة. وقد نقلَ الأفلاكيّ في مناقب العارفين الرّسالة عينَها باستثناء المقدّمة وقسمٍ من النهاية (ج٢، ص٧٣٢ ـ ٧٣٤).

الرّسالة الرّابعةُ والسّتّون من رسائل مولانا أيضًا خطابٌ كُتب إلى سلطان ولَد وعلاء الدّين چلبي، أخيه الأكبر، وقد طلَبَ فيها أن يحترما شرَف الدّين السّمرقنديّ، جَدّهما لأمّهما.

[٣٠٤] الرّسالة الحادية والأربعون كُتبت في شأن تسليم التدريس في مدرسةٍ إلى سُلْطان ولَد، الذي لم يكن وضعُه الماليّ جيّدًا.

توضيحات لأمور جاءت في تضاعيف الرّسائل (*)

الرّسالة الأولى:

[٣٠٥] قولُه في الصفحة ١٠٦، السّطر ١٦: مرّ واحدٌ من كُبَراء القوم من باب المسجد، يشير إلى الحديث الآتي:

«إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فَلْيُعلْمه أنّه يحبّه». (الجامع الصغير، ج١، ص١٣).

وفي كشْف الخفاء رُوي الحديثُ على النحو الآتي: «إذا أحبَّ الرّجلُ أخاه فَلْيُخبرْه أنّه يحبّه» (كشف الخفاء، ج١، ص٧٧).

قولُه في الصفحة ١٠٧، السّطر ٦: لأنّ تدفُّقَ هذا الحديث يختطفني ويختطف الرّسالةَ وكذلك الكاتبَ... هذه العبارة تُشير إلى أنّ مولانا كان يملي على الأقلّ بعضًا من الرّسائل.

قولُه في الصفحة ١٠٧، السّطر ١٥:

ضروبُ النـــاسِ عـــشّاقٌ ضروبًـــا فـــأكرمُهمْ أشـــقُهُمُ حبيبـــا

---

* نلفتُ نظر القارئ الكريم إلى أنّ أرقام الصفحات والأسطر المشار إليها في هذه التوضيحات هي الموجودة في هذه الترجمة. كما أنّ هذه التوضيحات من صنيع المحقّق الفارسيّ الأستاذ سبحاني الذي تولّى تحقيق النشرة التي اعتمدناها في الترجمة [المترجم].

بيتٌ لأبي الطّيّب المتنبّي (ولد سنة ٣٠٣ وقُتل سنة ٣٥٤ هـ).

ويقول الأفلاكيّ إنّ مولانا في بداية اتصاله بشمس تبريز كان يطالع ديوانَ المتنبّي في اللّيالي. وقد منعه شمسُ الدّين من هذه المطالعة. (مناقب العارفين، ج٢، ص٦٢٣).

وجاء البيتُ في ديوان المتنبّي على النحو الآتي:

ضروبُ النـاسِ عـشّاقٌ ضُروبًـا   فأعـذرهمْ أشـفّهُمْ حبيبـا

(العرف الطيّب، ص١٩٩).

قولُه في الصفحة١٠٨، السّطر ١٣: الحفَه والرَّفَه، الظاهرُ أنّهما يعنيان الزينة والزخرفة؛ من «الحفّ» بمعنى إزالة المرأة الشّعَرَ من وجهها، و «الرّف» بمعنى الإشراق والتلألؤ. ولعلّ «الرَّفَه» يكون قد جاء على طريقة الإتباع، مثلما يقال بالعربية: «وما لَهُ حافٌ ولا رافٌ»، أي ليس له أحدٌ يُعنى بأمره؛ وجاء في الحديث: «مَنْ حفَّنا أو رفَّنا فليقتصدْ»؛ أي إنّ من يخدمنا أو يمدحنا لا ينبغي أن يُفرط. وقد استُعمل هذا التعبيرُ في كلّيّات شمس تبريز أيضًا:

خوب چو نبود عروس، خوش نشود زو نفوس

از حفه و از رفه ز اطلس زرّينه اى

أي:

عندما لاتكون العروسُ حسناءَ، تشمئزّ منها النفوس من الحفَه والرَّفَه ومن الأطلس المذهّب. (معجم نوادر اللّغات، تحقيق المرحوم فروزانفر، كلّيّات شمس، ج٧، ص٢٦١).

الرّسالة الثانية:

تعني كلمةُ پروانه: الحاجب، حامل الرّسالة، الدّليل، المرشد، طليعة الجيش. وفي عصر السلاجقة [٣٠٦] كانت الكلمة تُستعمل معادِلةً تقريبًا لـ«الوزير».

قولُه في الصفحة ١١٠، السّطر ٨: «في التأخير آفاتٌ» مَثَلٌ، وهكذا يقول نظامي:

البنفسجُ والشقائقُ في مناجاة   وكان الفلَكُ يقول: في التأخير آفات

(الأمثال والحِكم، العلّامة دهخدا، ص ١١٥٠)

قولُه في الصفحة نفسها و السّطر نفسه: «الخير لا يؤخَّر» من الأمثال.

والبيتُ الآتي لأوحدي ترجمةٌ للمثَل:

خَير تأخير برنميدارد   خنك آن كس كه خير دريا بد

أي:

الخيرُ لا يتحمّلُ التأخير   طوبى لمن يظفرُ بالخير

ويقول مثَلٌ آخر: خيرُ الخيرِ ما كان عاجلَه (الأمثالُ والحِكَم، ج٢،ص٧٩٤).

قولُه في الصفحة نفسها و السّطر نفسه: «عجّلوا بالصّلاة...حديثٌ نبويّ. وجاء في صورة: عجّلوا الصّلاةَ قبلَ الفوت، وعجّلوا التوبةَ قبل الموت. (أحاديث المثنويّ، المرحوم فروزانفر، ص٦٤).

قولُه في الصفحة ١١٠، السّطر ١١: أستاذُك هو العشقُ...

جاء هذا البيتُ أيضًا في معارف برهان الدّين محقّق الترمذيّ (تحقيق المرحوم فروزانفر، ص٤٦).

قولُه في الصفحة ١١١، السّطر ٥: «ما وَسِعَنى أرضي..» حديثٌ نبويّ شريف

جاء على الصّورتين الآتيتين: «لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعَني قلبُ عبدي المؤمن اللّين الوادع»؛ و «لا يسعُني أرضي ولا سمائي ويسعُني قلبُ عبدي المؤمن» (أحاديث المثنويّ، ص٢٦).

قولُه في الصفحة ١١١، السّطر ٨: اطلبِ الدّرَّ من الصَّدَف...، بيتٌ من حديقة الحقيقة للشاعر سنائي. وقد جاء في الحديقة على النحو الآتي:

از تقــى ديــن طلــب ز رعنــا لاف   از صــدف دُر طلــب زآهــو نــاف

أي:

اطلُبِ الدّينَ منَ التقيّ، والهـذْرَ مـنَ الحـسناء،

واطلُبِ الدّرّ من الصّدَف، ونافجةَ المسْك من الغزال

(حديقة الحقيقة، تحقيق المرحوم مدرّس رضوي، ص٤٤٨، البيت ١٨).

الرّسالة الثالثة:

قولُه في الصفحة ١١١، السّطر ١٥: اللهُ الذي أظهر لنا... بيتُ شعر استُعمل في ثلاثٍ من رسائل مولانا. وقائلُه مجهول.

قولُه في الصفحة ١١٢، السّطر ١٠: «طولُ العهد مُنسٍ» من الأمثال، وقد استُعمل أيضًا في هذه الصورة: طولُ العهد يُنسي. وهو مساوٍ للمَثَل القائل: «مَنْ غابَ عن العين غابَ عن القلب». (الأمثال والحِكَم، المجلد ٢، ص١٠٧٨).

قولُه في الصفحة ١١٢، السّطر ١٨: «علينا... حوالينا»، كأنّه مأخوذٌ من قول الرّسول الأكرم عليه الصّلاة والسّلام: «حوالَيْنا ولا علينا»، الذي استُعمل في صورة

مَثَل. (التمثيل والمحاضرة، ٢٢).

قولُه في الصفحة ١١٣، السّطر ١: إنّ للهِ في أيّام دهركم نفحاتٍ... [٣٠٧] حديث نبويّ، وتمامُه هكذا: «إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحاتٍ فتعرّضوا لها لعلّه أن تصيبكم نفحةٌ منها فلا تشقون بعدها أبدًا» (الجامع الصغير، ج١، ص٨٠).

قولُه في الصفحة ١١٣، السّطر ٥: «لا ترفع عن مقام السُّكْر قدَمًا...

بيتٌ من حديقة الحقيقة لسنائي. (حديقة الحقيقة، ص١١٤، ب ١٥).

قولُه في الصفحة نفسها، السّطر ٧: «السُّكارى يَسْلمون» رديفٌ(*) لواحدة من غزليّات مولانا جلال الدّين (كلّيّات شمس، ج٢، ص٧، الغَزَليّة ٥٣٣).

قولُه في الصفحة نفسها و السّطر نفسه: «السُّكارى الذين عددُهم ألفٌ... جاء مضمونُه في واحدةٍ من غزليّات مولانا مسبوكًا في قالب البيت الآتي:

سُكارى محبّةِ الحقّ، وإن كانوا ألفًا، هم شخصٌ واحد

سُكارى الحبِّ كلُّهم ثنائيون وثلاثيونَ

(كلّيّات شمس، ج١، ص٢٠٠، الغزلية ٣٣٢).

قولُه في الصفحة ١١٤، السّطر ١٢: وكِدْتُ أطيرُ من شوقي.. لأبي الحسَن عليّ ابنِ حمزة الأندلسيّ، وهو شاعرٌ ضرير من القرن الخامس الهجريّ. ويروي الباخرزيّ من خلال وسيط واحد القطعةَ الآتية التي أنشدها الشاعرُ نفسُه في سنة ٤٥٠ هجرية لأبي عامر:

---

* الكلمة التي تتكرّر في آخر البيت في المصطلح الشعريّ الفارسيّ [المترجم].

لـوَ انّ الـرّيحَ تحمــلُني إليــكم علـقتُ ببــعضِ أذيـال الــرياحِ
وكـدتُ أطـيرُ مـن شـوقي إلـيكم وكـيـف يطـيرُ مقـصوصُ الجنـاحِ؟
فــوا أسـفي عـلى زمَـنٍ تقـضّـى نعمْــنا فيــه بالــعيــش المــتاحِ

(دمية القصر للباخرزي، ج١، ص١٨٨).

قولُه في الصفحة ١١٥، السّطر ١: «الأرواحُ جنودٌ مجنّدة»، جزءٌ من حديث نبويّ شريف: «الأرواحُ جنودٌ مجنّدة؛ فما تعارفَ منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» (أحاديث المثنوي، ص٥٢).

قولُه في الصفحة ١١٥، السّطر ٢: «في الأصْلِ كان واحدًا...» رباعية لمولانا جلال الدّين الروميّ، تختلف قليلًا عن ضبطها في الدّيوان (كلّيّات شمس، ج٨، ص٢٥٩، الرّباعية ١٥٤٠).

قولُه في الصفحة ١١٥، السّطر١٦: «هناك فرقٌ بين العشق...»، لم نعثر على قائله.

قولُه في الصفحة ١١٦، السّطر ٨: «عندما تظفر بلحظةٍ من حبيب عزيز»، من رباعيات مولانا. (كلّيّات شمس، ج٨، ص٢٨٠، الرّباعيّة ١٦٦٧). وهي تُشبه كثيرًا الرباعيّة الآتية لصَدْر الخجندي (تـ ٥٢٣ هـ):

يـك دم ز زمانــه گـر مـسلّم يـابى يـا نـيم دمـى بـاده دمـادم يـابى
مگذار كـه ضـايع شـود آن دم زنهـار زيرا كه چنان دمـى دگـر كـم يـابى

أي:

إن ظفرتَ بلحظةٍ واحدةٍ من الزمانِ خالصةً لـك

أو ظفرتَ بنصفِ لحظة من الشراب في التوّ واللحظـة

فـــلا تـــضِعْ تلـــك اللّحظـــة، حـــذارِ

لأنّ لحظــةً كهــذه لــن تظفــر بهــا مــرّةً أخــرى

(نزهةُ المجالس، جمال خليل شرواني، تحقيق السيّد الدكتور محمّد أمين رياحي، ص١٤١).

قولُه في الصفحة ١١٦، السّطر ١٣: «كانتظار الرُّباء لأمطار السّماء»: «الرُّباء» جمع ربوة (بتثليث الرّاء)، الأرض المرتفعة. أي: أنا في الانتظار مِثل الرُّبا في انتظار قطرات الغيث.

قولُه في الصفحة ١١٧، السّطر ١: «الجماعةُ رحمةٌ» [٣٠٨] حديثٌ نبويّ شريف. جاء هكذا: الجماعةُ رحمةٌ والفُرقةُ عذاب (الجامع الصغير، ج١، ص١٢١).

قولُه في الصفحة ١١٧، السّطر ٣: إذا رشَشتَ الماء على الرأس.. يقول مولانا في المثنويّ قولًا شبيهًا به:

ترمي الـرأسَ بـالتّراب فـلا ينكـسر وتصبُّ الماءَ عـلى الـرأس فـلا ينكـسر

وإن كنـتَ تريـد أن تكـسر الـرأسَ فعليـكَ أن تمـزج المـاءَ والـتّراب

فإذا ما كسرتَ الرأسَ ذهب ماؤها إلى أصله

وجـاء الـتّراب إلى الـتّراب يومَ الفـصل

(المثنوي، ج٥، الأبيات ٣٤٢٥ـ ٣٤٢٧).

قولُه في الصفحة ١١٧، السّطر ٥: «الرفيقُ ثمّ الطّريق»، حديثٌ نبويّ شريف، تمامه: الجارُ ثمّ الدّارُ، والرفيقُ قبْلَ الطريق، والزّادُ قبْلَ الرحيلِ (الجامع الصغير، ج١، ص١٢١).

قولُه في الصفحة نفسها، السّطر نفسه: الجارُ ثم الدّار، يراجَع في شأنه التوضيحُ السابق. كما رُوي بوصفه من الأمثال (التمثيل، ص٢٩٧).

الرّسالة الرّابعة:

قولُه في الصفحة ١١٨، السّطر ١٥: مثل بائعي الحمير يحارب أحدُهم الآخر...، هو البيتُ السابع من غزليّة لمولانا مطلعُها:

هيّا كن يقظًا، فإنّ في المدينة عددًا من اللّصوص

الذين بقوّة تدبيرهم ينتزعون العمامةَ من رأس القمر.

(كلّيّات شمس، ج٢، ص١٣٣، البيت ٨٠٨٧).

قولُه في الصفحة ١١٩، السّطر ٣: حدّثْ عن البحر ولا حَرَج، مَثَلٌ. يقول الشاعر:

حدّثْ عن البحرِ ومَعْنٍ لا حَرَجْ وهو مليكُنا الذي أحيا المُهَجْ

يُقال في سياق الكرَم المفرِط (فرائد اللآل، ج١، ص١٧٢).

أمّا الثعالبيّ فقد عدّه من أحاديث الرّسول الأكرم (التمثيل والمحاضرة، ص٢٥٩).

قولُه في الصفحة ١١٩، السّطر ٥: «سِنَةُ الهَجْر سنةٌ»، يعني أن لحظة الفراق تعادلُ في طولها سَنةً كاملة. وقد جاءت الصّورةُ الكاملة لهذا المثَل في الرّسالة ٦٦، ص٢٣٧.

الرّسالة الخامسة:

[٣٠٩] قولُه في الصفحة ١٢٠، السّطر ٣: «أنا أمُّ موسى..» بيتٌ من حديقة

الحقيقة لسنائي (ص٧٣٦ البيت ١٤).

الرّسالة السّادسة:

قولُه في الصفحة ١٢٠، السّطر ١٠: ألم يحذروا مَسْخَ الذي يمسخُ العدا... لأبي الطيّب المتنبي (العرف الطيّب، ص٤١٧).

قولُه في الصفحة ١٢١، السّطر ١٣: «فَرْخُ البطّ برغم أنّه...» من حديقة الحقيقة لسنائي (الحديقة، نشرة المرحوم مدرّس رضوي، ص١٥٤).

قولُه في الصفحة ١٢٢، السّطر ٨: «فاطمةُ بضعةٌ منّي..»، حديثٌ رواه السيوطيّ في صورتين: «فاطمةُ بضعةٌ منّي فمن أغضبَها أغضبني»؛ و «فاطمةُ بضعةٌ منّي يقبضُني ما يقبضُها ويبسُطني ما يبسُطها، وإنّ الأنسابَ تنقطعُ يومَ القيامة غير نسبي وسببي وصهري» (الجامع الصغير، ج٢، ص٦١). ورُويت صورةٌ أخرى له في سفينة البحار، هكذا: فاطمةُ بضعةٌ منّي من سرّها فقد سرّني، ومن ساءها فقد ساءني (سفينة البحار، حاج شيخ عبّاس قُمّي، ج٢، ص٣٧٤).

قولُه في الصفحة ١٢٣، السّطر ٢: «ماذا الوداعُ وداعُ...» بيتٌ للمتنبي، وقد جاء في الدّيوان بتحقيق الشيخ ناصيف اليازجي على النحو الآتي:

ماذا الوداعُ وداعُ الوامقِ الكمِدِ هذا الوداعُ وداعُ الرّوحِ للجسدِ

(العَرْفُ الطيّب، ص٢٢٩).

قولُه في الصفحة ١٢٣، السّطر ٨: «مَنْ عَمِل بما عَلِم أورثَه الله عِلْمَ ما لم يَعْلَم..»، جاء في كشف الأسرار على هذا النحو: من عَمِل بما عَلِم ورّثه الله علمًا ما يَعْلَم [كذا]

(ج٢، ص٧٧٥).

الرّسالة السابعة:

قولُه في الصفحة ١٢٤، السّطر ١٨: «من جعَلَ الهمومَ همًّا...» حديثٌ نبويّ، تمامُه: مَنْ جَعَلَ الهمومَ همًّا واحدًا كفاه اللهُ همَّ دنياه، ومَنْ تشعّبت به الهمومُ لم يبالِ اللهُ في أيّ أودية الدنيا هلَك (أحاديث المثنوي، ص١٣٦).

قولُه في الصفحة ١٢٥، السّطر ١: «حُفّتِ الجنّةُ بالمكاره... [٣١٠] حديثٌ نبويّ شريف (الجامع الصغير، ج١، ١٢٤).

قولُه في الصفحة ١٢٥، السّطر ٢: «أسيء أنا فتجازيني...»، هذا البيتُ، وفق الشائع، هو البيتُ الثاني من الرباعيّة الآتية التي نُسبت إلى الخيام:

مَنْ ذا الذي لم يذنبْ في هذه الدنيا، ومَنْ لم يُذنبْ كيف عاشَ، قلْ
أنا أسيءُ وأنتَ تجازيني بسوءٍ فما الفرقُ إذَنْ بيني وبينك ؟ ـ قُلْ

(آثار پارسی خیام، محمد عباسي، ص ١٦٥).

لكنّه جاء بين رباعيّات مولانا جلال الدّين أيضًا الرّباعيةُ الآتية:

أيّها المعشوقُ الحبيب، أيوجد إنسان غيرُك؟ ـ قُلْ
أعاشَ إنسانٌ قطُّ دونها معشوق ؟ ـ قُلْ
أنا أسيءُ، وأنتَ تجازيني بسوءٍ
فما الفرقُ إذَنْ بيني وبينك؟ ـ قُلْ

(كلّيات شمس، ج٨، ص ٢٦٦، الرّباعيّة١٥٧٩).

قولُه في الصفحة ١٢٥، السّطر ٥: الجماعةُ رحمةٌ (انظر في شأنه توضيح الصفحة ١١٧، السّطر ١).

قولُه في الصفحة ١٢٥، السّطر ١١: «الخلوةُ خيرٌ من جليس السّوء»، حديثٌ نبويّ شريف، جاء على هذا النحو: الوحدة خيرٌ من جليس السُّوء ... (أحاديث المثنوي، ص ٤١).

قولُه في الصّفحة ١٢٥، السّطر ١٤: «أن تستعبدَ حُرًّا واحدًا بإحسانك ...»، استُعمل في ثلاثٍ من رسائل مولانا جلال الدّين .

الرّسالة الثامنة :

قولُه في الصفحة ١٢٦، السّطر ١٧: «لا أحصي ثناءً عليك ...»، يشير إلى الحديث الآتي: «اللهمّ، إنّي أعوذُ برضاك من سخطِك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبكَ منك لا أحصي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسك» (الجامع الصغير، ج ١، ص٥٠).

قولُه في الصفحة ١٢٦، السّطر ١٧: «القليلُ عند الله كثير» من كلام العظماء، ورُوي في مناقب العارفين على هذا النحو: القليلُ عند الجليل كثير. (مناقب العارفين، ج ١، ص٣٠٤).

قولُه في الصفحة نفسها، السّطر ١٨: «وما لا يُدرَك كلُّه لايُترك كلُّه ...»، من الأمثال. يقال: الميسورُ لا يُترك بالمعسور، أو لا يُسقط بالمعسور. يقول مولانا:

إنّ شيئًا كلّه لا يدرَكُ اعلموا أنْ كلّه لا يُتْرَكُ

(الأمثال والحِكم، الجزء٣، ص ١٣٩٠).

قولُه في الصفحة ١٢٧، السطر ٢: غدا المعشوق مطمئنَّ البال... بيتان من الغزَلية التاسعة لمولانا جلال الدّين (كلّيات شمس، ج ١، ص ٥٥).

قولُه في الصفحة ١٢٧، السطر ١٧: «وللدّخان أنجمًا، وللتّراب جمالَ الإنسان...» [٣١١] ربّما يشيرُ الشطرُ الأوّلُ منه إلى مضمون الآيتين الشريفتين الآتيتين:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: ١١]

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان: ١٠]

وقد بيّن مولانا الجملةَ الثانية في المثنوي على هذا النحو:

يا مَنْ بدّلتَ بالتّرابِ ذَهبا وجعلْتَ من ترابٍ آخرَ أبا البشر،

إنّ فِعْلَكَ هو تبديلُ الأعيان والعطاءُ أمّا فِعلُنا فهو السَّهوُ والنسيانُ والخطاء

(المثنوي، الجزء الخامس، البيت ٧٨٠ و ٧٨١).

قولُه في الصفحة ١٢٩، السطر ٩: «العبدُ يدبّرُ والله يقدِّرُ»، كأنه يعبّرُ عن مضمون قول الإمام عليّ (ع): إذا حلّت التقاديرُ زلّت التدابير. ويقول أيضًا: إذا دخلَ القدرُ بطلَ الحذر (الأمثال و الحِكم، ص ٩٢).

قولُه في الصفحة ١٢٩ السطر ١١: «أو ظمآن كالأعرابي الذي يلقي دلوًا في البئر...» هي الأبياتُ ٤ و٥ و ٧ من الغزليّة ٥٩٩ من غزليات مولانا (انظر: كلّيات شمس، ج ٢، ص ٤٠). وعبارةُ «كما قال» التي جاءت قبل الأبيات دليلٌ على أنّ هذه الرّسالة ليست لمولانا.

الرّسالة التاسعة:

قولُه في الصفحة ١٣١، السطر ٥: «تعظيم أمر الله وطلَب رضاء الله والشفقة

على خلق الله...»، جاءت هذه العبارةُ أيضًا في المقالة الأولى من كتاب « چهار مقاله» لنظامي عروضي السمرقنديّ. وهي حديثٌ نبويّ، ويعدّها محمّد بن حسن الصّغاني من الأحاديث الموضوعة (معارف سُلْطان ولَد، تعليقات المرحوم فروزانفر ج ٢، ص ٢٦١). وقد قال السّخاويّ: لا أعلَمُ حديثًا بهذه العبارة. ويُقال إنّ من كلام المشايخ: «مدارُ الأمرِ على شيئين: التعظيمُ لأمر اللهِ والشّفقةُ على خَلْق الله»

(الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ملّا علي القاري، بيروت، ١٩٧١ م، الصفحات ٢٢٦ – ٢٢٧).

قولُه في الصفحة ١٣١، السطر ٧: «الخلقُ عيالُ الله...» حديثٌ نبويّ، تمامُه: «الخلْقُ عيالُ اللهِ فأحبُّهم إلى اللهِ أنفعُهم لعياله». (أحاديث المثنوي، ص ١٠).

الرّسالة العاشرة:

قولُه في الصفحة ١٣٢، السطر ١١: «إنّ لنفسك عليك حقًّا » أُثبِتَ في كتاب أوراد الأحباب ضمن أحاديث الرّسول (عليه الصّلاة والسّلام). (انظر: أورادُ الأحباب وفصوصُ الآداب، للباخرزيّ، تحقيق إيرج أفشار، ج ٢، ص ١٣٧).

قولُه في الصفحة ١٣٣، السطر ٤: «داووا مرضاكم بالصدقة...» حديثٌ نبويّ (الجامع الصغير، ج ٢، ص ١١).

الرّسالة الثانية عشرة:

قولُه في الصفحة ١٣٥، السطر ٦: «المودّةُ كنزٌ والكنزُ بالإخفاء أولى، وإنْ كانت

المحبةُ لا تختفي...» [٣١٢] لم نجد مصدرَ هذه العبارة.

قولُه في الصفحة ١٣٥، السطر ٨: «ياحسرةً للعاشقين تحمّلوا... للشيخ شهاب الدّين السُّهرورديّ. (تعليقات المرحوم عبد الباقي على الرّسائل، ص ٢٨٢).

قولُه في الصفحة ١٣٥، السطر ٩: «كيف يخفى العشقُ وضمير القلب...» ربّما يكون صورةً أخرى للرّباعيّة الآتية من رباعيّات مولانا جلال الدّين:

الروحُ الذي يكون في خطرٍ بسبب عشقك

ما أكثرَ ما نظر إليه النائحُ بسبب جهله

والحاصلُ أنّ العينَ التي تراه لا تعلمُ

أنّ له على خدّه ألفَ رقيب ومُخبِر

(كلّيات شمس، ج ٢، ص ٣٨، الرّباعيّة ٢٢٢).

قولُه في الصفحة ١٣٥، السطر ١٠: «مِنَ القلبِ إلى القلب رَوْزنةٌ...» لم نجده في مجمع الأمثال والكتب المشابهة. لكنّ شارح المثنويّ الأنقرويّ أتى في شَرْحه للمثنويّ بهذه العبارة في شأن البيت الآتي:

قال إنَّ قولَكَ شبيهٌ بخُبزٍ فيه إبرةٌ وإنّ بين قلبي وقلبك نافذةً

(ترجمة الشرح الكبير للأنقروي، بترجمة عصمت ستّارزاده، ج ١، ص ٨٦٧ ؛ أيضًا: سرّ الناي، ج ١، ص ١٨٠).

قولُه في الصفحة ١٣٥، السطر ١٥: «مَنْ جمعَ شمْلَ متفتّت جمع اللهُ شمله...» (انظر في شأنه: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ج ٣، ص ١٨٢).

الرّسالة السادسة عشرة:

قولُه في الصفحة ١٤٠، السّطر ١٦: «ارحَمْ من في الأرض يرحَمْكَ من في السّماء...» من آيات التّوراة تُمَثَّل بها (التمثيل والمحاضرة، ص ١٣). وقد عدّه السيوطيُّ من الأحاديث النبويّة (الجامع الصغير، ج ١، ص ٣٢).

قولُه في الصفحة ١٤٢، السّطر ١: «ليس على الخرابِ خراجٌ...» من الأمثال. ويقول مولانا نفسُه:

إنّ للعشّاقِ احتراقًا في كلّ لحظةٍ

وإنّه لايُفرض على القرية الخَرِبة خَراجٌ وعُشر

(المثنويّ، الثاني / ١٧٦٥).

الرّسالة الثامنة عشرة:

قولُه في الصفحة ١٤٢، السّطر ١٣: «ينظُر بنُور الله...» إشارةٌ إلى حديث نبويّ شريف يقول: «اتّقوا فِراسةَ المؤمنِ فإنّه ينظر بنور الله» (أحاديثُ المثنوي، ص ١٤٤).

قولُه في الصفحة ١٤٣، السّطر ٣: «خيرُ النّاسِ من ينفع الناسَ....» حديثٌ نبويٌّ شريفٌ أثبتَه السّيوطيُّ على هذا النحو: «خيرُ الناس أنفعُهم للناس». (الجامع الصغير، ج ٢، ص ٨).

الرّسالة التاسعة عشرة:

[٣١٣] قولُه في الصفحة ١٤٣، السّطر ١٢: «قال اللهُ تعالى لموسى: إذا رأيتَني على

بابكَ...». لم نظفر بمصدر هذا الحديث.

قولُه في الصفحة ١٤٤، السّطر ٦: «إنَّهم جواسيسُ القلوب...». بعضُهم عدّه حديثًا: فاحذروهم فإنّهم جواسيسُ القلوب.

وفي شَرْح كتاب «التعرّف» جاءت هذه الجملةُ منسوبةً إلى أبي عبدالله الأنطاكيّ، وعلى هذا النحو: قال أبوعبدالله الأنطاكيّ: إذا جالستُم أهلَ الصّدق فجالسوهم بالصّدق فإنهم جواسيسُ القلوب، يدخلون في أسراركم ويخرجون من هممكم (أحاديث المثنوي، ص ٥٥).

قولُه في الصفحة ١٤٤، السّطر ١٤: «الصّلاةُ اتصالٌ باللهِ من حيث لايعلمه إلّا الله...» ليس لدينا في شأن هذا القول مصدر.

قولُه في الصفحة ١٤٥، السطر ١٠: «اخرجْ بصفاتي إلى خَلْقي، من رآكَ رآني، ومن قصدَك قصدني...» قولٌ لأبي يزيد البِسْطاميّ في معراجه، وننقلُ قسمًا منه: ثمّ قال (أي اللهُ تعالى) لي: توحَّدْ بوحدانيّتي، وتفرّدْ بفَرْدانيّتي، وارفَعْ رأسَك بتاج كرامتي، وتعزّزْ بعزّتي، وتجبَّر بجبروتي، واخرجْ بصفاتي إلى خَلْقي، أرِ هُويّتي في هويّتكَ، من رآكَ رآني، ومن قصدَك قصدَني.

وفي كتاب مناقب العارفين للأفلاكيّ رُويت هذه العبارةُ مرّتين على لسان مولانا. (فيه ما فيه، تعليقات المرحوم فروزانفر، ص ٢٩٣).

قولُه في الصفحة ١٤٥، السطر ١٦: «إتمامُ المعروف خيرٌ من ابتدائه...» يبدو أنّه من الأمثال نظير: كمالُ البرِّ في إتمامه، أو: الأعمالُ بخواتيمها، أو: إذا كوَيْتَ فأنضِجْ. (الأمثال والحِكَم، ص ١١٧٨).

قولُه في الصفحة ١٤٦، السطر ٢: «من كان لديه ضعفٌ في الطبع...» مأخوذٌ من خسرو و شيرين، لنظامي (تحقيق وحيد دستگردى، ص ٢٤٧).

قولُه في الصفحة ١٤٦، السطر ٨: «عندما يغدو لسانُ الحسَدِ نَخَّاسًا...» من حديقة الحقيقة لسنائي. وقد جاء في الحديقة على هذا النحو:

عندما يغدو لسانُ الحسَدِ نخّاسًا لا تجدُ في يوسفَ إلا ذراعًا من الكِرْباس(*)

(ص ٧١٢، ب ١٤).

قولُه في الصفحة ١٤٦، السّطر ١٢: «قَبْلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ...» بيتُ شِعْرٍ جاء في سبعٍ من رسائل مولانا.

الرّسالة الحادية والعشرون:

قولُه في الصفحة ١٤٩، السّطر ١٨: «بقدر الكدّ تكتسب المعالي...» جاء أحدُ هذين البيتين في كتاب راحة الصدور (ص ٤٧٠) ونُقِل أيضًا في كليلة ودمنة البهرامشاهيّة. وقد أورد صلاحُ الدّين الصفديّ في شَرْح لاميّة العجَم البيتين على النحو الآتي:

يغوصُ البحرَ مَنْ طلبَ اللآلي ومَنْ رامَ العُلى سهِرَ اللّيالي
تروم العزَّ ثمّ تنامُ ليلًا لقد أطمعتَ نفسَكَ بالمحالِ

[٣١٤] (مذكّرات في شأن الأبيات العربية في كليلة ودمنة البهرامشاهية، الدكتور

* ثوبٌ من القطن الأبيض.

مهدوي الدامغاني، مجلّة يغما، السّنة ١٥، ص ٣٢٣).

قولُه في الصفحة ١٥٠، السطر ٦: «الطّين الذي أحسَّ منه إبليسُ بالعار...» بيتان من موضعين مختلفين في حديقة الحقيقة. وقد ضُبطا في الحديقة على هذا النحو:

الطّينُ الذي أحسَّ منه إبليسُ بالعار احتضنتَه أنتَ، كأنَّه الدِّين (ص ٤٦٦)

ومتى يحملُ هَمَّ القُبلةِ والعِناق مَنْ يأكلُ الخسَّ البَرّيَّ ورأسَه ؟

(ص ٤٦٨)

قولُه في الصفحة ١٥٠، السّطر ١٣: «الأيّامُ القليلةُ التي عشتَها في هذه الدّنيا...» رباعيّةٌ لمولانا جلال الدّين الرّوميّ. ويختلف البيتُ الأولُ منها في الرّسائل عن الصورة التي جاء عليها في الدّيوان. والرّباعيّةُ في الدّيوان على هذه الصورة:

يا مَنْ أنتَ حيٌّ بروحِ هذا العالَم، أخزاكَ اللهُ، لِمَ أنتَ حيٌّ كذلك؟

لاتكنْ من دون عِشق، لكي لاتكون ميتًا مُتْ بالعِشْق، لكي تبقى حيًّا!

(كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٢٧١، الرّباعيّة ١٦٠٨).

وفي كتاب «نزهة المجالس» أُثبتت الرّباعيّةُ نفسُها على النحو الآتي منسوبةً إلى الشيخ أحمد الغزّالي:

الأيّامُ القليلةُ التي عشتَها في هذه الدّنيا أخزاكَ اللهُ إن عشتَها بالروح فقط

لا تكنْ من دون عشقٍ، لكي لا تكون ميتًا مُتْ بالعشق، لكي تبقى حيًّا

(ص ٢٠٩، الرباعيّة ٧٧٤).

الرّسالة الثانية والعشرون:

قولُه في الصفحة ١٥٢، السّطر ٢: «ويسّر له اليسرى وجنّبهُ العُسرى» مأخوذٌ من ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

قولُه في الصفحة ١٥٢، السّطر ٨: «شكرُ المنعِم واجب...» نقلَ الرّاغبُ الأصفهانيّ الحديثَ الآتي القريب منه: اشكرْلمن أنعَمَ عليك، وأنعِمْ على مَنْ شكرَك. (المحاضرات ج ١، ص ٣٧٤).

وقد عدّ المرحومُ دهخدا في «الأمثال و الحِكَم» ذلك تمثيلًا: شكرُ المنعِم جزاءُ المنعِم.

وقد جاء في «شَرح التعرّف» قولُه: شكرُ المنعِمِ في العقل واجب. (تحقيق محمد روشن، ج ١، ص ٤٨).

قولُه في الصفحة ١٥٣،السّطر ١: «يطيرُ كلُّ طائر مع جنسه...» بيتٌ لنظامي الگنجوي. وقد رُوي المصراع الأوّلُ منه في «خسرو وشيرين» لنظامي على هذا النحو: يطير كلُّ جنسٍ مع جنسه... (تحقيق وحيد، ص ٢٠٥).

قولُه في الصفحة ١٥٣، السّطر١٠: «المؤمنُ ينظرُ بنور الله» انظر في شأنه توضيحات الرّسالة الثامنة عشرة.

قولُه في الصفحة ١٥٣، السّطر ١٦: «إذا سقيتَني فإنّك تكون قد غرستَ فسيلَك...» [٣١٥] هو البيتُ الأوّل من رباعيّة لمولانا جلال الدّين الرّوميّ مع اختلاف قليل. (كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٢٧٩، الرّباعيّة ١٦٥٦).

قولُه في الصفحة ١٥٤، السّطر ٩: «ليس التكحّلُ في العينين كالكحَل...» هو المصراعُ الثاني من البيت الآتي لأبي الطيب المتنبي:

لأنّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تكلّفُه ليس التكحُّلُ في العينَيْن كالكَحَلِ

قولُه في الصفحة ١٥٤، السّطر١٥: «أوليائي تحت قِبابي...» حديثٌ قُدْسيّ (أحاديث المثنوي، ص ٥٢).

قولُه في الصفحة ١٥٤، السّطر ١٨: «مرضتُ فلم تعذْني...» إشارة إلى هذا الحديث: «إنّ الله عزَّ وجلّ يقولُ يوم القيامة: يا ابنَ آدم، مرضتُ فلم تعدني. قال: ياربُّ، كيف أعودُك وأنتَ ربُّ العالمين ؟ ـ قال: أما علمتَ أنّ عبدي فلانًا مرِضَ فلم تعدْه ؟ ـ أما علمتَ أنّكَ لو عدتَه لوجدتّني عنده ؟ (أحاديث المثنويّ، ص ٥٧ ؛ مآخذ القِصَص والتمثيلات، ص ٦٧).

قولُه في الصفحة ١٥٥، السّطر ٢: «من كان لله كان اللهُ له...» حديثٌ نبويّ شريف. وقد نقَلَه المرحومُ فروزانفر عن كشف الأسرار (أحاديث المثنوي، ص ١٩).

الرّسالة الثالثةُ والعشرون:

قولُه في الصفحة ١٥٥، السّطر ١٤: «يسّر له اليسرى...» انظر في شأنه توضيح الصفحة ١٥٢، السّطر ٢.

قولُه في الصفحة ١٥٦، السّطر ٦: «المشربُ العذبُ كثيرُ الزّحام...» مصراعُ بيتٍ استُعمل خمس مرّات على الصّورة نفسها ومرّتين مع مصراعين مختلفين، في رسائل مولانا. وقائله مجهولٌ.

قولُه في الصفحة ١٥٦، السّطر ١٣: «ارحَمْ مَنْ في الأرض يرحَمْك مَنْ في السّماء...» انظر في شأنه توضيح الصفحة ١٤٠، السّطر١٦.

قولُه في الصفحة ١٥٦، السّطر ١٨: «إكرامُ أهلِ الهوى...» بيتٌ استُعمل أربعَ مرّاتٍ في رسائل مولانا. وقائلُه مجهول.

قولُه في الصفحة ١٥٦، السّطر١٩: «أنا عند المنكسرة قلوبُهم فاطلبوني عندهم...» حديثٌ شريف رُوي في كشف الأسرار على هذا النحو: «أنا عندَ المنكسرةِ قلوبُهم من أجلي». (كشف الأسرار، ج ٩، ص ٢٨٣).

قولُه في الصفحة ١٥٧، السّطر ١: «اتّقوا فِراسةَ المؤمن...» حديثٌ نبويّ. (الجامع الصغير، ج ١، ص ١١).

قولُه في الصفحة ١٥٧، السّطر ٣: «ليس قريةٌ وراءَ عَبّادان...» مَثَلٌ. وقد أثبتَه الميدانيّ ضمنَ الأمثال المتأخّرة (مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٥٧). وقد استُعمل هذا المَثَلُ في الفارسية أيضًا، على غرار ما يقول الشاعرُ منو چهري:

[٣١٦] ليس هناك مكانٌ لِعُلوّ همّته   إذ لا قريةَ أبعدُ من عَبّادان

(ديوان منو چهري، ص ١١٢، والتعليقات ص ٢٦٣، كذلك «الأمثال والحِكَم» للعلّامة دهخدا، ج ٣، ١٣٧٥).

قولُه في الصفحة ١٥٧، السّطر ٣: «فإن تتجاوزْ ذلك الوليَّ للإنعام فليس لك سوى اليأس...» يعني: إنْ تتركْ ذلك الرّجلَ الكريم، فستصلُ إلى اليأس (أو إنْ لم تُغدق عليه فسيأس).

الرّسالة الرابعة والعشرون:

قولُه في الصفحة ١٥٧، السّطر ١٣: «أيّها الحبيبُ، أتكون علاجًا لألَمِ الآخرين ...» جزءٌ من رباعيّة لمولانا:

كيف تكـون علاجًـا لألامِ الآخـرين وتكونُ عاجزًا عنـدما تـصلُ نوبـةُ ألَمِـنا ؟!

سأصـبرُ حتّـى تـتخلّى عـن الجمـيع وتأتي إلينا، وتبقى عندنا كالحَلْقة على الباب

(كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٣١٥، الرّباعيّة ١٨٧٦).

قولُه في الصفحة ١٥٧، السّطر ١٦: «تألّمْتُ، وليس عندك دواء...» يشبه كثيرًا قولَ الشاعر نظامي:

استـشرتُ ولـيس لـديك مـؤنسٌ ليس لديك أيـضًا قُبلـةٌ واحـدةٌ لَعِبًـا ؟

(خسرو وشيرين، ص١٤٨).

قولُه في الصفحة ١٥٨، السّطر ٨: «قَبْلَ خرابِ البصرة...» مَثَلٌ، وكأنه يشير إلى خراب البصرة في حدود سنة ٢٥٠ هجرية. وقد استُعمل أيضًا في صورة: «بعْدَ خراب البصرة» أيضًا. يقول مولانا:

في ذلك الزمان قبلَ خراب البصرة ليتَ البصْرةَ تنجو أيضًا من هذه الهزيمة

(الأمثال والحِكَم، ج ١، ٤٤٦).

قولُه في الصفحة ١٥٨، السّطر ٨: «أوليس من أجل حَبّةٍ، ينظرُ الطائرُ الصغيرُ مئةَ مرّة...» من حديقة الحقيقة لسنائي. وهو في الحديقة هكذا:

أوليس من أجل حبّةٍ ينظر الطائرُ الصغيرُ مئةَ مرّة

إلى الأمام وإلى الوراء، وإلى اليمين وإلى اليسار؟

(ص٧٣٩، البيتان ١١ ـ ١٢).

قولُه في الصفحة ١٥٨، السّطر ١٣: «وقد سحبَ إلى جوار نفسه...» من حديقة الحقيقة لسنائي ويختلف ضبطُه عن ضبط الحديقة. فقد جاء في الحديقة هكذا:

مَدّ مزبلةً تحت الجِلْد وأنت تُسمّيها الروحَ تارةً والحبيبَ تارةً أخرى

(ص ٣٥٥، البيت ١٠).

قولُه في الصفحة ١٥٩، السّطر ٨: «سوف ترى إذا انجلى الغبارُ...» ذكَرَه الثعالبي في «التمثيل والمحاضرة» من دون اسم القائل (ص ٣٤٥).

الرّسالة الخامسة والعشرون:

[٣١٧] قولُه في الصفحة ١٦٠، السّطر١٣: «الدّنيا مزرعةُ الآخرة...» خبرٌ أورده الإمامُ الغزاليّ في إحياء علوم الدّين. (أحاديث المثنوي، ص ١١٢).

قولُه في الصفحة ١٦١، السّطر ٣: «إنّ لله تعالى عبادًا أمجادًا...» لم نجد عينَ الحديث في المصادر المهتمة بالموضوع، لكنّه نُقل في الجامع الصغير الحديثُ الآتي: «إنّ لله تعالى أقوامًا يختصّهم بالنِّعَم لمنافع العباد...» (الجامع الصغير، ج ١، ص ٧٨). وقدأورد مولانا الحديثَ نفسَه في المجالس السّبعة أيضًا (بتحقيق محقّق هذا الكتاب، ص ٨٨).

الرّسالة السّابعة والعشرون:

قولُه في الصفحة ١٦٣، السّطر ١: «والكريمُ إذا وعد وفى...» من الأمثال.

(الأمثال والحِكم، ص ٢٦٨).

قولُه في الصفحة ١٦٣، السّطر ١٤: «قال الحواريّون لعيسى...» كلامٌ معروفٌ كان محلَّ استفادة مولانا في كتابَيْه «فيه ما فيه» و «المثنوي».

(فيه ما فيه، تعليقات المرحوم فروزانفر، ص ٣٤٥).

الرّسالة التاسعة والعشرون:

قولُه في الصفحة ١٦٦، السّطر ١٧: «الهمّةُ لأنها تقدِّم ضروبَ العناية...» مأخوذٌ من مخزن الأسرار لنظامي (طبعة وحيد، ص ٩٠).

الرّسالة الثلاثون:

قولُه في الصفحة ١٦٧، السّطر ١٥: «إنَّ في هذا الطريق مئةَ ألفِ إبليس له وجهُ إنسان...» بيتٌ من قصيدة للشاعر سنائي (ديوان سَنائي، بتصحيح المرحوم مدرّس رضوي، ص ٦٥٦).

قولُه في الصفحة ١٦٧، السّطر ١٨: «في هذه العتبة المليئة بالتلبيس...» من حديقة الحقيقة لسنائي. وهو في الحديقة هكذا:

في هذه العتبة المليئة بالتلبيس

يأكلُ إبليسُ الخبزَ بقوله: «لا حول ولا قوّة إلا بالله»

(ص ٦٧٦، البيت ٣).

قولُه في الصفحة ١٦٨، السّطر ٤: «عندما تكون عينُنا التي تبصرُ الباطنَ فاسدةً...» بيتُ شعر للشاعر نظامي وجاء في طبعة وحيد على النحو الآتي:

عندما تكون عينُنا التي تُبصِر العِبْرَةَ فاسدةً (خسرو وشيرين، ص ٤٤٣).

الرّسالة الحادية والثلاثون:

قولُه في الصفحة ١٦٨، السّطر ١٣: «سَلامٌ عليكم، لا سَلامُ مودّع ....» استُعمل هذا البيتُ ثلاثَ مرّات في الرّسائل، وقد نُقل بيتٌ شبيهٌ به عن أبي الفوائد وهو من شعراء دُمية القَصْر [٣١٨] على هذا النحو:

سَلامٌ عليكم، لا سَلامُ مودّعٍ ولكنْ سَلامٌ لا يزولُ على البُعْدِ

(انظر: الدكتور أحمد مهدوي الدّامغاني، مجلّة يغما، السّنة ١٦، ص ٢٣٠).

قولُه في الصفحة ١٦٩، السّطر ١٠: «حُفّت...» انظرْ في شأنه إلى توضيحات الرّسالة السّابعة.

الرّسالة الثانيةُ والثلاثون:

قولُه في الصفحة ١٧١، السّطر ٢: «الخلقُ عيالُ الله...» انظرْ في شأنه إلى توضيحات الرّسالة التاسعة.

قولُه في الصفحة ١٧١، السّطر ٤: «استعينوا على حوائجكم من رحماء أمّتي...» لم نجد نصَّ الحديث نفسه، وقد جاء الحديثُ الآتي في كشف الخفاء: «استعينوا على كلّ صَنْعةٍ بصالح أهلها...» (كشف الخفاء، ص ١٢٢، الحديث ٣٤٠).

الرّسالة الثالثة والثلاثون:

قولُه في الصفحة ١٧٢، السّطر ٥: «المؤمنُ ينظر بنور الله...» انظرْ في شأنه إلى

توضيحات الرّسالة الثامنة عشرة.

قولُه في الصفحة نفسها والسّطر ٦: «مَنْ أراد أن يجلس مع الله...» يعدُّ الصوفيّة هذا القولَ من الأحاديث النبوية، وقد أورده السّيوطيّ في «اللآلئ المصنوعة» ج ٢، ص ٢٦٤ مع اختلاف في التعبير على هذا النحو: «مَنْ سرّه أن يجلسَ مع الله فليجلسْ مع أهل التصوّف». ويعدّه من الموضوعات. ويجعل مولانا هذا القولَ في المثنويّ عنوانًا، ويشرحُه شرحًا جميلًا ومبهجًا للروح. (فيه ما فيه، التعليقات، ص ٣٢٠).

قولُه في الصفحة ١٧٢، السّطر ١١: «كلٌّ يرجعُ إلى أصله...» مَثَلٌ. وقد قال أديب صابر:

يرجعُ الأَصْلُ إلى الأَصْل، والوجودُ إلى العقل.

وهو مثَل مضروب. (الأمثال والحِكَم، ص ١٢٢٧).

الرّسالة الخامسة والثلاثون:

قولُه في الصفحة ١٧٤، السّطر ١٦: «أن تستعبدَ حُرًّا واحدًا بإحسانك...» انظرْ في شأنه إلى توضيح الرّسالة السابعة.

الرّسالة السادسة والثلاثون:

قولُه في الصفحة ١٧٦، السّطر ٨: «إتمامُ المعروف خيرٌ من ابتدائه...» انظرْ في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة عشرة.

الرّسالة السّابعة والثلاثون:

[٣١٩] قولُه في الصفحة ١٧٧، السّطر ٩: «الأمورُ مرهونةٌ بأوقاتها...» مَثَلٌ.

يقول سنائي:

هذا المَثَلُ معروف في الزمان: الأعمالُ مرهونة بأوقاتها

(الأمثال والحِكَم، ج ١، ص ٢٣٥).

قولُه في الصفحة ١٧٧، السّطر ١٢: «وليس الخبرُ كالمعاينة» حديثٌ نبويّ. (الجامع الصغير، ج ٢، ص ١١٢).

قولُه في الصفحة ١٧٨، السّطر ٢: «من أحبَّ منكم...» انظرْ في شأنه إلى توضيح الرّسالة الأولى.

قولُه في الصفحة ١٧٨، السّطر ١٧: «قال العطّار ما عرفه...» تخلُّصُ غَزَلٍ للشيخ فريد الدّين العطّار (ديوان العطّار، تحقيق تقي تفضّلي، انتشارات علمى وفرهـنگى، ص ١٣٥).

الرّسالة الثامنة والثلاثون:

قولُه في الصفحة ١٨٠، السّطر ١٩: «مَنْ غابَ عن العين، غابَ عن القلب» مَثَلٌ استُعْمِل في صور مختلفة. مثلما يقال مثلًا: ينصرف عن القلب كلُّ ماذهبَ عن العين.

(الأمثال والحِكَم، ص ١٢٩).

قولُه في الصفحة ١٨١، السّطر ١٩: «أيّها القلبُ، إلى متى أنتَ في سجن الخداع...» مطلعُ قصيدةٍ لسَنائي. (ديوان سنائي، ص ٧٠٤، آخر بيت في الصفحة).

الرّسالة التاسعة والثلاثون:

قولُه في الصفحة ١٨٥، السّطر ٧: «اللهمّ، اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون» حديثٌ نبويّ (أحاديث المثنوي، ص٦٠).

الرّسالة الأربعون:

قولُه في الصفحة ١٨٦، السّطر ١١: «لو اختصرتُم من الإحسان زرتكم...» كأنه لأبي العلاء المعرّي.

قولُه في الصفحة ١٨٧، السّطر ٤: «إذ قال قائلٌ للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنّي أُحبّ فلانًا. قال: قُمْ وأخبره...» فيه إشارةٌ إلى حديث: «إذا أحبَّ الرّجلُ أخاه فليُخبرْه أنه يحبّه. (كشْف الخفاء، ج ١، ص ٧٧، الحديث ١٨٤).

قوله في الصفحة نفسها والسّطر ٥: «تكلّموا حتّى تُعرفوا...» حديثٌ نبويّ. (أحاديث المثنوي، ص ٥١).

[ص ٣٢٠] قولُه في الصفحة ١٨٧، السّطر ٧: «وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له...» خبرٌ، وقد جاء على الصورة الآتية: «اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له». (أحاديث المثنويّ، ص ٧٩).

الرّسالة الحادية والأربعون:

قولُه في الصفحة ١٨٩، السّطر ١: «كاد الفقرُ أن يكون كفرًا» حديثٌ نبويّ. (أحاديث المثنويّ، ص ٤٥).

الرّسالة الثانية والأربعون:

قولُه في الصفحة ١٨٩، السّطر ١٧: «التعاظمُ عارٌ عند الدراويش...» هو البيتُ الأوّل من رباعيّة لمولانا. وتمامُ الرّباعيّة في كلّيّات شمس هكذا:

التعـــاظمُ عــارٌ عنــدَ الـــدراويش التعـــاظمُ عـــبءٌ في خـــاطرِهم
الفقرُ المطلـقُ خـيرٌ في طريـق الحبيـب لأنَّ التعـــاظمَ في طريقـــه شـــوكٌ

(كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٣١١، الرّباعيّة ١٨٥٣).

قولُه في الصفحة ١٩٠، السّطر ٧: «إكرامُ أهلِ الهوى...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٥٦، السّطر ١٨.

الرّسالة الثالثة والأربعون:

قولُه في الصفحة ١٩١، السّطر ٤: «مِنَ القَلْب إلى القلب رَوْزَنةٌ» انظرْ في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية عشرة.

قولُه في الصفحة ١٩١، السّطر ٥: «إذا غُلِّقت جهاتُكَ السّتُّ فلا تخشَ» هو البيتُ الثاني من الرّباعيّة الآتية لمولانا جلال الدّين:

أيُّها القلبُ الحائرُ، هناك طريقٌ من الروح إلى الحبيب

أيُّهـا الـضالّ، هنـاك طريـق واضـحٌ و خفـيّ

(كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٦٦، الرباعيّة ٣٩٣).

قولُه في الصفحة ١٩١، السّطر ١٢: «يجري الدّمُ وجرحُه خفيّ» آخِرُ مصراع من الرّباعيّة الآتية لمولانا جلال الدّين:

هذا العشقُ مِلكٌ، ورايتُه غيرُ ظاهــرة إنّه قرآن الحقّ، وآيتُـه غـيرُ ظـاهرة

وكلُّ عاشقٍ يصيبُه سهمٌ من هذا الصّياد فيلعق الـدّمَ، وجرحُـه غـيرُ ظــاهر

(كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٤٣، الرباعيّة ٣٧٠).

قولُه في الصفحة ١٩١، السّطر ١٤: «ولكن ما لا يُدرَكُ كلُّه لا يُترك كلُّه» انظرْ في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة.

قولُه في الصفحة ١٩١، السّطر ١٥: «لا بدَّ من ليلٍ دائم وشعاع قمرٍ جميل...» هو البيتُ الثاني من الرباعية الثانية والعشرين لسَنائي التي تقول:

في محـــضري تظـــلّ تُكـــرِم وتُعـــزّ

أمّـــا في غيـــابي فتظـــلُّ تـــُطلِقُ الـــسّهام

[٣٢١] لابــدَّ مــن ليــلٍ دائــم وشــعاع قمــر

لكي أحدّثكَ عن ألوان الغمّ التي أحـدثتَها لي

(ديوان سنائي، ص ١١٧١).

قولُه في الصفحة ١٩٢، السّطر ١٩: «استمعْ إلى كلام سَنائي ونُصحه واحفظْه...» بيتٌ من غزلية لسَنائي، وقد جاء في ديوانه على هذا النحو:

اســتمعْ إلى كلامِنــا مــن الأصــدقاء فإنّ كلام العبد سَنائي جديرٌ بالاستماع

(ديوان سنائي، ص ٩٧٠).

الرّسالة الخامسة والأربعون:

قولُه في الصفحة ١٩٦، السّطر ٩: «لا عينٌ رأت...» إشارةٌ إلى الحديث الآتي: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولاخطرَ

على قَلْبِ بشَر» (أحاديث المثنوي، ص ٩٢ ـ ٩٣).

الرّسالة السّابعة والأربعون:

قولُه في الصفحة ١٩٨، السّطر ١٤: «تجري الرياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ...» هو المصراعُ الثاني للبيت الآتي لأبي الطيّب المتنبّي:

مـا كـلُّ مـا يتمنّـى المـرءُ يدركُـهُ تجـري الرّيـاحُ بـما لا تـشتهي الـسُّفُنُ

(العرف الطيّب، ص ٥٠٩).

قولُه في الصفحة ١٩٨، السّطر ١٦: «عرفتُ ربّي بفَسْخ العزائم...» قولٌ لمولى المتّقين عليّ عليه السلام إذ يقول: «عرفتُ اللهَ سُبحانه بفَسْخ العزائم وحَلِّ العقود ونقضِ الهِمَم» (أحاديث المثنويّ، ص ٥٢).

الرّسالة الثامنة والأربعون:

قولُه في الصفحة ٢٠٠، السّطر١: «والشّكرُ وسيلةٌ إلى المزيد» يشير فيما يبدو إلى قوله تعالى: «لئِنْ شكرتُم لأزيدنّكم» (إبراهيم، الآية ٧).

قولُه في الصفحة٢٠٠، السّطر٣: «تعظيمُ أمْرِ الله والشفقةُ على خَلْق الله» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة.

قولُه في الصفحة٢٠٠، السّطر١٢: «النكاحُ سنّتي» حديثٌ نبويّ شريف (كنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٨٦).

قولُه في الصفحة٢٠٠، السّطر١٤: «لو أُهدي إليّ بكُراعٍ لقبلتُه» حديثٌ للنّبيّ

يقول: «لو أُهديَ إليّ كُراعٌ لقبلتُ، ولو دُعيتُ عليه لأجبتُ» (الجامع الصغير، ص١٠٧).

قولُه في الصفحة٢٠١، السّطر١٥: «المؤمنُ ينظر بنور الله...» [٣٢٢] انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة عشرة.

قولُه في الصفحة٢٠١، السّطر١٧: «والعاقلُ تكفيه الإشارة»، في الأصل كانّه اشتهر هكذا: «والحرُّ يكفيه (أو تكفيه) الملامة»، وهذا نفسُه جزءٌ من المثَل المضروب: «العبدُ يُقرَعُ بالعصا والحرُّ يكفيه الملامة». وبعدَ ذلك أخذ صورةَ: «الحرُّ يكفيه الإشارة»، ثم بعد ذلك: «العاقلُ يكفيه الإشارة». والشّكلُ المنظومُ للمثَل قولُ يزيد بن مُفرّع:

العبدُ يُقرَعُ بالعصا والحرُّ تكفيه الإشاره

(تعليقات السيّد الدكتور شفيعي على أسرار التوحيد، ج ٢، ص ٨٠٨).

الرّسالة التاسعة والأربعون:

قولُه في الصفحة٢٠٣، السّطر٥: «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تُبعثون» يبدو أنّه حديثٌ نبويّ (أحاديث المثنويّ، الصفحات ١٧ـ ١٨).

قولُه في الصفحة٢٠٣، السّطر١٠: «الجماعةُ رحمةٌ، والفُرْقةُ عذاب» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثالثة.

الرّسالة الخمسون:

قولُه في الصفحة٢٠٥، السّطر١٦: «لوَ انّ الرّيح تحملُني إليكم...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٤، السّطر ١٢.

قولُه في الصفحة٢٠٦، السّطر٣: «مَنْ لديه غمٌّ ويستطيع التحدّثَ عنه» رباعية لمولانا و المصراعُ الأوّل منها في كلّيّات شمس على هذه الصورة: من يكون لديه غمٌّ و يستطيعُ التحدّثَ عنه. (كلّيّات شمس ج٨، ص ٧١، الرّباعيّة ٤٢٠).

قولُه في الصفحة٢٠٦، السّطر١٢: وظُلْمُ ذوي القربى أشدُّ مرارةً... بيتٌ لطَرَفة ابن العبد البَكْريّ (٥٤٣ – ٥٦٩ م) وهو أحدُ شعراء المعلّقات. وقد جاء في شرح المعلّقات للمرحوم الأستاذ أحمد ترجاني زاده على صورة: وظُلْمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً... (شرح المعلّقات السّبع، المرحوم الأستاذ أحمد ترجاني زاده، مطبعة شفق، تبريز ١٣٤٨هـ ص٧٨) ؛ وقد نسَبَه الثعالبي في التمثيل والمحاضرة إلى عديّ بن زيد (التمثيل ص ٥٣).

قولُه في الصفحة٢٠٦، السّطر١٧: «إنّ الله تعالى لمّا خلَقَ العقلَ...» رُويت صورةٌ أقصر لهذا الحديث في أصول الكافي (ج١، ص١٠ وما بعد) عن الإمام محمّد الباقر (ع). وقد أثبت مولانا في أوّل المجلس السّابع أيضًا تكملةَ هذا الحديث من قولٍ للحسَن البصريّ (المجالس السّبعة، تصحيح محقّق هذا الكتاب، ص ١١٤).

الرّسالة الحاديةُ والخمسون:

قولُه في الصفحة٢٠٧، السّطر١١: «بلَبان و سُنقُر»: بلَبانْ أو بالابان من اللغات

البلغارية، وهو في تلك اللّغة يعني «الذِّبّ». أمّا «سُنْقُر» فهو اسم الشاهين بالتّركيّة (قاموس تركي).[٣٢٣] وقد كان هذانِ في اللّغة التركيّة اسمَيْ أفرادٍ من الذكور كانوا عادةً من الفقراء يعملون غلمانًا. وهذان الاسمانِ مِثْلُ أرسلان وآغوش اللذين ذكرهما سعدي في گلستان (الباب السابع).

قولُه في الصفحة ٢٠٧، السّطر١٣: «الأعمالُ بالنّيات...» حديثٌ نبويّ شريف. وقد عدّه العجلونيّ من أقوال عمر بن الخطّاب ويقول: «إنّما الأعمالُ بالنّيات عُدّ على جهة العموم من كلام عمر. (كَشْفُ الخفاء، ج١، ص١٤٧). وعدّه الثعالبيّ من الأمثال، وقد جرى على لسان الرّسول الأكرم صلّى اللهُ عليه وسلّم (التمثيل، ص٢٧).

قولُه في الصفحة ٢٠٨، السّطر٢: «لوَ انّ الرّيح تحملُني إليكم...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٤، السّطر ١٢.

قولُه في الصفحة ٢٠٨، السّطر٤: «خيرُ الناسِ من ينفعُ النّاس» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة عشرة.

قولُه في الصفحة نفسها والسّطر نفسه: «سيّدُ القوم خادمُهم» حديثٌ نبويّ. وقد رواه السيوطيُّ بهذه الصّورة: «سيّدُ القوم في السّفر خادمُهم، فمن سبقَهم بخدمةٍ لم يسبقوه بعَمَلٍ إلّا الشهادة» (الجامع الصغير، ج٢، ص٢٩).

قولُه في الصفحة ٢٠٨، السّطر٥: «عَدْلُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستّين سنةً» حديثٌ نبويّ شريف، وقد رُوي بصورة : «عَدْلُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنة» (نهج الفصاحة، ص٤١٠).

قولُه في الصفحة نفسها والسّطر نفسه: «العَدْلُ وضعُ الشّيء في موضعه»، يبدو أنّه

من أقوال مولى المتّقين عليّ أمير المؤمنين (ع). عندما سُئِل أميرُ المؤمنين عن العَدْل والجود والفَرْق بينهما، قال: «العَدْلُ يضع الأمورَ مواضعَها، والجودُ يُخرجها عن جهتها... (سفينةُ البحار، ج ٢، ص ١٦٦).

قولُه في الصفحة ٢٠٨، السّطر١٣: «تحتَ العَلَم» يشير إلى أنّه في القديم كان الشخصُ الذي يلحق به ظُلمٌ يرتدي ثوبًا ملوّنًا، أو من جنسٍ مخصوص، ويذهبُ إلى أسفل عَلَمٍ وإشارة كانوا ينصبونهما للدّلالة على هؤلاء الجماعة. ويحدث أحيانًا أن يرتدي ملتمسو العَدْل و الإنصاف لباسًا من ورق. وفي هذا يقول حافظ:

فدَعْني أغسِلْ ردائيَ الورقيَّ بدموعي الدّامية

فلم ينصفْني الفلَكُ بهدايتي إلى أسفلِ العَلَم

(سياستنامه، بتحقيق المرحوم عبّاس إقبال، حاشية ص ١٠).

قولُه في الصفحة٢٠٨، السّطر١٥: «المشربُ العذبُ كثيرُ الزّحام...» مصراعُ بيت استُعمل خمسَ مرّاتٍ في الرّسائل، وهو مَثَلٌ تشبيهيّ استُعمل في شأن الماء (التمثيلُ و المحاضرة، الثعالبي، ص ٢٥٦).

الرّسالة الثانية والخمسون:

قولُه في الصفحة٢٠٩، السّطر١٠: «المعظّم لأمرِ الله»، انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٣١، السّطر ٥.

الرّسالة الثالثة والخمسون:

[٣٢٤] قولُه في الصفحة٢١١، السّطر٥: «من كظَمَ الغيظَ ملأ اللهُ قلْبَه أمنًا وإيمانًا» في الشّرح الفارسيّ «شهاب الأخبار» جاء على الصّورة الآتية: «مَنْ كظم غيظًا وهو يقدرُ على إنفاذه ملأ اللهُ قلبَه أمنًا وإيمانًا» (الشّرح الفارسيّ للكلمات القصار للنّبيّ الخاتم، ص ١٧٦).

قولُه في الصفحة٢١١، السّطر٩: «أعدى عدوّك نفسُك...» حديثٌ نبويّ شريف (كنوز الحقائق، ج ١، ص٤٠). وعدّه بعضُهم من كلام المشايخ (تعليقات منطق الطّير، الدكتور گوهرين، ص ٣٧١).

قولُه في الصفحة٢١٢، السّطر٣: «سُئِل عيسى عليه السّلام: ما أشدُّ الأشياء...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السابعة والعشرين (قال الحواريّون لعيسى).

قولُه في الصفحة٢١٢، السّطر٧: «قبْلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة عشرة.

قولُه في الصفحة٢١٢، السّطر١٢: «لايمكنُ حَرْقُ البساط من أجل بُرغوث...» جاء شبيهُه في حديقة سنائي:

لا يبيــعُ شــخصٌ صــديقَه بخطــأ واحــد

ومِـنْ أجْـل بُرغـوثٍ لايمكـنُ حـرْقُ البِـساط

(الحديقة، ص ٤٨١، البيت ١٠).

قولُه في الصفحة٢١٢، السّطر١٤: «ارحَمْ من في الأرض يرحمْك من في السّماء» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السادسة عشرة.

قولُه في الصفحة نفسها والسّطر نفسه: «ارحَمْ من دونَك يرحمكَ من هو فوقَك» يبدو أنّه صورةٌ أخرى للحديث السابق (أحاديث المثنويّ، ص٧).

قولُه في الصفحة٢١٢، السّطر١٥: «تقصير» لفظٌ استعمله مولانا في المثنويّ أيضًا على الصورة نفسها، إذ قال:

فلو أنّك أخرجتَني من السّجن وأقصيتَني
لكنتُ قد مِتُّ من التقصير و الكدّ

يقول المرحوم فروزانفر في تعليقاته على خلاصة المثنويّ في شأن هذه الكلمة:

كلمةُ «تقصير» شاهدٌ آخر على أنّ مولانا يستعمل هذه الكلمة بمعنى «العجز» (ص ٢٥٣).

الرّسالة الرابعة والخمسون:

قولُه في الصفحة٢١٣، السّطر١٥: «لولاكَ لما خلقتُ الأفلاك» يكتب المرحوم فروزانفر قائلًا إنّه جاء في «شرح التعرّف» في الجزء الثاني ص ٤٦ على النحو الآتي: «لولا محمّدٌ (ص) ما خلقتُ الدّنيا والآخرةَ، ولا السّماواتِ والأرضَ، ولا العرشَ ولا الكرسيّ، ولا اللّوحَ ولا القَلَمَ، ولا الجنّة ولا النّار، ولولا محمّد ما خلقتُك يا آدم». (أحاديث المثنويّ، ص١٧٢).

قولُه في الصفحة٢١٥، السّطر١٢: «السعيدُ مَنْ سَعِد في بطن أمّه» [٣٢٥] حديثٌ نبويّ شريف (الجامعُ الصغير، ج ٢، ص ٣١).

الرّسالة الخامسة والخمسون:

قولُه في الصفحة٢١٦، السّطر٦: «لوَ انّ الرّيح تحملُني إليكم...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الخمسين. ومن هذه الرّسالة يظهر أنّ مولانا له اطّلاع على اللّغة الروميّة (اليونانيّة).

قولُه في الصفحة٢١٧، السّطر٤: رقّ الزجاجُ ورقّت الخمرُ... يبدو أنّه للصّاحب ابن عبّاد، وهو من مشاهير الأدباء و وزير مؤيّد الدّولة وفخر الدّولة الدّيلميّ (قاموس الأعلام، شمس الدّين سامي، ج ٤، ص٢٩١١).

قولُه في الصفحة٢١٧، السّطر٦: «فمَنْ يرَهُ في منزلٍ فكأنّما...» بيتٌ جاء أيضًا في «فيه ما فيه» (ص ٧٦).

قولُه في الصفحة٢١٧، السّطر٧: «شُكْرُ المنعِم واجب...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٥٢، السّطر ٨.

الرّسالة السادسة والخمسون:

قولُه في الصفحة٢١٨، السّطر٧: «البحرُ لا ينجُس ماؤه من فم الكَلْب...» من الأمثال. يقول مولانا:

فمتى يصير البحرُ نجِسًا من فم كَلْب ومتى تغيبُ الشمسُ من نفخة ؟

(الأمثالُ والحِكَم، ص٨٠٢).

الرّسالة السابعة والخمسون:

قولُه في الصفحة٢٢٠، السّطر١٣: «كلامُ الملوكِ ملوكُ الكلام» مَثَل. (الأمثال

والحِكَم، ص ١٢٢٤).

قولُه في الصفحة نفسها والسّطر نفسه: «لا تزالُ أمّتي بخير ما أتاهم العلمُ...» نقلَ العجلونيُّ تحت حديث: «البركةُ مع أكابركم» هذا الحديثَ عن أبي نُعيم: «لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما أخذوا العِلْمَ عن أكابرهم، فإذا أخذوا العِلْمَ عن أصاغرهم هلكوا». (كشف الخفاء، ج ١، ص ٢٨٤ـ ٢٨٥).

الرّسالة الثامنة والخمسون:

قولُه في الصفحة٢٢٢، السّطر١٤: «والمَشْرَبُ العَذْبُ كثيرُ الزّحام...» استُعمل هذا المصراعُ في صورة: المشرب العذب... خمسَ مرات في رسائل مولانا.

الرّسالة التاسعةُ والخمسون:

قولُه في الصفحة٢٢٤، السّطر١٣: «فُضَيل بن عِياض»، يشير إلى العارف الشهير الذي وُلِد في سمرقند بين سنتي ١٠١ و ١٠٥ هـ، وتوفّي في مكّة في سنة ١٨٧ هـ. سمع الحديثَ من الإمام جعفر الصّادق (ع). و جاءت ماثوراتُه في كُتب الصّوفيّة كتذكرة الأولياء و حِلْية الأولياء.

[٣٢٦] قولُه في الصّفحة٢٢٥، السّطر١: «والعاقلُ يكفيه الإشارة...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة والأربعين.

الرّسالة الستون:

قولُه في الصفحة٢٢٥، السّطر٨: «لا عينٌ رأت...» انظر في شأنه إلى توضيح

الرّسالة الخامسة والأربعين.

قولُه في الصفحة٢٢٦، السّطر٣: «تعظيمُ أَمْرِ الله والشفقةُ على خَلْق الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٣١، السّطر ٥.

قولُه في الصفحة٢٢٦، السّطر١٠: «الحريصُ محروم...» عدّ المرحومُ دهخدا هذا القولَ جزءًا من حديث هو: «الحريصُ محرومٌ، ومع حرمانه مذموم» (الأمثال و الحِكَم، ص ٢٤٢).

قولُه في الصفحة٢٢٦، السّطر١٥: «لا بدّ من ليلٍ دائم و شعاع قمر جميل...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثالثة والأربعين.

قولُه في الصفحة٢٢٧، السّطر٧: «وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٨٧، السّطر ٧.

قولُه في الصفحة٢٢٧، السّطر١٣: «ابلستان». كانت ابلستانُ (آرابيسوس) الواقعةُ شرقَ قيصَريّة إحدى القلاع الحدوديّة في زمان الرّومان، وقد ذُكرت أيضًا في فتوحات الأمير تيمور أيضًا (بُلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٥).

قولُه في الصفحة٢٢٨، السّطر٧: «الدّنيا جيفةٌ و طُلّابها كلاب...» مُفادُ روايةٍ نُسبت إلى عليّ بن الحسين عليه السّلام مع تفاوت طفيف (أحاديث المثنوي، ص ٢١٦).

قولُه في الصفحة٢٢٨، السّطر١٠: «لولا الخبزُ لما عُبِد الرّبُّ...» رُوي ما هو قريبٌ منه عن رسول الله (ص) بهذه العبارة: «اللّهمّ، باركْ لنا في الخبزِ ولا تفرّق بيننا وبينه، فلولا الخبزُ ما صُمْنا ولا صلّينا ولا أدّينا فرائضَ ربّنا». (سفينة البحار، ج ١،

ص ٣٧٤). وقد رُوي مثَلان على النحو الآتي: «لولا الخبزُ لما عُبِد اللهُ» و «لولا الرّغيفُ لما عُبِدَ اللّطيفُ» (التمثيل والمحاضرة، ص ٢٧٨).

قولُه في الصفحة٢٢٨، السّطر١٠: «نفسُكَ مطيّتُكَ فارفُق بها...» عدّه الأنقرويّ حديثًا في تفسير البيت الآتي:

أيضًا على نيّة أنّ الجسَدُ هو المركب وما اعتاده هو الأصوبُ له

(فاتح الأبيات، ج ٥، بالتركيّة، ص ٤٢).

وقد أورد الثّعالبي في الأمثال التي جمعها في موضوع النّفْس المَثَلَ الآتي:

النّفْسُ مطيّةٌ إن كُلّفتْ فوق طاقتها أقامتْ بصاحبها. (التمثيل والمحاضرة، ص ٣٠٧).

الرّسالة الحادية والستون:

[٣٢٧] قولُه في الصفحة٢٢٩، السّطر١٩: «الحزمُ سوءُ الظنّ» من الكلمات القِصار للنّبيّ الخاتم (الشّرح الفارسيّ للكلمات القِصار، ص ١٠).

قولُه في الصفحة٢٣٠، السّطر٤: «الكلامُ الذي لا يأتي من رأسِ مفكّر...» من خسرو وشيرين لنظامي (طبع وحيد، ص ٣٠).

الرّسالة الثانية والسّتون:

قولُه في الصفحة٢٣٢، السّطر١١: «من يأتِ عملًا صالحًا لله في جوف اللّيل ألبسَه اللهُ منه رداءً يُعرف به...» مضمونُ حديثٍ شريف له شبَهٌ بالآية الكريمة:

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١١٠].

الرّسالة الخامسة والسّتون:

قولُه في الصفحة٢٣٥، السّطر١١: «أنتَ نفسُكَ تعلمُ كيف أكون منقبضًا ومغتمًّا...» يشبه تمامًا البيتَ الآتي الذي هو مطلعُ غَزَليّة لمولانا:

عندما تبعثُ إليّ قليلًا من الغمّ أكون حزينًا ومنقبضًا

وعندما تصبّ الغمَّ عليَّ أكون خجِلًا من لُطْفِ الغمّ

(كلّيّات شمس، ج ٣، ص ٢٠١).

قولُه في الصفحة٢٣٦، السّطر٥: «هوى ناقتي خَلْفي وقُدّامي الهوى...» بيتٌ من قصيدة طولُها أربعةٌ وثمانون بيتًا لعُروة بن حِزام وهو من متيّمي شعراء العرب (فيه ما فيه، تعليقات المرحوم فروزانفر، ص ٢٥٠).

قولُه في الصفحة٢٣٦، السّطر١٣: «واحدٌ من الألف...» انظر في شأنه إلى توضيح: «واحدٌ كالألْفِ إنْ أمرٌ عنى» في ص ٥٦٥، السطر ٩.

قولُه في الصفحة٢٣٦، السّطر١٤: «عندي جُمَلٌ من اشتياق وفصول...» من رباعيّات مولانا جلال الدّين. (كلّيّات شمس، ج ٨، ص ١٨٦، الرّباعيّة١١٠١).

قولُه في الصفحة٢٣٧، السّطر٦: گنگر، يُرادُ بها مدينةٌ من مدن الرّوم واقعة على بعد خمسين ميلًا من قصطمونية (قسطمونية)، ويسمّيها التُّركُ: كانقري. وقد ضبطَها كُتّاب الأحداث العربُ هكذا: خنجره (بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٨). ورسْمُها في كتب الجغرافية العثمانية هكذا «كنغري»، وتُنطق اليوم Cankiri.

الرّسالة السّادسة والسّتون:

قولُه في الصفحة٢٣٧، السّطر١٣: «سَنَةُ الوَصْلِ سِنَةٌ، وسِنَةُ الهَجْر سَنَةٌ» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٩، السّطر ٥.

قولُه في الصفحة٢٣٨، السّطر١٤: «روحُه روحي وروحي روحُه...» لمولانا جلال الدّين الرّوميّ (كلّيّات شمس، ج ٥، ص ٧، الغَزَليّة ٢١٢٧).

[٣٢٨] قولُه في الصفحة٢٣٩، السّطر١: «تعظيمُ أَمْرِ الله والشفقةُ على خَلْق الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السّتين.

الرّسالة السّابعة والسّتون:

قولُه في الصفحة٢٤٠، السّطر١٤: يعرف بلَحْن قوله... قرأ بعضُهم «بلحن قوله» هكذا: «بلخي لولده»، وجعلوا ذلك شبيهًا بتوقيعِ مولانا.

الرّسالة الثامنة والسّتون:

قولُه في الصفحة٢٤١، السّطر١٤: «المَشْرَبُ العَذْبُ كثيرُ الزّحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والخمسين.

قولُه في الصفحة٢٤١، السّطر١٦: «قال الجدارُ للوتدِ لِمَ تشقُّني؟ ـ قال: انظر إلى مَنْ يدقّني» مَثَلٌ من الأمثال، وقد أورده مولانا أيضًا في المثنويّ. (طبعة نيكلسون، الكتاب الخامس، ص ١٠٨).

قولُه في الصفحة٢٤٢، السّطر٣: «كما تدين تُدان...» من الأحاديث النبوية.

(أحاديث المثنويّ، ص ١٧٦).

قولُه في الصفحة٢٤٢، السّطر٨: «والصّوفيُّ أولى بخِرْقته»، نُسِب هذا الكلامُ في صيغة: «الفقيرُ أولى بخِرْقته» إلى أبي سعيد بن أبي الخير. ويقول السيّد الدكتور شفيعي كدكني إنّه لم يُعثر على هذا القول في المتون التي دُوّنت قبل أبي سعيد، أمّا في الأدوار اللاحقة فقد شاع كثيرًا وجاء في صورة: «الصّوفيُّ أولى بخِرْقته، واليتيمُ أحرى بخُرقته». (تعليقات أسرار التوحيد، ج ٢، ص ٨١٣).

الرّسالة السبعون:

قولُه في الصفحة٢٤٥، السّطر٤: «لا يخلونّ رجلٌ بامرأة...» حديثٌ لرسول الله (ص) رُوي في الشّرح الفارسيّ «شهاب الأخبار» على هذه الصّورة: «لا يخلونّ رجلٌ بامرأةٍ فإنّ ثالثها الشيطان» (الشّرح الفارسيّ للكلمات القِصار، ص٣٥٢).

قولُه في الصفحة٢٤٦، السّطر١١: «خان ضياء»، جاء اسمُ هذا الخان [كاروان سرا بالفارسيّة] في مناقب العارفين للأفلاكيّ هكذا: «خان ضياء الدّين الوزير». ويبدو أنّه كان محلًّا للّهو حيث كانت سيّدةٌ اسمُها طاووس تعزف فيه على الصّنج. (ج ١، ص ٣٧٥).

قولُه في الصفحة٢٤٧، السّطر٤: «تكون الدّنيا مسرورةً عندما تذيق العاقلَ المرارة...». لنظامي الكَنجوي (خسرو وشيرين، طبعة وحيد، ص ١٨٠).

الرّسالة الحادية والسّبعون:

قولُه في الصفحة٢٤٨، السّطر٣: «خيالُك في عيني واسمُك في فمي...» منسوبٌ إلى حسين بن منصور الحلّاج الذي هو من أكابر الصّوفيّة، والمقتولُ سنة ٣٠٩ هـ. (فيه ما فيه، التعليقات، ص ٢٧٠).

[٣٢٩] قولُه في الصفحة٢٤٨، السّطر٤: «أنا وأنتَ جعلتِ الإنسانَ اثنين...» بيتان منفصلان لسَنائي (حديقة الحقيقة، ص ١١٤، البيت ٥، و ص ٤٤٤، البيت ١٧).

قولُه في الصفحة٢٤٨، السّطر١٠: «أيّتُها الأرواحُ الطّاهرة في أكوام التّراب... بيتانِ من ترجيع بند(*) لسَنائي مطلعُه:

أيُّها القومُ، احذروا دارَ الحوادث هذه... (ديوان سنائي، ص ٧٧٦ـ ٧٧٧).

قولُه في الصفحة٢٤٨، السّطر١٤: «لا بدّ من ليلٍ دائمٍ و شُعاعِ قمر منير...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثالثة والأربعين.

قولُه في الصفحة٢٤٨، السّطر١٦: «عندي جُمَلٌ من اشتياقٍ وفصول...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الخامسة والسّتين.

قولُه في الصفحة٢٤٩، السّطر٥: «العاقلُ تكفيه الإشارةُ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة والأربعين.

قولُه في الصفحة٢٥٠، السّطر٨: «عَذْلُ ساعةٍ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والخمسين.

---

* شكلٌ فارسيّ يتكرّر فيه بيتٌ بعينه بعد كلّ مقطع، ولكلّ مقطع فيه رويّ خاصّ [المترجم].

قولُه في الصفحة ٢٥٠، السّطر ١٣: «إكرامُ أهلِ الهوى من الكرَم...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثالثة والعشرين.

الرّسالة الثانية والسّبعون:

قولُه في الصفحة ٢٥٢، السّطر ١٦: «الخَلْقُ عِيالُ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة.

الرّسالة الثالثة والسّبعون:

قولُه في الصفحة ٢٥٣، السّطر ١٧: «الدّنيا أسحرُ من هاروت وماروت...» حديثٌ نبويّ رُوي بصيغة: احذروا الدّنيا فإنها أسحرُ من هاروت وماروت. (أحاديث المثنويّ، ص ١٣٧).

قولُه في الصفحة ٢٥٤، السّطر ٦: «إتمامُ المعروفِ خيرٌ من ابتدائه...» انظرْ في شأنه إلى توضيح الرّسالة السّادسة والثلاثين.

قولُه في الصفحة ٢٥٤، السطر ١١: «ليس التكحّل في العينين كالكَحَلِ.. » انظر في شأنه إلى توضيح الرسالة الثانية والعشرين.

الرّسالة الرّابعة والسّبعون:

قولُه في الصفحة ٢٥٦، السّطر ٢: «إنّ الله لا ينظرُ إلى صُوَركم...» حديثٌ نبويّ وكمالُه هكذا: «إنّ الله تعالى لا ينظرُ إلى صُوَركم وأموالِكم ولكن إنّما ينظر إلى قلوبكم

وأعمالكم». وقد أشار مولانا في المثنويّ إلى مضمون هذا الحديث وقال:

نحـنُ لا ننظـرُ إلى الخـارج والقـال بـل ننظـرُ إلى البـاطن والحـال

[٣٣٠] (فيه ما فيه، التعليقات، ص ٣٣٨).

الرّسالة الخامسة والسبعون:

قولُه في الصفحة٢٥٧، السّطر١١: «الإسلامُ بدأ...» حديثٌ نبويّ شريف: «بدأ الإسلامُ غريبًا وسيعودُ كما بدأ غريبًا فطوبى للغُرباء». (أحاديث المثنويّ، ص ١٥٨).

قولُه في الصفحة٢٥٨، السّطر٤: «وكلُّ غريبٍ للغريب نسيب...» مصراعُ البيت الآتي من شعر امرئ القيس:

أجارتَنـا، إنّ المـزارَ قريـبُ وإنّي مقـيمٌ مـا أقـامَ عَـسيبُ
أجارتَنـا، إنّـا غريبـانِ ههنـا وكـلُّ غريـبٍ للغريـب نـسيبُ

(الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص ٦٣).

قولُه في الصفحة٢٥٨، السّطر١٤: «أستاذُكَ هو العشقُ فعندما تصل إليه... انظرْ في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية.

قولُه في الصفحة٢٥٩، السّطر٣: «وصَلَ القَلَمُ إلى هنا فانكسر رأسُه...» لخاقاني الشّروانيّ. وتمامُ البيت هكذا:

كان خاقـاني يكتـبُ القِـصَص وعندما وصَلَ القَلـمُ إلى هنـا انكـسر رأسُـه

(ديوان خاقاني، تصحيح ضياء الدّين سجّادي، ص ٥٥٩).

وقد عدّه المرحوم دهخدا من الأمثال، وأثبت مصراعَه الثاني هكذا: وصَلَ الكلامُ

إلى هنا وتوقّف. (الأمثال والحِكَم، ج ٢، ص ١١٦٤).

الرّسالة السادسة والسّبعون:

قولُه في الصفحة ٢٦٠، السّطر١٧: «في هذا الطّريق، يكون الذّبابُ كالطاووس في العمل...» مصراعٌ من غزليّة لسَنائي الغزنويّ. وتمامُ البيت هكذا:

حتّى إذا كنتَ جميلًا لا تنظرْ إلى القبيح باحتقـار

فإنّه في هذا المُلْك الذّبابُ في العمل كالطاووس

(ديوان سنائي، ص ٣٠٧).

الرّسالة الثامنة والسّبعون:

قولُه في الصفحة ٢٦٤، السّطر٣: «فليس التّزاورُ بقرب المكان... [٣٣١] يبدو أنّه من الأمثال.

قولُه في الصفحة٢٦٤، السّطر١٠: «مَنْ يولَدُ من نَسَبٍ عالٍ...» لنظامي الكَنجوي (ليلى والمجنون، طبعة وحيد، ص ٢٦).

قولُه في الصفحة ٢٦٤، السّطر١٤: «علامةُ قُبولِ الخيرات إعادتُها...» لم نجد هذه العبارة في مكان آخر.

قولُه في الصفحة ٢٦٤، السّطر١٥: «لا زالَ منوَّرًا ومطّلعًا على الأشياء كما هي...» العبارة الأخيرة منه تُشير إلى الحديث الشريف الآتي: «اللهمَّ، أرِني الأشياءَ كما هي». (أحاديث المثنويّ، ص ٤٥).

الرّسالة التاسعة والسّبعون:

قولُه في الصفحة٢٦٥، السّطر٤: «الوَرْدُ ضاحكٌ، فإن هو لم يضحكْ فماذا يفعل؟» مطلعُ غزَلٍ لمولانا جلال الدّين الرّوميّ. (كلّيّات شمس، ج ٢، ص ١٦٦، البيت ٨٧٢٠).

الرّسالة الثانية والثمانون:

قولُه في الصفحة٢٦٩، السّطر١٥: المعظّمُ لأمر الله... انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السّتين.

قولُه في الصفحة٢٧٠، السّطر٤: «أظهرُ من الشمس...» مَثَلٌ رُوي بصيغة: «أشهرُ من الشّمس» (التمثيل والمحاضرة، ص ٢٢٦).

الرّسالة الرّابعة والثمانون:

قولُه في الصفحة٢٧٤، السّطر٢: «روحُه روحي وروحي روحُه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السادسة والسّتين.

قولُه في الصفحة٢٧٤، السّطر٤: «أنا روحٌ واحدٌ في آلاف الأجساد...» هو البيتُ الأوّلُ من رُباعيّةٍ لمولانا، والبيتُ الثاني هكذا:

جعلتُ نفسي شخصًا آخرَ تكلّفًا   لكي يُسَرّ ذلك الآخَرُ قائلًا إنّي أنا

(كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٢٠٩، الرّباعيّة ١٢٣٨).

قولُه في الصفحة٢٧٤، السّطر٧: «أرِنا الأشياءَ كما هي» عدّه المرحوم فروزانفر من

الأحاديث النبوية وكتبَ يقول: «لم أظفر بهذا الحديث بهذه العبارة حتى الآن في كتب الحديث» (أحاديث المثنويّ، ص ٤٥).

الرّسالة السّادسة والثمانون:

[٣٣٢] قولُه في الصفحة٢٧٦، السّطر١٥: «لماذا أشعِلُ المصباحَ أمام الرّيح الصرصر ؟» لسَنائي وهو في حديقته على النحو الآتي:

لماذا أشعِلُ المصباحَ أمامَ الرّيح الصرصر؟
وكيف أخيطُ القَباءَ أمام الأسد؟

(ص ٤١٦، ب ١٨).

الرّسالة السّابعةُ والثمانون:

قولُه في الصفحة٢٧٨، السّطر١٥: «آهةُ المريضِ مَنْ يسمعُها ؟ ـ المريضُ» هو المصراعُ الثاني لمطلع غزليّة لمولانا، ومصراعُه الأوّل هو هذا:

مَنْ يرْحمُ الحبيبَ ؟ ـ الحبيبُ أيضًا

(كلّيّات شمس، ج٣، ص٤٨).

قولُه في الصفحة٢٧٨، السّطر١٩: «في عهد عمر رضي الله عنه...» أشار مولانا إلى هذه الواقعة التاريخيّة في آخر الجزء الأوّل من المثنوي من البيت ٣٧٠٧ إلى ٣٧٢٠ (الجزء الأوّل / الصفحات ٢٢٨ـ٢٢٩).

الرّسالة الثامنة والثمانون:

قولُه في الصفحة٢٧٩، السّطر١٤: «والشكرُ قَيْدُ النِّعَمِ الحاصلة وصَيْدُ النِّعم الآجلة» لعلّه يكون من الأمثال، نظيرُ:

إنّ شُكْرَ النّعمةِ يزيدُ نعمتَك وكفرَ النّعمةِ يخرجها من يدك

لمولانا (الأمثال والحِكَم، ج ٢، ص ١٠٢٦ وما بعد).

الرّسالة التاسعة والثمانون:

قولُه في الصفحة٢٨٢، السّطر٦: «من قاسَ جدواك يومًا...» مقابلٌ عربيّ لبيتَين من قطعة من ثمانية أبيات لمولانا جلال الدّين الرّوميّ (كلّيّات شمس، ج ٧، ص ٣٠٨).

قولُه في الصفحة ٢٨٢، السّطر٩: «لكي تُصبحَ أهلًا للمَدْح، امدحْ أهلَ المعنى...» لسَنائي الغزنويّ. وقد جاء في ديوانه على الصّورة الآتية:

لكي تصبح أهلًا للمَدْح، امدَحْ أهلَ المعنى

ولكي تصبح عينَ الإكرام، أكرمْ أربابَ العِلْم

(ديوان سَنائي، ص ٣٠٤).

الرّسالة الحادية والتسعون:

قولُه في الصفحة ٢٨٤، السّطر٢: «المالُ غادٍ ورائحٌ...» لعلّه مَثَلٌ، وقد قال أديب صابر في المضمون نفسه:

المـــالُ والملـــكُ اللـــذانِ يـــذهبانِ لا يعتمــــدُ علـــيهما العاقِــــلُ

(الأمثالُ والحِكَم، ص ١٢٩٢).

وأقربُ مضمون إليه هو المصراعُ الثاني من البيت الآتي لسَعْديّ:

[٣٣٣] لا بدّ من أن تكون خصالًا مستحسنةً وجميلةً

أنّ الجاهَ والمالَ يجيئانِ حينًا ويذهبانِ حينًـا آخـر

(بوستان، بتحقيق المرحوم فروغي، ص ١٧٥).

قولُه في الصفحة٢٨٤، السّطر٨: «الخَلْقُ عيالُ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة.

قولُه في الصفحة٢٨٤، السّطر١٠: «قَبْلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ...»، انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة عشرة.

قولُه في الصفحة٢٨٤، السّطر١٣: «إذا كنتَ الآنَ في هذا الوقت ههنا تتأذّى وتتألّم...» لسَنائي، وقد جاء في الدّيوان في الصّورة الآتية:

إن كان لك اليومَ في هذه الدّار روحٌ تأذّى وتألّمَ

فما أجملَ رأسَ المال والرّبحَ اللذين ستراهما من هذا الأذى والألَمَ

فأكرِمْ هذا الضيفَ العُلْويّ لكي

تراه مُضيفًا عندما تخرج من هذا الفلك

(ديوان سَنائي، ص ٧٠٦).

قولُه في الصفحة٢٨٤، السّطر١٧: «أن تستعبدَ حرًّا واحدًا بإحسانك...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السّابعة.

قولُه في الصفحة٢٨٥، السّطر٣: «أحرِّم الكلامَ مع النّاس...» بيتٌ من غزليّة

لمولانا (كلّيّات شمس، ج ٤، ص ٥٧، الغَزَلية ١٧٢٤).

الرّسالة الثانية والتسعون:

قولُه في الصفحة٢٨٥، السّطر١٤: «آناء اللّيل وأطراف النّهار...» مأخوذٌ من: ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

قولُه في الصفحة٢٨٦، السّطر١١: «تجري الرّياحُ بما لا تشتهي السُّفن...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السابعة والأربعين.

قولُه في الصفحة٢٨٦، السّطر١٢: «يقلّبُها كيف يشاء» هو آخرُ جملة من حديث للرّسول الأكرم (ص) رُوي على أنحاء مختلفة. وقد جاء في كنوز الحقائق على الصّورة الآتية: «إنّ القلوبَ بين إصبعين من أصابع الله يقلّبها كيف يشاء». (ج ١، ص ٨٧).

قولُه في الصفحة٢٨٦، السّطر١٣: «ليس في الدّار غيرُ الله ديّارٌ...» كأنّ أصله كلامٌ لأبي العبّاس القصّار: «ليس في الدّارين إلا ربّي». (تعليقات مرموزات اسدى بتحقيق السيّد الدكتور شفيعي كدكني، ص ١٤٧).

قولُه في الصفحة٢٨٦، السّطر١٤: «لا تسألْ عن الأحوال، فهذا خطأٌ منك...» بيتٌ من الرّباعيّة الآتية لمولانا جلال الدّين:

يسألونني قائلينَ: لماذا هذا الهمُّ كلّه ؟

وهذا الصّياحُ والتاوّهُ وهذا الوجهُ الأصفر، لماذا ؟

قلتُ: لا تقلْ مِثْلَ هذا، فإنه عمل خاطئ

انظر إلى وجهه الشبيه بالقمر وينحلّ المشكلُ

(كلّيات شمس، ج ٢، ص ٢٥، الرّباعيّة ١٤٦).

[٣٣٤] قولُه في الصفحة٢٨٦، السّطر١٧: «مثلما قال غلامٌ لسيّده...» جاءت هذه الحكايةُ في الجزء الثالث من المثنويّ بعنوان: «حكايةُ الأمير وغلامه الذي كان مُغرمًا بالصّلاة و...» (نشرة نيكلسون، الجزء الثالث، ص ١٧٤ وبعد ذلك أورد مولانا قصّةَ الطّاس والحمّام في الجزء الثالث (البيت ٣٠٥٥ وبعد).

قولُه في الصفحة٢٨٧، السّطر٥: «الشكايةُ من الخَلْق شكايةٌ من الخالق» من كلام مولانا الكبير (بهاء الدّين ولَد)، وقد أوردَه مولانا جلالُ الدّين في «فيه ما فيه» أيضًا. (فيه ما فيه، تحقيق المرحوم فروزانفر، ص ٢٣٢).

قولُه في الصفحة٢٨٧، السّطر٧: «كلُّ مَنْ عَلّموه أسرارَالكلام...» من مثنويّ مولانا، وقد جاء في المثنويّ على الصّورة الآتية:

وكلُّ من قاموا بتعليمه أسرار الأمور،

ختموا على فيه، وخاطوه على ما فيه

(نشرة نيكلسون، الجزء الخامس / ٢٢٤٠).

الرّسالة الثالثة والتسعون:

قولُه في الصفحة٢٨٩، السّطر٨: «المشربُ العذبُ كثيرُ الزّحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والخمسين.

الرّسالة الرابعة والتسعون:

قولُه في الصفحة٢٩٠، السّطر٨: «امير اكدشان»، كان الأكادشةُ أُناسًا من أهل

الدّيوان أو الجيش إذ كان الرّئيسُ أو الأميرُ يتّخذهم لترتيب الأمور المرتبطة بهما. ومن أجل التوضيح انظر إلى حاشية ص ٢٩ من كتاب «مولانا جلال الدّين» للمرحوم عبد الباقي گلبينارلي، ترجمة محقّق هذا الكتاب.

الرّسالة الخامسة والتسعون:

قولُه في الصفحة٢٩١، السّطر١٦: «الحمدُ للهِ على فَضْلِه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة.

قولُه في الصفحة٢٩٢، السّطر٩: «رضيتُ بما قسمَ اللهُ لي...» جاء هذان البيتان أيضًا في معارف السيّد برهان الدّين محقّق الترمذي. (معارف السيّد برهان الدّين، تحقيق المرحوم فروزانفر، ص ٩٨).

قولُه في الصفحة٢٩٢، السّطر١١: «قال الله تعالى: أنا عند ظنّ...» جاء شبيهَه الحديثُ الآتي في الجامع الصغير للسيوطيّ: «إنّ الله تعالى يقول: أنا عند ظنّ عبدي بي، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرّ» (الجامع الصغير، ج ١، ص ٦٥).

قولُه في الصفحة٢٩٣، السّطر٢: «ولكنْ رأيتُ السّيفَ من بعد شَحْذِه...» استُعمل هذا البيتُ أربع مرّات في رسائل مولانا.

قولُه في الصفحة٢٩٣، السّطر٥: «والشّمسُ لا تخفى بكلّ مكان...» [٣٣٥] أُثبت في فرائد الأدب [مما يشبهه] المثَلُ الآتي: شُعاعُ الشمس لا يخفى، ونورُ الحقّ لا يُطفا.

قولُه في الصفحة٢٩٣، السّطر٦: «الدّالُّ على الخير كفاعله...» من كلام الرّسول

الأكرم (ص) استُعمل على سبيل التمثيل (التمثيل، ص ٢٣).

الرّسالة السادسة والتسعون:

قولُه في الصفحة ٢٩٤، السّطر ٦: «ولكنْ بكت قَبْلي فهيّج لي البكا...» قائلُه عَدِيّ ابن الرّقاع. وتمامُه هكذا:

فلو قبْلَ مبكاها بكيتُ صبابةً ... بسُعدى، شفيتُ النفسَ قَبْلَ التندُّمِ
ولكنْ بكتْ قبلي فهيّج لي البُكا ... بُكاها، فقلتُ: الفضْلُ للمتقدِّمِ

(مقامات الحريري، طبعة مؤسسة رواقي، ١٣٦٤ هـ ص ١٣).

وقد نقلَ مولانا هذه الأبيات في مقدّمة الجزء الرّابع من المثنويّ أيضًا.

قولُه في الصفحة ٢٩٤، السّطر ٩: «خيرُ النّاسِ من ينفع النّاسَ» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة عشرة.

قولُه في الصفحة ٢٩٤، السّطر ١٥: «مَنْ ثخُن دينُه ثخنَ بلاؤه، ومَنْ رقّ دينُه رقّ بلاؤه» ليس لديّ مرجعٌ في شأن هذه العبارة العربية، التي يبدو أنّها حديثٌ، في المآل الأخير، وقد أثبتُّها في فهرس الأمثال. ومفهومُ هذه العبارة يشبهُ مفهومَ الآية الشريفة الآتية: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

الرّسالة السابعة والتسعون:

قولُه في الصفحة٢٩٥، السّطر٨: «اطلبوا الحوائجَ من السُّمحاء...» حديثٌ نبويّ تمامُه: «اطلبوا الحوائجَ إلى ذوي الرّحمة من أمتي تُرزقوا وتُنجَعوا ؛ فإنّ الله تعالى يقول: رحمتي في ذوي الرّحمة من عبادي، ولا تطلبوا الحوائجَ عند القاسية قلوبُهم فلا تُرزقوا ولا تُنجعوا فإنّ الله تعالى يقول: سخطي فيهم». (الجامع الصّغير،ج ١، ص ٣٦).

قولُه في الصفحة٢٩٦، السّطر٨: «إذا جاء اللصُّ حاملًا السّراج...» هو المصراعُ الثّاني لبيت من قصيدة معروفة لسَنائي مطلعُها:

لا تجعلْ في الجسم والرّوح منزلًا ؛ لأنّ هذا دونٌ وذلك فوقٌ...

والمصراع الأوّل هكذا:

إذا تعلّمتَ العِلْمَ فاخشَ عندئذٍ الحرصَ...

(ديوان سَنائي، ص ٥٥).

[٣٣٦] قولُه في الصفحة ٢٩٦، السطر ٩: «طينِ الجسد...» فيه إشارةٌ إلى الآيات التي تصرّح بخَلْق الإنسان من طين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢؛ السجدة، الآية ٧، وآيات أُخَر].

قولُه في الصفحة٢٩٦، السّطر١٠: «فمن غلبَ عقلُه شهوتَه فهو أعلى من الملائكة...» من كلام حضرة عليّ (ع)، وقد رُوي في «وسائل الشيعة عن حضرة الصّادق (ع)» (فيه ما فيه، تعليقات المرحوم فروزانفر، ص ٢٩٢).

وقد أورده الثعالبي من دون ذكر اسم القائل على النحو الآتي:

«ركّبَ اللهُ تعالى الملائكةَ من عقلٍ بلا شهوة، وركّبَ البهائمَ من شهوةٍ بلا عقل،

وركّب ابنَ آدمَ من كليهما ؛ فمن غلبَ عقلُه شهوتَه فهو خيرٌ من الملائكة، ومَنْ غلبت شهوتُه عقلَه فهو شرٌّ من البهائم». (التمثيل والمحاضرة، ص ١٧٢).

قولُه في الصفحة٢٩٦، السّطر١٦: «وأيُّ نعيمٍ لا يكدّره الدّهرُ...» لمسلم بن الوليد الأنصاريّ (صريع الغواني) المتوفى سنة ٢٠٨ هـ:

فبتْنا على رُغمِ الحسودِ وبيننا حديثٌ كطيبِ المِسْكِ شيبَ به الخمرُ
فلمّا أضاء الصّبحُ فرّق بيننا وأيُّ نعيمٍ لايكدّره الدّهرُ

(هذا التوضيح كتبه لي متلطّفًا الصّديقُ العالِمُ السيد الدكتور علي أصغر حلبي).

الرّسالة الثامنة والتسعون:

قولُه في الصفحة٢٩٧، السّطر١٤: «المشفِقِ عل خَلْق الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٣١، السّطر ٥.

قولُه في الصفحة٢٩٨، السّطر١٩: «ولكن رأيتُ السّيفَ من بعد شحذه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الخامسة والتسعين.

قولُه في الصفحة٢٩٩، السّطر٣: «إنْ سقيتَ الغرسةَ، فأنتَ الذي غرستَها...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية والعشرين.

قولُه في الصفحة٢٩٩، السّطر٥: «إتمامُ المعروف خيرٌ من ابتدائه...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السادسة والثلاثين.

الرّسالة التاسعة والتسعون:

قولُه في الصفحة٣٠٠، السّطر٥: «المؤمنون كنَفْسٍ واحدة...» ذكر المرحومُ أنّ بعضَهم عدّه حديثًا (أحاديث المثنويّ، ص ٤٣).

قولُه في الصفحة٣٠٠، السّطر١٦: «أنعِمْ عليَّ أيُّها المِلِكُ...» من رباعيّات مولانا جلال الدّين الرّوميّ، وقد رُوي في كلّيّات شمس على النحو الآتي:

أرني وجهَكَ، اعملْ عمَلًا من أعمال الإنسانيّة

لكي أفخرَ بأني رأيتُ السعادة

أيّها المعشوقُ والحبيبُ، ماذا يُنقصكَ

أن يغدوإنسانٌ مسرورًا برؤيتك ؟ !

[٣٣٧] (كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٣٣٠، الرّباعيّة ١٩٦٧).

قولُه في الصفحة٣٠١، السّطر٣: «الخَلْقُ عيالُ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة.

قولُه في الصفحة٣٠١، السّطر١٢: «إكرامُ أهلِ الهوى من الكرَم...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثالثة والعشرين.

الرّسالة المئةُ:

قولُه في الصفحة٣٠٢، السّطر١٥: «من القَلْبِ إلى القَلْب رَوْزَنةٌ» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية عشرة.

قولُه في الصفحة نفسها والسّطر نفسه: «القلوبُ تتشاهدُ»، الظاهرُ أنّه مثَلٌ، نظيرُ

قولهم: «القلْبُ يهدي إلى القلب» و «من القَلْبِ إلى القَلْب رَوْزَنةٌ»، لكنّه في مخطوطة «فيه ما فيه» التي امتلكها المرحومُ فروزانفر التي كُتبت في سنة ٨٨٨ هـ أُضيف: «قال رسولُ الله (ص)... وقد كتب المرحومُ فروزانفر قائلًا إنّه حتى الآن لم أصادف مِثْلَ هذا الحديث. (فيه ما فيه، ص ٢٧٠).

قولُه في الصفحة٣٠٤، السّطر٩: «أيُّها السّاقي، من تلك الخمرة التي أعطيتَنيها...» من رباعيّات مولانا جلال الدّين (كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٢٨٥، الرباعيّة ١٦٩٣).

قولُه في الصفحة٣٠٥، السّطر١: «أن تستعبدَ حُرًّا واحدًا بإحسانك...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السّابعة.

الرّسالة الحادية والمئة:

قولُه في الصفحة٣٠٦، السّطر٧: «الصّبرُ لا يقدر على الصمود أمامَ العشق...» نقَلَ المرحومُ فروزانفر في «مصادر قصص المثنويّ وتمثيلاته» هذا البيتَ على الصّورة الآتية من مقالات شمس تبريزيّ:

الصّبرُ لايقدرُ على الصّمود أمامَ العِشْق   الصّبرُ لا يقدر على أن يكون مُعِينا

(مصادر قِصَص المثنوي وتمثيلاته، ص ٢١٧).

قولُه في الصفحة٣٠٦، السّطر١٢: «أعرفُ أنا أنّه لا يأتي خطأ منك...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السّادسة.

الرّسالة الثانية والمئة:

قولُه في الصفحة٣٠٧، السّطر٦: «سَلامٌ عليكُمْ، لا سَلامُ مودّع...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والثلاثين.

الرّسالة الثالثة والمئة:

[٣٣٨] قولُه في الصفحة٣٠٩، السّطر٨: «اللهُ الذي أظهرَ لنا طريقَ الهجران...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثالثة.

قولُه في الصفحة٣٠٩، السّطر١٣: «باللهِ الذي مُلْكُه من العظمة...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الخامسة والسّتين.

قولُه في الصفحة٣١٠، السّطر٢: «لوَ انّ الرّيحَ تحملني إليكم...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٤، السّطر ١٢.

قولُه في الصفحة٣١٠، السّطر٥: «إنْ قدرتِ، أيّتها الصَّبا، فمُرّي ليلًا بناحيته...»، له شبهٌ بهذه الأبيات لمولانا في المثنويّ:

ـ قال: أيليقُ أن أُسلِم الرّوحَ شوقًا إليكم وأموتَ هنا مفترقًا عنكم؟

ـ وهل يجوز أن أكون أسيرَ هذا القيد الثقيل، وأنتم حينًا فوق المروج وحينًا على الأشجار؟

ـ أهكذا يكون وفاءُ الأصدقاء؟ ـ أنا في هذا الحبس، وأنتم في روضة الورد؟

(المثنوي، الجزء الأوّل، الأبيات ١٥٥٥ ـ ١٥٥٧).

قولُه في الصفحة٣١٠، السّطر١١: «ومِنْ طولِ التفكّر كلَّ يوم...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السابعة والخمسين.

قولُه في الصفحة٣١١، السّطر١: «إن بقيتُ حيًّا خِطْتُ...» أثبته المرحومُ دهخدا في «الأمثال والحِكَم» لسَعْدي (الأمثال والحِكم، ج ١، ص ١٣٠)؛ لكنّ هذا البيت لا يُعثَر عليه في كلّيّات سَعْدي بتصحيح المرحوم محمّد علي فروغي، ولا في المتن الكامل لديوان سَعْدي بتصحيح السيّد مظاهر مصفًا. ويعتقد السيّدُ الدكتور شفيعي حقًّا أنّه إذا سُلِّم بأنّ هذا البيتَ لسَعْدي، فإنّ هذه الرّسالة لن تكون لمولانا.

قولُه في الصفحة٣١١، السّطر٧: «تعالَ، تعالَ، إلى متى سوءُ الطبع هذا ؟...» لسَنائي الغزنويّ. وقد جاء في ديوانه على الصّورة الآتية:

وفي النهاية، اخجَلْ، إلى متى سوءُ الطبع هذا ؟

عندما تكون أنتَ أنا، وأنا أنتَ، إلى متى أنا وأنـت؟

(ديوان سَنائي، ص ١٠٢٠).

قولُه في الصفحة٣١١، السّطر١٠: «أنا وأنتَ جعلتِ الإنسان اثنين...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والسّبعين.

قولُه في الصفحة٣١٢، السّطر١: «ولو صارت بحارُ العالَمِ مِدادًاوأشجارُ...» نوعٌ من الترجمة للآية الكريمة: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

قولُه في الصفحة٣١٢، السّطر٤: «أيّها القلبُ، لن تغدو خاسرًا في العشق...» من رباعيّات مولانا جلال الدّين، مع اختلافٍ طفيف مع ضبط الدّيوان (كلّيّات شمس، ج ٨، ص ١٠٦، الرّباعيّة ٦٢٢).

قولُه في الصفحة٣١٣، السّطر٣: «أحرِّم الكلامَ مع النّاس...» [٣٣٩] انظر في

شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والتسعين.

الرّسالة الرابعة والمئة:

قولُه في الصفحة٣١٤، السّطر٢: «و من القلوبِ إلى القلوب رَوْزَنةٌ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية عشرة.

قولُه في الصفحة٣١٥، السّطر٥: «التي كان الحقّ تعالى قد وعدَه بأن يُظهرها ويحفظها...» ناظرٌ إلى الآية الآتية: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

قولُه في الصفحة٣١٥، السّطر١٦: «أحرِّمُ الكلامَ مع النّاس...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والتسعين.

الرّسالة الخامسة والمئة:

قولُه في الصفحة٣١٨، السّطر١: «ذلك المكانُ الذي كان فيه المعشوقُ مع الأحبّة...» لأمير الشعراء معزّي النيسابوريّ (گنج سخن، السيّد الدكتور صفا، ج١، ص ٢٣٧).

الرّسالة السّادسة والمئة:

قولُه في الصفحة٣١٩، السّطر٢: «حدِّث عن البحر ولا حَرَج»... انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٩، السّطر ٣.

قولُه في الصفحة٣١٩، السّطر٤: «الإناءُ يترشّح بما فيه» مَثَلٌ.

قولُه في الصفحة٣٢٠، السّطر٧: «خيمةُ التّرك» كتب المرحومُ عبد الباقي في حاشية ترجمته للرّسائل يقول: إنّ لفظ «التُّرْك»، كما يظهر من كلمة «خرگاه»، استُعمل بمعنى: غجريّ وفقير، وليس له علاقةٌ بالتّرك (ترجمة الرّسائل، حاشية الصفحة ١٦١).

الرّسالة السّابعةُ والمئة:

قولُه في الصفحة٣٢١، السّطر٦: «إنّ لله عبادًا أمجادًا...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٦١، السّطر ٣.

قولُه في الصفحة٣٢١، السّطر٨: «الخَلْقُ عيالُ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة.

[٣٤٠] قولُه في الصفحة٣٢٢، السطر ٥: «المشربُ العذبُ كثيرُ الزّحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والخمسين.

قولُه في الصفحة٣٢٢، السّطر١٤: «الدّنيا مزرعةُ الآخرة» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الخامسة والعشرين.

قولُه في الصفحة٣٢٢، السّطر١٧: «ولكنْ رأيتُ السّيفَ من بعد شَحْذِهِ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الخامسة والتسعين.

الرّسالة التاسعة والمئة:

قولُه في الصفحة٣٢٥، السّطر٤: «سَلامٌ عليكم، لا سَلامُ مودّع...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والثلاثين.

قولُه في الصفحة٣٢٥، السّطر٩: «شكْرُ المنعِم واجبٌ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية والعشرين.

الرّسالة الثانية عشرة والمئة:

قولُه في الصفحة٣٢٩، السّطر١٠: «المعظِّمُ لأمرِ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٣١، السّطر ٥.

قولُه في الصفحة٣٢٩، السّطر١٥: «الدّنيا ساعة...»حديثٌ نبويّ: «الدّنيا ساعةٌ فاجعَلْها طاعة» (أحاديث المثنويّ، ص ١٣).

قولُه في الصفحة٣٣١، السّطر٣: «كلُّ شيءٍ يرجع إلى أصله...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٧٢، السّطر ١١.

الرّسالة الثالثة عشرة والمئة:

قولُه في الصفحة٣٣٢، السّطر٥: «والحريصُ محروم...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السّتين.

قولُه في الصفحة٣٣٢، السّطر١٦: «الخَلْقُ عِيالُ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة.

الرّسالة الخامسة عشرة والمئة:

قولُه في الصفحة٣٣٥، السطر ١٣: «لا تظنّ أنّني أراكَ قليلًا...» هو البيتُ الأوّلُ من الرّباعيّة الآتية لمولانا جلال الدّين:

لا تظـــــنّ أنّنـــــي أراكَ قلـــــيلًا
أراكَ في كلِّ لحظة، ولكنْ من دون إزعاج العين
ولا يـــدركُ الـــوهمُ، ولا تحـــيط الـــصّفةُ
بـــأنواع الـــسّرورِ الّتـــي أراهـــا في غمّـــك

(كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٢١٢، الرّباعيّة ١٢٥٨).

الرّسالة الثامنة عشرة والمئة:

[٣٤١] قولُه في الصفحة٣٤٠، السّطر ٤: «جعَلَ اللهُ رأسَكَ أخضرَ وشفتَكَ ضاحكة...» من رباعيّات مولانا:

جعَلَ اللهُ رأسَكَ أخضرَ وشفتَكَ ضاحكةً على الدّوام
وجعَلَ أرواحَ العاشقين وقلوبَهم مسرورةً بـك
وكـــلُّ مَـــنْ يـــراكَ ولا يُـــسَرّ
أذلَّـــهُ اللهُ، ونكّـــدَ حظَّـــه، وأبقـــاه حـــائرًا

(كلّيّات شمس، ج٨، ص ٧٤، الرّباعية ٤٣٦).

قولُه في الصفحة٣٤٠، السّطر ١٢: «والقولُ الأمينُ مع اليمين» ينبغي أن يكون عبارةً فقهيّة. مثلما أورد العلّامةُ الحلّي، في «تبصرة المتعلّمين» في باب الإقرار، الجملةَ

الآتية: «... فالقولُ قولُ الغريم مع اليمين...» (التبصرة، طبعة الإسلاميّة، ج ٢، ص ٤٣٠ _ ٤٣١).

قولُه في الصفحة٣٤١، السّطر ١٤: «رضيتُ بما قسم الله لي...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الخامسة والتّسعين.

قولُه في الصفحة٣٤١، السّطر ١٧: «كلُّ شدّةٍ عليكَ هي من غُرورك...» لسَنائي الغزنوي (ديوان سنائي، ص ١٩٠).

الرّسالة التاسعة عشرة والمئة:

قولُه في الصفحة٣٤٣، السّطر ٤: «المشربُ العذبُ كثيرُ الزّحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والخمسين.

قولُه في الصفحة٣٤٣، السّطر ٦: «الرّجوعُ إلى الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطل» من كلام عمر بن الخطّاب في رسالة كتبها إلى عبد الله بن قيس في آداب القضاء. (كشف الخفاء، ج ١، ص ٤٢٣، الحديث ١٣٥٦). وقد جعله الثعالبي من الأمثال. (التمثيل والمحاضرة، ص ٣٦٧).

قولُه في الصفحة٣٤٣، السّطر ١٣: «إن كان لا يرجوكَ إلّا محسِنٌ...» حسب قول فخر الدّين المعلّم إنّ مولانا في يوم من الأيّام إذ ذهب لزيارة قبر والده مرّ في طريق عودته بقبر ابنه علاء الدّين چلبي وكتب هذا البيتَ على القبر المصنوع من الجصّ. (مناقب العارفين، ج ١، ص ٥٢٣).

الرّسالة العشرون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٤٥، السّطر ٦: «كلّ نَسبٍ وسبب ينقطع إلّا نسبي وسببي» حديثٌ شريف ــ أثبته السيوطيّ على هذا النحو: «كلُّ نَسبٍ وصِهْرٍ ينقطع يومَ القيامة إلّا نسبي وصهري». (الجامع الصغير، ج ٣، ص ٧٩).

قولُه في الصفحة٣٤٥، السّطر ١٣: «العاقلُ تكفيه الإشارة، وحفنةٌ تكفي لتعريف البيدر...» [٣٤٢] القسمُ الأوّلُ منه مثَلٌ مشهورٌ وقد جاء في اللّغة الفارسية على صُوَر مختلفة: ذلك الإنسانُ من أهل الإشارة يعلم البشارة، فإن كنتَ ذا عقلٍ فإنّ إشارةً واحدةً تكفيك. القسمُ الثاني منه أيضًا مَثَلٌ يساوي: «الحفنةُ مثالٌ لحِمْل الحمار» أو «القليلُ دليلٌ على الكثير». وقد استعمل مولانا المثَلَ الثاني في المقدّمة النّثرية للجزء الأوّل من المثنوي أيضًا.

قولُه في الصفحة٣٤٥، السّطر ١٦: «اتّقوا فِراسةَ المؤمن» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثالثة والعشرين.

الرّسالة الحادية والعشرون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٤٦، السّطر ١١: «تعظيم أمرِ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٣١، السّطر ٥.

قولُه في الصفحة٣٤٦، السّطر ١٢: «والحبُّ للهِ والبغضُ لله...» إشارةٌ إلى الحديث الشّريف: «أحبُّ الأعمالِ إليّ الحبُّ لله والبغضُ في الله» (الجامع الصغير، ج ١، ص ١١).

قولُه في الصفحة٣٤٧، السّطر ٢: «المشربُ العذبُ كثيرُ الزّحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والخمسين.

قولُه في الصفحة٣٤٧، السّطر ١٧: «شتّان بين محمّد وجدندل...» نرجِّح أن يكون ضبطُ النسخة الأساسية صحيحًا. ولعلّ فيه إشارةً إلى مضمون آيات من قبيل: ﴿ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء: ٥]؛ ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٦]؛ و ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠] إذ كان الكفّار يقيسون الكلامَ الإلهيّ، الذي وَصَلَ من لسان رسول الله إلى النّاس، بشعر جَدَنْدَل.

قولُه في الصفحة٣٤٧، السّطر ١٩: «إذا أحببتُ عبدًا كنتُ له سمعًا...» قسمٌ من حديث نبويّ شريف (الجامع الصّغير، ج ١، ص ٥٩).

قولُه في الصفحة٣٤٨، السّطر ٢: «المؤمنُ ينظر بنور الله...» انظرْ في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة عشرة.

الرّسالة الثانية والعشرون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٤٨، السّطر ١٥: «كلّ مَنْ يَذكرُنا بالخير...» استُعمل هذا البيتُ في الصفحة ٢٠١ من كتاب «فيه ما فيه» أيضًا.

قولُه في الصفحة٣٤٨، السّطر ١٦: «من جاء بالحسنة...» حديثٌ قدسيّ. وقد نقلَه المرحومُ عبد الباقي، في تعليقاته على رسائل مولانا، من «التحفة السَّنيّة في الأحاديث النبويّة»، طبعة حيدر آباد، ١٣٢٣ هـ، ص ١٣ (تعليقات الرّسائل،

بالتّركية، ص ٢٨٠).

قولُه في الصفحة٣٤٩، السّطر ٣: «المشربُ العذبُ كثيرُ الزّحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ٢٠٨، السّطر ١٥.

قولُه في الصفحة٣٤٩، السّطر ١٠: «وما لا يُدرَكُ كلُّه لا يُترك كلُّه» [٣٤٣] انظرْ في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثالثة والأربعين.

قولُه في الصفحة٣٤٩، السّطر١٤: «الخَلْقُ عِيالُ الله...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة.

قولُه في الصفحة٣٤٩، السّطر١٥: «لم يكن فريدون المبارك مَلَكًا» من شاهنامة حكيم طوس الألمعي (الشاهنامه، بروخيم، ج ١، ص ٦١، الأبيات ٥٣٢ ـ ٥٣٣).

قولُه في الصفحة٣٤٩، السّطر١٧: «السّخاءُ شجرةٌ في الجنّة» حديثٌ نبويّ شريف (الجامع الصغير، ج ٢، ص ٣١).

قولُه في الصفحة٣٥٠، السّطر٣: «ولكنْ رأيتُ السّيفَ من بعد شَحْذِهِ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الخامسة والتسعين.

قولُه في الصفحة٣٥٠، السّطر٤: «في الحركات بركات ...» مَثَلٌ، ويقول الفُرسُ في هذا المعنى: «منكَ الحركةُ، ومن اللهِ البركة» (فيه ما فيه، التعليقات، ص ٣٤٢).

الرّسالة الثالثة والعشرون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٥٢، السّطر١: «الدّنيا مزرعةُ الآخرة» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الخامسة والعشرين.

الرّسالة الرّابعة والعشرون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٥٣، السّطر٢: «قَبْلَ أن يأخذَ الأجَلُ الموهوبَ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة عشرة.

قولُه في الصفحة٣٥٣، السّطر٧: «في الدّنيا حسناءُ فاتنة ونحن متفرّغون...» من شعر سنائي، والبيتان الأوّل و الثاني في الدّيوان فيهما تقديم وتأخير (ديوان سنائي، ص ١٩٦ ـ ١٩٧).

الرّسالة الخامسة والعشرون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٥٤، السّطر٤: «خيرُ النّاسِ من ينفعُ النّاسَ» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثامنة عشرة.

قولُه في الصفحة٣٥٤، السّطر٨: «سوباشي» كانت هذه الكلمة تُستعمل في البدء بمعنى «أمير الماء»، ثم بعد ذلك أُطلقت بطريق التعميم على الأفراد الذين يتولّون ضبطَ أمور الدولة، بمعنى شِحْنه، ويبدو أنها ينبغي أن تُكتب بالصّاد (القاموس التركي، مادّة سوباشي).

قولُه في الصفحة٣٥٥، السّطر١: «يقولُ المالُ كنتُ فانيًا فأبقيتَني وكنتُ ضائعًا فأدّيتَني» نُقلت هذه العبارةُ العربية من كتب الأخلاق.

الرّسالة الثامنة والعشرون والمئة:

[٣٤٤] قولُه في الصفحة٣٥٨، السّطر١٥: «جئتُ بالخلائق إلى الوجود...»

إشارةٌ إلى حديث «يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ: إنّما خَلقتُ الخلْقَ ليربحوا عليَّ ولم أخلقهم لأربح عليهم» (أحاديث المثنوي، ص ٥٨).

الرّسالة التاسعة والعشرون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٦٠، السّطر٢: «لو أنّ محوِّل أحوالِ العباد ليس الله...» لأوحد الدّين أنوري (ديوان أنوري، تحقيق المرحوم سعيد نفيسي، مطلع القصيدة، ص ٢٧).

قولُه في الصفحة٣٦١، السّطر١١: «أحرِّمُ الكلامَ مع الناس...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والتسعين.

قولُه في الصفحة٣٦١، السّطر١٣: «ما وَسِعَني سمائي ولا أرضي» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية.

قولُه في الصفحة٣٦٢، السّطر١١: «ولم ترَهُ عينٌ ولم تسمع به أُذُنٌ...» إشارةٌ إلى الحديث: «فيها ما لاعينٌ رأتْ، ولا أذُنٌ سمعتْ، ولاخطرَ على قلب بشر».

قولُه في الصفحة٣٦٢، السّطر١٣: «وصلَ القلَمُ إلى هنا وانكسر رأسُه...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ٢٥٩، السّطر ٣.

قولُه في الصفحة٣٦٣، السّطر٤: «من القَلْبِ إلى القَلْب رَوْزَنةٌ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية عشرة.

الرّسالة الثلاثونَ والمئة:

قولُه في الصفحة٣٦٥، السّطر٣: «لا صلاةَ إلّا بحضور القلب...» يطابق

مضمونُه الحديثَ الذي رُوي في إحياء علوم الدّين (ج ١، ص ١١٠) على النحو الآتي: «لا ينظر اللهُ إلى صلاةٍ لا يُحضِر الرّجلُ فيها قلْبَه مع بدنه» (أحاديث المثنويّ، ص ٥).

قولُه في الصفحة٣٦٥، السّطر١١: «إنّه فضْلٌ غدا مُباركًا مثْلَ وصْلِ الحبيب...» واحدةٌ من رباعيّات مولانا، كاملُها هكذا:

إنّه فضْلٌ مباركٌ مثْلُ وصْلِ الحبيب ومن موتِ الجسد أضاء مصباحُ القلب

ومن ضحكة البرق بكى السّحاب ومن بكاءِ السّحاب ضحِكَ البستان

(كلّيّات شمس، ج ٨، ص ٢٠٧، الرّباعيّة ١٦٠٤).

قولُه في الصفحة٣٦٥، السّطر١٤: «شكْرُ المنعِم واجبٌ» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية والعشرين.

الرّسالة الحادية والثلاثون والمئة:

[٣٤٥] قولُه في الصفحة٣٦٦، السّطر١٧: «تجري الرّياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السابعة والأربعين.

الرّسالة الثانية والثلاثون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٦٩، السّطر١٠: «ما أجمَلَ ما قال الأذكياء...» من حديقة سَنائي؛ وهو فيها هكذا:

ما أجمل ما قال الأذكياء:

الطريقُ للمنزل والأصحابُ للطّريق

(ص ٤٨١، البيت ٨).

الرّسالة الثالثة والثلاثون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٧١، السّطر١: «انگوريّة» هي مدينةُ أَنقِرة، من أكبر مدن الأناضول، وهي اليومَ عاصمةٌ تركية (قاموس الأعلام، ج ١، ص ٤٤٠).

قولُه في الصفحة٣٧١، السّطر٤: «والأصْلُ لايخطئ» كأنّه مثَلٌ، يشير إليه البيتُ الآتي للشّاعر منوچهري:

الأصــلُ العظـيمُ في الأصــل لم يخطـئ البتّــة

ولم يجعل دولابُ الفَلَكِ أحدًا مَلِكًا، هكـذا جزافًـا

(الأمثال والحِكم، ج ١، ص ١٨).

قولُه في الصفحة٣٧٢، السّطر٣: «الخيرُ لا يؤخَّر...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١١٠، السّطر ٨.

قولُه في الصفحة نفسها والسّطرنفسه: «في التأخير آفاتٌ» ترجمةٌ لمثَلٍ عربيّ يقول: «في التأخير آفات». وانظر إلى توضيح الرّسالة الثانية.

الرّسالة الرّابعة والثلاثون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٧٤، السّطر٦: «عَدْلُ الملِكِ العادلِ يُغني الناسَ عن الخِصْب» قيلت في مَدْحِ العَدْل أمثالٌ كثيرة، بعضُها يمكن البحثُ عنه في الأمثال والحِكم للمرحوم دهخدا.

الرّسالة الخامسة والثلاثون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٧٧، السّطر٣: «أحرِّمُ الكلامَ مع الناس...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والتّسعين.

قولُه في الصفحة٣٧٧، السّطر٤: «من أحبّ شيئًا كثّرَ ذكرَه» [٣٤٦] حديثٌ شريف. يقول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: «من أحبّ شيئًا أكثرَ من ذكره» (الجامع الصّغير، ج ٢، ص ١٤١).

الرّسالة السّادسة والثلاثون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٧٨، السّطر٩: «من جَعَلَ الهمومَ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السابعة.

قولُه في الصفحة٣٧٨، السّطر١١: «المَشْرَبُ العَذْبُ كثيرُ الزّحام...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والخمسين.

قولُه في الصفحة٣٧٩، السّطر٣: «ما الحِيَلُ والتدابير التي لم يقم بها ذلك الوقحُ ؟» لسَنائي الغزنويّ. والبيتُ الثاني في الدّيوان على النحو الآتي:

لا عِلْمَ لي بذلك الذي لا أفرُّ من فَخّه فليس ثمّة ظمآنٌ يفرُّ من ماء الحياة

(ديوان سنائي، ص ٨٥٥).

قولُه في الصفحة٣٧٩، السّطر٧: «بنيانٌ مرصوص» مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

قولُه في الصفحة٣٧٩، السّطر١٥: «لُقمةٌ بلُقمةٍ» حكايةُ ذلك تمامًا جاءت في أسرار التوحيد: «قال شيخُنا: عن ثابتٍ أنّ امرأةً كانت تأكلُ طعامًا، فأتاها سائلٌ فسألَ ولم يبقَ معها من طعامها غيرُ لُقمةٍ فأطعمتْها السائلَ. فأتاها الأسدُ وأخذ صبيًّا لها فذهب به فإذا هي برجُلٍ قد أقبلَ إلى الأسَد حتى انتهى إليه فأخذ بلحيته ففلَقها حتّى استخرجَ الصّبيّ من فيه فسلّمه إلى أمّه فقال لها: لُقمةٌ بلُقمة» (أسرارُ التوحيد، بتحقيق وتعليق السيّد الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني، ج ١، ص ٢٦٣).

الرّسالة السّابعة والثلاثون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٨٠، السطر ١٧: «يسافرُ الرّجالُ في الآفاق، مثل القلب...» بيتٌ من ترجيع بند لمولانا جلال الدّين مع اختلاف طفيف (كلّيّات شمس، ج ٧، ص ١١٤، الترجيع ١٣).

قولُه في الصفحة٣٨١، السّطر٥: «جُزْ يا مؤمنُ» حديثٌ نبويّ: «إنّ المؤمنَ إذا وضعَ قدَمَه على الصّراط تقولُ النارُ: جُزْ يا مؤمنُ، فقد أطفأ نورُك ناري (أحاديث المثنويّ، ص ٥٣).

قولُه في الصفحة٣٨١، السّطر٦: «إنّ جنّتَك ونارَك معك ؛ فانظر في أعماقك...» لسَنائي الغزنوي (الدّيوان، ص ٧٠٨).

قولُه في الصفحة٣٨١، السّطر١٦: «الملَكُ الذي اضطربَ صار من الشؤم شيطانًا...» هوالبيتُ الثاني من غَزَليّة لمولانا جلال الدّين. (كلّيّات شمس، ج ١، ص ٥٥، الغزلية ٨٢).

الرّسالة الأربعون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٨٥، السّطر٩: «كنتُ كنزًا مخفيًّا...» [٣٤٧] حديثٌ نبويّ شريف (أحاديث المثنويّ، ص ٢٩).

الرّسالة الحادية والأربعون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٨٦، السّطر١٢: «صداقةُ الآباء، قرابةُ الأبناء...» مثَلٌ جاء بالعبارة الآتية: «الودُّ والعداوةُ يتوارثان». (التمثيل، ص ٢٤).

قولُه في الصفحة٣٨٦، السّطر١٨: «إتمامُ المعروف خيرٌ من ابتدائه» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة التاسعة عشرة.

الرّسالة الثانية والأربعون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٨٧، السّطر١٦: «شكْرُ المنعِمِ واجبٌ...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الثانية والعشرين.

قولُه في الصفحة٣٨٨، السّطر٨: «جلّ عمرٌو عن الطَّوق» مثَلٌ، وصُورتُه القديمة هذه: «شبَّ عمرٌو عن الطّوق». والمرادُ من عمرو، عمرُو بن عديّ، ابنُ أختِ جَذيمة ابن الأبرش، الذي ضاع وهو صغيرٌ فقيل إنّ الجنّ سرقتْه. وقد عُثِر عليه بعد ذلك، فأرادت أمُّه أن تُلبسه الطّوقَ الذي كان يلبسه وهو صغير. لكنّ جَذيمة (خالَ عمرو) قال: إنّه الآن شابٌّ ولا حاجةَ به إلى الطّوق، «شبّ عمرٌو عن الطّوق»، وصار ذلك القولُ مثَلًا. (آفرينش وتاريخ، ج ٣، ص ١٧٣؛ البَدْء والتاريخ، ج ٣، ص ١٩٨،

التنبيه والإشراف، ص ١٥٨).

قولُه في الصفحة٣٨٩، السّطر١: «قليلُكَ لا يُقال له قليلُ» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٢٦، السّطر ١٧.

الرّسالة الثالثة والأربعون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٨٩، السّطر١٣: «ارحَمْ من في الأرض يرحَمْك...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السادسة عشرة.

الرّسالة الرّابعة والأربعون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٩٠، السّطر٨: «كلُّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته...» حديثٌ نبويّ. (أحاديث المثنويّ، ص ٩٩).

الرّسالة الخامسة والأربعون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٩١، السّطر٢: «صداقةُ الآباء، قرابةُ الأبناء...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة الحادية والأربعين والمئة.

قولُه في الصفحة نفسها و السّطر نفسه: «الحبُّ يُتوارث...» [٣٤٨] هو في الظاهر إشارة إلى الحديث: «مودّةُ الآباء قرابةُ الأبناء». وقد قيل: «الحبُّ والبغضُ يُتوارثان». (الأمثال والحِكَم، العلّامة دهخدا، ص ٢٤١).

قولُه في الصفحة٣٩١، السّطر٦: «هو التعظيمُ لأمر الله...» انظر في شأنه إلى

توضيح الصفحة ١٣١، السّطر ٥.

قولُه في الصفحة٣٩١، السّطر١٧: «ارحَمْ مَنْ في الأرض...» انظر في شأنه إلى توضيح الرّسالة السادسة عشرة.

قولُه في الصفحة٣٩٢، السّطر٦: «إتمامُ المعروف خيرٌ...» انظر في شأنه إلى توضيح الصفحة ١٤٥، السّطر ١٦.

الرّسالة الخمسون والمئة:

قولُه في الصفحة٣٩٥، السّطر١٥: «واحدٌ كالألفِ إن أمرٌ عنى...» مأخوذٌ من مقصورة ابن دُرَيد:

والنّاسُ ألْفٌ منهمُ كواحِدٍ وواحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عنى

(أحاديث المثنويّ، ص ١٨٤).

مترجمُ هذا الكتاب:

ـ الأستاذ الدكتور عيسى علي العاكوب، من مواليد محافظة الرقّة في سورية عام ١٩٥٠م.

ـ يحمل الدكتوراه في اللّغة العربية وآدابها من جامعة دمشق منذ عام ١٩٨٤م، في تخصّص البلاغة والنقد.

ـ أمضى في التدريس الجامعيّ ما يزيد على ربع قرن، وقد درّس في جامعات حلب والبعث (في سورية) والجبل الغربيّ (في ليبيا) وجامعة الإمارات العربيّة المتحدة وجامعة قطر.

ـ عضو هيئة التدريس في قسم اللّغة العربيّة من جامعة حلب منذ عام ١٩٨٦، ورئيس هذا القسم في عام ١٩٨٩م، وبين عامي ٢٠٠٠ـ ٢٠٠٢م، ورئيس قسم اللّغة العربيّة من جامعة قطر بين عامي ٢٠٠٥ـ ٢٠٠٧م.

ـ نال الجائزة العالميّة للباحث المتميّز في الدراسات الإيرانيّة من رياسة الجمهورية الإسلامية في إيران لعام ٢٠٠٣م، كما نال الجائزة العالميّة لكتاب السَّنة في إيران لترجمته رُباعيّات مولانا جلال الدّين الرّوميّ من الفارسيّة إلى العربيّة، وهي جائزة مرموقة تقدّمها أيضًا رياسةُ الجمهورية الإيرانيّة، وذلك في عام ٢٠٠٦م.

ـ له عددٌ من المؤلّفات التي تُدرّس في عدد من الجامعات العربيّة ومن ذلك: المفصّل في علوم البلاغة العربيّة، والتفكير النقديّ عند العرب، وموسيقا الشعر العربيّ. ومن كتبه المهمّة الأخرى: تأثير الحِكم الفارسيّة في الأدب العربيّ، والعاطفة والإبداع الشعريّ، وجماليّات الشعر النّبطيّ.

ـ ترجم عن الإنكليزيّة الكتب الآتية: الخيال الرمزيّ، اللّغة والمسؤولية، الرّومانسيّة

الأوربيّة بأقلام أعلامها، قضايا النقد، لغة الشّعراء، طبيعة الشعر، نظريّة الأدب في القرن العشرين، يد الشّعر (خمسة شعراء متصوّفة من فارس)، جلال الدّين الرّوميّ والتصوّف، الشمس المنتصرة (دراسة آثار الشاعر الإسلاميّ الكبير مولانا جلال الدّين الرّوميّ)، أبعاد صوفيّة للإسلام، وأن محمّدًا رسولُ الله؛ وهذه الثلاثة الأخيرة من عيون مؤلّفات المستشرقة الألمانيّة الكبيرة أنيماري شيمل.

- يهتم اهتمامًا خاصًّا بآثار شاعر الصّوفيّة الأكبر مولانا جلال الدّين الرّوميّ، وقد ترجم من آثاره المدوّنة بالفارسيّة الكتب الآتية: كتاب فيه ما فيه، المجالس السّبعة، رُباعيّات مولانا الرّوميّ، مختارات من ديوان شمس تبريز، من بلخ إلى قُونية (سيرة حياة الرّوميّ)، رسائل مولانا الرّوميّ.

- ترجم أخيرًا عن الإنكليزيّة كتابين مهمّين للمستشرق اليابانيّ الأستاذ توشيهيكو إيزوتسو، وهما: بين الله والإنسان في القرآن - دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم (صدر عن دار الملتقى في حلب عام ٢٠٠٧م)، والمفهومات الأخلاقيّة - الدّينيّة في القرآن. ويستشعر المترجمُ دائمًا القانونين الإلهيين اللذين يقولان:

- «وما أوتيتم من العِلْم إلّا قليلا».

- «وما بكم من نعمة فمن الله».

MASTER JALAL AL DEEN AL RUMI'S LETTERS

Rasā'il Mawlānā Jalāl al-Dīn al-Rūmī

rev.: Tawfiq H. Subhani

tr.: Prof. Dr. 'Īsá 'Alī al-'Ākūb

يجمع هذا الكتاب بين دفّتيه خمسينَ ومئةَ رسالةٍ أو مكتوب، كتبَها مولانا جلالُ الدّين الرّوميّ العارفُ والشاعرُ الإسلاميّ الكبير الذي ازدان بمنجَزه الفكريّ والفنّي جِيدُ الثقافة الإسلاميّة على امتداد القرون. هذا العارفُ الذي قال عنه عبد الرّحمن جامي: "لم يكن نبيًّا، ولكنّه أُوتي كتاباً"؛ مشيراً بذلك إلى مثنويِّه الشهير.

ينطوي هذا الكتاب على أربع مقدّمات مهمّة، صنَعَها باحثانِ تُركيّان بارزان، ودارسٌ إيرانيّ معروف، ومترجمُ الكتاب إلى العربيّة.

تقدّمُ الرسائلُ الموجودةُ فيه صورةً رائعةً لألَق الشاعر المسلم وعبقريته في تربية جيل من السّلاطين والوزراء وقادة الجيش والقضاة والعلماء ورجال الدولة.

تضيءُ الرسائلُ فيه جانباً مهمًّا من حياة محرّرها وسلوكه العمليّ الذي يجسّد فضاءاتِ ذلك المبدأ النبويّ السّامي القائل: "الخَلْقُ عيالُ الله، وأحبُّهم إلى الله أنفعُهم لعياله" يضيف طعماً مختلفاً إلى مائدة الثقافة الإسلامية، ويقدّم لوناً من الخبرة الروحيّة والمعرفة الإيمانيّة المتعدّدة الأبعاد، التي يعاني الإنسانُ المعاصر من آثار إهمالها والازورار عنها معاناةً شديدة.

فرات
www.furat.com
موقع عربي رائد لتجارة الكتب والبرامج العربية

ISBN-978-9933-10-642-3
9 789933 106423